كونستانتان جيورجيو

# الساعة الخامسة والعشرون

ترجمه
فائز كم نقش

الناشر
دار اليقظة العربية
للتأليف والترجمة والنشر

# الساعة
# الخامسة والعشرون

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.كتب.facebook

الطبعة الاولى
١٣٧٣ هـ - ١٩٥٣ م

الطبعة الثانية
١٣٧٦ هـ - ١٩٥٦ م

الطبعة الثالثة
١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م

دار الفضيلة الحديثة
للتأليف والترجمة والنشر

١٩٦٦

الطبعة الرابعة
١٩٨٨

مكتبة ماجد الحيدر
Facebook
كتب

دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر

كونستانتان جيورجيو

# الساعة الخامسة والعشرون

ترجمه :

فائز كم نقش

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.كتب.facebook

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.كتب.facebook

# مقدمة المترجم

عزيزي القارىء ؛

هذا الكتاب الذي بين يديك ، والذي نفذت طبعتاه الاولى والثانية ، احدث ضجة في أوربا كلها لم يحدثها كتاب مماثل من قبل ، وترجم الى أكثر اللغات الحية ، فاعيد طبعه في فرنسا وحدها أكثر من خمسين مرة ، كانت الاولى عام ١٩٤٩ والاخيرة في الربع الثالث من العام الماضي ١٩٦٥ .

ولقد حظي هذا الكتاب في شرقنا العربي بتقريظ واف فقال بعضهم فيه : « انه افضل كتاب صدر بعد جمهورية افلاطون ! » وقال آخرون : « لم يسبق لكاتب ان نجح في هز مشاعر جماهير العالم كله واحاسيسهم نجاح مؤلف هذا الكتاب . »

ولعل السبب الاوفى في نجاح هذا الكتاب على هذا النحو الفريد راجع الى أن المؤلف الذي يمتاز بعبارته السلسة الواضحة والقصيرة ، قد عانى شخصيا جانبا كبيرا من الآلام والمحن التي سردها بكثير من الدقة والتوفيق في فصول كتابه الشيقة .

مكتبة ملك الحبر كتب facebook

فالمؤلف روماني الاصل ، مثقف متعمق في علم النفس واللاهوت ، محيط بنفسية شعبه وعاداته ونوازعه احاطة مستفيضة كاملة . وهو الى جانب ذلك يملك قدرة ملحوظة على التعبير عن أفكاره تعبيراً مشرقاً وافياً . وبفضل قدرته على الكتابة واحاطته بأبعاد مايكتب وادراكه قضايا شعبه والشعوب المحيطة بـه وأفكارها ، استطاع أن يخرج للعالم سفراً فريداً نادراً ، بل تجربة فذة في ابراز أهم ميزات شعوب أوربا التي تشرد بينها خلال سنوات الحرب الثانية القاسية .

ولقد استغل المؤلف قدرته على استقراء نفسيات الناس الذين يقابلهم وبسطها بوضوح وكمال أفضل استغلال ، فتسلل بتفوق الى أعماق شخصياته الاوربية المختلفة في الدول الاوربية المختلفة ، ونزع عنها الستور التي تحجب حقيقتها عن أنظار السواد الاعظم من جماهير القراء والمثقفين ، واظهرها على حقيقتها المجردة ، خالية من المسحات واللمسات المضللة . فجاء كتابه هذا والكتب التي تلته آية في الانتاج الاممي .

والقارىء الذي يتابع أحداث هذه القصة ، يجد نفسه متنقلا مع فصولها بين البيئات والمجتمعات المختلفة التي تنقل الكاتب بينها ، ويحس باجواء تلك المجتمعات والبيئات احساسا حياً وكأنه عاش بنفسه فيها . فلا عجب بعد ذلك اذا قررنا باعتداد وثقة أن مؤلف هذا الكتاب هو أفضل كاتب « كوسموبوليتي » شهدته أوربا منذ موريس دوكوبرا ، مع الفارق الكبير بين الكاتبين في الاسلوب وفي القضايا التي عالجها كل منهما بأسلوبه الممتع المثير .

مكتبة ماجد الحيدر
facebook.كتب.كتب.كتب

ان كتاب « الساعة الخامسة والعشرون » الذي نقدمه الآن لقارئنا في طبعته الثالثة ، يعالج أخطر تحول قيمي في تاريخ البشرية ، تحول الانسان من المجتمع اليدوي الى المجتمع التكني ودور صانع الآلة في عبوديته لما أبدع وصنع . انه الصراع بين القيمة والمادة ومفهوم الحضارة والانسانية بينهما من زاوية جديدة كل الجدة ، طريفة كل الطرافة وصحيحة الى أقصى حدود الصحة . انه صراع بين الانسانية والبربرية ، فهو اذن كتاب لابد وأن يقرأ ، وهو كتاب لابد وأن يقتنى !

« فايز كم نقش »

* * *

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.كتب.facebook

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.كتب.facebook

# المقدمة

بقلم : جابرييل مارسيل

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.كتب.facebook

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.facebook

هذه أول مرة ـ اذا لم أكن مخطئاً ـ أقدم لكتاب يصدر عن مجموعة « النيران المتشابكة Feux Croisés » بمقدمة أدبجها بنفسي . لكن « للساعة الخامسة والعشرون » في الحقيقة شأناً متفرداً بندرته .

انه أولا ، موضوع فريد على شكل ما ، نقدمه اليوم الى الجمهور الفرنسي لأن مؤلفه لمس لأسباب جد بديهية استحالة نشر كتابه في موطنه . ثم أنني ـ لاسباب سوف تنجلي بالنتيجة ـ أغتبط بالتفكير في أن هذه الرواية البديعة ، هذه الرواية المخيفة ، ستظهر أول ماتظهر في فرنسا وباللغة الفرنسية . انني لاأشك في أن ترجمات أخرى ستعقبها والا لكان في ذلك مدعاة للأسى . لكن هذا ليس كل شيء : لا أظن أن بالمستطاع ايجاد مؤلف أكثر تعبيراً وبياناً للوضع المريع الذي تجد الانسانية نفسها غارقة فيه اليوم . لقد قال أحد شخصيات هذه الرواية : « لم تعد الارض ملكاً لبني الانسان . » والاصح أن بني الانسان ، كما يبدو ، نسوا أن يتصرفوا تصرف البشر . غير أن هذا القول ليس وافياً : ان الامر لايرتكز على النسيان والتنكر لشرعة ، بقدر مايرتكز على اعداد منكر كان ذلك النسيان نتيجة حتمية له .

مكتبة محمد الجبير Facebook

أكاد أجزم أن جانب الاختلاق في « الساعة الخامسة والعشرون » يكاد أن يكون مغفلا . لست أريد القول أن كل مافي هذا الكتاب انما هو ترجمة وقائع شخصية دقيقة ، برغم أن المؤلف وزوجه عانيا شخصياً بعضاً من أقسى المحن المدرجة فيه . لكن ما عمله السيد جيورجيو ، كان مقتصراً على جمع عناصر هذه القصة المبعثرة ، التي هي في جوهرها أصدق مايمكن قراءته وبالتالي أقل نفعاً بالنسبة الى متشيع لايخرج عن كونه متشيعاً فحسب . ولايمكن لهذا الكتاب أن يُستغلّ من جانب واحد من الاحزاب القائمة حالياً ، وهذا أثمن مايبدو لي فيه . صحيح أن الوحشية الالمانية والوحشية السوفياتية مثارتان فيه في صحائف ملتهبة ، فلا يستطيع احد الادعاء بأن الموقف مشابع للنازية او للبلشفية،لكن النواة ليست هنا : ان الشر المبين هنا شر عام يتضح بازدياد ، أن الغرب أصيب به كما ابتُلي به ذلك الغرب الأقصى الذي ما عاد ــ كما يبدو لي ــ يمكن أن يكون أرض الامل والسراب لأحد ، كما ظل طيلة القرن التاسع عشر وخلال السنوات الاولى من القرن الحالي . ان هذا الشر هو استبدال المفاهيم المجردة ( المجاز ) بالحسيات ، ذلك الابدال الذي اذا لم يكن يرتكز على قاعدة الوضعية « التكنيك » ، فانه على الاقل يعتمد على التكنوكراسية التي مازالت في طور التناسق تأخذ في النضوج تحت أبصارنا . ان ذلك يجعلني أتساءل عما اذا لم تكن « الوضعية » ، بسبب جنوحها الى اعتبار نفسها غاية وحلولها محل القيم التي يُزعم بطلانها ، وارثة المثالية الفلسفية ، التي أصبح أثرها الخارق المضير على الزمن بعيداً عن النقد والجدل . اننا هنا بصدد بدعة تستدعي التبصر فيها في حدود منهاجي . ان كبار ممثلي المثالية ، من أفلاطون الى كانت وحتى هيجل ، يُعدون دون ريب بين مفاخر الانسانية ، وليس من شيء أكثر استبعاداً من اعتبارهم ــ هم أنفسهم ــ المسؤولين

مكتبة ماجد الحيدر
facebook
كتب كتب كتب

مباشرة عن النكبات الهائلة المعاصرة . ولكن يبدو أن كل شيء قد تم وكأنهم أدمجوا مرغمين ، ودون علم منهم ، في خدمة قضية لم تكن قط قضيتهم ، قضية اذا تعمقنا في بحث الامور وجدناها مضادة في كل نقاطها للقضية التي كرسوا أنفسهم لخدمتها . ولا شيء في هذا الصدد أكثر غرابة وتدليلا من مصير مذهب هيجل « هيجيليانيسم » الذي انتهى الى وضع يتنافى اطلاقاً مع نظريه « الانيفرساليسم » لهيجل وينكر بسفه شديد كل القيم التي مجدها ذاك . ولا مجال هنا للتساؤل عن كيفية وتبرير هذا التصرف المنكر البعيد عن التصور ، لأنه يجب البحث عن ذلك بين عميق الخطوط الميتافيزيكية « علم النظريات » والتيولوجية « علم اللاهوت » . هناك مجال واسع للتفكير في أن المثالية جنحت الى التمادي في الاضرار منذ اللحظة التي فقدت فيها اتصالها مع الوحي العلوي ، اللحظة التي انفصلت فيها عن مذهب القديس يوحنا المتعلق « بالفعل » ، اللحظة التي اتجهت فيها نحو تأليه الانسان للانسان وليس نحو انتقال نعمة الهية انحدرت للقاء الانسان عن طريق الانسان . ان أباطيل النظرية الماركسية لم تصبح ممكنة الا اعتباراً من اللحظة التي أصبحت تلك العبادة الدنسة مقبولة من عديد من الاشخاص ، مازالوا عاجزين عن ادراك نتائجها الرهيبة . فلت الميتافيزيكية الماركسية : والواقع أن الأمر لايتعلق مطلقاً ببحوث عميقة تبصر بها ماركس نفسه في دوائر محدودة جداً من دوائر الحياة الانسانية ، وبالاسلوب الفني في حد ذاته وبالتالي الذي لاغنى عنه ، والذي كان ماركس أول من عرّفه واستعمله ليبرز حقائق كانت أهميتها من قبل لاتكاد تخطر على بال .

استميح العذر لهذا الاستطراد الفلسفي . لكنني أطمئن القارىء الذي قد يزعجه هذا الاستطراد بأنه لن يجد في كتاب السيد جيورجيو مايؤيد

مكتبة ماجد الحيدر على الفيسبوك

هذه النظريات مباشرة . ولكن يبدو لي أن كل شيء في هذا الكتاب ، انما يؤيد أعمق تجربة تصمياً واثارة ، كما يؤيد تفكيرنا في سلوك السبيل الذي أتينا على بيانه .

ماكنت لاغفر لنفسي لو مسخت القصة الخارقة التي سيطالعها القارىء ، بايجازها وايضاح خطوطها مسبقا . لذلك سأكتفي بايراد بعض المقاطع التي تبدو لي معبرة بصورة خاصة والتي تسمح للقارىء أن يكوّن فكرة عن أهمية القصة الاستثنائية .

قطع الكاتب تريان كوروغا وزوجه نورا مئات من الكيلو مترات مشياً على الاقدام ابان الهزيمة الالمانية عام ١٩٤٥ ، رغم أنهما كانا دائماً من أنصار قضية الحلفاء وأن نورا كانت يهودية أفلتت في آخر لحظة من الاضطهاد ، ليلتحقا بالمنطقة الامريكية التي كانت تبدو لهما ملاذاً أميناً . ما هما في مدينة ويمار . لكن روح « جيته » لم تكن هي التي تنقد في نفس الحاكم الامريكي لتلك المدينة ، فما كانت شخصية تريان وزوجه وتفكيرهما ليدخلان في حسباته . انهما يحملان جواز سفر روماني . ورومانيا تعتبر رسمياً ، من وجهة النظر الامريكية ، دولة معادية . واذن ، يجب أن يُعامل تريان وزوجه معاملة رعايا الاعداء وأن يسجنا . ولايسعني هنا الا الاعجاب بالطريقة التي جاء التحليل الجدلي الذي كان عدد كبير من المفكرين قصيري النظر يعتقدون الى وقت جد قريب أنهم واجدون فيه الاداة الذهنية الممتازة ، يضع نفسه بها في خدمة الزيغ والضلال : انه آلة يمكن استعمالها كما يُراد ككل الآلات الاخرى . أما الفكرة الحقيقية ، فانها شيء آخر . سألت نورا « كم من الوقت ينبغي لهم ليعرفوا أنهم أوقعونا وأنهم يحتفظون بنا في السجن ؟ انني لا أستطيع

مكتبة ماجد الحيدر
www.facebook.com/groups/kotobkotob

الاحتمال أكثر من ذلك ! » فيقول تريـان : « انهـم لن يشعروا أبداً بوجودنا . ان الحضارة الغربية في مرحلتنا التقدمية الاخيرة لم تعـد تأبه بالفرد . ولاشيء يدعونا الى الامل بأنها ستأبه له يوماً . ان هذا المجتمع لايعرف الا بعضاً من المقاييس الفردية . أمـا المخلوق الكامل ، بصفته الشخصية ، فانه لاوجود له في نظره .. أنت مثلا ، لست الا مواطنة عدوة أوقفت في أرض ألمانية . هـذه هي أقصى مايستطيع المجتمع « الفني » الغربي أن يتخيله عنك ... ان هذا المجتمع عندما يوقف أو يقتل أحداً ، لايوقف أو يقتل شيئاً حيـاً ، بل فكرة ، رمزاً . وفي المنطق الصحيح ، لايمكن أن تُعزى اليه هذه الجريمة ، لأن أية آلة لايمكن اتهامها بارتكاب جريمة . ولايمكن لأحد أن يطالب آلة بمعاملة الانسان حسب مميزاته الشخصية .. كل ماأعرفه هـو أن اخضاع الانسـان للقوانين والمقاييس « الاصطلاحيـة » وهي مقاييس ممتازة فيما يتعلق بالآلات ، انمـا يعادل جريمة قتل . ان انسانا يُضطر الى الحياة في الشروط والوسط التي تحيا فيها الاسماك يموت خلال دقائق . والعكس صحيح . لقد خلق الغرب مجتمعاً مشابهاً للآلة . انـه يرغم بني الانسان عـلى العيش في صميم هذا المجتمع ويضطره الى الانسجام مـع قوانين الآلة .. ومتى بلغ بنو البشر في تشبههم مبلغ الآلات حتى يماثلونها ، فعندئـذ لن يبقى بشـر فـوق سطح الارض . »

يرى هنا أن « الساعة الخامسة والعشرون » تشبه نهايـة أيروهون لصامويل بوتلر . لكن بين الكتابين فارقاً يسمح بتقدير المرحلة المنقضيـة خـلال أقل من قرن فحيث كان ايروهون لوناً من نظام محال خيالي من طراز جوليفر مثلا ، لايمكن لشيء أن يكون أقل محالا وخيالا من رواية السيد جيورجيو . هذه القصة ، قصة ايوهان موريتز الذي ظل يُرسم على

مكتبة عبد الجبار كتب facebook

التوالي يهودياً بينما هو آري في حقيقته ، ثم آري صميم ومن عرق السادة العظام ! ، ثم يعامل بعد ذلك من قبل الحلفاء معاملة صديق فمعاملة عدو دون أن يؤخذ بعين الاعتبار نوعه وكونه وكيانه الشخصي ، هذه القصة ، قصة المجانين التي دبجها مدونٌ مدقق منصف بكل أمانة ، تبدو وكأنها التعبير الحرفي عما سيبلغ اليه حال الانسان في عالم يتنكر له . ولكن أي عالم هو هذا ؟ ومم كوّن وأقيم ؟ انه عالم يسعى « المواطنون » فيه الى الحلول محل الانسان . « ان « المواطنين » لايعيشون في الغابات ولا في الادغال ولكن في المكاتب . ومع ذلك ، فانهم أشد قسوة من وحوش الادغال . لقد نسلوا من اندماج الانسان بالآلات انهم جنس فاسد ، انهم أقوى عرق على سطح الارض حالياً . ان وجوههم تشبه وجوه الانسان بل وأن المرء ليخلط غالباً بين الانسان وبينهم . لكنه لايلبث بعد حين أن يعرف أنهم لايتصرفون تصرف بني الانسان ولكن تصرف الآلات . ان لهم مقاييس زمنية بدلا من القلوب ... هؤلاء هم المواطنون ... نشء غريب ، لقد اكتسحوا كل الارض . »

لست واثقاً حقاً من أن التحليل قد بلغ هنا غاية القصد . فلكي تُفهم هذه الصورة الانتقالية أو الميتاستازية ـ اذ لاشيء أكثر تناسباً مع المقام من هذا التعبير المأخوذ عن علم الانسجة العضوية « الهيستولوجيا » والذي يقصد به تحول مركز المرض ـ ، لابد من اقحام بسيكولوجية شيللر حول تجدد الشعور : فاذا كان المواطنون في الديمقراطيات الشعبية ، كما عرفناهم ، فانهم ليسوا آلات . بل انهم يهدفون الى التحول الى « أدنى من الانسان » تصبح كراهية التفوق ، على اختلاف ألوانه ، مبدأ حيوياً عندهم . أما هنا ، فان الأمر يتعلق بحياة مرذولة ذليلة ، حياة تناهض كلياً الحياة الحقيقية . أي أنها ضد الخلق والحب .

مكتبة ماجد الحيدر
كتب كتب كتب .facebook

قلت في مستهل هذه المقدمة أن ظهور هذا الكتاب لأول مرة باللغة الفرنسية يبدو لي مغلطاً • ذلك لأن فرنسا ، لأسباب تاريخية وجغرافية معاً ، كانت في النقطة المحكمة التي جاء السؤال الرهيب الذي طرحه السيد جيورجيو يمثل أقصى حدته المؤسية • ان تأييد ذلك لايعني الاعتراف بتهمة الشطط القومي ، فليس مثل ثقافتنا الفكرية ثقافة مدعومة من حيث المبدأ ضد مثل هذه الاباطيل • فمونتيني وديكارت وباسكال حتى وفولتير أو معاصرونا أمثال بيجي ، وفاليري ، وكلهم جاؤوا من أقاصي الآفاق الفكرية المتضادة ليتحدوا ضد هذا الخطر المريع • مع ذلك ، ينبغي الاعتراف بأننا نرى هذا الخطر القائم يزداد تجسداً كل يوم وخطورة هنا ، حيث الافراط في اعادة تنظيم الامة مبدأ منبوذ أصلا • فهنا أكثر من أي مكان آخر ، يحدث الصراع بين الرجل الحقيقي ومن ـ ليُسمح لي بتسميته ـ بالرجل الورق ، خسراناً كثيباً • لذلك فان كتاب السيد جيورجيو يأتي في وقته ومحله • أتمنى أن يُقرأ بشغف وأن يفسر بشغف من قبل أشخاص أفاضل أمناء كي لايلجأ الى حمى تلك الفكرة السهلة القائلة أن كل ماجاء في الكتاب انما وقع بعيداً عنا ، في رومانيا أو في ألمانيا • ومايزداد وضوحاً باطراد ـ ومالا يُضاهى في أهمية الاشارة اليه ـ ان هذه التركيزات الموضعية فقدت اليوم معناها الواقعي : ان مايحدث على بعد ثلاثة آلاف كيلومتر من حدودنا يحدث عندنا كذلك • والفرق بين هنا وهناك في طريق الزوال • ان المأساة البشرية متشابهة في كل مكان •

ويتساءلون : لم الساعة الخامسة والعشرون ؟ انها تلك التي تأتي بعد الساعة الاخيرة • انها ـ وأورد النص حرفياً ـ تلك التي لايحل مجيء مسيح فيها شيئاً ، لان مجتمعاً محولا الى تيكنوكراتية ( بين البوروقراطية والتكنيكية ) لايستطيع أن يخلق روحاً ، فهو بالتالي مجتمع بين يدي

مكتبة ما وراء الطبيعة facebook

وحوش . » لاشك أنه يجوز لنا ايجاد مثل هذا التشاؤم المفرط ، انني من أولئك الذين يؤمنون بأن معجزة كهذه ممكنة دائماً طالما بقي من المخلوقات البشرية من يفكر ويضرع . ولكن متى عرفنا ماذا يحدث في موطن السيد جيورجيو ، متى عرفنا التدابير المجردة عن الانسانية باطراد التي يُخضع لها الملايين والملايين من البشر ، استحال انكار مثل المخاوف التي لايمكن تجنب التشاؤم الغريزي فيها . تُرى هل يجب أن نفضل عليها موقف أولئك الذين يلوذون بأمل الاصلاح عن طريق الحرب ، وكأنه ـ بعد تجارب الثلث المنصرم من هذا القرن ـ لايزال يسمح الاعتقاد بأن الحرب يمكن أن تؤتي خيرا ؟

على كل حال ، لاينوه الكاتب بشيء عما ستتناوله الحرب التي قد تكون في دور التهيؤ . انها لاتشتعل الا في نهاية كتابه . وفيمايلي أقوال زوجة تريان الذي قتله منذ شهور حارس المعسكر الذي كان نزيله : « هذه الحرب .. ليست حرب الغرب ضد الشرق ... انها ليست الا ثورة داخلية في نطاق المجتمع الآلي الغربي ... ان روسيا ، بعد الثورة الاشتراكية ، أصبحت الفرع الأكثر تقدماً من فروع الثورة الغربية الآلية ... لقد نقلت روسيا كل نظرياتها عن الغرب ، وكل ماعملته انها وضعت تلك النظريات موضع التنفيذ . لقد حولت الانسان الى صفر كما تعلمت من الغرب ... لقد قلدت الغرب كما لايستطيع أن يحاكيه الا البربري المتوحش » وعلى هذا ، فان هذه الحرب ليست الا ثورة داخلية على المجتمع الغربي وهي اذن ليست مهيأة في صالح البشر . وكل ما أستطيع اضافته الى هذا القول أنه يمكن التقبل نظرياً ، بأن الرجال الحقيقيين بوصفهم هذا ، قد يستطيعون الافادة من هذا اللون من افناء الأخ لأخيه . لكن هذه في الحقيقة ليست الا حلا شفهياً لأن الرجال في الواقع أقرب الى

مكتبة ماجد الحيدر كتب كتب facebook

أن يؤخذوا ويسحقوا في هذا الاعصار الهائل من أن يفيدوا منه » فهل يجب الركون الى الأمل الذي اختص بـه أبوتريان ، القس كوروغا : « وفي النهاية ، يشفق الله على الانسان كما قال من قبل مرات عديدة ، كما حدث في سفينة نوح فوق الامواه ، فيطفو ذلك البعض من بني الانسان الـذين ظلوا عـلى انسانيتهم ، فوق دوامات ذلـك الخراب الجماعي الهائل . » ؟ ان هذه الكلمة هي الاشعاع الوحيد الضئيل الذي يلتمع في ثنايا هذا الكتاب اليائس العظيم .

ومهما بلغ تفاوت الاسلوب بين هـذا الكتاب « الساعة الخامسة والعشرون » وبين كتاب كاتب روماني شاب آخر هو السيد سيوران بعنوان « موجز التفسخ » الذي سيظهر خلال أسابيع قليلة والـذي يشـبه مثالا لليأس ، فانه لايسعني الا التقريب بينهما . ونحن الذي نجونا مؤقتاً ـ ولعله لوقت جد قريب ـ ، نحن مدعوون الى اعارة مثل هذه الشواهد التي تشبه أعماق جحيم انسانية معذبة أذناً شديدة الوعي والرأفة .

**جابرييل مارسيل**

* * *

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.كتب.facebook

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.كتب.facebook

## كونستانتان جيورجيو

السيد كونستانتان فيرجيل جيورجيو ولد في ١٥ ايلول عام ١٩١٦ في رازبوني ـ نيامتز في رومانيـا • درس الفلسفة واللاهوت في جامعتي بوخارست وهيدلبرج • وهـو سكرتير سفارة سابق للعلاقات الثقافية في وزارة الخارجية الرومانية • كتب عدداً من المؤلفات نال احدها « أثر فوق الثلج » الجائزة الملكية للشعر في رومانيا عام ١٩٤٠ •

* * *

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.كتب.facebook

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.كتب.facebook

# البَابُ الأولُ

## القسم ١

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.كتب.facebook

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.كتب.facebook

# فانتانا

قالت سوزانا تحدث ايوهان موريتز وهي تلتصق به :

ـ لايمكنني أن أصدق أنك ذاهب !

ووضعت يديها على رأس الرجل وراحت تداعب شعره الاسود . فتراجع هذا خطوة ، وأجابها بصوت خشن :

ـ لم لاتصدقين ؟ لن ينبثق فجر بعد غد ، الا وأكون قد ذهبت .

تمتمت :

ـ انني أعرف ذلك !

لبثا واقفين قرب السياج . كان الجو رطباً والليل قد مضى أكثر من نصفه ... أخذ ايوهان يدي المرأة وأزاحهما جانبا وقال :

ـ والآن ، الوداع !

فقالت متوسلة :

ـ البث وقتاً آخر !

ـ لم تريدنيني أن أبقى ؟...

كان صوته ثابتاً جازماً ... وأردف

مكتبة ماجد الحيدر
facebook
كتب كتب كتب

ـ ان الوقت متأخر ، وعلي أن أشتغل غداً .

لم ترد عليه ، بل ازدادت التصاقاً بـه وكشفت طرفي القميص عن صدر الرجل ثم أراحت وجنتها على صدره ورفعت عينيها اليه ...

قالت :

ـ ان النجوم جميلة !

كان ينتظر منها شيئاً آخر . ظن أنها استبقته لتقول لـه شيئاً مهماً واذا بها تحدثه عن النجوم . فتخلص منها وأراد أن يبتعد . لكنه تذكر أنه سيسافر قريباً وأنه سيغيب ثلاث سنوات على الاقل وعندئذ نظر بدوره الى النجوم يجاريها في أفكارها .

ـ أصحيح أن لكل رجل نجماً في السماء ، فاذا مات سقط نجمه ؟

فأجابها :

ـ لست أدري !

ثم أضاف وقد صمم عـلى الذهاب :

ـ الى اللقاء !

سألت :

ـ هل لنا ـ نحن أيضاً ـ نجوم في السماء ؟

أجاب موريتز :

ـ ككل الناس : في السماء أو في نفوسنا !

وأمسك برأس المرأة بين يديه فأزاحه عن صدره ثم مضى . فمشت ترافقه ويده في يدهـا حتى بلغا الطريق . كانت تنظر الى النجوم وتنظر اليه . قالت :

ـ سأنتظرك غداً مساء ؟

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.كتب.facebook

ـ اذا لم تمطر السماء •

أرادت سوزانا أن تسير معه شوطاً آخر وأن ترجوه المجيء حتى ولو أمطرت السماء ، لكنه أبتعد عنها بخطىء واسعة ، واختفى عند منعطف الطريق وراء البستان • ولبثت المرأة جامدة في مكانها برهة وهي تسوي ثوبها حول وركيها لتزيل عنه الاعشاب التي علقت به • وقبل أن تدخل الى الباحة ، ألقت نظرة أخيرة على الحشائش المتكسرة تحت شجرة الجوز ، حيث كانت مستلقية بالقرب منه منذ قليل • كانت رائحة جسد موريتز ـ وهي مزيج من رائحة الاعشاب والتبغ وبذور الكرز ـ لازالت عالقة في خياشيمها •••

قطع ايوهان موريتز الحقل واتجه نحو البيت وهو يصفر لحناً • كان يرتدي سراويل سوداء عسكرية المنشأ وقميصاً أبيض يكشف عن عنقه • وكان حافي القدمين • توقف مرات عن الصفير ليتثاءب وراح يفكر في المرأة التي فارقها منذ حين ••• وراح يفكر في سوزانا وأراد أن يبتسم وهو يهمس في سره : « تحدثني عن النجوم ••• ان النساء كالاطفال ، يطرحن على أنفسهن مجموعات من الاسئلة عديمة النفع » وانتقل بتفكيره الى الرحلة التي سيقوم بها بعد يومين الى أمريكا ، ثم لم يعد يفكر في شيء • عاد يصفر وهو يشعر بالنعاس • كان يتمنى لو كان في تلك اللحظة نائماً في غرفته اذ كان عليه أن ينهض مبكراً جداً ••• سيكون الغد آخر أيام عمله • ها أن الفجر قد انبثق أو كاد وستشرق الشمس بعد سويعات ••• وراح ايوهان موريتز يحث الخطى •••

ـ ٢ ـ

توقف ايوهان موريتز عند الفجر أمام عين القريه ، وحسر قميصه عن عنقه ، ثم أخذ الماء بين يديه ، وراح يغسل وجهه وعنقه • ثم توسط الطريق

وراح يجفف يديه بتمريرهما على شعره ؛ ثم سوى ياقة قميصه دون ان يغلقها عند فتحة العنق من الامام ، وألقى نظرة عـــلى القرية • كان الضباب الابيض الكثيف على وشك الانقشاع عن قريـــة فاتانا الرومانية • وكان ايوهان موريتز قد ولد فيها منذ خمسة وعشرين عاماً • وفيما هو يتأمل تلك القرية ببيوتها الصغيرة وابراج النواقيس الثلاثـــة الشامخة فوق كنائسها الثلاثة : الاورثوذكســـية والكاثوليكيـــة والبروتستانتية ، تذكـــر سوزانا حينما سألته عما اذا كان لن يذبل ويسقم اذا ابتعد عن تلك القرية • وتذكر جوابه على سؤالها : بأنه رجل ! وأن النساء وحدهن يذبلن فشعر بموجة من الأسف تنتابه في تلك اللحظة ، وأشاح بوجهه عن المنظر ومضى وهو يصفر على عادته !

كان منزل القس ألكسندرو كوروغا قائماً على جانب الطريق ، بالقرب من الكنيسة الاورثوذكسية • وكان بابه مغلقاً • فانحنى ايوهان وأخذ المفتاح المخبأ أسفل الباب والذي وضع خصيصاً هناك لتسهيل دخوله عندما مايحضر لمباشرة عمله كل صباح،ففتح الباب الثقيل المصنوع من خشب البلوط بتمهل ودخل الباحة ، فهرعت اليه الكلاب تبصبص أذنابها وتقفز حوله بمرح ••• لقد كانت تعرفه وتأنس به ، لانه كان يشتغل لدى القس ألكسندرو كوروغا منذ ستة أعوام مضت ، فكان كل يوم ــ خلال هذه الاعوام الستة ــ ، يدخل الى هذه الدار كما يدخل مسكنه ••• لكن اليوم كان آخـــر أيام عمله ، ولسوف يقضي نهاره يجني ثمـــار التفاح ، ثم يقبض اجره ويعلم القس بذهابه ، لأنه لم يكن مطلعاً بعد على عزمه على السفر •

دخل ايوهان موريتز المكدس ، فحمل السـلال ووضعها عـلى العربة الصغيرة • وفي تلك اللحظة ، خرج القس الى الشرفة مرتدياً قميصاً من

مكتبة ماجد الحيدر
facebook
كتب كتب كتب

القماش الابيض وسراويل النوم التي درج على ارتدائها قبل ان يأوي الى الفراش • كان يحمل في يده دلو ماء • فحياه موريتز باسماً ووضع السلال أرضاً وهو يفرك يديه ، ثم هرع الى الشرفة يأخذ الدلو من يد العجوز ويقول :

ـ انتظر ، سأصب الماء على يديك •

أخذ ايوهان يصب الماء على يدي القس • كان ينظر الى أصابع يديه ، تلك الأصابع الطويلة المعقدة التي يكسوها الجلد الأبيض أشبه بأصابع النساء• كان ينظر بسرور الى ذلك العجوز وهو يدلك بالصابون لحيته ووجهه وعنقه • فسها وهو في استغراقه عن يدي القس الممدودتين المطالبتين بالماء لازالة الصابون الذي يغمرهما • وانتبه موريتز الى نفسه وشعر بخطئه ، فاحمر وجهه •

كان القس كوروغا ، راعي الكنيسة الشرقية • وكان يناهز الخمسين من عمره ، رغم لون شعر رأسه ولحيته الذي كان أبيض كالفضة • كان طويل القامة ، رقيق العود ، هزيلا يشبه القديسين الذين تشاهد صورهم مرسومة على « ايقونات » الكنائس الاورثوذوكسية • لكن نظرته الملتمعة وصوته المرح كانا يشعران بأنه لازال شاباً •

فرغ الكاهن من غسل يديه ووجهه فجفف وجهه وعنقه بمنشفة من الكتان الغليظ • وكان موريتز واقفاً أمامه والاناء في يده • قال :

ـ أود أن أتحدث اليك يا أبي •

فأجابه الكاهن :

ـ انتظر ريثما أرتدي ثيابي •

ثم استعاد آنية الماء من يد ايوهان موريتز ومضى نحو المنزل . فلما بلغ العتبه ، التفت اليه وقال وهو يبتسم :

ـ وأنا كذلك سأتحدث اليك . ان لدي نبأ سيسرك سماعه . أما الآن فخذ السلال في العربة وجهزها .

أمضى ايوهان موريتز والقس كوروغا ذلك الصباح في جني التفاح وملء السلال به . كانا صامتين . ولما دنت ساعة الظهيرة ، توقف الكاهن وأسدل ذراعيه تعباً .

ـ لنسترح قليلا .

فأجاب موريتز :

ـ لنسترح .

أتجها نحو الاكياس الملآى بالتفاح وجلسا فوقها واستغرقا في الصمت من جديد . بحث الكاهن في جيوبه عن علبة السجاير التي كان يأتي بها معه دائماً ، ليقدم منها الى موريتز . فلما وجدها مد يده بها اليه وقال :

ـ ـ كنت تريد ان تحدثني بشيء .

ـ هو كذلك .

أشعل موريتز لفافة وألقى بعود الثقاب على الحشائش ولبث يراقبه حتى انطفأ . كان يشعر بصعوبة في انهاء عزمه على الذهاب الى الكاهن ... كان يود لو تريث قليلا فأنقذه الكاهن من تردده بقوله :

ـ أريد اطلاعك على الخبر الذي عندي أولا .

سر موريتز اذ أتيح له أن يحتفظ بما عنده ولو الى حين . وأردف الكاهن يقول :

مكتبة ماجد الحيدر
facebook.com/كتب.كتب.كتب

ـ لقد أصبحت الغرفة الصغيرة الكائنة قرب المطبخ فارغة . وقد فكرت في أنك قد تقبل السكنى فيها . لقد طلت زوجتي جدرانها بالجير مرة أخرى وعلقت على النوافذ ستائر صغيرة نظيفة . انني أعرف انـــه ليس لديكم في الدار المكان الكافي . فأنت وذووك تأوون الى غرفة واحدة . فاحمل امتعتك معك غداً عندما تحضر لأن الغرفة باتت لك .

ـ لن أحضر غداً يا أبي .

ـ ليكن اذن بعد غد . ان الغرفة ستبقى لك .

قال موريتز :

ـ لن أعود بعد اليوم يا أبي لأنني مسافر غداً الى أمريكا .

حملق الكاهن في وجهه وقال :

ـ غـداً ؟

ـ غـداً عند الفجر !

كان صوت موريتز ثابتاً ، لكنه كان مشوبا بلهجة أسف . أردف :

ـ لقد تلقيت رسالة ، والباخرة راسية في « كونستانزا » ، ولم يبق على موعد اقلاعها الا ثلاثة أيام .

كان الكاهن يعرف ان موريتز راغب في السفر الى امريكا لان عدداً كبيراً من القرويين الشباب ارتحلوا اليها وعادوا بعد عامين أو ثلاثة وجيوبهم عامرة بالمال ، فاشتروا أجمل مساكن القرية وقطع الارض وعادوا يعملون فيها لأنفسهم . وكان الكاهن مسروراً لذهـــاب موريتز ، لأنـــه سيحصل بدوره بعد سنين قليلة على المسكن الجديد والارض الحسنة أسوة بالآخرين . لكنه دهش لسفره المفاجيء القريب الذي لم يكن موريتز قد حدثه عنه ، رغم أنهما كانا يشتغلان كل يوم ، جنباً الى جنب ، من الصباح حتى المساء .

مكتبة ماجد الحيدر
كتب كتب كتب .facebook

قال موريتز :

ـ لقد تلقيت الرسالة البارحة .

ـ او تسافر وحيداً ؟

ـ بل مع غيتزا ايون . وسنشتغل وقادين عـلى ظهر الباخرة ، نعني بالمراجل ، وبذلك لن ندفع من مجموع أجر الرحلة الا خمسمائة « لي » عن الشخص الواحد . ان لغيتزا صديقـاً في كونستانزا ، وهـو يشتغل في المرفأ ، وهو الذي أعد كل شيء .

تمنى له الكاهن حظاً سعيداً وهو يأسف لرحيله . فقد كان ايوهان موريتز شابا مخلصاً في عمله ، طيب القلب ، شريف النفس . لكنه كان فقيراً لا يملك شبراً من الارض . استمر الرجلان في عملهما بقية اليوم والكاهن يتحدث عن امريكا وموريتز يصغي الى حديثه . كان موريتز يزفر بين الحين والحين ... لقد شعر في تلك اللحظة بأسف حقيقـــي لفراق ذلك الرجل الطيب ...

وحلّ المساء وانتهى العمل . فوقف موريتز أمام الكاهن مطرق الرأس ، ولبث كذلك لحظة طويلة ، لايجد في نفسه القوة على مغادرة المكان ، بعد أن نفحه الكاهن أجره . فربت الشيخ على كتفه وقال مشجعاً :

ـ اكتب الي حال وصولك وتعال غداً لأخذ الربطة التي وعدتك بها ، لسوف أزودك بما تأكل طيلة الطريق .

ثم أعطاه خمس ورقات نقدية من فئة المائة « لي » وأضاف :

ـ تعال منذ الشفق واقرع زجاج النافذة بهدوء لأنني أفضل ان لاتسمع زوجتي شيئاً . ان النساء كما تعلم ، شديدات البخل . سوف أهيء لك كل شيء منذ هذا المساء فمتى تود الرحيل ؟

مكتبة ماجد الحيدر
facebook
كتب كتب كتب

ـ قبل شروق الشمس، اذ علي ان أقابل غيتزا ايون عند طرف القرية .

ـ حسناً . ان الوقت يسمح لك اذن بالمجيء الى هنا قبل الذهاب الى صديقك . غير انه يمكنك المجيء هذا المساء بدلا من الغد .

ـ بل أفضل الغد يا أبي .

كان موريتز يفكر في سوزانا التي كانت ولا شك تنتظره هذا المساء .

ـ ٣ ـ

وضع الكاهن كوروغا كيس المؤونة تحت النافذة الى جانب الجدار، ثم أطفأ المصباح وأوى الى سريره . راح يفكر قبل النوم في ايوهان موريتز ورحلته الى أمريكا . لقد شعر وهو يهيء كيس المؤونة بشعور غريب ، خيل اليه معه ، انه هو الذي سيسافر الى امريكا . عادت به الذاكرة الى ثلاثين عاماً خلت : كان قد حصل على شهادته في علم اللاهوت وتطوع في عداد المبشرين الذاهبين الى المستعمرة الارثوذوكسية في مشيغان ، وكان قد هيأ أمتعته كما فعل ايوهان موريتز اليوم . لكنه قبل موعد الرحيل باسبوع ، أبرق يعتذر عن قبول منصبه ، لانه تعرف الى زوجته وتزوجها . ومنذ ذلك الحين أصبح راعي القرية . والقرية صغيرة جداً والحياة فيها خشنة . لقد أسف مراراً على تخليه عن تلك الرحلة والمنصب الذي كان سيتولاه . لكن الاسف ما كان يجديه فتيلا . ظلت أمريكا في حلمه : فكلما عزم قروي على السفر اليها ، كان يعطيه مؤونة كافية وسجاير ويطلب اليه أن يكتب اليه حال وصوله ، رسائل عن أمريكا . كان يعمل ذلك دون اطلاع زوجته . وما كانت الزوجة لتستنكر فعلة زوجها ، غير ان الشيخ كان يعتقد انه كلما فكر في امريكا ، كان تفكيره لوناً من عدم الاخلاص لزوجته ، لانه رفض الذهاب اليها من أجلها . وظلت تلك المعركة النفسانية ناشبة في قلبه كامنة فيه . غير

مكتبة محمد الجبير على facebook

ان سفر ايوهان موريتز لم يكن كسفر الآخرين : لقد كان ايوهان موريتز موضع ثقته ، وبذهابه شعر ان جزءاً حياً منه قد ذهب الى العالم الجديد .

كان القمر بدراً والكاهن كوروغا لا يبـــق النوم فنهض من فراشه وأضاء النور ومضى الى مكتبته التي كانت رفوفها تحتل جدران الغرفة الثلاثة، وأخذ كتاباً . كانت الرفوف تنوء بالكتب ، بين انكليزية والمانيـــة وفرنسية وايطالية ويونانية ولاتينية . كانت كلها أصدقاء قدماء له . كان يتساءل احياناً عن سبب عزوفه عن التدريس في الجامعة رغم ان اصدقاء له من « ايازي » و « بخارست » أغروه بذلك . لكنه رفض مرتين مقعـــد استاذ في التاريخ الكنسي ولم يأسف قط لهذا الرفض . كان في فاتتانا يقيم شعائر الصلاة ايام الآحاد والاعياد . أما بقية الوقت ، فكان يشتغل في أرضه ويعني بمناحله وبستانه وثماره . فاذا حل المساء ، خلا الى كتبه يقرأ ، تاركاً للقدر ، طائعا مختاراً ، ان يرسم له خطوط مستقبله . لقد حاول مرة واحدة ان يعاند القدر ، وكان ذلك عندما قرر الذهاب الى امريكا . فأعد كل العدة لذلك . لكنه رغم استعداداته الجمة لم يذهب ، لأن أمراً غير متوقع وقف في طريقه. وكان له في ذلك الدرس،ماجعله عازفاً عن وضع الخطط ، ومحاولة تنفيذها.

تساءل الكاهن : « هل أنا آسف حقيقة لعـدم ذهابي الى امريكا منذ ثلاثين عاماً ؟ واذا كنت غير آسف، فلم هذه الحمى الغريبة التي اشعر بها اليوم لذهاب موريتز ؟ » جذب الغطاء على نفسه واسترسل في تفكيره : « انه ليس الاسف للبقاء بل انه الحنين الى شيء نعتقد بصحته في خيالنا ، شيء لن نمتلكه أبداً . واذا امتلكناه ، فاننا سرعان مانجد انه لم يكن هو موضوع أحلامنا . لعل أمريكا لم تكن هدفي المنشود . لعلها كانت حجة اكتئابي . ان

مكتبة ماجد الحيدر
facebook.كتب.كتب.كتب

امريكا ليست الا اختراعاً لفقه حنيننا • وقد يكون عدم رؤيتها أقل خيبة لآمالنا مما لو شهدناها حقيقة • » •

مع ذلك ، فان الكاهن كوروغا ، لم يكن يستطيع النوم • كان شديد الاضطراب منفعلا ، ينتظر بفارغ صبر بزوغ النهار وكأنه كان هو الذي ينتظره غيتزا ايون عند طرف القرية ، ليذهب معه الى كونستانزا ، حيث تنتظرهما الباخرة التي لن تبقى في المرفأ اكثر من ثلاثة ايام •

وعندما استيقظ بعدئذ ، كان الظلام لازال مخيما ، غير ان صياح الديكة كان يعلن قرب شروق الشمس • كانت الطريق خالية والقرية يلفها ضباب أبيض كثيف • فتح الكاهن الكيس ووضع فيه رزمة « السجاير » التي كانت على المنضدة وهو يقول : « اذا كان ايوهان ذاهباً ، فانني لن احتاج الى هذه « السجاير » وأنا الذي اشتريتها من أجله » • شهد من النافذة انبثاق النهار فناجى نفسه بقوله : ينبغي ان يسرع في الحضور اذا شاء ان لايتأخر عن موعده • » سمع صوت خطى على الطريق ، لكنها تجاوزت المنزل وضاعت في البعد فخرج الى الشرفة وغسل وجهه بالماء البارد • غير ان ايوهان موريتز لم يكن هناك ليصب الماء على يديه •

اشرقت الشمس ولم يحضر ايوهان موريتز • ولبث الكاهن ينتظره حتى ساعة الافطار ، فلما لم يحضر ، ظن انه صحا متأخرا فلم يجد متسعاً من الوقت ليمر بمسكنه قبل لقاء صديقه لأخذ الكيس ، فغمغم : « ياللاسف! لقد جمعت له مؤونة ثلاثة أسابيع • كانت ستكفيه حتى في أيامه الاولى هناك • » نادته زوجته قائلة :

ـ ألا تفطر يا ألكسندرو ؟

وظهرت على عتبة الباب • فقال الكاهن :

ـ سأحضر حالا •

مكتبة عبد الحميد كتب facebook

دفع الكيس تحت السرير وهو يشعر بقلبه يعتصره الأسف ، ذلك الاسف الذي يحس به المرء ، كلما عدل عن أمر ما عدولا نهائياً • لقد ضاع أمله الاخير في الوصول الى امريكا ممثلا بشخص موريتز • فلوح بيده كما فعل منذ ثلاثين عاماً ومضى الى غرفة المائدة •

حدث نفسه قائلا : « لو ان ايوهان موريتز اخذ هذا الكيس الذي هيأته له لشعرت بأنني ذاهب بنفسي • لكنني آسف لانـــه لم يحضر • وغمغم باللاتينية يقول : من يعمل للغير فكأنه يعمل من أجل نفسه » •

- ٤ -

عندما غادر ايوهان موريتز منزل الكاهن ، توقف عند النبع الكائن على جانب الطريق ، فسفح الماء على وجهه وصدره وتوجه نحو الجانب الآخر من القرية حيث يقطن نيكولاي بورفيري • وكانت لنيكولاي هذا ارض على تخوم الغابة يريد بيعها • فلما دخل باحة مسكنه قال له :

ـ سأذهب غداً الى أمريكا • وعندما أعود ، سيكون لدي مـن المال ما أشتري به هذه القطعة من الارض • لكنني أود قبل مغادرتي القرية ان أعطيك عربوناً ، كي لاتبيع الارض الى سواي •

سأل القروي :

ـ كم من الوقت تمضي هناك ؟

ـ عامين أو ثلاثة ، بينما احصل على ما يكفيني •

ـ نعم ان ثلاث سنين كافية • ولم أر من قبـل شاباً مكث فيها أكثر من هذا الوقت ، لان المرء يكسب المال بسهولة في امريكا •

سأل موريتز :

مكتبة ماجد الحيدر
كتب. كتب. facebook

ـ كم تريد عربوناً على الثمن ؟

ـ لست في حاجة الى المال • اذا عدت خلال ثلاث سنين بمبلغ خمسين الف « لي » ، فانك ستحصل على حقلي الذي لن أبيعه لاحد • سوف أنتظر أوبتك •

غير أن موريتز • اخرج من جيب سرواله ، رزمة من الاوراق النقدية راح يعدها على عتبة المسكن ، ثم قال :

ـ هاك ثلاثة آلاف « لي » • من الخير أن أدفع لك عربوناً •

تمت الصفقة فضغط ايوهان موريتز على يد نيكولاي بورفيري • ولما كان الوقت غير شديد الظلمة ، فقد أراد أن يلقي نظرة على الارض • لقد رآها من قبل مئات المرات ، وكان يعرفها تماماً • غير أنه في تلك اللحظة ، لم يكن مجرد عابر سبيل • كان الامر مختلفاً بالنسبة اليه لأن الحقل بات ملكه ، ولم يكن عليه الا أن يعود بالمال •

ـ ٥ ـ

سار ايوهان موريتز مخترقاً الحقول بخطوات حثيثة ، وكان العرق يغمر جسمه الذي التصق به القميص • لم يكن يطيق السير متئداً ! ولما بلغ غابة البلوط ، توقف فجأة • كانت أرضه تمتد من مكان وقوفه على تخوم الغابة ، وكانت مزروعة بالذرة التي كانت تبلغ مستوى كتفيه • لم تكن الارض كبيرة ، لكنها كانت كافية لبناء دار حولها فناء وبستان ثمار • راح يقدر أبعادها بنظره ، ويقيسها طولا وعرضاً • خيل اليه أنه يرى منذ الآن وراء ذلك النبات الاخضر الجميل ، سقف المنزل ودولاب البئر وباب الاسطبل المصنوع من خشب البلوط السميك • كان يرى غالباً مثل ذلك المشهد بعين خياله ، لكنه في تلك المرة ، رآه بوضوح أشد • كان كل

مكتبة عبد الحميد كتب facebook

شيء يبدو حقيقياً مطابقاً لرغباته . وابتسم ايوهان موريتز . كانت الريح تحنى سوق الذرة الخضراء وتموجها أشبه بالبحر الزاخر ، محدثة هديراً يروق للسمع ؟ فانحنى على الارض وأخذ ملء قبضته من ترابها . كانت التربة حارة وكأنها مخلوق حي في يده ... كانت حرارتها تشبه حرارة الجسد ، حرارة عصفور دوري ، اذا أطبق المرء على جسده بيده . انحنى مرة أخرى وملأ يده اليمنى بالتراب ، ثم انتصب واقفاً وضغط على أصابعه بشدة ، ثم فتح يده وترك التراب يتسرب خلال أصابعه بخطوط ناعمة دقيقة . واخترق المزروعات متجهاً نحو الغابة ، فلما بلغ منتصف الحقل ، انحنى مرة أخرى ليجمع تراب الارض في يده . وناجى نفسه وهو يمرغ خده بذلك التراب ويشم عبيره : « انه ساخن أيضاً . ان له رائحة التبغ ، رائحة الارض . » رفع ايوهان موريتز رأسه وتنفس ملء رئتيه مرات متلاحقة ليملأهما بشذى الارض المعطر . اتجه به التفكير الى سوزانا فغمغم : « انها تنتظرني » ، ومضى في طريقه يصفر .

- ٦ -

كان منزل ايورغو ايوردان ، والد سوزانا ، قائماً عند طرف القرية . وهو منزل كبير يغطي سقفه قرميد أحمر . اتجه اليه موريتز ، مخترقاً البساتين ، ميمما شطر فنائه . فلما بلغ السياج ، توقف وراح ينظر خلال ثغرة فيه . كان ايورغو ايوردان في تلك اللحظة على شرفة منزله ، يسير ببطء ، فيغلق درفات النوافذ ، بعضها بالرتاج ، والبعض الآخر بالمفتاح . راح موريتز يراقب حركاته ، فلما انتهى ايوردان من عمله ، نظر حوله نظرة مستريبة ، وهبط درجات السلم الخشبية التي كانت تئن تحت وطأة جسمه العملاق . كان يرتدي كعادته سترة خضراء ، وأحذية قصيرة ، وسراويل الفرسان . اخترق البستان الذي يحيط بمنزله واتجه نحو

مكتبة ماجد الحيدر
كتب كتب كتب .facebook

الباب ، فسحب الرتاج وراءه بعنف ، وأدار المفتاح في القفل مرتين ، ثم عاد وهو يتأرجح في مشيته ، فدار حول المنزل متفقداً جنباته ، وكأنه يبحث عن شخص مختف في مكان ما في الظل ، وأخيراً دخل المنزل من بابه الخلفي ، وسمع موريتز صوت المفتاح يدار في القفل مرتين ولم يلبث أن ران السكوت • دخل ايورغو ايوردان غرفة نومه التي كانت جدرانها مغطاة برؤوس الحيوانات التي اصطادها ، بين وعول وذئاب ودببة • وكانت بعض البنادق والمسدسات ومناطق الذخيرة معلقة بين النسور المحنطة وقرون الوعل ، والى جانب السرير الضخم ، فرش جلدان أسودان ، وطأهما ايورغو ايوردان بقدمه ، وأخذ بندقية أسدها الى السرير ، ثم أخرج مسدساً من درجه ، وشمعة وعلبة ثقاب وضعها جميعها على المنضدة بجانبه ، وجلس على السرير لاهث الانفاس فخلع حذاءيه ، ووضعهما الواحد بجانب الآخر • كان من عادته أن يترك أحذيته في مكانها المعين ليجدها في الظلام ، كلما احتاج اليها بمجرد أن يمد يده اليها • ثم خلع ثيابه واستلقى على السرير غارقاً في الوسائد البيضاء ، وكأنه دب مستلق على الثلج • شهد ايوهان موريتز النور ينطفيء : لقد تناقص النور أولا ، ثم ارتعد ، ثم اختفى ، وأصبحت النوافذ سوداء ، وكأنها أفواه الظل • أما غرفة ايولاندا ، زوجة ايورغو ، فقد كانت مضاءة • لكن نورها كان محجوباً ، ضئيلا ، لانه كان قبل بلوغه النافذة ، يضيع في طيات الستائر الحريرية • وكان الناس يتهامسون بأن ايولاندا تعيسة ، وأنها وصلت منذ خمسة وعشرين عاماً مع ايورغو ايوردان الى تلك القرية ، ممتطيين جياداً ، فحطا رحالهما في خان القرية • ولم يكن أحد يعرف من أين أتيا ، لكن الناس خمنوا أنهما أتيا من مكان قصي • كانت ايولاندا رومانية ، أما هو فلا • وقد اتضح فيما بعد ، أنهما نزحا عن هنغاريا • كان يرتديان آنذاك فراء

مكتبة نجد الجديد على facebook

طويلا ، وبعد أن التهما كفايتهما من الشواء وشربا أكؤساً من الخمر ، نامـا في غرفة صاحب الخان • كان زوجها يأكل كالغول ،أما هي فكانت كالعصفور ، لاتكاد تمس طعامها • ولم يمض على وصولهما ثلاثة أيـام حتى أشيع في القرية أنهما لن يغادراها • وصدقت الشائعة ، اذ لم تمض أسابيع قليلة ، حتى اشتريا الخان • كان ايورغو ايوردان لايعرف كلمة واحدة من اللغة الرومانية عندما وصل الى فاتاتا • أمـا الآن ، فقد كان يتكلمها جيـداً ، كأبنائها • غير أنه لم يكتسب خلال ربع قرن أي صديق في القرية ، وكذلك زوجته • وقد عمد الوالدان الى عدم ارسال ابنتهما سوزانا الى مدرسـة القرية ، دفعاً لارتباطها بأية علاقة مع أبناء القرويين الآخرين ، فأرسلاها بدلا من ذلك الى المدينة • كان القرويون لايرون ايولاندا الا في الكنيسة الارثوذوكسية أو عندما تقصد المدينة في عربتها ، منطوية منكمشة ، بجانب ايورغو ايوردان • كان العملاق أطول منها بمرتين ، وكان لها شعر أشقر كالحرير المشغول وعينان زرقاوان • وكانت سوزانا ، تشبهها شبهاً غريباً ، حتى أن المرء ليخلط بينهما • ذلك كان كل مايعرف في القرية عن ايورغو ايوردان • أضف الى ذلك أنه ذات شتاء ، قتل رجلا كان يحاول الدخول الى منزله • لقد قتله ببندقيته ، بطلقة أصابته بين عينيه وادعى رجال الدرك أن ايورغو ايوردان لم يتجاوز حقه ، وأنه كان يستطيع قتـل أي رجل يتسلل الى بيته ليلا ليسرق نقوده • غير أن القرويين ، ماكانوا من رأي الدرك ، لأن الجريمة هي دائماً جريمة • لكن هذه القضية لـم تلبث أن نسيت بعد أن مر عليها زمن طويل •

شاهد ايوهان موريتز النور من ثغرة السياج يخبو ويرتعد لحظة ، ثم ينطفيء • فأحاط فمه بكفيه وهتف : هو ! هو ! هو !

اخترقت صيحة موريتز الفضاء ورددها الصدى ، ثم عاد السكون •

مكتبة ماجد الحيدر
facebook
كتب كتب كتب

ولم تمض لحظة ، حتى فتحت درفات نافذة وقفزت سوزانا منها ، فاخترقت البستان جرياً على أطراف قدميها ، ثم خرجت من الباحة ، عن طريق الثغرة في السياج ، حيث كان ايوهان موريتز ينتظرها .

- ٧ -

سألت :

ـ لم انتقيت هذه الصيحة ؟ لم هذه الزمجرة ؟ لماذا ؟

كانت قد اجتازت السياج ، وبلغت حيث كان موريتز ، فأراد أن يعانقها ، غير أنها تحاشته . كانت ترتعد مذعورة ، وصدرها يعلو وينخفض ، تبعاً لوجيب قلبها .

ـ ألم أخطرك بعدم النداء هكذا ؟ .

سأل ايوهان موريتز :.

ـ وكيف كنت تريدينني أن أصيح ؟

ـ اهتف كيفما تشاء . غير أن صياح البومة ، مجلبة للبؤس . انه انذار بالموت !

ـ خرافات النساء العجائز ! ليس هناك طير آخر يغرد ليلا نهارا وفي الاوقات العاصفة ، شتاء ، وصيفاً ، غير البوم . هل تعرفين طيراً آخر ؟ ان العندليب لايغرد الا في الصيف . فاذا قلدت صوت العندليب ، أدرك أبوك ، أن رجلا ينتظر وليس طائراً . أتريدين أن يعرف العملاق أنني أناديك ؟

ـ كلا لست أريد . لكن البوم يجلب الدمار !

ـ انها ليست خطيئتي . لماذا لايكون هناك طائر آخر ، يغني في كل الفصول ، وفي كل الساعات ، دون أن ينذر بالموت ؟ ثم لماذا نختصم ؟ لقد

جئت هذا المساء أدعوك للمرة الاخيرة • ولن يكون هناك مايدعونا الى التستر في المستقبل • سأذهب صباحاً في طريقي الى أمريكا ، وستصبحين زوجتي عند عودتي ، ولن أكون مضطراً الى الاختباء وراء السياج ، وتقليد صوت البوم •

ضمها بعنف الى صدره فأحاطت عنقه بذراعها • كانا تحت شجرة الجوز ، حيث التقيا الليلة الفائتة ، وكل الليالي الاخرى ، منذ الاشهر التي قضياها مع بعضهما ، بعد تعارفهما • أحس بثقل المرأة بين يديه ، فأسندها ومددها على العشب ، واستلقى بجانبها ، وتداخل جسماهما ، وتعاقدا كالحيتين ، أو كالنبات المتسلق • كانت الأيدي تبحث عن الايدي في الظلام ، والشفاه تلتصق ببعضها ، برغبة وشوق ، وقد أغمضا عيونهما • وفي مكان ما من بستان ايورغو ايوردان ، كانت الصراصر تردد غناءها الوثير • لبثا متعانقين صامتين • وكان ثوب سوزانا ، أشبه ببقعة زرقاء على الحشائش ، لانها نزعته عنها خشية أن يتلوث ، أو أن يتسخ فتراه أمها • وكانت الغيوم القاتمة قد نضت عن صفحة القمر ، وتبددت حوله ، فراحت أكتاف المرأة العارية ، تلتمع في الظل • وكان موريتز قد نزع قميصه ووضعه تحت جسد سوزانا ، فبدا ، الى جانب الكتفين البيضاوين ، صدر موريتز الاسمر الذي يشبه قلافة الشجر •

قالت المرأة :

ـ اياني ، لاتذهب •

فأجابها مكتئباً :

ـ لم تقولين ذلك ؟ انك تعلمين أنني اذا لم أذهب الى أمريكا لن أستطيع شراء الحقل • وانني اذا كنت لا أمتلك أرضاً ، لن نستطيع

مكتبة ماجد الحيدر
facebook.كتب.كتب.كتب

الزواج • الى أين تريدين أن تمضي ، اذا كنا لانملك أرضاً ، ولابيتاً ؟ ثلاثة سنين ، وبعدها أعود بالمال ، ونتزوج • ألا تريدين أن تتزوج ؟

ـ بل أريد • غير أنني لا أريدك أن تذهب •

ـ وكيف أشتري الارض وبأي شيء ؟

ابتسم ايوهان موريتز وأردف :

ـ لقد أعطيت نيكولاي بورفيري عربوناً على أرضه • وعندما أعود ، سأدفع له رصيد قيمتها •

قص ايوهان موريتز قصة ذهابه الى صاحب الارض ، ودفعه المال ، ومروره بالأرض • ووصف لها الدار التي سيبنيها ، والاسطبل ، وكل شيء •

قالت سوزانا دون أن تصغي الى حديثه :

ـ اياني ، اذا ذهبت ، فلن تراني حية عند عودتك •

انزعج موريتز ، وكلح وجهه وقال :

ـ ماذا دهاك ؟

ـ لاشيء • ان هاتفاً يقول لي ذلك • لك أن لاتصدقني ، لكنني عند عودتك سأكون قد مت •

أجاب موريتز :

ـ كلا • لن تموتي • ستكونين عند أبيك وأمك ، كما أنت اليوم • انك لست وحيدة • ولن أقلق من أجلك • لأنك لست عند غرباء ، بل عند والديك •

راحت المرأة تبكي بهدوء ، فعانقها وسألها :

ـ ماذا بك ؟ ماذا دهاك ؟

مكتبة ماجد الحيدر
facebook
كتب كتب كتب

كانت شفتاها باردتين ، مخضلتين بالدمع المالح .

ـ لو حدثتك بشأني ، لقلت أن لي آراء المجانين ، آراء النساء . لذلك يستحسن أن لا أحدثك بشيء .

ـ لن أقول أنها آراء النساء .

قالت :

ـ أعتقد أن أبي يريد أن يقتلني !

فأجابها بصوت خشن :

ـ من الذي حشا هذه الفكرة في رأسك ؟ كيف يقتلك أبوك ؟

ـ انني أعرف أنك لن تصدقني ، لكنني أرتعد من الخوف . انني أحس بأنه سيقتلني . لقد شعر أبي بشيء ما ، ولست أدري كيف شعر . ومن أجل ذلك يريد قتلي .

ـ شعر أبوك بماذا ؟

ـ بحبنا

ابتعد ايواهان موريتز عنها . كان جسد سوزانا ظاهراً كالرخام على العشب . سألها :

ـ هل حدثك بذلك ؟

ـ كـلا .

ـ هل عنفك ؟

ـ كـلا .

ـ اذاً كيف عرفت أنه شعر بعلاقتنا ؟

ـ ان قلبي يحدثني بذلك .

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.facebook

وراحت تبكي وتنشج .

ـ انه ليس قلبي فحسب ... ظهر اليوم ، عندما حملت الاطباق الى المائدة ، نظر الي أبي نظرة غريبة ، كانت نظرة حقد ، ثم هتف بي : « استديري نحو الجدار » ، فاستدرت . شعرت أنه ينظر الى وركي . ثم قال : استديري نحو النافذة » ونظر الي أيضاً نظرة طويلة ، نظرة جانبية ، ثم حدق في بطني ووركي . كان ينظر الي ، كما ينظر الى خيوله ، ويفحصها ،وفجأةصرخ غاضباً : « اخرجي من هنا أيتها الحقيرة ! » وامتنع عن الطعام . ولقد خرجت ، وأنا واثقة من أنه ألم بكل شيء وعرفه . لقد عنفني من قبل لما كنت صغيرة ، بل وضربني حتى أدمى جسدي . لكنه لم يقل لي مرة « حقيرة » أما ظهر اليوم ، فقد صرخ « اخرجي من هنا أيتها الحقيرة ! » .

سأل موريتز :

ـ كيف استطاع معرفة كل شيء ، وهو الذي لم يرنا أبداً معاً ؟

ـ انه لم يرنا معاً ، ولكنه على علم بكل شيء !

ـ ولكن كيف يستطيع معرفة ذلك ؟

ـ بمجرد النظر الي .

ضحك ايوهان موريتز ، وقبل امرأة في جبينها .

ـ لو أنه نظر اليك خلال منظار ، لما استطاع الكشف عن شيء . أتعتقدين أن نتائج الحب ترى بهذى الشكل ؟ ان كل هذا ليس الا هراء !

ـ انني أعرف أن ذلك لايرى عادة . لكن أبي يختلف عن سواه . انه يعرف ذلك بمجرد النظر الى أفراسه . انه بمجرد النظر اليها ،

مكتبة نور الحيدر
www.facebook.com/groups/kotob.kotob

يستطيع أن يؤكد اذا كانت ستلد مهراً أم لاتلد . ان أصدقاءه لايخالفونه في هذه النقطة .

ـ هل أنت حبلى حتى يبدو ذلك ؟

ـ كلا لست حبلى .

ـ اذاً ليس هناك أي خطر . بعد عامين أو ثلاثة ، أعود ومعي المال . سوف نشتري الارض ، ونتزوج في كنيسة الكاهن كوروغا . سوف نبني بيتاً جميلا ، وسنكون سعداء أليس كذلك ياسوزانا .

ضمته الى صدرها بكل قواها ، وهي ترتعد كما لو كانت خائفة . وقالت :

ـ لو أنك بقيت هنا لما خفت . أما وأنك سترحل ، فانني سأموت هلعاً ، حتى ولو أن أبي لم يقتلني ببندقيته ، فانك لن تجدني على قيد الحياة عند عودتك . لسوف أموت من الخوف في غيبتك . انني أغلق الباب بالمزلاج والقفل كل ليلة . فاذا ماسمعت وقع خطى أبي ، دفنت رأسي تحت الوسادة . لأنني خائفة .

مرر ايوهان موريتز يده على كتفيها ، وجذبها الى صدره ، وأخذها بين يديه ، دون أن ينطلق أحدهما بكلمة . كانت تشعر بسعادة غامرة بقربه ، وكان سعيداً اذ يراها تكف عن البكاء . ولما صاح الديك ، نهضا . فارتدت سوزانا ثوبها الرطب البارد ، الذي بلله الندى ، ولبس موريتز قميصه ، وأمسك بيد سوزانا ، وقادها قرب السياج . ثم شيعها بنظره وهي تتسلل من الثغرة . ولم تكد تختفي وراء السياج حتى أطلقت صرخة قصيرة . فاشرأب ايوهان موريتز بعنقه ليرى ماذا حدث . غير أن سوزانا

مكتبة ماجد الجبير facebook كتب كتب كتب

لم تكن موجودة في الباحة . كانت ملتصقة به وهو لايدري كيف عادت اليه . كانت ترتعد كأوراق الخريف . كان جسدها دافئاً ، وأنفاسها مبهورة . نظر ايوهان موريتز خلال الثغرة ، فرأى نافذة سوزانا مضيئة مفتوحة على مصراعيها ، وايورغو ايوردان في جلباب النوم ، يتجول في طول الغرفة وعرضها ، وبيده مصباح موقد ، وكأنه يبحث عن شيء ما . فراح موريتز يمسح بيده على شعر المرأة ويضمها الى صدره ، ليمنعها عن رؤية أبيها . لكنها كانت قد رأت كل شيء . ولأنها رأت كل شيء ، كانت تزداد التصاقاً به . كانت لاتستطيع البكاء لشدة رعبها وارتعادها . سمعا صوت ايورغو ايوردان يسب ويصخب ، فحدق موريتز متأملاً جسم العملاق ، وقد وقفت في ظله ايولاندا بشبحها الهزيل الناعم . ولبث ذلك المشهد تحت أنظار موريتز لحظة واحدة ، ولما أدار العملاق ظهره الى النافذة ، حجب بجسده الضخم زوجته عن أنظار موريتز ، ثم سمعا صيحات ايولاندا ، صيحات حادة تمزق القلب وتفطره ، وتتغلغل في مسامات الجلد متفجرة . وفجأة انطفأ النور ، ولبثت النافذة مفتوحة ، ولكن مظلمة ، بينما استمر صرخات ايولاندا تشق الظلام وتمزقه ، صرخات تزداد يأساً وهلعاً وألماً ، لم تلبث أن خبت ببطء ، فلم تمض برهة ، حتى بلغت مسامعهما ، أشبه بحشرجة مكتومة ، توقفت بعد قليل . كانت التعسة قد سقطت على الارض ، وايورغو ايوردان يسحقها بضربات من قدميه في الغرفة المظلمة . ومن مكانهما ، كان موريتز وسوزانا يرتعدان .

قالت المسكينة :

ـ أمي ! انه يقتل أمي .

انتزعت نفسها من بين ذراعي موريتز ، وهمت بالاندفاع نحو

مكتبة نجد الحديث على facebook

الباحة ، والذهاب الى البيت ، لكنه قبض عليها بشدة ، وهو يلاطفها . وفجأة تخلى عنها ، لأنه كان يريد أن يهرع الى نجدة المرأة التي كانت على وشك الموت . كان يدرك أنه اذا تأخر فترة أخرى ، فانه سيصل – اذا وصل – بعد فوات الوقت . كانت عضلاته متقلصة ، متوترة . غير أنه لم يبادر الى نجدة ايولاندا . انه لم يكن مسلحاً ، بينما كان في متناول يد العملاق بنادق وأسلحة . وكان العملاق قوياً ، وكأنه قدّ من صخر ، فكانت غريزة موريتز ، تحرم عليه القتال ، لانه كان عبثاً .

حمل ايوهان موريتز سوزانا بين ذراعيه . فكانت تتخبط على صدره ، وترتعد . لكنه ضمها الى صدره بعنف ، وراح يبتعد بخطى حثيثة مخترقاً الحقول . كان يشعر باحساس غريب ، يحدثه بان العملاق ، يبحث عن سوزانا ، وبندقيته في يده ، فأراد ان يخيفها . أراد أن يذهب بها بعيداً ما أمكن ، عن ذلك البيت ، ذي القرميد الاحمر . كان يجري بعينين مغمضتين وهو يعتقد أن خطى العملاق تلاحقه ، وأنه يريد أن يقتل هذه المرأة ، التي يحملها بين ذراعيه .

– ٨ –

مضى ايوهان موريتز يخترق الحقول متجنباً الطريق . تعثر مرات ومرات بمكامن الخلد ، فلم يحافظ على حمله الا بمعجزة . شعر بالتعب في ذراعيه وساقيه . لقد ظل يمشي فترة طويلة ، لأن ذراعيه كانتا متشنجتين وخطواته منهوكة ، والعرق ينثال على جبينه ، فيخترق الحاجبين والأهداب ، لينصبّ في عينيه ، فيعميهما . توقف وسط حقل الذرة ، وأنزل حمله الى الأرض ، لأنه كان على آخر رمق . مدد سوزانا على الارض الندية ، وأسدل ثوبها على ركبتيها ، ووضع يديها على صدرها ، وراح ينتزع من حوله

مكتبة ماجد الحيدر
كتب كتب كتب facebook

أوراق الذرة ، ليعمل منها وسادة ، وضع عليها رأس سوزانا ، ثم أخذ أوراقاً أخرى ، راح ينشرها فوق الجسد ، حتى غطـــاه بهـــا ، وسوزانا صامتة لاتريم • كان موريتز يلمس بتحنان صدغيها ووجنتيها وشعرها • وأخيراً ، نهض واقفاً • كان الالم يمزق جســـده • كان يحس به في كل مكان : بين كتفيه ، وفي ذراعيه ، وعضلاته •

حدث نفسه بقوله : « لقد جربت زمناً طويـــلا » • ورفع رأسه الى السماء ، فاذا هي صافية الأديم ، زرقـــاء • استطاع من مكانه ، أن يحدد الخطوات القليلة ، التي كانت تفصله عن غابة البلوط • فلم يشأ أن يصدق عينيه • لعله حلم • لكنه تحقق • انها كانت حقيقة ، فراح يرتعد كالقصبة الجوفاء • كلا انه لم يكن يحلم • لقد بلـغ مـــع سوزانا ، حقل نيكولاي بورفيري ، حيث قادهما اليه فرارهمـــا الاعمى • كانت تلك الاوراق التي انتزعها ، والتي كانت ترقد سوزانا تحتها ، وتضع رأسها عليها ، أوراق ذلك الحقل ، الذي دفع عربونه مساء أمس •

سالت دموع ايوهان موريتز على خديـــه ، واختلطت بالعـــرق • بكى بهدوء ، فوق تلك الارض التي ادرك الآن انها لن تكون له ، لانه لن يذهب الى أمريكا •

-٩-

كان ايوهان موريتز ، يستطيع رؤية القرية كلها من حيث كان يقف • راح يتأمل البيوت البيضاء ، وينظر اليهـــا بيتاً بيتاً ، من طرف القريـــة الى طرفها الآخر • ثم عاد بنظره الى المرأة الممددة تحت قدميه ، تكسوها أوراق الذرة • كان يسائل بنظره البيوت ، واحداً واحداً ، وكأنه يبحث عن المكان الذي يأويها • اما هو ، فقد عدل عن السفر ، عدل عن الارض ، لان المرأة

التي يحبها ، كانت في حاجة اليه ، فما كان يستطيع التخلي عنها . لكن ذلك لم يكن كافياً . كان يجب عليه ايجاد مأوى لها . ما كان يستطيع الا ان يطرق باباً من اثنين : بيته ، وبيت الكاهن كوروغا . أما البيوت الاخرى ، فقد كانت مغلقة في وجهه ، لان القرويين كانوا يخافون ايورغو ايوردان . أما والده ، فما كان لديهما الا غرفة واحدة لامكان فيها لسوزانا . وما كان ليستطيع أن يحمل الى بيت القس ، امرأة لم يكن بعد قد تزوجها . لم يكن يريد ان يسبب للكاهن أية متاعب . فلو ان الكاهن كوروغا ، أوى اليه سوزانا وأضافها ، فان ايورغو ايوردان ، سيأتي ولا شك ، والبندقية في يده ، ليصفي حسابه معها . وكان موريتز يعرف ذلك علم اليقين ، ولا يريد أن يقع ذلك . لكن سوزانا ، ما كانت تستطيع البقاء حيث هي ، في ذلك الحقل . وبعد لحظة تفكير ، عاد ايوهان موريتز ، يحمل سوزانا بين ذراعيه ، وراح يسير في طريق القرية . كانت المرأة شاحبة الوجه ، وكان يسمع ضربات قلبها البطيئة المتزنة ، فحث خطاه ، لانه أراد بلوغ القرية بأسرع ما يمكن . كان يناجي نفسه بقوله : « انها مريضة من الخوف » .

- ١٠ -

لم يصل موريتز الى منزله ، الا وكانت الشمس قد أشرقت . فانزل سوزانا من بين ذراعيه وأوقفها قرب الجدار ، وراح ينظر الى المشرق . كان غيتزا ايون ينتظره في تلك اللحظة ، عند طرف القرية الآخر . صرف على أسنانه مستجمعاً شجاعته ، وادار ظهره الى الشمس ودخل المنزل . كان يريد ان يحمل أبويه على استقبال سوزانا . وكان ذووه نائمين . كانت أريستيتزا ، أم ايوهان ، امرأة سريعة الغضب . فحاول هذا تجنبها والتحدث مباشرة مع أبيه . لكنه ما كاد يجتاز العتبة ، حتى رفعت أريستيتزا رأسها عن الوسادة .

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.facebook

سألت :

ـ أتريد أن تأخذ متاعك ؟ انه قرب الباب •

لم يجب موريتز ، فكررت أمه السؤال وأردفت :

ـ ما بالك واقفاً هكذا كالجرة ؟ هيا عانق أمك وودع أباك وأسرع •

لا تنفق كل نقودك هناك بل حاول ان تعود ببعضها •

أجاب ايوهان :

ـ لقد عدلت عن السفر الى أمريكا •

ـ عدلت عن السفر ؟

قفزت الام مروعة منتصبة !

ـ نعم •

ـ وهل عدل غيتزا كذلك ؟

أجاب موريتز :

ـ بل أن غيتزا سيذهب •

شعرت أريستيتزا أن في الامـر شيئاً غامضاً ، فنهضت وارتدت ثوبها وسألت :

ـ ما الخبر ؟ هل اختلفت مع غيتزا ؟

ـ كلا •

ـ اذن ما الخبر ؟

انتصبت أريستيتزا واقفـة في وسط الغرفة وراحت تقترب من ابنها غاضبة ، فقال هذا :

ـ لم يحصل شيء اطلاقا • كل ما في الامر ، أنني أريد أن أتزوج • لذلك لن أذهب •

مكتبة عبد الحيدر
facebook.كتب.كتب.كتب

كان صوته مرتعداً ، لا يدري كيف يبدأ ، وأين ينتهـــي • فغرزت أريستيتزا أظافرها في ابنها وراحت تهزه • فقال هذا :

ـ انني لن أتناقش معك • بل أريد التحدث الى أبي •

فصاحت :

ـ بل انك ستتناقش معـــي ! ليس بطن أبيك الذي حملك ، بل هو بطني •

قال الاب وهو يرفع الغطاء عن رأسه :

ـ اهدئي يا امرأة •

كان يريد تخفيف غضبها ، غير أن أريستيتزا لم تصغ الى قوله ، بل استمرت تصخب وهي تضرب بطنها بيديها :

ـ لقد انتزعت عصلي انا ورضعت لبنـي الأثيـم ، والآن تعزف عن التحدث الي !

قال موريتز :

ـ سأتحدث اليك أيضاً •

كانت أمه تنتحب فأراد ان يسكتها :

ـ سأحدثك وأقسم لك ، ولكن اهدئي •

جلست العجوز على طرف السرير ، وجعلت رأسها بين يديها • كانت تشعر بجرح في كرامتها • غير ان الألم ما كان يستطيع اسكاتها ، لانها لم تكن تستطيع السكوت أبداً • هتفت :

ـ بمن تريد ان تتزوج ؟

مكتبة ماجد الحيدر
كتب كتب كتب facebook

ـ سأقول لك حالا ، ولكن اهدئي أولا .

ـ أريد ان أعرف من تتزوج . انني أمك ، ولي حق معرفة التي ستتزوج بها .

وقال الكهل :

ـ اعلمها يا ايون . اعلمها حتى تصمت .

كان الاب يرى أن أريستيتزا على وشك الصياح من جديد . وكان ايوهان موريتز ، يعرف ان اسم سوزانا لن يخفف من ثائرتها ، بل على العكس . قال :

ـ سأتزوج بابنة ايوردان ، سوزانا .

قفزت آريستيتزا نحوه ، لا لتمزقه أرباً ، بل لتعانقه .

هتفت وهي تعانقه ، وتقبل عينيه ووجنتيه وجبينه :

ـ انني أفهم لم عدلت عن الذهاب .

وعادت الى القبل والعناق وأردفت :

ـ انك لست غبياً حتى تذهب الى امريكا فتكدح كالحيوان ، لتعود بعد سنوات ، وقد خسرت قواك ، وفتك بك المرض ، لقاء بضعة ألوف في جيبك . لقد اتبعت نصحي بزواجك من فتاة غنية .

ومضت نظرتها ببريق السرور ، وقالت مسترسلة :

ـ سأكون غنية ، وستكون لي أثواب من المخمل ، وعربة . سوف أقيم في منزل ابورغو ايوردان ، لان ذلك من حقي ، حقي انا ، اريستيتزا . لانني أنا التي جعلتك ذكياً جميلا ، لتخلب لب أغنى فتاة في القرية ، وتتزوجها ، فتاة لها بيت من الحجر ، تحته « قبو » ولها أراض شاسعة ، وعربة ، وخيول .

مكتبة ماجد الحيدر
كتب كتب facebook

قال العجوز :

ـ اهدئي يا امرأة !

غير أن صوته كان متهدجاً • لأنه كان منفعلا هو الاخر ، تهدهد خياله، تلك الثروات الطائلة التي ستهبط عليه من السماء • راح يلف • سيجارة ، دون أن يبرح سريره •

استرسلت أريستيتزا

ـ سأقطن في مسكن ايورغو ايوردان ، حميك • أما أنت ، وخاطبت زوجها فستبقى هنا • ينبغي أن أكون أنا ، بالقرب من ولدي ، اذ من ذا الذي يستطيع اسداء النصح لزوجته خيراً مني ؟

قال موريتز

ـ أماه ، ان هذا ليس كل شيء •

ـ قل ما تشاء يا عزيزي ، ان أمك تصغي اليك •

ـ عديني أن تصغي الي بهدوء •

ـ أعدك بكل ما تريد •

كانت أريستيتزا تداعب وجنة ابنتها • فقال هذا معقباً :

ـ أماه انني أتزوج سوزانا ، دون موافقة ايورغو ايوردان •

فقالت أريستيتزا

ـ كل ما يهمني من الامر أن تتزوج بهـــا • وسأكون أنا حماة ابنة ايورغو ايوردان الثري ، ولا يهمني سواء أشاء أم أبى •

ـ ستكونين حماتها لكنك لن تكوني غنية

مكتبة ماجد الحيدر
كتب كتب كتب facebook

سألت أريستيتزا

ـ من الذي سيأخذ المال ؟ ليس لايورغو ايوردان الا ابنة واحدة ، ولا يمكن أن يزوجها دون بائنة • ان كل شخص في القرية يعرف أنه دفن في قبو منزله جراراً ملأى بالقطع الذهبية • لاتهتم بهـــذا الموضوع ، لسوف أتدبره بنفسي • انك لا تفقه مثل هذه الامور •

قال ايوهان

ـ أباه ، انني أتزوج سوزانا ، وليس نقودها •

ـ لعلك لاتزعم أنك تفضل الفتاة على المال ؟

ـ بل هو كذلك يا أمي

ـ أيها الاحمق ! لكنني أفهمك • دعني أعمل • انهم لن يستطيعوا خداعي بهذه السهولة •

خيل لأريستيتزا أنهـــا في تلك اللحظة ، تناقش ايورغو ايوردان ، مصممة على أن لاتدع له حق حرمان ابنته من أي قرش من بائنتها •

قص ايوهان موريتز الحكاية على العجوز ، فانتفضت أريستيتزا وقالت:

ـ كيف ؟ ألا تريد ان تعود الى مسكن أبيها ؟

فأجاب ايوهان موريتز :

ـ كلا • انأباها ليقتلها ان هي عادت •

قال أبوه الكهل :

ـ لسوف يقتلها ، انه لا يمزح • ان الفتاة على حق ، لأن أباها وحش حقاً • انه اذا غضب ، انتزع بندقيته وأطلق النار على الفور • حتى أن خيوله

مكتبة عبد الحميد كتب كتب facebook

لم تسلم من غضبته مع أنه ، والله يعلم ، يحبها أكثر من عيون رأسه ، انه قادر على قتل ابنته ، اذا عادت ، وخصوصاً الآن ، بعد فرارها من بيته .

قال موريتز :

ـ انك تفهم الحقائق تماماً .

فأجابه الأب :

ـ ان الأمور على شكلها الواقع ، سهلة مفهومـــة . انني أعرف الأب معرفة طيبة .

فقالت أريستيترا :

ـ لكننا بعد بضعة أيام سنستطيع ارسالها الى بيتها . سوف أذهب معها .

قال ايوهان موريتز :

ـ لن تعود سوزانا الى منزلها ، لانني لا أريدها أن تعود !

سألت العجوز

ـ ولكن ماذا عساك فاعلا اذا لم تكن تملك مالا ؟ انك لن ترضى بأن تموت جوعاً معها ؟ ان النساء كثيرات لمن يقبل الزواج بهن دون بائنة ، ان أحدا لا يقبل الزواج دون بائنة . فهل سترتكب انت مثل هذه الحماقة ؟

ـ انني أتزوجها دون بائنة !

ـ لقد غدوت مجنونا ! أتعدل عن كل شيء في سبيل امرأة ؟ أتعزف عن الذهاب الى أمريكا من أجل امرأة ؟ من أجلها ! كل هذا من أجل أنثى حقيرة لا تساوي نقيراً ؟

وقال الأب العجوز :

مكتبة ماجد الحيدر
facebook
كتب كتب كتب

ـ ان أمك على صواب ، فلا تكن أحمق • اذهب الى أمريكا • ومتى عدت ، فستشتري قطعة من الارض تبني عليها دارك ، وتستطيع بعد ذلك أن تتزوج • لن تعدم امرأة بين كل النساء !

قال موريتز باصرار :

ـ لن أذهب الى أمريكا •

فأجابه العجوز :

ـ لأنك تظن أنك تأخرت•ان غيتزا لازال ينتظرك ولا شك عند طرف القرية ، والشمس لم ترتفع بعد • فاذا حثثت خطاك بلغته حيث ينتظر •

ـ أتطلب مني هجر الفتاة والسفر الى أمريكا ؟ هل تملك مثل هذا القلب يا أبي ؟

سألت اريستيتزا :

ـ أين الفتاة ؟

فأجابها موريتز :

ـ أمام الباب !

انتفض العجوزان وتغيرت سحنتاهما • ونظرت أريستيتزا من النافذة ، بينما وقف موريتز أمام الباب ، ليمنعها من الخروج

ـ أماه ، أريـــد سؤالك معرفاً : استقبلي سوزانا واحتفظي بها بضعة أيام حتى أجد مكاناً احملها اليه • انها ابنتك الآن •

انفجر غضب الأم وصاحت :

ـ اتريد ان تبقيها هنا ؟ اتريد ان يقتلنا ايورغو ايوردان : أباك وانا ؟

مكتبة ماجد الجبير
كتب كتب facebook

وقال العجوز :

ـ انك تدري أننا لانكاد نجد مكاناً من أجلنا • فأين تستطيع ان تنام ؟ كلا يالايون • ان هذا مستحيل •

وصاحت اريستيتزا :

ـ لعلك تريد ايضاً ان نطعمها ؟ أن نقطع القوت عن أفواهنا لنعطيه لها ؟

أطرق موريتز الى الارض • كان يعـرف سلفاً أنـه سيصطدم بأمه وممانعتها ، غير أنه كان يأمل في موافقة أبيه ، فقال :

ـ ستبقى سوزانا اذن حتى المساء فقط ، لأنني لا أدري أين أمضي بها• سنذهب مساء الى المدينة حيث سأبحث لنفسي عن عمل•انها مريضة ، وينبغي أن تستريح قليلا ، لتستطيع السير حتى المدينة • ان الخوف الذي أصابها الليلة سبب لها كثيراً من العناء •

فقالت العجوز غاضبة :

ـ ليس لدينا اليوم ماتأكله • فاذا أردت لها أن تنفق جوعاً ، جاز لك تركها هنا •

قال موريتز :

ـ سآتيها بالطعام • غير أنها لا تقوى على الوقوف على قدميها ، وينبغي لها ان تنام •

صرخت اريستيتزا :

ـ ان أباك مريض ، وعليه أن يلازم سريره كل الوقت • فأين تجد لها مكاناً للنوم ؟ اتنام واباك في سرير واحد ؟

ـ اذا لم يكن هناك مكان في البيت ، فانها ستنام فوق القش ، خارجه ، حيث انام •

مكتبة ماجد الحيدر
facebook.كتب.كتب.كتب

فقالت اريستيتزا :

ـ انني أوافق على ذلك • غير أنني لن أطعمها كسرة خبز • ليس عندي شيء لها •

استدار ايوهان موريتز يهم بالخروج • لكنه توقف على العتبه وخاطب أباه قائلا :

ـ أرجو أن تكونا طيبين معها خلال الوقت القصير الذي ستقضيه هنا ! ان مابها من تعاسة يكفيها !

صاحت اريستيتزا :

ـ أيها الأثيم ، أتجرأ على اعطائنا درساً في آداب السلوك ؟ هل تعلّم البيضة الدجاجة كيف ينبغي أن تبيض ؟ بـدلا من ذهابك الى أمريكا ، وجني المال ، تلصق بنا هذه الفتاة وتحملنا عبئها ، وتريد أن نطعمها فوق ذلك ، ثم ينتهي بك الأمر الى اسداء النصح !

وانحنت اريستيتزا لتأخذ قطعة من الخشب تضربه بها • كان موريتز قد الف منهـا قارص الكلام والصفع والضرب • فقد أمضى طفولة كانت سلسلة طويلة من الضرب والشتائم •

قال وهو يبتسم :

ـ هل ستكونان طيبين معها ؟ سأعود على الفور • انني ماض لآتي لها ببعض الطعام •

ثم غادر الغرفـة •

كانت سوزانا في مكانها جامدة ، تنتظره أمام البيت • فداعب موريتز شعرها وقال :

مكتبة منير الحيدر Facebook

ـ انني ماض الى القرية وسأعود بعد قليل • ألا تريدين النوم قليلا ؟ عندما تستيقظين ، ستأكلين ماآتيك به ، وبعدئذ سنمضي الى المدينة •

أجفلت سوزانا لمجرد فكرة المشي التي عرضها وقالت :

ـ ألا نمكث هنا ؟

ـ كلا ، تعالي •

وأنهضها بين يديه ، وقادها الى الناحية الخلفية من البيت حيث المكدس وأسجاها فوق القش وهو يقول :

ـ نامي الآن ! والا فانك لن تستطيعي السير الى المدينة • ان المسافة لاتنقص عن عشرين كيلو متراً •

ابتسمت له سوزانا بامتنان لأنها كانت في حاجة الى النوم والانفراد • لم تكن تسمع كلامه بوضوح ، لأنها كانت تشعر بالحمى تحرق جسدها ، وبدوي مزعج في أذنيها •

قال ايوهان موريتز قبل أن يغادرها :

ـ اذا جاءت أمي تزعجك ، فدعيها تقول ماتشاء ، ولاتجيبيها بحرف لأنها غاضبة •

وغادرها على الفور • فلما بلغ الطريق ، استدار برأسه ونظر نحوها وابتسم • لكنها كانت قد أغمضت عينيها •

## ـ ١١ ـ

خرجت أريستيتزا من الغرفة اثر خروج ابنها ، ووقفت تتأمل جسد المرأة الممتدة فوق القش ، يداها الى خاصرتيها • وفتحت سوزانا عينها ، فرأت أريستيتزا بأنفها المدبب ، الشبيه بمنقار النسر ، ووجنتيها الذابلتين

مكتبة ماجد الحيدر
www.facebook.com/groups/كتب.كتب.كتب

الزيتونيتي اللون • شعرت بخوف منها ،فحولت عينيها عنها • قالت العجوز :

ـ انني أم ايون •

فأشارت سوزانا برأسها محيية ومجيبة ، ثم جذبت ثوبها الازرق فوق ركبتيها • نظرت العجوز الى ركبتيها ووركيها ، وكأنها تراها عارية ، وقالت وهي تعجو وجهها :

ـ انك تريدين الزواج أليس كذلك ؟

فأجابت سوزانا :

ـ نعم •

قالت أريستيتزا :

ـ انني أرى ذلك بوضوح • انك ضخمة كالفرس •

أخفت سوزانا وجهها في القش • فاقتربت أريستيتزا منها ، وصاحت في أذنهـا :

ـ انك لن تجدي ذلك السخيف ، الـذي يتقبلك زوجـاً ياجميلتي • ان أحداً لن يأخذك دون باثنـة ، فاذا كنت قد ضاجعت ابني ، فان ذلك شأنك • لكنه لن يأخذك زوجة له •

اتكأت سوزانا عـلى مرفقيها متناهضـة ، وودت لو ذهبت ، لولا أن أريستيتزا كانت منحنية فوقها •

سألت سوزانا بذعر :

ـ هل ذهب اباني ؟

كانت تريـد أن تتحدث عن شيء آخر ، غـير أن العجوز بهتت ، وصاحت :

مكتبة ماجد الجبر facebook كتب كتب

ـ أي اياني ؟ انني لا أعرف أحداً هنا يسمى اياني .

فنظرت سوزانا الى وجه العجوز بذهول ، وارتج عليها القول . وعادت أريستيتزا تسألها :

ـ عن أي اياني تسألين ؟ هل فقدت صوابك ؟ انك تظنين نفسك في غير هذا المكان .

غمغمت سوزانا بصوت منخفض مترددة :

ـ اياني ، ابنك !

فأجابت العجوز بصوت خشن :

ـ ان ابني اسمه ايون . هكذا عمدته بنفسي ، أنا أمه ، وليس لأحد الحق ، في تبديل اسمه . هل تفهمين ؟

شاهدت سوزانا العجوز تشهر قبضتها مهددة فقالت :

ـ لقد فهمت !

تذكرت أن ايوهان موريتز أوصاها ، قبل مغادرته لها ، بأن تكون مرنة ، غير مشاكسة ، فأضافت :

ـ ايون أو اياني أنه ذات الاسم ، أو على الاقل ، هذا ماكنت أعتقده . غير أن اعتذارها أثار العجوز فهتفت :

ـ أأنت التي تعلمينني اسم ابني ؟ سأشج رأسك . أتجرأين أيتها المتبذلة القذرة !

قالت سوزانا :

ـ ما اردت ان أسيء اليك !

غير أن العجوز أنشبت يديها في كتفيها وراحت تهزها ....

مكتبة ماجد الحيدر
كتب كتب كتب .facebook

صرخت سوزانا ، فبرز أبو موريتز في تلك اللحظة ، مرتدياً جلباب النوم • لقد غادر سريره ، استجابة للصيحات ، وكانت لفافته بين شفتيه •

وأفلتت أريستيتزا فريستها ، واستدارت نحو زوجها ، ممتقعة الوجه من الغضب وقالت :

ـ هل سمعت من قبل باهانة كهذه ؟ ان هذه القذارة ، تدعي أنني لاأعرف اسم ابني • أنها تخرجني عن طوري •

وانحنت الى الارض تلتقط حجراً وهي تقول :

ـ سوف أشج رأسها ! لسوف أسحقها كما أسحق الافعى •

فقبض العجوز على يدها ، وقال وهو يدفعها نحو باب المكدس :

ـ اهدئي ياامرأة •

ثم اقترب من سوزانا ، وأمسك بيدها ، ونظر اليها باشفاق وقال :

ـ لاتبكي ! لامعنى لبكائك •

سألت سوزانا

ـ أين ايانى ؟

ـ لسوف يعود فاطمئني •

شعرت سوزانا أنها في حمى العجوز • كانت يده كبيرة خشنةالبشرة• قال العجوز :

ـ يابنية ، سأسدي اليك نصيحة يجدر بك اتباعها : عودي الى ذويك•

راحت سوزانا تبكي ، بينما تابع العجوز :

ـ لن تستطيعي البقاء هنا • واذا بقيت ، فلسوف تخنقك أريستيتزا أو

تشح رأسك • ان ذلك سيقع ، واني لعلى يقين • وانه من التعاسة أن يسيل الدم ، لأن ايون سيذبح أمه اذا رأى ذلك ، وستكون فعلته اثماً كبيراً • فلاينبغي أن تحدث تلك المصيبة • أتسمعينني ؟

ـ انني أسمعك !

كانت شفتا سوزانا تتحركان باعياء وجهد • فاسترسل الأب :

ـ انني أوصيك أن تنهضي ، وأن تذهبي على الفور • اذهبي قبل أن يعود ايون • ماعليك الا أن تجتازي حقل الذرة • عودي الى أبيك وأمك • واذا عاد ايون ، قلت له أنك سرت على الطريق • وهكذا لن يجدك بعد ذلك • ولسوف تنسيان بعضكما • انكما شابان ، والشباب ينسى الحب بسرعة • هيا انهضي واذهبي !

لبثت سوزانا مشيحة بوجهها • كانت قد وضعت يديها على أذنيها تسدهما ، فلم تسمع شيئاً كثيراً مما قصه الهرم •

عاد يسألها :

ـ ألا تودين الذهاب ؟

أراد أن يحملها بين ذراعيه ، وأن يقودها الى أهلها • لكنه شعر بأن ايون لن يغفر له ذلك ، فنهض واقفاً وهو يقول :

ـ اذا وقعت مصيبة ، فتلك خطيئتك ! أما أنا ، فقد قمت بواجبي • لقد أنذرتك •

وعاد العجوز الى المنزل ، وبقيت سوزانا وحدها • ولم يلبث ايوهان موريتز أن عاد من القرية حاملا اناء مملوءاً بالحليب وضعه على النار ليغلي •

صرخت أريستيتزا :

مكتبة ماجد الحيدر
facebook
كتب كتب كتب

ـ انك لم تأت لنا من قبل بالحليب ! أما من أجل هذه الساقطة ، فان الأمر يختلف ! كان خيراً لي لو خنقتك عندما كنت طفلا ، بدلا من أن أحملك بين ذراعي وأرضعك ثديي !

كان ايوهان موريتز راكعاً أمام الموقد ينظر الى النار وهي تتأجج ، متصاماً عن سماع أقوال أمه • اقتربت أريستيتزا منه وصرخت :

ـ اخرج من فورك من بيتي ، واحمل معك تلك العاهرة • طهر المكان منها فوراً ، والا قتلتها • اذا لم تخفها عن عيني في الحال ، خنقتها • سوف أخنقها بأصابعي هذه • أتراها ؟

أجاب موريتز بهدوء :

ـ سنمضي بعد أن تشرب هذا الحليب •

لم يلق نظرة واحدة على أصابعها ، على تلك الاصابع التي ستخنق سوزانا بها ، وأضاف :

ـ سنمضي الى المدينة ، ولن تري وجهنا بعد ذلك •

سألت أريستيتزا :

ـ ألا تستطيع الكونتيسة الذهاب قبل أن تشرب حليبها • ان أمك ليست في حاجة الى الحليب كل صباح ، أما هي ، فانها في حاجة اليه •

أخذ موريتز الاناء قبل أن يغلي الحليب ، وخرج دون أن ينظر الى العجوزين •

ـ سمعت سوزانا وقع الخطوات ، فانتفضت جزعة • فقال لها موريتز وهو يمد يده بالاناء :

ـ هذا أنا ! لقد جئتك بحليب ساخن •

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.facebook

تمتمت سوزانا :

ـ لاأريد حليباً

ـ اشربي قليلا على الأقل .

أخذت سوزانا وعاء الحليب من يده ، فعاد ايوهان موريتز الى البيت ، ليأخذ كيس أمتعته . كان الكيس معداً من قبل ، استعداداً لرحلتـه الى أمريكا ، لو أنه ذهب .

سألت أريستيتزا

ـ أتذهب معها ؟

فأجابهـا :

ـ نعم .

صرفت أريستيتزا على أسنانها وقالت :

ـ حسناً !

وبينما كان موريتز يأخذ ألبسته من تحت السرير ، خرجت أريستيتزا الى الباحة ، واتجهت نحو سوزانا . فذعرت هذه ، ووجف قلبها . كان وعاء اللبن لايزال في يدها .

صرخت أريستيتزا :

ـ انهضي على قدر ماتستطيعين النهوض . لسوف أسحقك بالضرب ، أيتها الساقطة القبيحة . انتظريني ، لسوف ترين !

وقبل أن تتم جملتها ، قبضت عـلى شعر سوزانا ، وانهالت عليهـا تضربها ، فاستغاثت المسكينة . وخيل لايوهان موريتز ، أنه يسمع صرخات ايولاندا ، فهرع على الفور وصاح بأمه :

مكتبة ماجد الحيدر
كتب كتب كتب facebook

ـ أماه ، ماذا تفعلين •

ألقت عليه العجوز نظرة قصيرة ، فيها بريق من الحقد ، وأهوت بيدها مرة أخرى على وجه سوزانا ، دون أن تنظر اليها • ثم هربت واختفت بين الذرة •

كان وجه سوزانا ممتلئاً بالدم ، وشفتاها متورمتين ، وعيناها منتفختين ، وكان اناء اللبن قد تحطم بين يديها ، فترك آثاراً عميقة على معصميها ، واختلطت نقاط الدم بالحليب ، وتلطخ الثوب الازرق به • فحملها ايوهان موريتز بين يديه • ولما وصل الى الباب ، أخذ كيس متاعه ، ثم مضى والكيس على ظهره ، والمرأة بين يديه • كان الحملان ثقيلين ، بل شديدي الثقل ، حتى ليتعذر على المرء أن يسير بهما مرفوع الجبين • وهكذا مشى ايوهان موريتز متثاقلا ورأسه غارق بين كتفيه •

## - ١٢ -

عند بزوغ الفجر ، نهض ايورغو ايوردان ، وأورد خيوله الماء ، وقدم لها العلف ، وراح يداعب رقابها بيده • كانت أربعة منها ، تستخدم في جر العربة • أما الاربعة الأخر ، فكانت للركوب فقط • كانت جميلة جداً ، ذات لون أدهم ، عربية المنشأ والدم ، سريعة الجري ، دقيقة القوائم • كانت هي كل أصدقائه ، فراح يحدثها عن سوزانا ، ويقص عليها ما يثقل قلبه من هموم • كان لايثق بالرجال ، أما خيوله ، فكان اذا حدثها ، نظرت اليه بعيونها الكبيرة المضيئة ، كالمرآة اللامعة • قال يحدثها :

ـ والآن ، ان زوجتي تغوص في دمها ، محطمة العظام ، ملقاة على الأرض •

ولما لم تحر الخيول جواباً ، اعتبر سكوتها لوناً من التأنيب فقال :

ـ اذا شئت حملتها الى المستشفى !

مكتبة ما وراء الطبيعة
facebook

ولم تمض نصف ساعة ، حتى اخترق القرية بعربته ، متجها نحو المدينة • كانت ايولاندا ملفوفة بمعطف كبير ، ممددة بين وسائد تحيط بها ، وعيناها شاخصتين الى الأفـق • بلغ المستشفى مبكراً ، واضطر الى الانتظار أمام الباب ، حتى الساعة الثامنة ، اذ أنه لم يكن هناك أي طبيب • وكان ايورغو ايوردان ، خلال فترة الانتظار يتحدث الى خيوله ، دون أن يلقي على زوجته نظرة ، أو أن يوجه اليهـا كلمة • فلمـا بلغت الساعة الثامنة ، حمل زوجته مع الاغطية والوسائد ، وكأنه يحمل طرداً صغيراً ، وذهب بها الى غرفة المعاينة فكان أول داخل اليها • وبينما كانت الممرضة تنزع معطف المرأة ، شاهد الطبيب رأسها المتورم ، وجسدها المغطى بالدم • لبثت ايولاندا مسجاة ، وهي في جلباب النوم الذي كان ملتصقاً بجلدها • كانت كتلة من الدم ، صامتة لاتريم •

ـ من الذي ضربها ؟

أجاب ايورغو ايوردان :

ـ ذلك لايعنيك • اعتن بهـا ، ولاتشغل فكرك بشيء آخر • انك طبيب ، وهذه مهنتك • ولهذا السبب ، جئت الى المستشفى •

رفض ايورغو ايوردان اعطاء تفسـير آخر • فراح الطبيب يفحص ايولاندا ، ثم نقلها الى غرفة العمليات ، لاجراء اسعاف مستعجل لها •

قال ايورغو ايوردان ، وهو يحمل قبعته ، ويتجه نحو الباب :

ـ سأتركك وأعود الى مسكني لتقوموا بعملكم • سوف أدفع كـل النفقات ، بل انني أستطيع أن أدفع لكم مقدماً ، اذا كنتم تستطيعون تكوين فكرة عن الحساب ، قبل اجراء العملية • والا فانني أستطيع أن أترك لكم ، دفعة على الحساب •

مكتبة ماجد الحيدر
كتب. كتب. كتب facebook

ومد يده الى جيبه ، ليخرج حافظة النقود • فقال الطبيب :

ـ انك لن تستطيع الذهاب الآن • انتظر قليلا •

ـ ولمَ الانتظار ؟

كان يكره أن يؤخره أحد • ويود ترك المستشفى بأسرع مايمكن ، لأن رائحة العقاقير كانت تصعد الى رأسه ، عدا عن أنه أحس بشيء من الشفقة • أخذ يشعر بشيء من الأسف ، لأنه حطم امرأته بالضرب ، فراح يغمغم في نفسه : « وكأنه لايكفي أنني وطأتها بقدمي ، حتى يجيء هؤلاء الاطباء ، فيقطعونها بمباضعهم » • كان يشعر باشفاق ، ولكنه لايريد اظهاره • كان يريد الخروج بكل بساطة ، ليتنفس ويملأ رئتيه بالهواء •

لم تمض ربع ساعة ، حتى وصل أحد المحققين ومعه دركي فاستدعى ايورغو ايوردان الى ديوان المستشفى ، حيث راح يستجوبه • ألقى عليه طائفة من الأسئلة ، حول اسمه الحقيقي ، والمكان الذي يقطن فيه ، وعما اذا كان هو الذي ضرب زوجته أم لا • فكان ايورغو ايوردان يجيب مغمغماً ، وعيناه جامدتان • أعلن المحقق أنه يوقفه بسبب ضربه واعتدائه على زوجته ، فلم يطرف • ولكن عندما وضع الدركي يده على كتفه ، ليسوقه الى السجن؛ امتقع وجهه وسأل :

ـ أتقودني الى السجن ؟

ـ نعم الى السجن •

ـ وخيولي المقطورة الى العربة أمام الباب ؟ ماذا تعملون بها ؟

ألقى المحقق نظرة على الدركي وسأل :

ـ أليس لديك من يعنى بها ؟

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.facebook

فأجاب ايورغو ايوردان :

ـ ليس لي أحد يعنى بها .

فقال الدركي :

ـ لنعهد بها الى رجال المطافيء . ان لديهم غيرها ، ولسوف يعنون بها ايضاً . ليس في السجن مكان لها .

شكر المحقق الجندي بابتسامة لأنه أنقذه من ورطة . لقد كان المحقق ، واسمه جورج داميان ، حديث العهد بالمنطقة ، وكانت هذه أولى قضاياه . ولم تكن لديه فكرة عما يفعل بالخيول .

عاد المحقق الى مكتبه ، فلبث هناك حتى الظهر ، ولما هم بمغادرته لتناول طعامه ، أعلم أن ايورغو ايوردان قد حاول الانتحار ، بضرب رأسه على جدران الزنزانة ، وقد جاء في تقرير السجن : « ان السجين أعلن في المستشفى ، أنه حاول وضع حد لحياته ، لأنه لا يستطيع أن يتصور ، أن خيوله العربية الأصيلة الاربعة ، ستنفق من الجوع والعطش . ان السجين على ما يبدو ، شديد الشغف بالخيول ، وان حالته الصحية خطرة . »

وقد ورد الى قاضي التحقيق اشعار آخر ينبيء بموت ايولاندا ، فشعر المحقق جورج داميان بمرارة في حلقه . ولما قصد المطعم ، غسل يديه بالماء والصابون فترة طويلة قبل أن يجلس الى المائدة وهو مستغرق في تفكيره : « ان القانون سيعاقب ايورغو ايوردان لأنه ضرب زوجته ضرباً مميتاً . ان ضربه زوجته وواقع حبه العنيف لخيوله ، ذلك الحب الذي لا يشعر بمثله نحو البشر ، ليسا أكبر خطيئاته ، بل انهما مجرد التأثير المباشر لعقلية معينة . انها البربرية ! هذا هو خطأ ايورغو ايوردان الوحيد ! انه ككل البرارة ، يمقت البشر ، حتى يبلغ به المقت حد افنائه . ان أي قانون في العالم لايمكن

مكتبة ماجد الحيدر
facebook كتب كتب كتب

ان يعاقب المرء على بربريته ، رغم أن كل الجرائم الأخـرى ، تنتج عنها ، ان البربرية لا تعتبر غير قانونية ، الا في مناسبات محدودة جداً ، ومبينة . »

## - ١٣ -

سارت سوزانا بضعة كيلو مترات ، ثم جلست على الأرض ، الى جانب الطريق . لقد كانت متعبة مرتفعة الحرارة . قالت يائسة :

ـ لن أستطيع السير أكثر من ذلك يا ايانى .

استلقت على العشب منهوكة . كانا قد قطعا نصف المسافة بين فانتانا والمدينة ، فتركها تنام بانتظار مرور عربة تحملهما . لكنه لم ير على الطريق الا عدداً من المشاة والخيالة . وما كادت السـاعة تشرف على الخامسة بعد الظهر ، حتى بدأ المطر يهطل . رفع موريتز عينيه الى السماء والمطر البارد يغسل وجهه ، وفكر في سره : « لو أن المطر هطل مساء أمس ، لما ذهبت للقاء سوزانا ، ولبقيت الآن لدى ذويهـا ، ولكنت الآن عـلى الباخـرة في كونستانتزا . لو أن المطر هطل مساء أمس ... ولكن ، ليكن . »

بدأ الظلام يزحف وئيداً ، والمطر لم يتوقف . شعر موريتز أن عليه أن يتخذ قراراً . قال وهو يلقي نظرة حانية على سوزانا :

ـ سامضي الى القرية لاستحضر عربة .

كانت قابعة تحت بعض الاغصـان ، تحتمي من المطر ، وكان ثوبها وشعرها قد أغرقهمـا البلل ، فكانت ترتجف مقرورة ، وأسنانهـا تصطك ببعضها . قالت :

ـ كما تشاء يا ايانى .

سألها :

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.كتب.facebook

ـ ألا تخافين اذا لبثت وحيدة ؟

ـ لن أخاف اذا كنت ستعود !

عانقها ومضى • فلما بلغ فاتانا ، كان الظلام شديد الحلكة ، والقريون قابعون في دورهم ، فراراً من المطر • قرع كل الابواب ، لكنه لم يجد أحداً يقبل مساعدته • كان القريون يصرون عـــلى معرفة اسم المرأة ، حتى اذا أطلعهم عليه ، وعرفوا ان الأمـــر متعلق بابنه ايورغو ايوردان ، اعتذروا ورفضو مد يد العون • كانوا جميعهم يرفضون ايواءها خشية أبيها ايورغو ايوردان • ولما انتصف الليل ، تخطى موريتز مدخل بيت الكاهن كوروغا • كان النور يشع من المكتبة ؟ وامام الباب ، كانت سيارة سوداء تلتمع كالمرآة ، صافية الاديم ، تحت المطر • كانت أصوات تتعالى من بيت القس ، فأستنتج موريتز : « أن لدى الكاهن زواراً » • هم بمغادرة الباحة ، دون ان يطرق الباب ، مقتنعاً « أنه لا ينبغي أن يزعجه في تلك الساعة » • كان المطر ينهمر مدراراً ، والماء ينصب انصباباً من أطراف سطح المنزل • فلبث موريتز يصغي الى هذا الصوت الوتير برهة ، وهو ساكن • وفجأة ، تذكر أن سوزانا ، تنتظره وحيدة على جانب الطريق • فقرع بهدوء على زجاج النافذة •

## ـ ١٤ ـ

قال القس كوروغا لولده تريان :

ـ لقد وصلت في الوقت المناسب ! كنت أريد رؤيتك •

كان الكاهن يساعد ابنه في نقل حقيبته من السيارة،وادخالها الى البيت• وكانت السيارة واقفة أمام الشرفة ، غارقة حتى نصفها ، في نبات الحلبلاب المتسلق ، والورد البري • وكان المطر يهطل بغزارة •

سأل الكاهن وهو يرى شاباً آخر يهبط من السيارة :

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.كتب.facebook

ـ أرى أنك لست وحيداً !

فقال تريان يقدم صديقه لأبيه :

ـ أقدم لك جورج داميان ، زميل في الجامعة ، وصديق ممتاز • لقد قابلته بعد ظهر اليوم في المدينة • انه وكيل النيابة الجديد لدى محكمة الصلح في مقاطعتنا •

اعتذر الكاهن للزائر عن عدم عنايته بهندامه لأنه لم يكن يتوقع زيارة في مثل تلك الساعة ، وقاد الشابين الى غرفة الاستقبال ، ثم انسحب فترة • راح وكيل النيابة يتأمل ساعة الجدار الدقاقة ، وقطع السجاد الشرقي التي كانت تغطي الجدران ، والرفوف المحملة بالكتب • فقال تريان ضاحكاً •

ـ انني أخمن ماتفكر فيه ! انك في دهشة اذ ترى أشهر الروائيين العصريين ، الذي لا يفتأ يتحدث في مؤلفاته عن السيارة والطائرة والمشارب الحديثة والانوار الكهربائية ، قد نشأ وقضى طفولته ، في منزل يبدو الزمان فيه متوقفاً ، لأن كل مافيه يتحدث عن الماضي ، دون ان تنال منه يد السنين الطويلة تبديلا ولا تغييراً • ألست تفكر في ذلك ؟

احمر وجه وكيل النيابة وقال :

ـ الحقيقة أنني أفكر في ذلك !

دخل الكاهن في تلك اللحظة ، فأضاء بيديه المعروقتين الهزيلتين ، مصباحاً وضعه بوقار على المنضدة • وفتح تريان حقيبته الجلدية وأخرج منها بعض الرزم الملفوفة بعناية ، فوضعها الى جانب المصباح ، ثم فتح زجاجة خمر ، ودعا أمه الى الغرفة • فلما حضرت ، ملأ تريان الاقداح ، وأخرج من غلاف مذهب كتابين مجلدين تجليدا أنيقا ، وقال :

ـ هذه هي روايتي الاخيرة ، الثامنة • ان هذين الكتابين ، هما أول

مكتبة محمد السيد على كتب facebook

ما أنتجته المطبعة • انهما ـ كالعادة ـ لكما ، ولسوف تشرب نخبهما من هذه الخمرة ، التي اشتريتها من محل « كايسا » • لقد شربنا منها عندما احتفلنا من قبل ، برواياتي السبع السابقة • ألا تذكران سروري عندما صدرت روايتي الاولى ؟

أخذ الكاهن الكتاب بين يديه ، بمثل الاحترام الذي يوليه للكتب المقدسة التي يقرأها أمام المذبح • أما الأم ، فقد لمست نسختها بأطراف أناملها ، وتركتها حيث هي على حافة المنضدة وهي تقول :

ـ ان يدي متسختان ، ولا أريد تلويث كتاب تريان بهما •

هتف الفتى يحدث زميله :

ـ ستكون النسخة الثالثة لك ياجورج !

قبل الكاهن جبين ابنه ، أما وكيل النيابة ، فقد صافحه بحرارة وجاءت أم تريان تقبل وجنتيه وهمست في أذنه بصوت تعمدت ان يسمعه الآخرون :

ـ لم أقرأ مؤلفاتك الاخرى بعد ، فأغفرلي • ان أباك قص علي موضوعاتها • أما هذا ، فانني أريد قراءته بنفسي • لا أريد أن أموت قبل أن أقرأ كتاباً وضعه ولدي •

اهتزت عواطف تريان لحديث أمه ، فقرع كأسه بكأسها ، وكرر ذلك مع أبيه وصديقه ، وشربوا جميعاً النخب•ولم تلبث الأم أن اعتذرت بأعمالها في المطبخ ، فقال تريان :

ـ أمكثي لحظة أخرى يا أماه ! لقد جئت أراكما لأمر آخر ، لا يقل في أهميته عن هذا •

وأخرج تريان كوروغا من جيبه مغلفاً ، قدمه الى أبيه وهو يقول :

مكتبة ماجد الحيدر
facebook
كتب كتب كتب

ـ هذه حصتي من الريع عن الطبعة الاولى • أريـــد أن أشتري بها أرضاً في فانتانا وأن أبتني عليهـــا مسكناً • وأفضل أن يكون قريبا منك اذا أمكن يا أبي • سأبتني بيتاً أقطن فيه كل حياتي •

أخذ الكاهن الغلاف ووضعه على المائدة وهو يبتسم ، وراحت زوجته تمسح عينيها بطرف مئزرها وهي تقول :

ـ انني واثقة من أنك تقول ذلك لادخال السرور على نفسنا • انك لم تستطع مرة أن تمكث هنا أكثر من أيام ثلاثة • انك تعد كل مرة بأن تقضي شهراً معنا ، فلا يمضي اليوم الثاني أو الثالث ، حتى ترتحل ، فلا نراك الا بعد شهور طويلة •

فرد عليها تريان :

ـ صحيح • لكنني في هذه المرة ، سأبتني بيتاً •

ألقى تريان نظرة على أبيه ثم على وكيل النيابة فلاحظ أنهما يعتبران توكيداته لوناً من المستحيل ، فقال :

ـ أرى أن أياً منكم لا يعتقد بصحة عزمي على تنفيذ ما أقول • لكنني سأدعوكم بعد عامين بالضبط ، اذا بقيت على قيد الحياة ، لزيارة منزلي في فانتانا • لعلكم تثقون الآن بوعدي ، بعد كل هذا التأكيد •

## ـ ١٥ ـ

بعد أن تناولوا طعام العشـــاء ، سأل الكاهن ابنـــه عن مشاريعه الأدبية الجديدة ، فبان التردد على وجه تريان ثم قال :

ـ ان روايتي المقبلة ، ستكون كتابا حقيقاً ؛ لاتمت الى الأدب ، الا من حيث الاسلوب فقط • أما الاشخاص ، فانني سأنتقيهم من الحياة الحقيقية ،

مكتبة ماجد الحيدر
facebook.com/groups/kotob

فيمكن لأي كان ، أن يراهم وان يحييهم في الشارع ؛ لأنه سيعرفهم بعد قراءة الكتاب • بل انني أفكر أحياناً في اعطاء عناوينهم وأرقام هواتفهم أيضاً •

سأل وكيل النيابة باسماً

ـ ومن هم هؤلاء الاشخاص الذين ستذيع شهرتهم على هذا النحو ؟

ـ ان أشخاصي سيكونون من الرجال الذين يعيشون على سطح الكرة الارضية ! ولما كان هومير [1] نفسه ؛ يعجز عن كتابة قصة ، أبطالها ملياران من الاشخاص ، فانني بدوري ، لن آخذ الا عدداً قليلا لا يتجاوز العشرة لأنني لن أحتاج الى أكثر من هذا العدد • مـــع ذلك ، فان هؤلاء العشرة سيحيون الحوادث نفسها التي يحياها الآخرون •

سأل وكيل النيابة :

ـ ستنتقي أشخاصك اذن على هدى الدوافع العلمية ، لتجعلهم يمثلون الانسانية على حقيقة جوهرها ، أليس كذلك ؟

ـ كـلا • لسوف أنتقي شخصيات روايتي دون تمييز ، وعـلى هدى الظروف • ان المقاييس العلمية غير ذات موضوع في نظري • لأن ما سيقع لأشخاصي العشرة ، يمكن أن يقع لأي كان سواهم ، ولو من حيث التشابه• لسوف أعنى بايراد حوادث لا يمكن للمخلوق البشري أن ينجو من الوقوع في مثلها • ولن أكون في حاجة الى شخصيات تقوم بدور البطولة ، أو تكون ذات أهمية معينة • بل سأترك أمر ابرازهم للصدف • وعلى ذلك ، فانني سأنتقي بين مليارين من البشر ، عشرة أعرفهـــم أكثر من سواهم ؛ أسرة

(١) هومير : شاعر يوناني عاش في القرن التاسع قبل الميلاد ، اعتبر مؤلفا للالياذة والاوديسا• تتنافس سبع مدن شهيرة في شرف انتسابه اليها • وتمثله الخرافة هرماً أعمى متجولا من مدينة الى أخرى منشداً أشعاره • وقد ثبت أخيراً أن الالياذة والاوديسا لكاتبين مختلفين •

ـ المترجم ـ

مكتبة ماجد الحيدر
facebook.كتب.كتب.كتب

كاملة : أسرتي مثلا ، أبي وأمي وأنا وأنت وخدم أبي ، وبعض الأصدقاء والجيران •

ابتسم الكاهن كوروغا وهو يملأ الاقداح ، بينما استرسل تريان :

ـ سوف أحصي الحوادث التي تقع لهؤلاء الاشخاص ، خلال أعوام مقبلة • انني أعتقد أن أموراً خارقة ستقع ، وأن المستقبل القريب يخفي لكل منا أشياء هامة ، أشياء لم نر مثلها في التاريخ •

قال وكيل النيابة :

ـ اذا كان المستقبل ينبىء بنتائج على هذا المقياس المفجع ، فانني آمل ألا يكون الا في روايتك •

فأجاب تريان :

ـ ان الاحداث المحزنة ستقع أولا على مسرح الحياة ، ثم أنقلها في روايتي •

سأل وكيل النيابة :

ـ أتعتقد بأنني سأحيا فترات مفجعة ؟ أنت تعرف أنني أعيش حياة بورجوازية ، لايمكن أن يعنى بها الجمهور • انني على نقيض المغامر •

ـ ياصاحبي العجوز ، ان معظم الناس على هذه الارض ، ليسوا مغامرين • مع ذلك ، فانهم جميعاً ، يمرون أحياناً مرغمين في مغامرات يعجز الكتاب العاطفيون عن تخيل مثلها •

سأل وكيل النيابة باسماً :

ـ وما هي تلك الامور الحساسة الدقيقة التي ستحدث ؟

ـ باللسخرية ياجورج ! انني أشعر أن حدثاً خطيراً قد وقع حولنا •

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.كتب.facebook

مكتبة ماجد الحيدر
كتب كتب كتب .facebook

ـ وما هو ذلك الخطر الذي يتهددنا جميعا ؟

فأجاب تريان كوروغا :

ـ انه الرقيق التكني ! انك تعرف ذلك بنفسك ياجورج • ان الرقيق التكني ، هو الخادم الذي يقدم لنا يومياً ، ألف خدمة ، لم نعد نستطيع الاستغناء عنها • انه يدفع سيارتنا ، ويعطينا النور ، ويصب لنا الماء لنغتسل ، ويحمل لنا مخابراتنا ، ورسائلنا ، ويروي لنا قصصاً لنتسلى عندما ندير زر المذياع • انه يخطط لنا الطرق ، ويزيل الجبال من أماكنها •

ـ كنت واثقاً من أن هذا ليس الا استعارة شعرية !

ـ كلا يا عزيزي جورج ، انه ليس مجازاً ! ان الرقيق التكني حقيقة لا يمكن نكران وجودها •

فأجاب وكيل النيابة :

ـ انني لا أنكر وجوده • ولكن لم تسميه « الرقيق التكني » ؟ ان الأمر لا يعدو قوة آلية •

ـ ان الرقيق البشري،زميل الرقيق التكني في المجتمع العصري ، كان هو الآخر معتبراً عند اليونان والرومان كالقوة العمياءعديمة الاحساس كانوا يبيعون الرقيق ويشترونه ، ويقدمونه هدايا ويقتلونه • فكانت قيمته تتناسب دائماً مع قوة عضلاته وامكانياته العملية • لقد كان الامر في ذلك الحين ، مشابها تماماً للمقياس الذي نستعمله اليوم ، في تقدير الرقيق التكني •

أجاب جورج :

ـ ان الفوارق كبيرة جداً بينهماءاننا لا نستطيع احلال الرقيق التكني محل الرقيق البشري •

ـ بل على العكس ، اننا نستطيعه تماماً ! لقد برهن الرقيق التكني على

مكتبة مازن الحيدر
www.facebook.com/groups/kotobkotob

أنه أكثر طواعية ، وأقل ثمناً من الرقيق البشري • فراح تدريجياً ، يحل محل سلفه من بني الانسان • لقـــد حلت سفننا الحديثـــة محل المراكب العائمة ، التي كانت تسيرها المجاذيف • ان البواخر اليوم ، لم تعد تسـير بقوة عضلات العبيد الذين كانوا يسيرون السفن القديمة ، بل بقوة الرقيق التكني • وعندما يحل الظلام ، فان الرجل الثري ، الذي يستطيع الافادة من خدمات الرقيق ، ماعاد يضرب كفيه آمراً عبيده بالمجيء حاملين المشاعل، كما كان يفعل سلفه في روما وأثينا • بل انه يدير زراً ، فيقوم الرقيـق التكني بانارة غرفته • ان الرقيق التكني ، يشعل النار التي تدفيء المساكن ، أو تسخن مياه الغسيل ، ويفتح النوافذ محدثاً تيارات هوائية • انه يفوق زميله البشري ، بأنه أكثر دقة ، وأكثر خضوعاً وتفاضياً • ان الرقيق التكني ، لايظهر الا عندما يستدعى ، فهو يحمل اليك الرسالة الغرامية بلحظة ، وينقل اليك صوت محبوبتك مهما بعدت المسافة • ان العبيد التكنيين ، خدم ممتازون كاملون • انهم يفلحون الارض ، ويخوضون الحرب ، ويخدمون رجال الشرطة والادارة • لقد تعلموا كـــل النشاط البشري ، وراحوا ينفذونه بدقة • انهم يجرون الحسابات الدقيقة في المكاتب ، ويساعدونك في زينتك ، ويغنون ويرقصون ، ويطيرون في الفضـــاء ، ويهبطون تحت الماء • لقد غدا الرقيق التكني جلاداً ، يقضي على المحكومين بالاعدام ، كما يبريء المرضى في المستشفيات بجانب الاطبـــاء ، ويشـــارك الكاهن عندما يقوم بالصلاة •

صمت تريان كوروغا لحظة ، ريثما يرفع قدحه الى شفتيه • كان المطر يهطل في الخارج غزيراً متلاحقاً • استرسل يقول :

ـ سأنتهي فوراً من هـــذا الاستطراد فأقول : انني شخصياً أعترف بأنني أحس بنفسي دائمـاً في المجتمـع ، حتى ولو كنت وحيداً ، انني أرى أولئك العبيد التكنيين ، يحومـون حولي ، مستعدين لخدمتي ومساعدتي ،

مكتبة ماجد الحيدر
facebook
كتب كتب كتب

فيشعلون لفافتي ، ويحدثونني عما يقع في العالم ، وينيرون سبيلي في الظلام • ان حياتي تتوقف عليهم ، لأنهم يشاركونني في الحياة أكثر من أي كائن حي لذلك فانني أشعر بأنني مدين بتضحيات لهم ! ومن أجل ذلك لا أستطيع البقاء طويلا في فاتانا ، كما بينت أمي منذ حين ، لأن عبيدي التكنيين ، ينتظرونني في بخارست • اننا الآن أوسع ثراء من أسلافنا الذين سبقونا بألفي عام • لأنهم ماكانوا يمتلكون الا عشرات من العبيد • نحن نمتلك اليوم مئات ، بل ألوفاً • والآن سأطرح عليك سؤالا : كم تقدر عدد العبيد التكنيين العاملين اليوم ، على سطح الارض ؟؟ ان عددهم ليفوق عشرات المليارات • فما هو عدد البشر ؟

أجاب وكيل النيابة :

ـ ملياران من الناس !

ـ هذا صحيح • ان تفوق العبيد التكنيين ، الذين يعمرون الارض اليوم ، تفوق عددي ساحق • فاذا نظرنا بعين الاعتبار الى أن العبيد التكنيين ، يسيطرون اليوم على النقاط الحيوية في المجتمع العصري ، أدركنا أن الخطر بيّن ، وبعبارة عسكرية فنية ، نقول ان الرقيق التكني ، يقبض بين يديه ، على النقاط الستراتيجية في مجتمعنا ، من جيش ، وخطوط مواصلات ، وتموين ، وصناعة ، وعدد آخر أكثر أهمية • ان العبيد التكنيين ، يشكلون اليوم ، لوناً من « البروليتاريا » اذا كنا نعني بهذه الكلمة جماعة ما في مجتمع خلال فترة تاريخية ، جماعة لم تدخل بعد في صميم المجتمع • وعلى ذلك ، فان مصير هؤلاء العبيد التكنيين منوط بأيدي البشر • لن أكتب رواية خيالية ، أو أصف الاسلوب الذي سوف يثور بموجبه أولئك العبيد التكنيون يوماً ، فيسجنون الجنس البشري في معسكرات اعتقال ، ويبيدونه على منصات الاعدام ، أو الكرسي الكهربائي • ان مثل هذه الثورات ، لايمكن

مكتبة ماجد الحيدر
www.facebook.com/groups/kotob

أن يقوم بها ، الا الرقيق البشري • انني لن أصف الا وقائع حقيقية • وفي الحقيقة فان هذه « البروليتاريا » التكنية ، ستثور يوماً دون أن تستعمل الحواجز والسدود ، كما كان يستعمل من قبل الرقيق البشري • ان العبيد التكنيين يشكلون اليوم أكثرية عددية ساحقة في المجتمع الحاضر • تلك حقيقة ملموسة • انهم يتصرفون في هذا المجتمع ، وفق قوانين خاصة ، مختلفة عن قوانين البشر • ولن أذكر من هذه القوانين الخاصة بالعبيد التكنيين الا : الآلية ، والمماثلة ، واغفال الذات •

ان مجتمعاً فيه عشرات المليارات من العبيد التكنيين ، وحوالي مليارين من البشر ، حتى ولو كان هؤلاء يسيرونه ، فانه ستسوده أكثرية بروليتارية • لقد كان العبيد من بني البشر في عهد الرومان ، يتكلمون ويصلون ويعيشون وفق التقاليد والعادات المستوردة من اليونان ، تراس [1] والمدن الأخرى المحتلة • والعبيد التكنيون في مجتمعنا الحاضر ، يحتفظون أيضاً بمزاياهم الخاصة ، ويعيشون حسب شرائع أمتهم • ان هذه الطبيعة ، أو هذه الحقيقة اذا شئت ، موجودة في حدود مجتمعنا • ان تأثيرها يتزايد يوماً بعد يوم • والانسان مرغم على معرفة عاداتهم وقوانينهم ، وتقليدها ، ليستطيع استخدامهم ، والافادة منهم • وكل مستخدِم ، مرغم على معرفة لغة مستخدَمِيه وعاداتهم ، ليصدر اليهم أوامره ، وليستخدمهم • وقد جرت العادة أبداً ، على أنه ، اذا كان المحتل أقل عدداً من الأمة التي يحتلها ، فانه يرغم على اعتناق عادات تلك الأمة ، وتعلم لغتها ، بسبب المنفعة والمصلحة ، وسهولة التفاهم • انه يرغم على ذلك ، رغم أنه محتل ، وسيد شديد البأس •

ان مثل هذه النظرية ، تتابع تضخمها وانتشارها ، ضمن محيط

---

(١) thrace مقاطعة تقع شمال اليونان القديمة تشكل اليوم جزءاً من بلغاريا ـ المترجم ـ

مجتمعنا ، رغم أننا نأبى الاعتراف بها • اننا نتعلم القوانين وأساليب المخاطبة ، التي تمكننا من تسيير خدمنا ، والافادة منهم فائدة أكبر • وهكذا ، فاننا سنتخلى يوماً ما عن صفاتنا الانسانية وقوانيننا الخاصة تدريجيا • أي سنتخلى عن انسانيتنا ، ونعتنق أسلوب الحياة المطبق على عبيدنا التكنيين ، وستكون دلالة هذا التخلي عن الانسانية ، احتقار الكائن البشري • ان الرجل العصري ، يعرف أنه وزملاءه من بني الانسان ، ليسوا أكثر من عناصر يمكن استبدالها • والمجتمع الحديث الذي يحوي على رجل واحد مقابل كل ثلاثين عبداً تكنياً ، ينبغي أن ينظم وأن يعمل حسب النظم التكنية ، لأنه مجتمع خلق وبني على احتياجات ميكانيكية ، وليست انسانية • وهنا تبدأ الفاجعة •

ان المخلوقات البشرية مرغمة على الحياة والتصرف ، وفق قوانين تكنية غريبة عن القوانين الانسانية • وأولئك الذين لا يحترمون قوانين الآلة التي تتساوى مع القوانين الاجتماعية ، يعاقبون • والكائن البشري الذي يعيش في أقلية ، يصبح مع الوقت أقلية « بروليتارية » فيحذف اسمه من المجتمع الذي ينتمي اليه ، والذي لايمكن أن يعود اليه الا بعد التخلي عن طبيعته الانسانية ، فينجم عن ذلك ، شعور بالدونية ورغبة في تقليد الآلة ، والتخلي عن صفاته الانسانية المميزة ، التي تبقيه بعيداً عن أوساط النشاط الاجتماعي •

ان هذا التحول البطيء ، سيقلب الكائن الحي ، وسيجعله متخلياً عن احساساته وعلاقاته الاجتماعية ، ويجعلها محصورة في حدود ضيقة ، واضحة ، آلية تماماً ، كتلك العلاقات التي تجمع بين قطعة آلة وأخرى • وسوف يفقد البشر في علاقاتهم الاجتماعية ، وفي الادارة ، وفنون النقش والرسم والأدب وفي الرقص ، الاسلوب واللغة الخاصين بالرقيق التكني

مكتبة عبد الحميد كتب facebook

وستصبح المخلوقات البشرية بمغاوات العبيد التكنيين • غير أن كل هذا ، ليس الا بداية الفاجعة • من هذه البداية تبدأ كذلك روايتي ، وأقصد حياة أبي وأمي ، وحياتك ياجورج وحياتي ، وحياة الآخرين •

سأل وكيل النيابة وهو محتفظ بلهجته المداعبة :

ـ معنى ذلك ، أننا سنتحول الى « مخلوقات آلية » ؟

ـ تماماً ، وهنا تنفجر المأساة • لأننا لن نستطيع أن نتحول الى آلات • غير أن الاصطدام بين الحقيقتين ، الحقيقة الآلية والحقيقة البشرية ، قد وقع • ولسوف يربح الرقيق التكني الحرب • سوف يستبد ويصبح مواطنا آلياً في مجتمعنا • أما نحن ، الكائنات البشرية ، فسنصبح « بروليتاريا » مجتمع منظم حسب حاجات وعادات الاكثرية الساحقة من المواطنين ، وأقصد المواطنين الآليين •

سأل وكيل النيابة •

ـ ومن الناحية العلمية ، كيف سيحدث ذلك الاصطدام أو الاحتكاك ؟

ـ انني شخصياً أتحرق لرؤية ذلك • غير أنني بنفس الوقت ، أشعر بالخوف • انني أفضل أن أموت ، بدلا من أن أشهد بنفسي قتلي وقتل أمثالي من البشر •

ـ هل تفكر في وقائع معينة ؟

ـ ان كل الاحداث التي تدور الآن على الكرة الارضية والتي ستقع خلال السنوات المقبلة ، ليست الا تباشير تلك الثورة ومراحلها ، ثورة « العبيد الآليين » • ان الرجال لن يستطيعوا بعد ذلك أن يحيوا في مجتمع يحتفظون فيه بطابعهم البشري • سوف يعتبرون متساوين ومتشابهين مع الرقيق الآلي ، وسيعاملون وفق القوانين المطبقة عليه ، دون مراعاة

مكتبة ماجد الحيدر
facebook
كتب كتب كتب

طبيعتهم الانسانية • ستحدث توقيفات آلية ، وأحكام آلية ، وتسليات آلية ، وقتل آلي • لن يكون للمرء حـــق في الحياة ، بل سيعامل وكأنه مكبس ، أو قطعة آلة ، حتى اذا شاء أن يعيش عيشـة انسـانية ، تعرض لسخرية العالم بمجموعه • هل رأيت في حياتك مكبساً يعيش حياة شخصية ؟ ان هذه الثورة ، ستحدث على سطح الارض كلها ، ولن نستطيع الاختفاء ، لا في الغابات ، ولا في الجزر ، ولا فيأي مكان • لن تستطيع أمة في العالم أن تحمينا • سوف تتشكل جيوش العالـم كله من مأجورين ، يناضلون ويكافحون من أجل تدعيم المجتمع الآلي الذي لن تعيش فيه الفردية • لقد كان دأب الجيوش حتى اليـوم ، العمل عـلى اكتساح واكتساب أراض جديدة ، وثروات جديدة ، بدافع الاباء القومي ، أو وفق مصالح الملوك والاباطرة الشخصية ، الرامية الى السلب والنهب أو العظمة والاتساع • وكانت كل هذه الغايات بشرية صميمة • أما الآن ، فان الجيوش تحارب لمصلحة مجتمع لاتكاد تجد على هامشه متسعاً لبقائها كأقلية بروليتارية • ولعل هذا العصر هو الفترة الاكثر ظلمة في تاريخ البشرية • اذ لم يحدث حتى الآن أن احتقر الانسان الى هذا الحد • لقد كان الانسان في المجتمعات البربرية مثلا ، أقل قيمة من حصان • وهذا يحدث في عصرنا عند بعض الشعوب ، أو بعض الاشخاص • لقد رويت لي منـذ حين ، قصـة ذلك القروي الذي قتل زوجته غير آسف عليها ، ولكنـه حاول الانتحار عندما فكر في أنه لن يكون لخيوله من يعني بسقايتها واطعامها خلال فترة سجنه • كان هذا هو أسلوب انتقاص قيمة الفرد في المجتمعات الغابرة ، لأن التضحية الانسانية شيء مألوف • أما في المجتمع العصري ، فان التضحية الانسانية لم تعد جديرة بالذكر أو بالتنويه بها ، بل أصبحت مبتذلة • والحيـاة البشرية ، لـم تعد لها من قيمة ، الا بوصفها مصـدر حركة ، والقياسات

أضحت علمية محضة • وهذا هو قانون بربريتنا الآلية المظلمة • ولسوف نصبح بعد النصر الكلي عبيداً آليين •

سأل وكيل النيابة :

ـ ومتى ستحدث الثورة التي تتنبأ بها ؟

فأجابه تريان :

ـ لقد بـدأت بالفعل ! ونحن نساهم في نشـرها • سوف لايعيش الكثيرون منا حتى يبلغوا نهايتها • انني أشعر بخوف جارف من أن لا أستطيع انهاء كتابي ، لأنني سأختفي بالمثل •

فقال المحقق :

ـ ان تشاؤمك عنيف جداً •

ـ انني شاعر ياجورج • أملك شعوراً يسمح لي بالتنبؤ للمستقبل ، لايملك الآخرون مثله • ان الشاعر نبي • انني آسف اذ أتنبأ بأشياء مفجعة كهذه • لكن مهمتي كشاعر ، ترغمني على ذلك • ينبغي أن أصرخ ، وأن أحمل الأصداء قولي ، حتى ولو كان قولا ممجوجاً •

ـ أتعتقد جدياً بما تقول ؟

ـ بل انني وللأسف قانع به !

ـ ظننت أنك تنمق جملا بأسلوب أدبي !

ـ كلا • انه ليس من الادب•انني أتوقع كل ليلة أن يحدث لي شيء••

ـ وماذا يمكن أن يحدث لك ؟

ـ أي شيء • اذ طالما أن الانسان قد تحول الى مجرد مقياس ذي قيمة آلية ـ اجتماعية ، فانه يتعرض للاصابة بأي شيء • يمكن أن يوقف ، وأن

يرسل للقيام بالاعمال الشاقة ، أو أن يستأصل عرقه ؟ أو أن يرغم على مزاولة أعمال معينة ، سواء لواحد من مشاريع السنين الخمس ، أو لتحسين العرق ، أو لأهداف أخرى ضرورية للمجتمع الآلي ، دون أي اعتبار لشخصه . المجتمع التكني يعمل حصراً تبعاً لنظرية تكنية مستعملا المجردات ، الخطط فقط ـ مستهدفاً معياراً واحداً هو الانتاج .

ـ وهل يعقل أن نوقف ؟

زايلت اللهجة المستهزئة صوت وكيل النيابة ، وحل محلها لون من الخوف . فكان وهو يسأل تريان ، كأنه يطلب الى عرافة أن تتنبأ له بالمستقبل دون أن يؤمن بأقوالها كمبدأ .

ـ لن يبقى رجل واحد حراً على سطح الكرة الارضية .

قال وكيل النيابة :

ـ سنفنى اذن في السجون ، دون أن نكون مذنبين ؟

فأجاب تريان :

ـ كلا . ان الانسان سيصبح مغلولا خلال سنين طويلة في المجتمع التكني لكنه لن يموت في الأغلال . ان المجتمع التكني يستطيع ابتداع رفاهية . لكنه لايستطيع خلق الفكر . وبدون الفكر ، لاتوجد العبقرية . وان مجتمعاً محروماً من رجال عباقرة مقضي عليه بالفناء . ان المجتمع التكني الذي يحل محل المجتمع الغربي ، والذي سيكتسح سطح الارض كله ، سيفنى هو الآخر « ان ألبير أنشتاين الشهير ، يؤكد أنه يكفي انقطاع جيلين متتابعين فقط ، في خط العقول المتفوقة الميالة بصورة خاصة للعلوم الطبيعية ، لكي تنهار كل المشيّدات القائمة على هذا العلم »[1] .

---

(١) من اقوال هرمان فون كيسرلنغ وهو فيلسوف واديب ألماني ولد عام ١٨٨٠ وتوفي عام ١٩٤٦ وقد قارن إلى مؤلفاته بين العقلانية الغربية والحكمة الشرقية . « المترجم »

مكتبة عبد الحميد كتب كتب
facebook

ان انهيار المجتمع التكني هذا ، سيعقبه اعتراف بالموهبات الانسانية والعقلية ، وسيشرق هذا النور العظيم من الشرق ولاشك ، من آسيا • ولكن ليس من روسيا • ان الروس قد انحنوا خاضعين أمام نور الغرب الكهربائي ؟ لذلك لن يعيشوا ليروا الاشراق • سيكتسح الانسان الشرقي المجتمع التكني وسيستعمل النور الكهربائي لانارة الشوارع والبيوت • لكنه لن يصبح أبداً عبداً له ولن يقيم الهياكل كما هو الحال اليوم في بربرية المجتمع التكني الغربي • انه لن يضيء بنور « النيون » خطوط الفكر والقلب • ان انسان الشرق سيجعل من نفسه سيداً للآلات وللمجتمع التكني ، مستعيناً بعقله كما يستعين رئيس الفرقة الموسيقية بعبقريته المستمدة من الجرس الموسيقي • لكنك لن تصل الى تلك المرحلة ، لأننا سنحيا في الزمن الذي يخشع فيه الانسان أمام الشمس الكهربائية ، كالبربري المتوحش •

قال وكيل النيابة :

ـ اننا سنموت اذن مغلولين مكبلين ؟

ـ في رأيي أننا سنموت في أغلال العبيد التكنيين • وستكون روايتي ، كتاب هذه الخاتمة •

ـ وماهو عنوانها ؟

فقال تريان :

ـ الساعة الخامسة والعشرون • اللحظة التي تكون فيها كل محاولة للانقاذ عديمة الجدوى ، بل أن قيام مسيح لن يجدي فتيلا • انها ليست الساعة الاخيرة ، بل هي ساعة بعد الساعة الاخيرة • ساعة المجتمع الغربي ، انها الساعة الحاضرة •• الساعة الدقيقة المضبوطة •

مكتبة ماجد الحيدر
facebook
كتب كتب كتب

## -١٦-

كان الكاهن صامتاً ، ورأسه مدفونة بين يديه • فقـــال وكيل النيابة موجها حديثه اليه :

ـ يا أبانا ، اذا تحققت نبوءات تريان ، وكان الانسان مقضياً عليه أن يعامل كالرقيق ، فهـل تستطيع الكنيسة عمل شـيء في مصلحة المجتمـع الحاضر ؟ واذا كانت الكنيسة تعجز عن انقـــاذ المخلوق البشري في هذه الساعات الحرجة ، فماذا ستكون مهمتها عندئذ ؟

فكر الكاهن الكسندر كوروغا فترة ثم قال :

ـ ان الكنيسة لاتستطيع حماية المجتمعات ، بل انهـا تضمن ســلام الاشخاص الذين تتألف منهم تلك المجتمعات •

ـ وهل تعتقد أن نبوءات تريان ستتحقق ؟

فأجاب الكاهن :

ـ ان من عادتي تصديق الشعراء • انني أؤمن بأن تريان شاعر كبير •

قال تريان وقد احمر وجهه فرحاً ، شأن الطفل الذي يطريه أبوه :

ـ أشكرك يا أبتاه •

وساد السكون فترة • وفجأة قال تريان :

ـ يخيل الي أن بعضهم قد مر تحت الشرفة •

فأصغى الرجال الثلاثة ، غير أن نأمة الريح وصوت المطر كانا وحدهما يبلغان مسامعهما • قال الكاهن :

ـ لو كان هناك أحد في الباحة ، لنبحت الكلاب • ان ايوهان موريتز ـ وهو موضع سري ـ هو الوحيد الذي يمكن أن يكون في البستان دون

مكتبة ملك الحيدر
www.facebook.com/groups/kotobkotob

أن تثور الكلاب وتنبح • لكنه في هذه الساعة ولاشك على سطح الباخرة التي تقله الى أمريكا •

قال تريان :

ـ انني واثق رغم ذلك من أنني سمعت صوت أقدام ترتقي السلم • ان حواسي مرهفة جداً لذلك أستطيع أن أميز الاصوات بسهولة •

قال وكيل النيابة باسماً :

ـ لعله عبد تكني أفلت من عربتك ! لعل ثورة الرقيق التكني قد انفجرت بالفعل ، فجاؤوا يأسروننا في هذه الليلة بالذات • ترى كم من العبيد التكنيين يؤمنون خدمة سيارتك ياتريان ؟

ـ تستطيع اجراء الحساب بسهولة • ان قوتها « ٥٥ » حصاناً بخارياً ، والحصان الواحد يعادل سبعة رجال •

فقال وكيل النيابة معقباً :

ـ أي أن عددهم يوازي موجودات عدة فصائل من الجيش ، بينما عددنا لايتجاوز الثلاثة ! لو أنهم هاجمونا ، لاضطررنا الى الاستسلام دون قيد ولا شرط !

ـ ان العبيد التكنيين لايستطيعون مهاجمة مخلوق حي دون مساعدة انسان • أما اذا كان شريكهم « مواطن » من غير البشر ، فان العبيد التكنيين يصبحون أشبه بوحوش رؤيا القديس يوحنا الانجيلي[1] •

---

(١) ابوكاليبيس Apocalypse : الجزء الاخير من العهد الجديد وهو رمزي وغامض جداً وقد كتبه القديس يوحنا الانجيلي في جزيرة باتموس • وهو يتألف من سبع رؤى عن مستقبل الدين المسيحي كما تصوره القديس يوحنا • ووحش الأبوكاليبس يرمز الى وحش رمزي يلعب دوراً هاماً في كتاب القديس يوحنا • وقد أراد المؤلف استعارة هذه الفكرة للدلالة على استحالة تصرف العبيد التكنيين تصرفاً يسيء الى البشرية اذا لم تسيرهم يد الانسان • ـ المترجم ـ

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.facebook

قال وكيل النيابة مستوضحاً :

ـ ماذا أردت بكلمة مواطن ؟ اننا جميعاً مواطنون !

ـ ان المواطن ، هو الكائن البشري الذي لايعيش الا في الحدود الاجتماعية من الحياة ، كمكبس الآلة الذي لايقوم الا بحركة واحدة يكررها مدى الحياة . لكن المواطن ، خلافاً لما هو عليه حال المكبس ، يحاول تنصيب نشاطه على شكل رمز وتعميمه مثلا يحتذى به في العالم أجمع ليقلده فيه العالم أجمع . ان المواطن هو أخطر وحش ظهر على سطح الكرة الارضية منذ ان تلاقي الانسان مع الرقيق التكني . فهو يملك قسوة الانسان والوحش ، وبرودة الآلات ولا مبالاتها . ان الروسيين قد خلقوا المثال الأكمل من نوعه في هذا المضمار ، وأعني القوميسير .

وهنا ، سمع الثلاثة نقرتين خفيفتين على زجاج النافذة ، فهتف تريان .
ـ ألم أقل لكم انني سمعت صوت خطى ؟ ان احساس الشاعر لايخونه أبداً .

## - ١٧ -

خرج الكاهن الى الشرفة مستطلعاً ، تاركاً الباب مفتوحاً . ولم يلبث أن عاد الى الغرفة يصحبه شاب . كان القادم الجديد ، مرتدياً قميصاً فقط ، وسراويل خفيفة ، فكان عاري الرأي ، غارقاً في مياه المطر .

قال الكاهن :

ـ هذا ايوهان موريتز !

ومد اليه قدحاً من الخمر ودعاه الى الجلوس .

رفض الفتى الجلس ، ولبث قرب الباب متحاشياً الوقوف فوق السجادة ، أو الجلوس على مقعد ، خشية افسادهما بالماء الذي ينثال عن

مكتبة مراد الحيدر
facebook
كتب. كتب. كتب

ثيابه . كان الماء يتساقط من شعره ، وكأنه يجري خلال ميزاب ، فكان من الواضح أنه سار زمناً طويلا تحت المطر .

سأله الكاهن :

ـ أتريد التحدث الي على انفراد ؟

فأجاب موريتز :

ـ بل أستطيع التحدث اليك هنا أيضاً !

قال الكاهن :

ـ لقد أسفت لأنك لم تمر بمنزلي هذا الصباح ، لتحمل الرزمة التي أعددتها لك .

فقال موريتز مفسراً :

ـ لقد عدلت عن السفر الى أمريكا .

ثم نظر الى الشابين الجالسين في المكتبة وقال معقباً :

ـ لقد سمحت لي البارحة بأن أنام في الغرفة القريبة من المطبخ .

أدرك الكاهن في تلك اللحظة ، السبب الذي حدا بموريتز ، أن يقرع بابه في مثل تلك الساعة من الليل فقال :

ـ ان الغرفة لك ، تستطيع احتلالها متى شئت .

سأل موريتز :

ـ هل يستطيع انسان آخر أن ينام فيها هذه الليلة ؟

فأجابه الكاهن مؤكداً :

ـ طبعاً ، طبعاً . اذا كان هناك من هو في حاجة وأردت مساعدته ، فان ذلك يعتبر جميلا منك .

مكتبة ماجد الحيدر
www.facebook.com/groups/kotob

ـ انها سوزانا ابنة ايورغو ايوردان • لقد فرت من منزلها لأن أباها كان يريد قتلها !

تذكر موريتز أن كل القرويين الذين طلب اليهم مساعدته ، رفضوا ايواءه لما أطلعهم على اسم الفتاة • لذلك فقد راح يحدج الكاهن بثبات • فقال هذا :

ـ اذا كانت الغرفة باردة ، فانك تستطيع أن توقد النار في موقدها • انك تعرف مكان الحطب •

لبث ايوهان موريتز واقفاً في مكانه بجانب الباب • ما كان يريد مبارحة المكان ، قبل أن يقصّ على الكاهن اعترافاً كاملا بكل ماوقع • فلما فرغ من حكايته ، وذكر أن الفتاة كانت في تلك اللحظة بين الحقـول ، في منتصف الطريق بين فانتانا والمدينة ، نهض تريان كوروغاً واقفاً وراح يرتدي معطفه• اصطحب ايوهان موريتز في سيارته فلـم تمض نصف سـاعة ، حتى كان عائداً بالفتاة •

أوقف السيارة في مكانها السابق أمام الشرفة ، فحمل موريتز سوزانا بين ذراعيه ، بينما كان وكيل النيابة يراقب هذا المشهد من الشرفة • كانت زوجة الكاهن ، تسير بجانب موريتز الى يساره ، والكاهن الى اليمين • أما سوزانا ، فكانت مستسلمة بين ذراعيه ، كالطفل المذعور النائم ، فرأى وكيل النيابة ثوبها الأزرق المبتل الملتصق على وركيها • ودخل تريان الى غرفة الاستقبال ، فتبعه وكيل النيابة • قال هذا :

ـ انك مبتل الثياب !

احمر وجه تريان ، وراح ينظر الى حذائه الملطخ بالوحل ، وألبسته التي كان ماء المطر يقطر منها على الارض • لقد تعرض للبلل دون جدوى ، اذ أن مويتز ، حمل الفتاة دون حاجة الى مساعدته ، ووضعها في السيارة •

مكتبة عبد الحميد كتب كتب facebook

وعلى الرغم من أنه لم يكن في حاجة اليه ، فان تريان ، آثر أن يبقى طول الوقت الى جانبـــه تحت المطر • كان يحلل تصرفه في سره ويؤكـــد أنه سيتصرف على هذا النحو في حالة مماثلة ، اذا عرضت في المستقبل ، « لانه كان يتصرف بوحي مشاركة الرجـــل الواقف الى جانبـــه آلامه ، سواء كانت مساعدته قيمة عملية له ، أو كانت مجانية » •

دخل الكاهن الغرفة ، والماء يسيل على جبهته وخديه ولحيته ويقطر من ثيابه • لقد رافق ايوهان موريتز تحت المطر كابنه ، دون أن يكون لذلك أي نفع ظاهر !

فكر تريان في سره : « لقد صدرت عن الله نفسه تصرفات غير ذات نفع كبير عند بدء الخليقة • لقد أوجد أشياء غير ذات نفع عملي لكنها أجمل ما أوجد وخلق • ان وجود الانسان وخلقه عديم الجدوى • انه غريب غرابة تصرفي وأبي في هذه اللحظة • غير أنه ـ رغم عقم فائدته ـ تصرف لا يمكن أن يضاهي في روعته • »

قال الكاهن لابنه :

ـ حاذر أن تصاب بالبرد ياتريان !

فأجاب هذا :

ـ لن أصاب به ! كيف حال المريضة ؟

ـ انها مصابة بالحمى • لقد هيأت لها أمك قدحاً من الشاي ، وهي تعني بها الآن • لسوف تكافأ ياتريان لأنـك أتيت بهـــا في ســيارتك • ان الشابين البائسين ، كانا في مسيس الحاجة الى المساعدة •

وأعلنت الساعة منتصف الليل •

مكتبة ماجد الحيدر
كتب. كتب. facebook



طرق ايوهان موريتز الباب ، لأنه لم يكن يستطيع الانتظار الى الغد ليعرب للقسيس وابنه ، عن امتنانه وشكره • لم يكن يرى بين كل المصائب التي انهالت عليه خلال الاربع والعشرين ساعة الماضية ، أو يذكر منها ، الا جميل الكاهن كوروغا وفضله ، فكان شديد الامتنان • لقد سره أن تجد سوزانا مأوى لها ، ولولا ذلك ، لكان الامر أسوأ مما كان • كان تريان كوروغا يحدج ايوهان موريتز بنظرة حانية ، من عينيه الكبيرين ، فقاطعه فجأة وقال :

ـ أبتاه ، عندما أعود الى فانتانا من جديد ، سأنام عندك • أما المال الذي أودعته لديك ، فأرجو أن تعطيه الى موريتز ، ليبني لنفسه منزلا في فانتانا • انه أكثر حاجة مني الى المسكن !

أخذ الكاهن المغلف وأعطاه الى موريتز بحركة عادية ، ككل الحركات الطبيعية • لقد مد يده بالمال ، دون أن يوجه اليه نصيحة ما ، أو يخاطبه بكلمة • فأخذ ايوهان موريتز الغلاف وفتحه • بدأ كأنه لم يفهم الغرض من هذه الحركة • فلما وقعت عيناه على رزمـــة الاوراق النقدية ، جحظتا واتسعتا اتساعاً كبيراً ، كما يحدث لعيون الرجال الذين يشاهدون المعجزات• أراد أن ينطق بكلمة ما ، وأن يقول شيئا • لكن قلبه ما كان يتسع لهمسة أو كلمة فضغط على الغلاف بيده وصمت •

قال الكاهن بعد فترة صمت :

ـ أشكر تريان يابني ، واذهب ا لىفراشك • اعط المال الى سوزانا • ان النساء أقدر من الرجال على حفظه •

فقال وكيل النيابة :

مكتبة ماجد الحيدر كتب facebook

ـ لعل موريتز يفضل أن يشرب كأساً ، بعد أن أصبح الآن في عداد الملاكين في فانتانا .

دخلت زوجة الكاهن في تلك اللحظة ، فوضع موريتز القدح على المائدة ، ونظر اليها محدقاً . قالت : ان حال سوزانا غير خطرة . ثم جذبت الكاهن الى احدى الزوايا ، وهمست في أذنه شيئاً . فقطب الكاهن حاجبيه ثم ابتسم . كان موريتز يتابع حركاته بأنظاره ، فقال الكاهن :

ـ اطمئن ، انها ليست أخباراً مزعجة . أن زوجتي تنبئني بأنك ستصبح أباً . فينبغي أن تتزوجا قبل ذلك .

ضغط موريتز على يد تريان كوروغا ثم على يد وكيل النيابة ، وخرج ... كان المطر منهمراً باستمرار . وقبل أن يهبط السلم ، أخفى المال تحت قميصه ، خوف ابتلاله . كان الغلاف دافئاً لطيف الملمس ، فكان موريتز ، وهو يضمه الى صدره ، يرى بعين الخيال ، البيت وسياجه ، والبئر والبستان ، كما كان يتصورها ويحلم بها . فلما دخل الغرفة ، كانت سوزانا مستغرقة في النوم . وضع المال تحت وسادتها ، ومضى ينام على القش .

وفي اللحظة التي كان يمر فيها تحت النافذة وهو يصفر ، كان الكاهن في المكتبة يحدث تريان بقوله :

ـ ما كان ينبغي أن أتحدث اليه عن الزواج ، لأن أم سوزانا قد ماتت، ولا زالت جثتها في المشرحة . أما أبوها ، فانه رهين السجن ! في الحقيقة ان الوقت لم يكن مناسبا .

قال تريان :

ـ لكنهما لا يعرفان عن الامر شيئاً . انهما يقيمان خطط مستقبلهما . لقد حصلا على المال الذي يلزم لهما ، ولديهما حبهما ، انهما سعيدان !

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.facebook

ـ انهما سعيدان ، ولكن لو عرفا الحقيقة ، لوجب أن يبكيا .

فردّ وكيل النيابة مؤيداً :

ـ صحيح ! ان سرورهما بالنسبة الينا نحن الذين نعلم كل الحقيقة ، يبدو لوناً من التدنيس والرجس .

وقرعت الساعة الواحدة . كان الثلاثة الجالسون في مكتبة الكاهن كوروغا تلك الليلة ، يصغون الى صوت المطر ، وقرع منبه الساعة .

ـ ١٩ ـ

بعد عامين من هذه الحوادث ، أطلق سراح ايورغو ايوردان ، ليعود الى البلد الذي نزح عنه منذ سبعة وعشرين عاما .

أراد قبل مغادرته المنطقة ، أن يمر للمرة الأخيرة بفاتانا ،ليبيع منزله. وبينما كان رئيس مخفر رجال الدرك في القرية يعبر الطريق ، لاحظ أن نوافذ المنزل ذي القرميد الاحمر ، التي كانت حتى ذلك اليوم مغلقة باحكام، مفتوحة على مصراعيها . فدخل باحة المنزل مستطلعاً . كان ايورغو ايوردان وراء المنزل يحزم بعض الطرود .

قال رئيس المخفر :

ـ ان الظواهر كلها تدل على أنك كثير الغنى ياسيد ايوردان . ان اخراجك من السجن بهذه السرعة ، لاشك اقتضاك ثمناً فاحشاً .

رفع العملاق رأسه وألقى على المتكلم نظرة وقال :

ـ لست أفهم .

كان صوته خشناً قاسياً . فقال الدركي :

ـ اني أسألك عما اذا كنت دفعت غالياً ثمن خروجك من السجن !

مكتبة ماجد الجيار
كتب.facebook
كتب

انني أذكر أنك كنت محكوماً عليك بالسجن عشر سنين •

ألقى ايورغو ايوردان من يده المطرقة التي كان ممسكاً بها ، وأخرج من جيب سترته الخضراء ورقة ألقى بها الى الدركي ، ثم عاد يستعمل المطرقة وهو يقول ضاغطاً على كل كلمة ، ليزيد في ابرازها :

ـ انني أعطيك هذا ، لتعلم مع من تتحدث • لن تمضي أيام قليلة ، حتى أكون في كسوة وكيل ضابط ، في فرق الهجوم • انني مواطن ألماني ، ولسوف أقوم بواجبي حيال وطني • لعلك الآن ، قد عرفت السبب الذي من أجله أخرجت من السجن • انه ليس كما كنت تظن •

ـ أخذ الدركي أمر التعبئة الخاص بايورغو ايوردان ، وراح يقرأه• كان يعرف أن كل المواطنين الألمان ، الذين كانوا مسجونين قد أخلي سراحهم ، شريطة أن يعودوا الى وطنهم ، وينخرطوا في الجندية • فطوى الورقة ، وأعادها للعملاق ، وهو يبتسم • قال هذا وهو يخرج ورقة أخرى من جيبه :

ـ اقرأ هذه أيضاً •

كانت تلك الورقة ، رسالة شكر • لأن العملاق قدم كل ثروته ، هدية للجيش الالماني ، ليستطيع الألمان ، شراء مدرعات • وقد أرسل سفير الرايخ الأكبر الألماني في بخارست ، رسالة شكر اليه في سجنه • فض الدركي الورقة ، لكنه لم يستطع قراءتها ، لأنها كانت مكتوبة بالألمانية • فاكتفى بأن راح يتأمل باعجاب ، النسر والصليب المعقوف ، والأختام التي كانت تزينها •

سأله :

ـ هل تبيع البيت أم ستحتفظ به ؟

قال ايورغو ايوردان متجاهلا سؤال الدركي :

مكتبة ماجد الحيدر
facebook كتب كتب كتب

ـ ان المصفحة التي اشتريت بمالي قد بوركت فعلا بالنيران الحامية ، ولسوف ألحق بها عما قريب • انني لم أعد شاباً كما كنت من قبل ، غير أن الرايخ الألماني الكبير ، يقبلني كما أنا !

طوى ايورغو ايوردان الأوراق ، وأعادها الى جيبـــه • ثم عـــاد الى المطرقة ، يسمر بها الصناديق التي كان يعدها للسفر ، وقد آدار للدركي ظهره • فلما ودعه هذا ، غمغم ايورغو ايوردان ببضع كلمات في لغته ، رداً على تحيته ، دون أن يرفع عينيه اليه •

## - ٢٠ -

اتجه رئيس مخفر الدرك بعد خروجه من دار ايورغو ايوردان الى الخان • كان ذلك في بدء شهر أيار • راح رئيس المخفر يمشي في منتصف الشارع محاذراً غبار الطريق • كان يحب أن يرى حذاءيه لامعين كالمرآة ، كما كان يحب النساء والخمر • وكان اليهودي ، صاحب الخان ، يقدم له الخمر مجاناً • راح يفكر في نفسه وهو يسير : « لولا أن الحكومة تصدر بين الحين والآخر قانوناً جديداً ، لنفق رجال الدرك من العطش » • والحقيقة أن الدولة ، كانت قد كفلت ذلك على خير وجه : ففي كانون الثاني من ذلك العام ، تلقى رئيس المخفر أمراً ، يقضي بارسال كل يهـــود القرية ، الى معسكرات العمل • ولم يكن في فاتنانا كلهـــا ، الا يهودي واحـــد ، هو غولد نبرغ ، صاحب الخان • فأطلعه على الأمـــر • وكان ذلك الامر سرياً جداً ، حتى أنه أسف بعد قليل ، لاطلاعه اليهودي عليه • لكنه بعد فترة تفكير ، قرر أنه تصرف تصرفاً حميداً • وراح منذ ذلك الحين ، يرسل كل ثلاثة أشهر ، شهادة طبية ، تثبت أن اليهودي غولدنبرغ ، مريض لايمكن ارساله للعمل • وكان لقاء ذلك يتلقى من اليهودي كل شهر ، ثلاثة آلاف « لي » ، مما ضاعف راتبه • أصبح بذلك المال قادراً على العيش بترف ، الى

مكتبة ماجد الحيدر
facebook

جانب شعوره بقيامه بعمل طيب • بينما لبث غولدنبرغ العجوز في خانه ، يتعاطى التجارة ، بدلا من أن يثن تحت وطأة العمل ، في أحد المعسكرات •

بعد أن تناول الدركي قدحه الأول ، أزاح الستائر عن النافذة المطلة على غرفة اليهودي ، وألقى نظرة خلال زجاجها • كان يريد رؤية « روزا » ابنة صاحب الخان ، ليلقي عليها التحية كعادته • كانت روزا بيضاء البشرة ناعمتها • وكان الدركي ، كلما غمز في زراعها ، يشعر بأنه يلمس قطعة من القطيفة ،لأن بشرة روزا لم تكن كبشرة القرويات • وكانت هذه تجلس عادة قرب النافذة تقرأ قصصاً • أما ذلك اليوم ، فقد رأى الدركي بجانبها شاباً يحدثها •

سأل الدركي بصوت خشن :

ـ من هو هذا الرجل ؟

تردد غولد نبرغ العجوز لأنه ما كان يدري اذا كان يجـــدر به أن يصدقه القول ، وأخيراً قال مصمماً :

ـ انه ابني ماركو • لقد وصل من باريس أخيراً •

فقال الدركي :

ـ قدمه الي !

لم يكن الدركي قد تعرف قبل ذلك اليوم الى شاب عائد من باريس • كان يعتقد أن المرء يستطيع دائماً أن يتعلم شيئاً ما ، من أولئك العائدين من باريس • غير أن ماركو غولد نبرغ ، كان فظاً مشاكساً لاتخرج الكلمات من فمه بسهولة • وكان الدركي يعتقد ، أن الشباب الذين تلقوا علومهم في باريس ، ينبغي أن يكونوا خلاف ذلك ، لذا فقد شعر بمرارة الخيبة • كان ابن اليهودي فظاً بفطرته • لقد رفض أن يشرب كأس العرق التي قدمها له

مكتبة ماجد الحيدر
facebook.com/كتب كتب كتب

الدركي : لقد كان شاباً مكروها بغيضا ، مـــع ذلك ، فان الدركي قال له قبل مغادرته :

ـ تعال هذا المساء الى القسم ، لسوف تتسلى بلعب الورق !

ولما خرج من الخان ، أكد لنفسه ، أن غولد تبرغ العجوز ، بارساله ابنه الى باريس ، ألقى بدراهمه من النوافذ .

## - ٢١ -

بلغ الدركي منزل ايوهان موريتز فتوقف ينظر الى سوزانا وهي تجبل طيناً في باحة المنزل ، لتصنع منه قرميداً . كان ايوهان موريتز قد بنى منزله منذ عامين . لقد اشتغل وزوجه ليلا نهاراً ، فكان منزلا جميلا له شرفة .

سألها الدركي :

ـ لماذا تصنعين قرميداً ؟ لقد اكتمل بناء المنزل .

كان يريد الدخول الى الباحة ، لولا أن بابهـــا كان مغلقاً بالمفتاح . قالت المرأة :

ـ اننا نبني زريبة للبقر .

واستمرت تجبل الطين بأقدامها ، بينما راح الدركي ، يتأمل فخذيها العاريين الأبيضين . سألها :

ـ هل رجلك هنا ؟

فأجابت ضاحكة :

ـ ان اياني في الطاحون .

كان في صدر الباحـــة ، ولدا ايوهـــان موريتز الصغيران ، يرتعان في حرارة الشمس ، الأول في سريره ، والثاني يلهو بالتراب . وكانت سوزانا

مكتبة ماجد الحيدر
facebook

تنظر الى ولديها بين الحين والحين ، وتصب الماء على الصلصال ، وتستمر في عملية الجبل . كانت ترتدي ثوباً ضيقاً ، يبرز استدارة وركيها . راح الدركي يحاول من جديد فتح الباب ، فلما أخفق سألها :

ـ ألا تفتحين لي ؟

ـ ان مكانك مناسب .

ـ انني لا أراك وحيدة أبداً ، والآن يتغيب زوجك ، فترفضين أن تفتحي لي الباب !

قالت :

ـ هذا ما ينبغي أن أعمله ! بل انني أنبهك ، الى أن وقوفك بالباب قد طال . سر في طريقك ، ودعني بأمان !

ـ افتحي قليلا ! لا تكوني خبيثة !

ـ سوف يعود اياتي بين حين وآخر . فاذا وجدك هنا ، فانه سيشج رأسك بفأسه .

سأل الدركي :

ـ وهل تأسفين اذا وقع ذلك ؟

فقالت سوزانّا :

ـ أليست لديك أسئلة أكثر ذكاء من هذه ؟ من الخير لك أن تصمت، وأن تتابع طريقك ! سوف يصل اياتي بين حين وآخر .

ـ انني سأسألك شيئاً آخر ثم أذهب !

ـ هيا اسأل !

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.facebook

توقفت سوزانا عن عملها ، ووضعت يديها على وركيها •

ـ هل كنت ستفتحين لي الباب ، لو لم تكوني بانتظار زوجك ؟

قالت سوزانا وهي تعود الى مهمتها :

ـ انك تشتط في السؤال !

لم تفكر سوزانا مرة حتى تلك اللحظة ، فيما كانت تعمل لو أن موريتز غاب يوماً ، أو ذهب الى مكان ناء ، وجاء الدركي يحاول زيارتها •

قال هذا :

ـ انك الآن امرأة متزوجة ، فما الذي يخيفك ؟

هتفت غاضبة :

ـ دعني بأمان وارحل •

فقال الدركي :

ـ أجيبيني وسأذهب •

أجابته بخفاء :

ـ لست أدري •

ـ قولي : نعم أو لا • واذا لم تجيبيني فسأبقى !

قالت تسأله :

ـ لم تسأل ذلك ؟ ان اباني لن يترك البيت أبداً •

ـ لكن هبي أنه تركه !

قالت :

ـ حاول وستر ! لكن اباني لا يذهب أبداً ، اذ ينبغي أن تبني المزرب، وبعدئذ سنحفر البئر • فلماذا يرتحل ، وعندنا كل هذا العمل ؟

التمعت عينا الدركي ، وابتعد عن الباب وهو يتمتم :

ـ كنت أعرف تماما أنك فتاة باسلة •

مكتبة ما حد الحير facebook

ابتعد رئيس المخفر ، وسمعت سوزانا صفيره يتخافت • توقفت عن العمل ، وأحست بذعر في نفسها ، فانتزعت قدميها من الوحل ، وهرعت نحو طفليها • حملت ولدها البكر بين ذراعيها ، وضمته الى صدرهـــا • شعرت بأنها ارتكبت خطيئة ، أمراً اذ آ ، سيجلب الشقاء على موريتز وأولاده • ولم تلبث أن تساءلت : « ولكن هـــل ارتكبت خطـــأ في الحقيقة ؟ إنني أذعر بسبب لا شيء • »

خففت الضغط عن الطفل ، وأنزلته الى الارض ، ثم عادت الى صلصالها تجبله ، وهي حاسرة الثوب •

- ٢٢ -

بعد أسبوع من هذه الحادثة ، قرع دركي باب ايوهان موريتز •

كان موريتز جالســاً الى مائدة الطعام ، فنظر خلال النافذة ، ولمـا رأى خوذة الجندي قال :

ـ سأذهب لأرى ماذا يريد •

وخرج الى باحة المنزل •

ولما عاد ، كان يحمل في يده ورقة • عاد الى المائدة ، يتناول طعامه • بينما سألته سوزانا :

ـ ماذا في هذه الورقة ؟

ابتلع ايوهان موريتز اللقمةالتي كانت في فمه ثم أجاب :

ـ انه أمر تسخير • سأرى بعد تناول الطعام ، ماذا تطلب منا الدولة من جديد •

كان يبدو شديد الهدوء ، لأنه كان واثقاً من أن كـــل القرويين ، يتلقون أوامر تسخير مماثلة ، تتعلق بخيولهم ، وعرباتهم ، ومواشيهم • لكنه لم يكن يمتلك خيولا ولا عربة • شعر الآن ، أنه لم يكن محقاً في

مكتبة ماجد الحيدر
كتب كتب كتب
facebook

أسفه ، لعدم شرائه عربة ، لأن الدولة كانت ستصادرها منه ، فيعود الى السير على قدميه . كان يفكر : « بأن الدولة قد تطلب اليه زكيبة من الحنطةأو الذرة » لأنه كان يعرف أنالحنطة باتتتدخل في عدادالمسخرات.

وبعد أن فرغ من طعامه ، مسح ايوهان موريتز يديه . كي لاتتسخ الورقة التي حملها الدركي اليه ، ثم فضها وراح يقرأ .

راحت سوزانا تتابع ببصرها ، انطباعات وجهه الذي بدأ شديد الاحمرار ، ثم شحب ، ثم امتقع . سألت

ـ ماذا يقولون ؟

كان الطفلان صامتين ينظران الى أبيهما :

تمدد موريتز على السرير ، واضعاً يديه تحت رأسه . فكررت سوزانا سؤالها .

ـ ألا تريد أن تقول لي ماهو مكتوب فيها ؟

كان سكوت موريتز لاينبيء بخير . قال :

ـ انني اذا قلت لك مافيها ،لن تفهمي شيئاً . لأنني شخصياً لستأفهم.

ـ أهو خبر سيء ياايانى ؟

ـ لاشك أن ضابط المؤن قد أخطأ . ان هؤلاء الضباط في القطعات ، يفكرون دائماً في أشياء أخرى ، لما يكتبون !

ومد الورقة الى سوزانا وهو يقول :

ـ ما قولك ؟ انه أمر تسخير . لقد تلقينا اثنين من قبل . الأول كان يتعلق بالقمح ، والثاني عندما صادروا الاكياس التي اشتريتها من بورفيري . أما الآن فان الأمر لايتعلق بالقمح أو بالأكياس ، بل يتعلق بي . فكيف يمكنهم تسخير رجل ومصادرته ؟ هل تفهمين أنت هذا ؟

كانت سوزانا تقرأ بصعوبة ، فنفذ صبر موريتز ، وأخذ الورقة

مكتبة ماجد الجبير
www.facebook.com/groups/kotob.kotob

من يديها ، وراح يقرؤها بصوت مرتفع ، ثم قال :

ـ كيف يستطيعون تسخيري أنا ؟ انني رجل • انهم يستطيعون مصادرة الخيول ، والبيوت ، والأبقار ، والأكياس • ولكن ليس الرجال • أنظري هنا ، ان اسمي مسجل فيه • لاشك أن وكيل الضابط مجنون تماماً •

سألت سوزانا :

ـ وماذا ستفعل الآن ؟

ـ ينبغي أن أكون في مخفر الدرك ، في الساعة السابعة من صباح غد•

قالت سوزانا :

ـ لاشك أنك على صواب ! ان ضباط الأعاشة مخطئون •

فأجاب موريتز :

ـ لاشك أنهم مخطئون •

لكنه شعر بشك في نفسه • اذ ماذا يكون حاله ، لو أن ضباط الاعاشة ماكانوا مخطئين ؟ راح يعد العدة للسفر كما لو كان سينخرط في الجيش ، لأن الأمر اذ لم يكن خاطئاً ، فانهم سيستبقونه شهراً أو شهرين •

## - ٢٣ -

أمضى موريتز بعد ظهر ذلك اليوم وهو في أسوا مزاج • لكن سوزانا لم تغضب منه ، لأنها كانت ترى بوضوح أن سبب غضبه ، راجع الى ذلك الأمر الذي تلقاه •

ولما حل المساء ، أخذ موريتز الورقة ، ولفها في قطعة من صحيفة قديمة كيلا تتسخ ، ووضعها في جيبه وهو يقول :

ـ سأطلع القس على هذا الأمر •

وغادر المنزل •

كانت زوجة القس وحدها في باحة المنزل • أما الكاهن الكسندرو كوروغا ، فقد كان في المدينة متغيباً منذ الصباح •

مكتبة ماجد الحيدر
facebook.com/كتب.كتب.كتب

هم موريتز بأن يقص على زوجة القس كل ما وقع له ، لكنه عدل عن ذلك في اللحظة الأخيرة واكتفى بأن قبل يدها وخرج .

وفي الشارع ، كانت بعض الكلاب تنبح ، والليل يرخي سدوله تدريجياً . تعثر موريتز بحجر ، فسب وشتم ، وراح يحث الخطى ، عائداً الى مسكنه .

## - ٢٤ -

كانت ليلة طافحة بالقلق والعذاب . لم يكد ايوهان موريتز يستلقي على فراشه ، حتى اجتاحت مخيلته آراء قاتمة . واقتربت سوزانا منه ، وطوقت عنقه بذراعيها ، محاولة أن ترفه عنه . لكنه فكّ ذراعيها وأبعدها عنه ، ثم أدار لها ظهره . انه لم يكن يفكر في شيء من ذلك . كانت مئات من الأمور تمر في خاطره . ان في أي بيت عملا كثيراً لاينتهي ولو عكف عليه المرء ليل نهار . لكن المرء اذ اضطر فجأة الى الرحيل دون أن يعرف مدة غيابه ، وأرغم على ترك كل شيء ، فانه يشعر بالخوف . كذلك فقد كان موريتز يائساً ، وكأنه على وشك الموت . ان لديه كثيراً من الأمور التي يتوجب عليه تسويتها قبل ذهابه . كانت هذه الأفكار تعذب روح ايوهان موريتز . كان قد اشترى مؤخراً عشرة أحمال من الخشب ، قطع أغصانها وشذبها بعد أن دفع ثمنها ، وسواها رزماً صغيرة تركها في الغابة ؛ وكان يأمل في أن ينقلها الى منزله . وها أنه الآن مرغم على تركها . كانت تلك الأخشاب من شجر البلوط وقد دفع ثمنها غالياً ، لأنها تصلح وحدها للبناء . كان ينتظر جمعها في باحة منزله بفارغ صبر . بل انه كان قد فكر بالضبط في المكان الذي سيصفها فيه قرب السياج ، لأنها كانت جذوعا ضخمة . وها أنه الآن مرغم على الرحيل . استدار ايوهان موريتز نحو سوزانا التي لم تكن على علم بصفقة الخشب ولا بمكانه ، فاذا بها

مكتبة ماجد الحيدر
facebook

نائمة . ولم يكن موريتز يستصوب ترك الخشب في الغابة ، لذلك فقد لمس كتفها وهو يحدث نفسه قائلا :

« ينبغي أن أقول لها أن الخشب موضوع على بعد بضع مئات من الأمتار من الجدول ، ولكن هناك أخشاباً لبعض من القرويين كذلك . فاذا لم أوضح لها الأمر بدقة ، فانها لن تعثر عليه » .

شعرت سوزانا بيد موريتز تلمس كتفها ، فابتسمت وهي نائمة . كان كان القمر بدراً يغمر بنوره الغرفة فيضيؤها ، وكأن الشمس لم تغب . وكان ايوهان موريتز يعرف جيداً أن سوزانا لن تستطيع نقل الخشب وحدها ، وأن هذا النوع من العمل ، لم يكن في مقدور المرأة .

فكر في نفسه : لا ، لسوف يصحبها العجوز آرتيمي ، وسوف يجد الخشب . ولكن ينبغي أن أعلمها بأنني اشتريته ، وأن عليها أن تذهب الى هناك لتأتي به . نعم ينبغي أن أعلمها بذلك » .

شدد موريتز ضغطه على كتف زوجته ، فعادت تبتسم وهي مستغرقة في النوم . كان يرى وجهها بوضوح تحت ضياء القمر . لقد كانت تبتسم ، وتمر بلسانها على شفتيها فأشفق موريتز عليها ولم يجرأ على ايقاظها لأنها كانت نائمة نوماً عميقاً ، كالطفل البريء . قرر أن يوقظها في الصباح الباكر ، ليطلعها على مكان الخشب ، لذلك أبعد ذراعه عن كتفها ، واستلقى على ظهره . لقد كان من عادته أن ينام بسرعة كلما استلقى على ظهره . لكنه في تلك الليلة لم يكن قادراً على الاهتداء الى الراحة . تذكر الأمر الذي تلقاه ، والذي جعله التفكير في الخشب ينساه ، فشعر بغضب مفاجيء يتملكه . لقد أمضى ايوهان موريتز من قبل خدمته العسكرية في فرقة خفر الحدود ؛ وقد تعلم اللغة « الصربية » خلال خدمته ، لكنه كان الى جانب ذلك قد ألم بالقواعد والقوانين العسكرية . ولايمكن أن تكون تلك

القوانين قد تبدلت بين عشية وضحاها • ان الرجال لايمكن أن يصادروا كما تصادر العربات والابقار والمحاريث وسيارات النقل •

راح ايوهان موريتز يدلك صدغيه مقرراً الكف عن التفكير في هذه الأمور التي سيعرف دوافعها وأسبابها في الصباح • من الجائز أن يكون ضباط التموين في الجيش قد أخطأوا ، فيكون قلقه وعذابه غير مجديين • بل يجوز أن يكون واحد من هؤلاء الضباط قد أراد أن يسخر به ، فأرسل اليه أمراً بالمصادرة ، بدلا من الأمر بالتعبئة ، الذي يرسل في مثل هذه الحالات •

لم يكن يهدأ قليلا ويأمل في نيل قسط من النوم ، حتى تذكر فجأة أن « آتيم باليا » مدين له بمبلغ خمسمائة لي • وتذكر كذلك أن سوزانا ، يمكن أن تحتاج الى بعض المال خلال غيبته • فاستدار نحوها من جديد • كانت سوزانا نائمة على جنبها الأيسر ضامة وسادة بين ذراعيها •

تردد موريتز من جديد : « من يدري فيم تحلم ! » سوف يحدثها بأمر المال صباحاً أيضاً • وهكذا لم يجرأ على ايقاظها أيضا •••

لم يكف موريتز لحظة عن التفكير : لسوف يحل موسم الأمطار قريباً ، فتنهار جدران البئر اذا لم يتم حفرها قبل ذلك • « لكنني قد أعود قبل موسم الامطار » ، وعندئذ كف عن التفكير في مشكلة البئر • لكن معضلة أخرى قفزت من زاويتها تعرض نفسها • تلك هي قضية الآجر الذي هيأه لبناء الزريبة • لقد قطع ثمانمائة « لبنة » من الصلصال ، صفها الواحدة فوق الاخرى قرب المنزل ، لتجفيفها ، ومن ثم شيها في النهار • وكان يعرف أنه اذا تركها حتى تجف دون أن يدخلها الفرن ، فانها تتفتت وتتلف ، فتذهب مجهوداته هباء • لذلك فقد راح يتعذب من جديد ويتقلب على سريره دون أن يجد سبيلا الى النوم • عاد ينظر الى وجه

مكتبة ماجد الحيدر
facebook

سوزانا ، وهو يشعر بحاجته الى التشاور معها • كانت قد كشفت عن نفسها ودفنت وجهها في الوسادة • أدرك موريتز عقم محاولته لأنها لن تكون ذات فائدة في هذه الظرف بالذات • لذلك فانه اذا أيقظها ، أزعجها دون مبرر ، لأن تلك الأمور كانت من عمل الرجال • راح يبحث في ذاكرته عمن يمكن أن ينوب عنه في شي قرميداته قبل أن تجف ، فلم يجد بين أصدقائه من يقوم بمثل هذه المهمة ، لأن كلا منهم كان في شاغل عنه بشؤون بيته الخاصة • مع ذلك ، فلو أن الوقت كان نهاراً لتحدث في هذا الشأن مع بعضهم • أما الآن ، فانهم ولاشك نيام كلهم ، ولايمكن أن يوقظهم ليتحدث اليهم عن القرميد • قال في نفسه : « لسوف أغطي اللبن بأوراق الذرة والقش فتؤخر جفافها ، وبذلك تبقى صالحة لبضعة أسابيع أكون خلالها قد عدت الى مسكني » نهض واقفاً وخرج من باب الشرفة الذي كان مفتوحاً • كان عاريا تماما ، لكنه لم يشأ العودة الى الغرفة لارتداء سراويله وقميصه خشية ايقاظ المرأة أو الاطفال •

أخذ لبنة وراح يعاينها على ضوء القمر ، فوجد أنه يجب ادخالها الى الفرن ، في غضون يومين أو ثلاثة ، على أبعد حد !

عاد نحو البئر ثم راح يفحص الباحة كلها ، منقباً متأملا ، وقد نسي تماماً أنه عار من الملابس • نسي موريتز كذلك أنه سيذهب صباح اليوم الباكر ، فراح ينظم في ذهنه تصاميم بناء الزريبة • راح ينظر الى جدران البيت وسقفه • لقدكانت واضحة تحت ضوء القمر ، وكأنها كانت تسبح في نور النهار •

خيل لموريتز أن ضياء القمر في تلك الليلة قد تجاوز كل حد سابق فراح يفكر في العربة التي يريد شراءها ، والخيل التي ستجرها • وانتقل بتفكيره الى البقرة التي سيشتريها كذلك • وكان قد بلغ في تجواله كومة

التبن التي كانت في الفناء ، فحمل غمراً منها ، ونثره على اللبن . لاشك أن سوزانا كانت تستطيع عمل ذلك صباحاً . لكنه أراد أن يوفر عليها العمل طالما أنه قريب من التبن في تلك اللحظة .

وبعد أن نثر التبن ، حمل أوراق الذرة للغرض نفسه ، وغطى بها قطع اللبن . كان يشتغل بسرعة كبيرة ، تبعث الدفء في أطرافه . وفجأة صاح ديك قريب ، فانتفض موريتز . كان قد نسي كل شيء عن ذهابه القسري ، فذكره صياح الديك بذلك الأمر المكدر . شعر بالخجل لوقوفه هكذا في الفناء عارياً من الملابس ، فعاد الى غرفة نومه ووقف في وسطها برهة . كانت زوجته ـ وهي الأخرى عارية تماماً ـ مستغرقة في نومها ، وقد شغلت السرير من زاويته القصوى الى الزاوية المقابلة ، فتمدد بهدوء بجانبها دون أن يوقظها ، فلم تشعر بدنوه منها . لكنها رفعت ساقها ، ووضعتها على ساق موريتز ، وسرعان ماتام هذا ، نوماً عميقاً . غير أنه لم يستغرق في نومه طويلا اذ لم تمض فترة ، حتى استفاق مذعوراً ، وراح ينظر حوله . كانت سوزانا لاتزال نائمة ، والقمر يبدو معلقاً الى طرق النافذة ، كخوذة الدركي فحدق ايوهان موريتز فيه ، ولم يغمض له جفن حتى بزوغ الشمس .

## - ٢٥ -

مضى ايوهان موريتز صباحاً الى مخفر الدرك . وكان يمر به في طريقه اليه ، عدد من القرويين ، بين ذاهب الى الطاحون أو الغابة ، فكان يشيح بوجهه عنهم متحاشياً رؤيتهم . انه هو الآخر ، كان سيمضي الى المطحنة والى الغابة . لكنه الآن مضطر الى اغفال كل هذه الاشياء ، والذهاب الى حيث لايدري ... لقد كان مصادراً ! راودته فكرة الفرار . وقدر أنه اذا اختفى في الغابة ، فان رجال الدرك لن يستطيعوا العثور عليه وتسخيره ، لكنه تصلب في مكانه ، ولبث دون حراك أمام باب مخفر الدرك . لقد كان

متزوجاً ، وله أولاد ، فكان يتعذر عليه الفرار . ودخل موريتز فناء المخفر . كان رئيس المخفر يحلق لحيته في مكتبه ، فانتظر موريتز أن يفرغ هذا من زينته ليسأله عما اذا كان لايوجد خطأ في الأمر الموجه اليه . فبلغت أنفه رائحة حليب محترق كانت تفوح في الباحة . شعر موريتز بيد توضع على كتفه ، فأستدار على عجل ، واذا به أمام أحد الجنود . لم يكن هو الذي حمل اليه « الامر » الى داره ، بل كان جندياً آخر . وكان الى يمين الجندي ماركو غولد نبرغ ، ابن يهودي فاتانا . وعجب موريتز كيف لم يرهما عندما اقتربا منه . لقد رآهما في مكانهما ، وكأن الارض قد انشقت عنهما فجأة . وكان في نظرتهما حقد ومقت . قبض الجندي على ياقة موريتز وأوقفه وكأنه يرفع زكيبة . فخضع موريتز لحركته . لكنه شاهد فجأة ، أن يدي ماركو غولد نبرغ ، كانتا موثقتين . قال الجندي آمراً:

ـ قفا الواحد بجانب الآخر !

فكر موريتز : « انه اذا كانت يدا ماركو مغلولتين ، فان الأمر ليس مجرد دعابة اذن ! » فاقترب بمرفقه من مرفق اليهودي وهو مذعور . كان يشعر بخوف كلما شاهد رجالا موثوقي الايدي والاذرع . أحس موريتز بالحارس وراءه يعبيء سلاحه . أحسن به دون ان يراه ، لأنه كان جنديا هو الآخر ، يعرف هذه المهمات . وفي الحقيقة أن الدركي كان قد وضع حربته على فوهة بندقيته ، فأدرك ايوهان موريتز معنى هذه الحركة ، وأغمض عينيه . ولما خرج من الفناء مخفوراً ، ألقى نظرة أخيرة على نافذة مكتب رئيس المخفر . كان هذا قد أسند مرآة الى الزجاج ، وراح ينهي حلاقة لحيته . وأخذ القرويون يتوقفون في الطريق لينظروا الى هذا الموكب ، وراحت النساء يطلعن من دورهن لرؤيته .

ولما بلغ الموكب منزل نيكولاي بورفيري ، وضع جمع النساء العائدات

مكتبة ماجد الحيدر
كتب. كتب. facebook

من النبع دلاءهن في منتصف الطريق ورحن يرسمن اشارة الصليب على صدورهن لدى رؤيتهن موريتز ورفيقه مشدودي الوثاق • فأغمض موريتز عينيه من جديد • شعر بشيء يتحطم في صدره • كان يعرف أن من عادة النساء رسم اشارة الصليب على صدورهن ، كلما شاهدن رجالا موثوقي الايدي يخفرهم حرس شاكي السلاح • وكان وقع خطى الجندي وراءه ، يرتفع وحده ، أما كل شيء حوله فقد لزم الصمت • لقد تحول كل شيء الى سكون يمزقه وقع الخطى الرتيب • كان موريتز يسير وفق خطوات ماركو غولد نبرغ • شعر بأن ساقيه لاتمتان اليه بسبب ، بل تسيران بوحدهما ، وأن جلد جسمه لم يعد ملكه ، بل غريباً عنه ، وكذلك الجسد• لم يقتصر الأمر على الجسد وأطرافه ، بل تعداه الى الافكار ، كل الافكار ، كل الافكار • شعر بأنه لايملك شيئاً خاصاً به !

## - ٢٦ -

أنهى رئيس مخفر الدرك حلاقة لحيته ، فخرج الى الفناء يصفر لحنا • كان الصبح بديعاً جميلا • هرع جندي يصب الماء على يديه ليغسل وجهه • كان ذلك الجندي يراقب رئيسه ذلك الصباح ، فرآه يحلق لحيته بعناية ، ويعود بالموس عليها مرتين • سأله ضاحكاً :

ـ أهي واحدة جديدة يارئيسي ؟

كان الجندي قد خمن أن وكيل الضابط ماض الى لقاء امرأة • وقد صدق تخمينه اذ أن رئيسه غمز له بعينيه دون أن يجيب • ولما جفف وجهه ويديه ، ارتدى وكيل الضابط بذته الجديدة ، وجلس وراء مكتبه • أخذ من أحد المصنفات ، النسخة الثانية من التقرير الذي أرسله ذلك الصباح الى الثكنة مع الجندي الذي رافق السجينين وراح يقرأه :

« تتشرف بارسال الشخصين ماركو غولد نبرغ ، الدكتور في الحقوق ،

مكتبة فواد الحيدر
facebook

وله من العمر ثلاثون عاماً ، وموريتز ايون ، مزارع وعمره خمسة وعشرون عاماً ، اللذين يشملهما القانون ، وفقاً لاوامركم السابقة ، المتعلقة بمصادرة كل اليهود ، والاشخاص المشبوهين في منطقتنا ، وارسالهم مخفورين الى معسكرات العمل

التوقيع :

وكيل ضابط أول

نيكولاي دوبريسكو ، رئيس مخفر درك فانتانا

أعاد وكيل الضابط التقرير الى الاضبارة وهو راض عن نفسه ، ثم القى نظرة على مرآته الصغيرة التي يحتفظ بها في جيبه ، وراح يفتل شاربيه وأخيراً نهض من مكانه وتنكب بندقية ، واتجه نحو منزل ايوهان موريتز . لقد أصبحت سوزانا الآن وحدها ، وقد ظل ينتظر هذه اللحظة ، طيلة عامين كاملين .

راح ضابط الدرك يصفر بسرور !

## -٢٧-

لم تمض ساعة حتى عاد رئيس المخفر الى مكتبه ، رغم أنه أعلن عند خرجه ، أنه سيتغيب طيلة النهار . عاد الى مكتبه رغم ذلك ، وهو نهبة للغضب الشديد . كان يبحث عما يستطيع تحطيمه ، ليفثأ غضبه ، فوقع بصره على اضبارة التقارير فأخذها ، وعاد يقرأ التقرير الذي أرسله الى الثكنة ، ذلك الصباح ، رفق السجينين . ازداد غضبة لدى قراءته ، وود لو مزقه شر ممزق ، لأنه لم يؤد الغاية المرجوة منه . لقد رفضت سوزانا أن تستقبله كما كان يأمل رغم أنها أصبحت وحيدة . فلما حاول اغتصاب الباب ، حملت فأساً ورفعته فوق رأسه مهددة بتحطيم رأسه ، اذا هو اجتاز العتبة . ولم يكن تهديدها من باب الدعابة . كان رئيس المخفر

مكتبة ماجد الحيدر
facebook.كتب.كتب.كتب

خبيراً بشؤون النساء ، فلو أنه تجاوز العتبة الى الفناء لنفذت تهديدها وشجت رأسه . لذلك فقد تراجع مدحوراً ، وعـــاد مـــن حيث أتى ، والغضب يهيش فؤاده • أدرك أخيراً أن المحاولة التي قام بها ، والتي نجم عنهـا توقيف موريتز للحصول على زوجته ، لم تبلغ غايتها المنشودة • لقد أمضى كل ليلته ساهراً ، يدبج التقرير ، سعياً وراء هذه الغاية •

لذلك فقد هتف : « لقد استهلكت الحبر والورق دون جدى ! » وعاد يفكر في موريتز ، فراح يسب ويشتم ، مستعملا كل الكلمات التي في قاموسه •

## -٢٨-

وقفت صفوف المساجين في ساحة الثكنة بانتظار الســوق ، فراح موريتز يتأمل الرجال في ثيابهم الجميلة وهم يحملون حقائب من الجلد • كان يشعر بالتعب وبألم في قدميه • لم يتفوه زميله غولد نبرغ بكلمة طوال الطريق الى الثكنة ، لكنه هو الآخر ، غداً شرساً من التعب فأراد الجلوس فترة ليستريح • وكان الباب من ورائهم قـد بقي مفتوحاً بعد دخولهم • راحت الصفوف تنتظم وتتحرك ، مغادرة الساحة • وجـاء ضابط يحمـل رزمة من الاوراق في يده ، فألقى نظرة على وجه غولدنبرغ الشاحب ، ثم حدج موريتز بنظرة وقال للجنديُ :

ـ كلاهما يهودي أليس كذلك ؟

وانتزع الغلاف الأصفر من يد الدركي دون أن ينتظر جوابه ، وأشار باصبعه الى الصف الذي كان يخرج من باب الثكنة ، وقال لموريتز :

ـ انتظم في الصف رباعاً •

راح موريتز ينظر الى الضابط دون أن يفهم قصده • فقبض هذا على كتفه ، وأداره على عجل ، ودفعه نحو الصف ، بعد أن ركله بحذائه ركلة

مكتبة ماجد الحيدر
facebook.كتب.كتب.كتب

قوية ، فجرى موريتز ، وخرج من الباب ، مع بقية المساجين .

ولما أدار رأسه ، رآى ماركو غولد نبرغ يتبعه .

## - ٢٩ -

لبث يمشي حتى المساء ، فلما توقفت الصفوف لنيل قسط من الراحة ، كان المساجين قد بلغوا مشارف المدينة . اقترب ماركو غولد نبرغ من ايوهان مورتيز وقال :

ـ حل وثاق يدي .

وأدار له ظهره . كانت يدا غولدنبرغ بيضاء دقيقة ، وكان رسغاه يحملان علامة حمراء كالدم . فلما حل موريتز وثاقه ، غمغم هذا :

ـ شكراً .

لكنه لم ينظر الى موريتز ولم يبسم له ، بل جلس على الحشائش يحدق في الافق بنظرة باردة كالزجاج . جلس ايوهان موريتز بجانبه . كان يريد الدخول في حديث معه ، فمد له قطعة الحبل التي كانت معقودة حول رسغيه وقال :

ـ هل أنت في حاجة الى هذا الحبل ؟ هل تريد اعطاءه لي ؟

فأجاب غولدنبرغ :

ـ تستطيع الاحتفاظ به !

كان صوته خافتاً شديد القسوة . فكور موريتز قطعة الحبل ، ووضعها بعناية في جيب سرواله وهو يقول :

ـ من المستحسن أن يحتفظ المرء بقطعة حبل معه ، اذ لايدري فيم يمكن أن تنفعه !

ابتسم ماركو غولدنبرغ ، كانت تلك أول مرة يراه موريتز فيها يبتسم !

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.facebook



بلغت فرقة المساجين اليهود نهر توبوليتزا في ذلك المساء بالذات • وكان قاع ذلك النهر قد جف ، وكانت تقوم على جانبيه أشجار الصفصاف وأدغال من الشجيرات التي لم يتم نموها •

كان على اليهود أن يحذروا قناة هناك ! كانت المنازل تشاهد عـلى البعد ، اذ لم تكن حول المكان قرى قريبة • وكان هناك زريبتان مهجورتان منتصبتان كحارسين على تلك الارض الشاسعة القفراء • كانت الزريبتان قد بنيتا أيام كانت الارض ملكاً لأحد الأديرة ، فكان الرهبان يضعون فيهـا خيول الجر والحراثة • وكانتا قريبتين من حدود الغابة • وبالقرب منهما ، كانت احدى سيارات النقل العسكرية الضخمة محملة بالمجارف والمحافر والمعاول ، والى جانبها مرجل كبير لطهي طعام المساجين • راح المساجين يتأملون السيارة الكبيرة ، لأنهم لم يجدوا حولهم مايلفت الانظار •

نام المساجين تلك الليلة في الحظيرتين ، أما موريتز ، فقد تمدد على العشب خارجهما • كانت الحشائش ليّنـة ، فنام لفوره • استيقظ مرات خلال الليل ، كان القمر منيراً يغمر السكون ، فخيل لموريتز أنه في داره لولا أن وقعت أبصاره على تلك الاجساد الملتفة بالمعاطف ، المنتظمة بترتيب عجيب على جانبيه ، فأحس بأنه بعيد عن فاتانا ، وعندئذ أغمض عينيه •

وفي صبيحة اليوم التالي ، أوقف اليهود في صفين طويلين وأحصي عددهم من جديد • كـان ايوهان موريتز ومماركو غولدنبرغ الى جانب بعضهما في ذلك اليوم أيضاً • فلما ألقى موريتز تحية الصباح على اليهودي ، رد عليه هذا • بل خيل لموريتز أن اليهودي قد ابتسم •

جاء وكيل ضابط فوقف عـلى رأس الفرقة ، ووزع عـلى المساجين المعاول والرفوش ، دون أن يستثني منهم أحداً • وأمر عشرة من الرجال

بانزال المرجل من السيارة ووضعه تحت شجرة جوز أمام الخنادق ثم راح يلقي عليهم محاضرته الاولى • كان وكيل الضابط ذو أسنان فضية وشاربين أسودين • قال لهم : ان على اليهود أن يحفروا هذه القناة لمصلحة الدفاع الوطني ، وأضاف : انه ـ الضابط ـ رب اليهود وانه اذا أكد شيئاً فان موسى نفسه في السماء لا يستطيع الا أن يؤيده في تأكيده•ثم أطلعهم على أن اسمه كان : أيوستول كونستانتان ، وأن له ولدين ، أحدهما محام والآخر ضابط •

راح اليهود يصغون الى خطابه بانتباه • وابتسم بعضهم ، لكنهم جميعاً كانوا خائفين •

قال وكيل الضابط :

ـ لن يقدم لكم اليوم ماتأكلون ، لأن المطبخ لم يعد بعد • لكنكم ستتناولون اعتباراً من الغد ، شاياً وحساء الفاصولياء مرتين كل يوم ، الى جانب نصف رغيف من الخبز •

وابتدأ العمل • كان على كل رجل أن يحفر مساحة محدودة من الارض ، فاذا انتهى منها ، غدا حراً بقية النهار حتى المساء • أما اذا لم ينه حصته من العمل ، فانه يتهم بالتخريب ، فيكبل بالأغلال ، ويحاكم أمام مجلس عسكري بوصفه عدواً للوطن • لقد أفهم وكيل الضابط هذا الأمر تماماً ، وكان المساجين من جانبهم قد فهموه تماماً وصدقوه •

خرج ايوهان موريتز من الصف وقال لوكيل الضابط انه ليس يهودياً • فأجابه هذا بأنه لن يعنى بأية شكاية قبل أن يقيم مكتبه • فعاد ايوهان موريتز الى مكانه ، بجانب ماركو غولدنبرغ وانتظر • كان يعرف أن على المرء في الجيش أن يتذرع بالصبر •

نصب مكتب الضابط بعد عشرة أيام • كان عبارة عن كوخ من

مكتبة ماجد الحيدر
www.facebook.com/groups/kotob.kotob

الخشب حوى بعض الطاولات والمقاعد ، الى جانب عدد من الأسرة للحراس .

ولما عاد ايوهان موريتز الى المكتب يعاود الشكوى ، استمهله الضابط أسبوعاً آخر ، لأنه لم يكن على استعداد حتى تلك اللحظة لتقبل الشكايات ودراستها .

- ٣١ -

بينما كان ايوهان موريتز يحفر في القناة ، وينزح التراب بالرفش ، سأل زميله الذي يمينه عن اسمه . كان يحب أن يتحدث الى من حوله في ذلك المكان المقفر ، لأن الرجال الذين لايتحدثون ، يضمرون في نفوسهم الحقد ويغذونه .

سأله زميله :

ـ هل تخجل من التحدث بلغة اليديش[1] ؟

فأجاب موريتز :

ـ انني لاأتقن اليديش !

ـ ان هذا مخجل !

بصق اليهودي على الارض وأعرض عنه .

التفت موريتز نحو الزميل الذي الى يساره يحاول تفسير موقفه ، غير أن هذا أجابه :

ـ تحدث معي بلغة اليديش !

فقال موريتز :

ـ وهذا هو ماأردت أن أشرحه لك . انني لاأعرف هذه الرطانة .

---

يديش : ـ رطانة خاصة يستعملها اليهود في أوربا الشرقية ـ المترجم ـ

مكتبة ماجد الحيدر
كتب كتب كتب .facebook

راح اليهود ينظرون اليه بحقد • فتوقف عن عمله محاولاً شرح موقفه لهم • غير أنهم أعرضوا عنه ورفضوا الاصغاء اليه •

« لقد اتفقوا فيما بينهم على التكلم برطانتهم • ان هذا شأنهم وحدهم ، فهم يهود ولهم الحق في التخاطب والتحدث بلغتهم • ولكن لم أتحدث أنا برطانة ال : بيديش ؟ »

سأل أحدهم :

ـ لعلك تتكلم العبرية اذا كنت قد نسيت رطانة البيديش ؟

فرفع موريتز رأسه يحاول الرد على المتكلم • وجد أنهم جميعاً قد توقفوا عن العمل • راحوا ينظرون اليه وفجأة انفجروا ضاحكين •

غضب ايوهان موريتز واحمر وجهه من الغيظ ، حتى أنه لم يطق الاحتمال • قال يحدث زميله الذي الى اليمين :

ـ اذا كانت المسألة مسألة لغات أجنبية ، فانني أعرف منها أربعاً ، أتكلمهما بكل سهولة ، وهذا يبيح لي أن أسخر منكم ، قبل أن تسخروا مني • كم لغة تعرف أنت ؟

فأجاب هذا على الفور :

ـ انني أعرف البيديش !

ضرب موريتز بمعوله الأرض • تأكد لديه أن اليهود يريدون السخرية منه • كانوا كلهم يعرفون اللغة الرومانية ، لكنهم كانوا ممتنعين عن التحدث بها •

وعندما انتهى العمل ، جاء ايزاك لانجيل ، رئيس الفرقة العجوز ، فانتحى بموريتز جانباً ، وقال له :

ـ اننا نحن اليهود نمر اليوم في فترة عصيبة • ولما كنا مجتمعين مع

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.كتب.facebook

بعضنا ولا غريب بيننا فان من الواجب أن نتحدث بلغتنا : اليديش •

قال موريتز :

ـ لكنني لست يهودياً أنا !

فأجابه ايزاك لانجيل :

ـ وما فائدة التكران بعد أن وصلت الى هنا ؟ كان يمكنك أن تختفي قبل أن تصل الى هنا • ولو فعلت ذلك ، لأحسنت صنعاً • أما هنا ، فان انكارك لامعنى له • فاذا لبثت مصمماً على الانكار أمامنا ، فانك عندئذ تكون مرتداً عاصياً •

ـ لكنني ياسيد لانجيل لست يهودياً !

كان صوت موريتز مضطرباً متهدجاً ، فأجابه اليهودي العجوز ـ ذلك شأنك ! اذا كنت تفضل أن تعتبرك مرتداً عن الايمان !••

لبث ايوهان موريتز وحيداً • لم يشأ أحد أن يصدق أنه ليس يهودياً ، كانوا جميعهم يزعمون أنه يكذب ، وأنه ليس رومانيا ، بل أنه يعمد الى هذه الأباطيل ليغادر المعسكر •

كان اسمه مدوناً في سجل المعسكر الذي كان يمسكه العجوز ايزاك لانجيل ، على اعتباره يهودياً • وكان الاسم : موريتز جاكوب • قال لانجيل حينما سجل الاسم •

ـ ليس هناك يهودي يسمى ايوهان • ! ان الاسم اليهودي هو جاكوب • كذلك هو اسمك • ان ايون ليس اسمك كذلك • انه ليس ترجمة جاكوب باللغة الرومانية •

كان زملاؤه في المعسكر يسمونه يانكل ، فلم يكن يعترض • لكنه كان يجد صعوبة كبيرة في تقبل هذه التسمية • وذات مرة قال لهم •

مكتبة ملك الحيدر
www.facebook.com/groups/kotobkotob

ـ لكم أن تسموني « جاكوب » و « يانكل » ، لكنني شديد الأسف ، لأنكم لاتصدقونني •

## - ٣٢ -

علم ايوهان موريتز أن كل اليهود الذين يعملون معه في ذلك المعسكر ، قد جيء بهم بناء على أوامر تسخير رسمية • فاقتنع عندئذ بأن الدوله « تصادر » اليهود كما تصادر الخيول والعربات وزكائب الحنطة • لكنه لم يكن يهوديا • وهذا ماكان يريد قوله لوكيل الضابط • لم يكن هناك أحد غير هذا الوكيل ، يستطيع موريتز أن يتحدث معه حول هذه القضية ، لكن وكيل الضابط ، لم يكن أبداً متفرغ الوقت ليستمع الى شكواه • وذات يوم توصل الى مخاطبته • كان وكيل الضابط غاضباً محنقاً •

ـ منذ أربعة أشهر وأنت لاتنفك تلاحقني وتزعجني ! انني أرى انك عنصراً من عناصر الفوضى هنا • كلما فتحت الباب ، أراك منتصباً على العتبة • ان في فمك دائماً شكاية تود ابلاغها الي • ماذا بك ؟ ألا تأكل كفايتك ؟ ألا تستطيع العمل ؟ ألا يمكنك العيش بغير زوجتك ؟

كان ايوهان موريتز ، قد أعد خطبته التي سيلقيها أمام وكيل الضابط • وكان يردد تلك الخطبة كل يوم ، خشية نسيانها • كان يريد أن يقص على وكيل الضابط كل قضية • قال وكيل الضابط :

ـ تحدث واختصر •

قال موريتز :

ـ أريد الخروج من هنا لأنني لست يهوداً •

ـ ألست يهودياً ؟

راح وكيل الضابط يحدج موريتز بنظرة • ثم أخذ سجل المساجين الذي كان على طاولته ففتحه على حرف ( م ) وراح يقرأ :

مكتبة ماجد الحيدر
facebook كتب كتب كتب

ـ موريتز جاكوب ، ثمانية وعشرون عاماً ، متزوج وله ولدان ، قاطن في قرية فاتانا • اسم الزوجة سوزانا ، أليست هذه خلاصة أحوالك المدنية ؟

فأجاب موريتز :

بلى !

ـ اذن ، كيف تدعي بأنك لست يهودياً ؟

ـ ذلك لأنني لست يهودياً •

قال وكيل الضابط :

ـ ان ماتؤكده هنا شديد الخطورة ! فهل تدرك ماتعمل ؟؟ ان كذبة واحدة معناها السجن • انك تؤكد أن كل ماجاء هنا ـ في هذه المستندات العسكرية ـ خاطىء غير صحيح • انك تعرف تماماً ماذا ينتظرك • مع ذلك ، فانك تدعي بأنك لست يهودياً ؟

أجاب موريتز جازماً :

ـ أنني لست يهودياً !

ـ ماذا تعمل هنا اذن ؟

ـ لست أدري من الأمر شيئاً !

سأل وكيل الضابط :

ـ لم جئت تحدثني بذلك الآن فقط ؟ لقد سجلت في كل الاوراق الرسمية ، أن المائتين والخمسين سجيناً الذين يشتغلون هنا في حفر القناة ، تحت أمرتي ، هم كلهم من اليهود • لقد كتبت هذا ووقعت بتوقيعي عليه ، وأنت الآن تزعم بأنك غير يهودي • ومعنى ذلك ، أنني وقعت توقيعاً خاطئاً • ان السجن ينتظرني بسبب ذلك !

كان وكيل الضابط أحمر الوجه من الغضب • أردف بعد قليل :

مكتبة ما خفي كتب
www.facebook.com/groups/kotobkhafia

ـ انك تستحق أن أصفعك مرتين ، صفعات تجعل آذانك تدوي طيلة خمسة أيام متتالية . مع ذلك فأنني سآخذ مذكرة بأقوالك . لكن ماتقوله شديد الخطورة . لذلك أجعلك تكتب شكواك هذه بخط يدك ، وتوقع عليها بنفسك . ان من أرسلك الى هنا ، سيودع في السجن ، اذا ثبت أنك لست يهودياً . لكنك اذا كنت يهودياً ، فانك ستغادر المعسكر ، الى سجن الاشغال الشاقة . هل فهمت ؟

لبث موريتز واقفاً أمام الباب ، بينما راح وكيل الضابط يحرر افادته . ولما انتهى ، أخذ توقيعه في ذيلها . لقد جاء في شكواه أن موريتز ليس يهودياً ، وأنه بناء على ذلك ، يطلب اخلاء سبيله ، فلما وقع عليها قال الضابط :

ـ تستطيع الآن أن تذهب الى عملك . سأرسل هذه الورقة التي وقعت عليها ، صباح غد الى الجهات المختصة ، ثم سننتظر الجواب .

ابتسم ايوهان موريتز ، ولما غادر وكيل الضابط ، أحس كأنه يعود الى منزله . غير أن الحارس « سترول » راح يناديه وهو يجري وراءه . قال له ان وكيل الضابط يود سؤاله عن شيء آخر . فلما عاد ، قال هذا .

ـ اسمع ماموريتز . ان لي خمسة وعشرين عاماً في خدمة الجيش ، وأنا أب لاسرة كبيرة ، لاأريد التخلي عن مركزي ، وخسارة مستقبلي ، بسبب شكواك . ان قضيتك ليست من السهولة كما تبدو لك . ان اسمك موريتز ، فاذا لم تكن يهودياً ، لماذا اذن تدعي موريتز ؟ ثم أنك تتحدث لغة ييديش ، فهل رأيت رومانياً واحداً يتكلم هذه اللغة ؟ هل أتكلم هذه اللغة أنا ؟

أجابه موريتز :

ـ لقد تعلمت هذه اللغة في المعسكر ! عندما يعرف المرء اللغة الالمانية ،

مكتبة ماجد الحيدر
www.facebook.com/groups/kotob

ويسمع من حوله يتحدثون كل ساعات اليوم بلغة ييديش ، فانه سيتعلمها أخيراً بسهولة • انها ليست لغة صعبة •

فقال وكيل الضابط :

ـ اضع الي ، أولا ان اسمك من الاسماء اليهودية ، ثانياً ، انك تتكلم اليديش ، وثالثاً : انك مُسجل في هذه الاوراق بوصفك يهودياً وبعد كل هذا ، تحاول أن تقنعني بأنك روماني ؟

كان وكيل الضابط ممسكاً بيده الشكوى التي وقع عليها موريتز ، فوضعها على الطاولة ، وكأنه يلقي بها الى سلة المهملات •

لم يبارح ايوهـان موريتز الغرفة ، كان الغضب يكتم صوتـه في حنجرته • قال بجهد :

ـ أقسم بكل القديسين على أنني لست يهودياً ياسيدي الضابط •

فأجابه وكيل الضابط :

ـ هذا ماسنتأكد منه فيما بعد • أما الآن ، فقد أخذت علماً بشكايتك ولسوف أرفع الى الجهات المختصة مشاهداتي الشخصية • انني رجل عادل ، ولقد كنت كذلك طـوال حياتي • لقد أخذت علمـاً الى جانب شكايتك الخطية بأن اسمك يهودي وانك لاتدري مصدره ، وأنك تتكلم لغة اليديش ، لكنك تفيد بأنك تعلمتها في المعسكر ، وأن عدداً من الشهود يؤيدون أقوالك • انك لم تكن تعرف هذه اللغة حين مجيئك الى هنا ، أليس كذلك ؟

أجاب موريتز :

ـ كلا •

ـ حسناً ، لننتقل الى نقطة أخرى • ماهو مذهبك ؟

ـ أورثوذكسي •

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.facebook

نظر اليه وكيل الضابط بارتياب :

ـ ألا تعرف الطريقة التي يعمد بها اليهود ؟

ـ بلى أعرفها .

ـ وهل تعلن بأنك لست معمداً مثلهم ؟

ـ انني لست معمداً مثلهم .

ـ هل أنت متأكد ؟

ـ كل التأكد ، ياحضرة الضابط .

قال وكيل الضابط آمراً :

ـ حسناً ، امض الى النافذة ، وقف بالقرب منها ، وأثبت لي عملياً أنك لست معمداً كاليهود !

اقترب ايوهان موريتز من النافذة ، وفك أزرار سراويله ، وتركها تسقط بين قدميه ، ولبث عارياً وهو ينظر الى وكيل الضابط . قال هذا :

ـ ان هذا لايستوجب أن يحمر وجهك كالنساء ، ليس في الأمر مايخجل . قف أمام النور ودعني أرى . أريد أن أرى بأم عيني ، لاتأكد مما ينبغي أن أكتبه في تقريري .

خرج وكيل الضابط من وراء مكتبه ، وركع أمام موريتز ، وراح يفحص المكان المعين ، بعناية ودقة . كان يقارن مايراه بما يسمعه ، لكنه لم يكن يعرف الفرق الحقيقي ، بين حالة المسيحيين وحالة اليهود من ناحية العماد . وكان عليه أن يتحرى الدقة في تقريره . وأخيراً نهض واقفاً ، وأشعل لفافته ، وهو شديد احمرار الوجه . قال :

ـ انك تسبب لي كثيراً من المتاعب ماموريتز . أتظن بأن الوطن أرسلني الى هنا لاتمتع بالنظر الى ... ك ؟ انني عسكري يافتى ، وهذه المسألة لاتدخل ضمن اختصاصي . واذا كنت قد قمت بذلك ، فانما رغبه

مكتبة ماجد الحيدر
facebook
كتب كتب كتب

مني في تحري العدل • يجوز أن لاتكون يهودياً ، وعندئذ لايجوز لي أن أستبقيك هنا •

فتح وكيل الضابط باباً مؤدياً الى غرفة جانبيه ، واستدعى الحارس « سترول » وقال له آمراً :

ـ افحص موريتز ، وقل لي اذا كانوا قد « قطعوها » له مثلك تماماً •

فركع سترول أمام موريتز • لقد كان موظفاً في أحد البنوك ، فكان يقوم بكل شيء بدقة حسابية ، وبكثير من التمحيص ، تماماً كما يستدعي الحال مع الارقام • أخذ يفحص المكان بعناية ، من كل النواحي ثم وقف وقفة « الاستعداد » العسكرية وقال :

ـ اذا كان مختوناً ، فانه ولاشك ختان سطحي •

فقال وكيل الضابط :

ـ مامعنى « سطحي » هذه ؟ أجبني بوضوح : هل ختن أم لم يختن •

أجاب سترول :

ـ لا أستطيع الجزم ، يخيل الي أن هناك قطعاً جزئياً ، لكنني لاأستطيع الجزم ، اذا كان ذلك قد وقع من قبل أحد الربانيين ، أم حدث لأسباب أخرى •

ـ هل رأيت ياموريتز كيف أن قضيتك شديدة التعقيد ؟ لكنني مع ذلك سوف أرسل هذه الاوراق • والآن يمكنك الذهاب ، أما أنت ياسترول ، فابق هنا لتساعدني في كتابة التقرير !

خرج موريتز من المكتب وهو يزر سراويله ساهماً •

## - ٣٣ -

بعد توقيف ايوهان موريتز ، قصد الكاهن كوروغا الى مخفر الدرك

مكتبة ماجد الكتب facebook

اثر عودته من المدينة • كانت الساعة تشرف على التاسعة صباحاً • كان رئيس المخفر قد وصل لتوه عائداً من القرية ، والغضب يعصف بين جنبيه • قال رئيس المخفر :

ـ انني شخصياً ، تلقيت أمر التسخير فنفذته • هذا كل مافي الأمر ! لا أستطيع اعطاءك معلومات أخرى ، لانني لاأعرف عن هذا الموضوع أكثر مما تعرف ، فالجأ الى قيادة الدرك في المدينة ، لتعطيك المعلومات اللازمة •

سأل القس :

ـ هل موريتز في قيادة درك المدينة ؟

ـ لاأعرف هذا الأمر كذلك • حتى ولو كانت أعرف ، لما جاز لي أن أخبرك به ، انها أسرار عسكرية • ان الرجال المصادرين ، يعملون في التحصينات • ولايجوز اشاعة أسماء الأمكنة التي يعملون فيها •

نهض الكاهن ، وشكر رئيس المخفر للمعلومات التي قدمها اليه ، وقصد المدينة بعد ظهر ذلك اليوم ، حيث قيادة الدرك ، لكن ايوهان موريتز لم يكن هناك ، لأن أحداً لم يسمع شيئاً عنه •

سأله ضابط شاب :

ـ هل كان ذلك الفتى يهودياً ؟

فأجابه القس !

ـ بل مسيحياً أورثوذوكسياً • لقد كان تابعاً لكنيستي •

فقال الضابط :

ـ انه اذن لم يرسل الينا ! اذهب الى مخفر درك القرية ، واطلب اليهم أن يزودوك بالرقم الذي أرسل بموجبه • اننا لم نتلق البارحة واليوم ، الا قوافل اليهود • ولما كنت تقول بأن الرجل موضوع البحث ، لم يكن يهودياً ، فانه لايمكن أن يكون في عدادهم •

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.facebook

فقال الكاهن جازماً :

ـ انه ليس يهودياً .

عاد الكاهن صباح اليوم التالي . ومعه رقم التقرير المرسل ، فراح الضابط الشاب يبحث في سجل هناك ثم قال :

ـ نعتذر عن عدم امكاننا اعطاءك أي علم ، لأن الاضبارة سرية . ينبغي لك من أجل ذلك ، أن تحصل على ترخيص من وزارة الحربية .

قال الكاهن :

ـ أريد أن أعرف فقط ، اذا كان موريتز يون ، موقوفاً في المكان الذي هو فيه الآن . ان المعلومات التي أطلبهـــا ، لايمكن أن تكون ذات صبغة سرية .

فأجاب الضابط .

ـ انه موقوف حيث هو . لكننا لا نستطيع ذكر اسم المكان الذي هو فيه . بل اننا لا نعرف المكان اطلاقاً ، لقد أودع الى الاركان . وأركان حرب الجيش ، لا تطلعنا على الأمكنة التي يرسل اليها الرجال الذين تستلمهم من لدنا ، ولا على ما تعمل بهم .

كان صوت الضابط قاسياً ، لأنه وجد اسم ايوهان موريتز ، في سجل اليهود . لذلك فقد راح ينظر الى القس باحتقار .

فلما نهض الكاهن يغادر الغرفة ، هتف الضابط بصوت مرتفع ، معتمداً اسماعه ما يقول .

ـ انه كاهن ، ولكنه يكذب كخالعي الاسنان ! انه يعلن بأن الشخص موضوع البحث ، مسيحي اوثوذكسي ، بينما اسمه مسجل في سجل اليهود. اذا عاد مرة أخرى الى هنا ، فاطردوه !

مكتبة ماجد الجبر
كتب كتب كتب facebook



كتب الكاهن كوروغا ، الى ابنه تريان ، يطلعه على أمر توقيف ايوهان موريتز ، ويرجوه أن يتوسط لمصلحته ، لدى وزارة الحربيـــة والأركان العامة . فتلقى من ابنه رداً جاء فيه : انه تدخل في كل مكان أمكنة الوصول اليه ، وحصل على وعد باطلاق سراح موريتز .

مضى على وصول رد تريان الى أبيه أسبوعان ، ثم ثلاثة فأربعة أسابيع! ومضى بعد ذلك شهر آخر ، وكان الصيف قد أشرف على نهايته . وأقبل فصل الخريف ، وايوهان موريتز لم يعد بعـد الى منزلـه . فمضى الكاهن ألكسندرو كوروغا الى محافظ المنطقة ليبسط له الأمر . وبينما هو في طريقه الى المدينة ، صادف العجوز غولدنبرغ ، والد ماركو ، فدعاه الى الركوب في عربته . كان اليهودي العجوز قد أصبح هزيلا . قال شاكياً :

ـ منذ اليوم الذي أوقف فيه ماركو ، وأنا لم أتلق خبراً عنه .

ثم تنهد متحسراً وأردف :

ـ لقد صرفت ثروة طائلة ،على تثقيفه في جامعتي بوخارست وباريس، فلما حصل على شهادة الدكتوراه عاد الى البيت ، فأوقفوه ، وأرسلوه ليحفر الخنادق ، وكأنه قد حصل على الدكتوراه في الحقوق ليحفر الخنادق !

أخرج الكاهن رغيفاً حاراً مـن حافظته ، شـطره الى قسمين ، قـدم أحدهما الى العجوز غولدنبرغ .

راحا يأكلان بصمت . كان الطريق قد بدأ في الصعود ، والحصان يجري الهوينا . فلما بلغا قمة التل ، قال اليهودي :

ـ لقد أخذوا بيتي ، لقد صادروه ! لسوف أضطر الى اخلائه خلال أيام قليلة ، والا ، فان رجال الدرك سينفونني . انه البيت الذي بنيته بعرق

مكتبة ماجد الحيدر
facebook.com/كتب.كتب.كتب

يجبين • لقد صودر ماركو أولا ، والآن يصادر البيت • فما هي جريمتي
ـ أبي ؟

سكت اليهـــودي وتوقف الحصان • وبعـــد فترة صمت ، أردف
يهودي :

ـ لسوف أشنق نفسي آخر الامر • لن أستطيع الصبر أكثر من ذلك!

عاد الحصان يسير ، فلما بلغت العربة مشارف المدينة،ترجل غولدنبرغ
منها ، ورآه الكاهن يختفي في أزقة الغيتو [1] الضيقة •

## - ٣٥ -

مضى الكاهن كوروغا الى المحافظة ، بعد أن افترق عن غولدنبرغ •
قد ترك للحصان حرية المشي على هواه ، وراح ينظر حوله الى البيوت •
مئات من البيوت المنضدة طبقـــات فوق بعضها ، لاتني تتسامى وتتصاعد الى
الاعلى ، دائما الى الأعلى !

توقف الحصان أمام دار المحافظة ، من تلقاء نفسه ، لأن الكاهن في
الآونة الاخيرة ، كان يتردد على المكان مرة كل أسبوع على الاقل ليتسقط
أخبار موريتز • وكان الحصان يعرف الى أين يقصد الكاهن كلما جاء الى
المدينة ، لذلك فقد وقف أمام البناء بهدوء • وكان المحافظ دائم التغيب عن
مكتبه ، أما في الحالات القليلة التي يكون فيها موجوداً ، فانه جـــم الاعمال
والمشاغل ، لذلك فان القس الكسندرو كوروغا لم يتوصل أبداً الى التحدث
معه • وكان أمناء السر والحجاب قد عرفوه ، فكانوا يبسمون له باشفاق
كلما رأوه • لكن ابتسامة اليوم التي ارتسمت على وجه أمين السر لم تكن
كالابتسامات التي درج الكاهن على رؤيتها منطبعة على وجهه•قال أمين السر:

---

(١) غيتو : اسم يطلق على احياء اليهود • وقد بنيت هذه الاحياء الخاصة بهم في القرن السادس عشر ـ المترجم ـ

مكتبة محمد الجيار
facebook.كتب.كتب.كتب

ـ ان عطوفة المحافظ مستعد لاستقبالك • سوف يحين دورك خلال نصف ساعة •

انتظر الكاهن ساعة ، وبعدها أدخل الى مكتب المحافظ فقال له :

ـ ان شاباً تابعاً لبيعتي أوقف منذ ستة أشهر وأريد معرفة مكان وجوده ، وأسباب توقيفه • لقد سمعت أنه في واحد من معسكرات اليهود • لكنه مسيحي وروماني • وأنا الذي عمدته بنفسي ، لذلك فقد أردت التوسط لاطلاق سراحه •

قال المحافظ :

ـ انني كمبدأ ، أرفض كل وساطة !

ـ لكن الرجل أحدثك عنه ، ليس مداناً بأي جرم •

فأجاب المحافظ :

ـ لكن الرجل الذي جئت تحدثني عنه ، موجود في معسكر لليهود كما ذكرت بنفسك !

ـ صحيح ولكنه ليس يهودياً •

ـ ان الأمر سواء • فهو ـ باعتباره في واحد من معسكرات اليهود يقع تحت سلطة قوانين وأنظمة مرعية خاصة لا تدخل في نطاق سلطتي • هذا جواب المسألة الاولى • وهناك مسألة ثانية ، وانني أعتبرها رئيسية وهامة ومن أجلها منحتك هذه المقابلة • اليك المسألة الثانية : انني لا أحب أن يتدخل قساوسة محافظتي مع السلطات بشتى وسائل التدخل ، بدلا من أن يصرفوا عنايتهم الى كنائسهم • اننا الآن في حالة حرب ، وينبغي أن يكون كل انسان في مكانه المحدد له • اعتبر انذاري هذا رسمياً • انني لا أحب أن أرغم على اتخاذ خطوات شديدة حيالك شخصياً ، لكنني سأكره على ذلك اذا تكرر منك الامر •

مكتبة ماجد الحيدر
facebook.كتب.كتب.كتب

أجاب الكاهن بهدوء :

ـ ان العمل لخير الانسان والعدالة الانسانية هو بنفس الوقت العمل من أجل الكنيسة ومن أجـــل الله • انني اذا كنت أتدخـل لصالح ايوهان موريتز ، فانني أتدخل لصالح الكنيسة والله ، وهذه هي مهمتي كقس • ان ماوقع لايوهان موريتز غير عادل •

قال المحافظ بصوت حازم شديد اللهجة :

ـ لاوجود للعسف والظلم الا في مخيلتك • اننا في حالة حرب ونحن نحارب من أجل الوطن والكنيسة ضد الرجال • فهـــل تعتقد بأن ارسال شخص ما ليعمل في الحصون ، ويخدم بذلك غايتنا المقدسة عمل جائر ؟

أجاب الكاهن :

ـ ان هذا الشخص انسان • وهذا الكائن البشري قد أوقف وأرسل الى الاشغال الشاقة دون أن يكون مذنباً ، أو أن يمثل أمام محكمة •

ـ ان هذه ترهات يا أبي • لو أننا عنينا بأمر كل شخص على حده ، لاكتسحتنا الموجة البلشفية ، ولاصبحنا الآن معلقين الى الطرف الثاني من حبل متين • بل أنك ستكون أول من يرد هذا المصير • اننا متأكدون من أننا نحارب من أجل الدين !

ـ ان من لا يهتم بشأن الانسان كرجل ، لا يمكنه الادعاء بأنه يناضل من أجل الصليب • لا يمكن أن يكون انسان مدافعاً عن الدين ، وبذات الوقت عدواً له •

ـ لعلك تريد اذن أن نخلي سبيل « موريتزك » وأن نترك البلاشفة يدخلون بلادنا ، فيحرقون كنائسنا ، ويستحيون نساءنا ، ويغلونا في الحديد• أهكذا تفهم معنى النضال من أجل الكنيسة ؟

ـ ان أنبل المثل القومية الاجتماعية أو الدينية ، لا يمكن أن تعذر

مكتبة عبد الحيدر
www.facebook.com/groups/kotob.kotob

حيفاً يلحق برجل واحد • ان تحويل الرجال الى رقيق باسم المسيح ، ليس الا جريمة ضد المسيح •

سأل المحافظ :

ـ هل أنت واثق بأن الشخص موضوع البحث ليس يهودياً ؟

ـ كل الثقة •

ـ اذن ، لقد ارتكب عار مريع ! ينبغي أن يعاقب المذنب • من الذي أعطى أمر المصادرة ؟

فأجاب الكاهن :

ـ لست أدري • انني منذ ستة أشهر لا عمل لي الا سؤال السلطات : الشرطة ، الدرك ، الجيش وفي كل مكان • ولكن لا من يجيب • انهم كلما سألت ، أجابوني بأن الأمر سراً •

قال المحافظ :

ـ ان سلوكهم طبيعي لاغبار عليه • ان هذه الاعمال شديدة السرية • انني أنا الآخر،لا أستطيع أن أعلمك بشيء•ينبغي أن تمر شكواك بالاركان العامة قبل كل شيء • وعندما تتلقى تصريحاً من هناك ، فاننا عندئذ فقط نستطيع أن ننظر في الاضبارات ، لنعلم من الذي وقع أمر المصادرة • واذا كان في الأمر سوء تصرف ، فلك أن تتأكد من أن المسبب سيعاقب عقاباً رادعاً صارماً يكون فيه عبرة لسواه•لكننا لا نستطيع اعطاءك المعلومات التي تريدها، دون أن تكون في يدك ورقة رسمية ، تصرح لك بمتابعة هذه المسألة •

نهض المحافظ ايذاناً بانتهاء المقابلة • لكن الراهب كوروغا لم يتحرك من مكانه • قال :

ـ أيجوز يا سيدي المحافظ ، أن يكون الانسان قـــد انحدر في عدم الاحساس ، لدرجة صار معها كالآلة الصماء ، فيصم أذنه عن نداء اترابه ؟

مكتبة ماجد الحيدر
facebook.كتب.كتب.كتب

انني لا أستطيع الاعتقاد بأنك لم تفهم شكواي • انك انسان • والانسان ذو شعور وأحاسيس وروح • ان الانسان ليس آلة ، فهلا حققت بنفسك الظلامة التي لحقت بايون موريتز في واقع الحال ؟

فقال المحافظ :

ـ لكي أكون شديد الاخلاص معك يا أبي ، ينبغي أن أعترف لك ، بأنني شديد الأسف ، لأنني لا أستطيع خدمتك • انني أعتقد بأنك على صواب • انني أقول لك ذلك لأنني أنا الآخر ابن كاهن • لكنني في واقع الحال لا أهتم باليهـــود ، ولا بالماسونيين ، أو بالحرس الحديدي • ان هذه الأمور شديدة الخطورة ، يمكـــن أن تجلب النحس والضر على كل من يتعرض لها • انني موظف ، ولا أريد أن أقضي عـلى مركزي ومستقبلي بالتدخل في هذه الأمور • هذا كل شيء •

نهض الكاهن كوروغا ، فضغط المحافظ على يده قبل خروجه وقال :

ـ انني آسف اذ لا أستطيع نفعاً لرجلك ••• ماذا كان اسمه ؟ أظنه موريتز ! زرني في مناسبات أخرى ، وستراني في خدمتك •

## - ٣٦ -

توقف الكاهن أمام كنيسة قائمة عند مدخل المدينـــة • كان يفكر في رئيس مخفر درك فانتانا ، وفي المحافظ ، وفي ذلك الضابط الشاب الذي قابله في مركز قيادة الدرك ، وفي كل رجال الشرطة والموظفين الذين تركوه ينتظر على أبواب مكاتبهم ، وهم يحتفظون بايوهان موريتز سجيناً بين أيديهم فرفع قبعته وراح يبتهل بالصلاة التالية :

« لنصل الآن ، من أجل أولئك الذين يمتلكون جـــزءاً حقيراً من السلطة ، لنصل من أجـــل كل أولئك الذين يحققون ثم يعيدون التحقيق للتأكد من صحته ، من أجل أولئك الذين يعطون الصلاحيات ، ويشرعون

مكتبة محمد الجيار facebook كتب كتب

الممنوعات لنبتهل أن لا يؤمنوا بالحرف والرقم ، فيعتبروهما أكثر حقيقة وأشد حياة من اللحم والدم ... واعمل يامولانا ، اعمل على أن لانخلط نحن الآخرين ، نحن المواطنين البسيطين على هذه الارض ، بين الرجل والوظيفة التي يشغلها . اعمل على أن يمثل في ذهننا دائماً ، ان تلك الحالة التي نخضع لها ، ونمر بها ، لم تخلق الا بسبب نفاذ صبرنا ، أو كسلنا أو سوء تصرفنا ، أو خوفنا من الحرية ، أو أخيراً بسبب طغياننا الشخصي ، وأننا بذلك نتحلل من خطايانا ..

فرغ الكاهن من صلاته ، فغطى شعره الأبيض بقبعته ، ومضى في طريق الأوبة الى فانتانا . التقى عند الساحة بالعجوز غولدنبرغ ، الذي كان هو الآخر قد عاد من المدينة . فلما وصل الحصان أمام اليهودي ، توقف . كان الحصان يعرف التاجر اليهودي ، ويعرف أن الكاهن ، كان يحمله معه في عربته كلما التقى به .

## - ٣٧ -

تلقى رئيس مخفر فانتانا ، أمراً بتنظيم جدول ، يحوي على كل ممتلكات اليهود في قريته . فأحصى كل ما يمتلكه العجوز غولدنبرغ في جدول لكنه لم يرسله . كان يعرف أن موريتز ، يقيم هو الآخر في معسكر لليهود . صحيح أن رئيس المخفر ، عندما أرسل موريتز مع أمر المصادرة الى المدينة ، لم يدع بأنه يهودي ، لأنه لو فعل ذلك ، لارتكب خطأ فاحشا لأن موريتز كان رومانياً عريقاً . لكنه سخره حينذاك ، بوصفه شخصاً غير مرغوب فيه ، لأن التعليمات الصادرة بشأن مصادرة الايدي العاملة ، كانت تبيح ذلك بالنسبة لليهود وحدهم ، والاشخاص غير المرغوب فيهم . فكان ماعمله رئيس المخفر اذن ، قانوني ، لأن أي دركي كان يستطيع اعتبار أي كان شخصاً غير مرغوب فيه لأنه لم تكن هناك أوامر دقيقة ، تحدد الخطوط

مكتبة ماجد الحيدر
facebook

التي يجب أن يسير رجال الدرك على هديها • لكن موريتز ، سجل في قيادة درك المدينة في سجلات اليهود • وكان ذلك خطأ قيادة الدرك ، أو بالأحرى خطأ موريتز نفسه ، لأنه كان يحمل اسماً يهودياً • كان رئيس مخفر فانتانا، قد بدأ يشعر بأسف لما وقع منه • لقد ظن بادىء الأمر أن موريتز سيحتجز لبضعة أسابيع • ولكن ستة شهور قد انقضت ، دون أن يعود • وهاهو الآن يتلقى أمراً باعداد جداول تحصي ممتلكات اليهود في قريته • فاذا تحرى الحقيقة ، فان منزل موريتز لا ينبغي أن يصادر • لكن السجلات في قيادة الدرك ، كانت تتضمن اسمين يهوديين في فانتانا : العجوز غولدنبرغ وموريتز !

فلو أنه كتب الى قيادة الدرك بأن موريتز ليس يهودياً لقام تحقيق فوري لمعرفة أسباب توقيف ايوهان موريتز ، وما كان رئيس المخفر يرتضي بمثل هذه الخاتمة لأن سوزانا تستطيع أن تشهد ضده • كذلك كان لا يستطيع أن يدرج بيته وما يملك في قائمة ممتلكات اليهود • لذلك فقد راح يطلب مشورة اليهودي العجوز غولدنبرغ •

ـ اذا طلقت سوزانا زوجها ، فانه يصبح من حقها الاحتفاظ بالبيت ، لأنها ليست يهودية • ولا يمكن اثبات انتسابها الى هذه الطائفة • على كل حال • فان كل اليهود في المدينة الذين تزوجوا بمسيحيات ، قد تصرفوا على هذا النحو •

كان رئيس المخفر يحدث نفسه ، بأن سوزانا لن توافق أبداً على الطلاق • لأنها تعرف بأن موريتز ليس يهودياً ، لذلك فان القضية ستنتهي بفضيحة ، خصوصاً اذا خطر لها أن تستعين بأحد المحامين • فعندئذ سيفتح تحقيق سريع بهذا الصدد !

قال غولد نبرغ العجوز :

مكتبة من الجبير كتب facebook

ـ ان الطلاق يسهل الحصول عليه • اذ يكفي أن تسجل المرأة اقراراً خطياً ، تقول فيها : انها تريد ترك زوجها « لاسباب تتعلق بالنظام القومي » • وعندئذ يمنح الطلاق ، بمجرد ابراز الورقة • بل ان ذلك يتم دون محاكمة ولا مقابلة • ان كل شيء يسوى بطريقة ادارية • انها القوانين الجديدة !

-٣٨-

كتب رئيس المخفر طلب الطلاق بنفسه ، وكأنه سجل بناء على رغبة سوزانا ، ومضى اليها ليحصل على توقيعها على الطلب • قال لها :

ـ ان زوجك في احد معسكرات اليهود ، ولقد تلقيت الآن أمراً بمصادرة بيتكم • لأن زوجك مسجل في الاضبارة بوصفه يهودياً • لكنني أعرف بأنه ليس يهودياً • بيد أن اسمه ، يحمل له الشقاء • فلم يحق الشيطان سمي موريتز ؟

كانت سوزانا تصغي اليه ، وقد اعتمدت ذقنها على الباب • كانت تحدق في وجهه • وفجأة طفرت الدموع من عينيها الكبيرتين الذاهلتين • قالت :

ـ لقد أخذت مني زوجي ، والآن تريد أخذ داري • من الخير لي أن أقتلك ولو كنت دركياً ! لن تحصل على بيتي !

انحنت سوزانا ، فأخذت حجراً كبيراً ، قذفته به من فوق الباب فارتمى رئيس المخفر جانباً ليتفادى الحجر وصاح :

ـ لست أريد أخذ بيتك • لقد أتيتك بهذه الورقة لتوقيعها ، وعندئذ تستطيعين الاحتفاظ بالبيت •

ومد اليها يده بطلب الطلاق وبقلم الحبر • أخذت الطلب ، لكنها لم تستطع قراءته ، لأن عينيها كانتا ممتلئتين بالدموع ، سألت :

ـ ماذا في هذه الورقة ؟

مكتبة ماجد الحيدر
كتب. كتب. facebook

فأجابها رئيس المخفر :

ـ انه طلب طلاق • انه مجرد شكليات ، لتستطيعي المحافظة على البيت •

صرخت محنقه :

ـ أتريد أن تطلقني من زوجي ؟

كانت هائجة كالنمرة الثائرة تريد تمزيقه اربا • لكنه قبض على احدى يديها من فوق الباب ، وراح يحاول تهدئتها :

ـ انها مجرد شكليات ، انه ليس طلاقاً حقيقياً • اذا لم توقعي على هذا الطلب فسأضطر خلال أيام قليلة مقبلة أن أخرجك من البيت • فأين تذهبين مع ولديك ونحن على أبواب الشتاء ؟

صمت سوزانا أذنهـا • ما كانت تريـد سماع شيء ممـا يقول • قالت بعناد :

ـ ان أباني زوجي ، وانني أفضل الموت على الافتراق عنه •

لبث رئيس المخفر أمام الباب قرابة ساعة كاملـة ، فأحست سوزانا بالانهاك • لقد بكت كثيراً خلال تلك الساعة • دخلت الى المنزل لكنها عادت من جديد الى الباب تقذف رئيس المخفر بالحجارة • بل أنهـا أخذت فأساً وهددته بها • لكنها فكرت أخيراً ، أن من الخير لها أن توقع على ورقة تافهة، بدلا من أن تشرد مع ولديها في ذلك الشتاء • سوف يفهم موريتز عند عودته وسيصفح عنها ، لأنها وقعت على تلك الورقة • سوف يتأكد من أنها لبثت مخلصة له وفية على عهده ، وأنها اشتغلت بدأب ونشاط ، فاحتفظت ببيتها ، وعنيت بأولادها ، وأنها لبثت زوجته وحده ، فقط • لذلك فقد وقعت على الورقة • فوضع رئيس المخفر طلب طـلاق سوزانا في جيب بزته الداخلي ومضى • كان مطمئناً ، يستطيع النوم تلك الليلة دون وجل لأنه تأكد من أنه بعد أن حصل على توقيعها ، قد أبعد نهائياً امكانية قيام تحقيق جديد !

مكتبة ما وراء الحديد
www.facebook.com/groups/kotob

ولو أن الرئيس جاء يحقق في الأمر ، لاودع في السجن يومين أو ثلاثة أيام • اما الآن فقد زال الخطر ، فابتسم وراح يصفر •

## - ٣٩ -

كان السجناء في معسكر موريتز ، يستطيعون الفرار بكل سهولة ، لانه لم يكن هناك أكثر من خمسة جنود لحراستهم ، • لكنهـــم كانوا يعرفون أنهم لن يستطيعوا الافلات ، وأنهم اذا قبض عليهم من جديد ، ساءت عاقبتهم • لذلك فانهم لم يحاولوا الفرار •

وقد فر ماركو غولدنبرغ • لكنه لم يكد يبتعد ، حتى صادف وكيل الضابط على الطريق ، فأعيد من جديد الى المعسكر •

جمع وكيل الضابط السجناء قبل ساعة العمل وقال لهم :

ـ ماذا ينبغي أن أصنع ؟ هل أكبل ماركو غولدنبرغ بالحديد وأرسله الى المحكمة العسكرية ، أم أتركه هنا ؟ هل ستتعهدون بحراسته لمنعه من القيام بأية حماقة من هذا النوع ؟

تعهد المساجين بحراسته واحتمال تبعة فراره • كان ماركو غولدنبرغ حتى ذلك اليوم ، بعيداً عن أعمال الحفر • لقد كان مريضا كل الوقت ، فاستخدم كناظر اعاشة في المكتب • لكنه بعد تلك المحاولة أعيد لاعمال الحفر فجاء العجوز لانجبيل ، وحدد له المساحة التي عليه انجاز حفرها يومياً ، وسلمه رفشاً ومحفارا •

رفض ماركو غولدنبرغ • كان يفضل أن تقطع يديه على أن يحفر أخدوداً واحداً في الارض • قال محتجاً :

ـ ان هذا العمل يتنافى ومعتقداتي السياسية •

تحلّق المساجين حوله • لم يكن أحد منهم يحفر القناة ، استناداً الى

مكتبة ماجد الحيدر
facebook.com/كتب.كتب.كتب

معتقدات سياسية • لذلك فقد سرهم جميعاً ارضاء فضولهم بالاصغاء الى ما يقول •

قال ماركو غولدنبرغ :

ـ ان هذه القناة تحفر لتعرقل زحف الجيش الأحمر • وأنا شيوعي ، لذلك فانني لا أريد بأي شكل من الاشكال أن أضع العراقيل في طريق رفاقي !

قدر المساجين موقف ماركو وشجاعته ، وكانوا كلهم على اتفاق حول ذلك • لكنهم لما عرفوا أن حصة ماركو من الحفر ستضاف الى حصصهم في حالة رفضه العمل فيها ، خفت حماسهم بسرعة فائقة • أعطى العجوز لانجبيل اشارة البدء بالعمل ، ووعد بتسوية الأمر •

وما ان بدأ السجناء بالعمل حتى قصد لانجبيل الى حيث كان ماركو واقفاً على حافة القناة ويده في جيبه فوقف بجانبه • قال :

ـ اننا معشر اليهود ، نمتاز بخاصة لا يجارينا فيها أي شعب من شعوب الغرب • اننا نعرف كيف نساوم ونعقد الصفقات • ان شعبنا حكيم ، يقدر التراضي ويحتقر المواقف المغيظة • انها فضيلة احتفظنا بها من الشرق • انك تفهمني ولا شك • ان من يستطيع توفير العنزة والملفوف معاً ، رجل عاقل • لكنك احتقرت الحكمة وتجبرت ، متناسياً أن هذا الموقف الذي اتخذته ، خاص بالشعوب البربرية ، الشعوب العسكرية • ان الامم الراقية المهذبة تستطيع نيل مشتهاها باتخاذ مواقف متعددة معاً ، فتنتقي من بينها دائماً ، الموقف الذي ينطبق على الحالة الراهنة • اذا كنت لن تبالي بهذه الحكمة ، فذلك شأنك ، لقد فهمنا انك لاتريد حفر القناة معنا •

أجاب ماركو

ـ لن أحفر مهما كان الثمن !

مكتبة مجد السير
facebook
كتب. كتب

ـ لكن حصتك من الحفر ، ينبغي أن تحفر كل يوم ، طيلة مدة بقائك هنا . ينبغي أن يقوم أحد بحفرها.لقد كنت حتى اليوم في المستشفى ، ولكن اعتباراً من اليوم ...

أجاب غولدنبرغ :

ـ انني أعرف، ما تقول ، لكنني لن أحفر !

فقال لانجيل :

ـ اذا لم تشتغل ، وجب أن تشتغل بدلا منك . لقد قمنا بذلك اليوم. ولكن ليس من المعقول أن تظل هكذا ، دون عمـــل ، ويداك في جيوبك ، بينما نشتغل نحن من أجلك !

قال ماركو غولدنبرغ باحتقار :

ـ انني لم أسألكم ذلك ! انا شئتم القيام بهذا العمل ، فهو شأنكم . اذا كنتم تجدون فيه متعة ...

ـ اننا لانجد فيه أية متعـــة . وأنت تعـــرف ذلك . لكننا مع ذلك لاستطيع اطلاع وكيل الضابط على موقفك ليرسلك الى المحكمة العسكرية والاغلال في يديك .

ـ قولوا له أنني مخرب ! لمَ لا تذهبون اليـــه وتقولون لـــه ذلك على الفور ؟

قال لانجيل :

ـ اضع الي يا ماركو ، انك دكتور في الحقوق ، وينبغي أن تدرك حقيقة الموقف . اننا لا نستطيع أن نطلب توقيفك وأن نراك خارجاً من المعسكر تحت حراسة الحراب . اننا لا نستطيع عمل ذلك . ان الفاشيست اليوم ، يطاردون اليهود في كل اوربا ، كالوحوش الضارية . لكن الفاشيين أعداؤنا ياغولدنبرغ . أما نحـــن اليهود ، فاننا لا نستطيع أن نطلب سجن

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.facebook

يهودي وسوقه الى المحكمة العسكرية • لكننا كذلك لا نستطيع أن نحفر ونشتغل بدلا عنك • اننا لانكاد ننهي كل يوم ، نصيبنا المقرر من العمل •

سأل ماركو هازئاً :

ـ ما فائدة هذه الموعظة ؟ أتأمل أن تأخذني بالعواطف ؟ اذ ظننت أنك تستطيع اقناعي ، فثق بأنك تضيع وقتك !

قال لانجيل :

ـ لن تبلغ بي السذاجة هذا الحـــد • انك متعصب • وكل متعصب ليس الا وحشاً ثائراً يجدر الابتعاد عنه • غير أن لك أباً وأما • أوه ! انني أعرف أنك لا تفكر فيهما • لكننا نحن نفكر فيهما بدلا منك•انهما ينتظرانك في البيت • انك يهودي ، ولا يمكننا أن ننسى ذلك • انك أخونا ، ان دماً واحداً يجري في عروقنا • ان الأمر كذلك ولو أنك نسيته ، ولهذا السبب ترانا نبحث عن حـــل بالتراض لتعصبك ، ولصالـــح طائفتنا وعواطفنا التي تهزأ منها •

كان السجناء الآخرون ملتفين حولهما ، يصغون الى حديثهما •

قال لانجيل :

ـ انك لا تريد أن تشتغل في القناة لأنها تمثل عائقاً في طريق رفاقك في الجيش الأحمر • لا يمكننا أن نرغمك على العمل ، لكنه يجب أن تقوم بعمل ما ، لا يحمل صبغة سياسية أو عسكرية ، فهل تفضل مثلا أن تنظف المراحيض ؟ اننا نقوم بهذا العمل دورياً ، فاذا كنت توافق على القيام به كل يوم ، فان الذي سيحل دوره في تنظيمها ، سيحل محلك في العمل في القناة • لكنني أخطرك بأنه عمل تتقزز له النفس ، الى جانب المشقة التي فيه •

كان لانجيل العجوز واثقاً من أن غولدنبرغ ، عندما يجد نفسه مرغماً على الانتقاء ، لن يتردد في قبول العمل في القناة • كان يعرف أن أي سجين ،

مكتبة ماجد الحيدر
www.facebook.com/groups/كتب كتب كتب

لا يستطيع مقاومة اشمئزازه من العمل الآخر ، والصمود فيه أكثر من يومين متعاقبين • فكيف الحال اذن بالنسبة لرجل فكر !

ـ فكر في أمرك جيداً • انني أمهلك حتى مساء هذا اليوم •

فقال ماركو :

ـ لا جدوى من الانتظار • لقد اتخذت قراري •

ـ اذن ؟ ماذا ؟

فأجاب غولدنبرغ :

ـ سأنظف المراحيض • انه نشاط انشائي على الاقل • ان العمل في القنال اجرامي ، فاشي ، ومعارض • انني أفضل أن أقوم بتنظيف المراحيض كل يوم ، على أن أساهم في اقامة عارض في وجه رفاقي من الجيش الاحمر •

أمتقع وجه لانجيل العجوز ، بعد أن فشلت خطته • فقال آملا أن يبدل ماركو رأيه :

ـ لعله من الأفضل لك أن تفكـــر مـــرة أخـــرى ، قبل اتخاذ مثل هذا القرار •

فأجابه غولدنبرغ :

ـ لا حاجة مطلقاً الى اعادة التفكير •

وأدار له ظهره •

لم يجرأ أحد من المساجين على الدنو من غولدنبرغ والتحدث اليه ، غير أن ايوهان موريتز وحده ، وجد تلك الجرأة • قال له :

ـ انك مجنون يامارکو ! كيف تستطيع تفضيل تنظيف المراحيض كل يوم ؟ انه أسوأ من الاشغال الشاقة !

فصرخ ماركو :

ـ اغرب عن وجهي ! انني أعرف وحدي ماذا يجب أن أعمل !

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.facebook

فأجاب موريتز :

ـ لايبدو عليك ذلك !

شعر ايوهان موريتز بأن نظرات ماركو غولدنبرغ ، كانت مشابهه كل الشبه لنظرات ايورغو ايوردان •

فابتعد ايوهان موريتز عنه •

ـ ٤٠ ـ

شعر العجوز لانجيل ، غداة اليوم التالي ، بتبكيت في ضميره • لقد تأكد من أنه أساء التصرف حيال غولدنبرغ وكان العجوز شديد الحساسية ، فمضى ذلك المساء الى ماركو ، يحاول حمله على تبديل قراره • كان يريد انتشاله من ورطته بأي ثمن • كان يشعر بأنه محكم عليه بنفسه بذلك العمل•

لم يكن ماركو قد انتهى من عمله • كان قد نقل طيلة يومه ، الدلاء الملآى بالنفايات القذرة من الحفر ، ليلقيها خارج حدود المعسكر ، في الحقول •

كان المطر قد هطل باستمرار ، فكانت الحفرة تمتلىء دائماً بالماء • وأصبحت مهمته شديدة الصعوبة • كان ماركو منهوكاً من التعب • لقد كان هزيلا ضعيف الرئتين • قال له لانجيل :

ـ أظن أنك ستعدل الآن عن رأيك • انه ليس بالعمل الذي يلائمك •

انحدر ماركو الى الحفرة فملأ الدلو ، ثم جمع الاقذار بالمجرفة •

أردف لانجيل :

ـ لو كنت مكانك ، لما استطعت البقاء طوال اليوم في كل هذه القذارة ، وسط هذه الرائحة الكريهة •

لم يجب ماركو • كان لايستطيع الانتصاب ، مع ذلك فقد كان

مكتبة ماجد الحيدر
www.facebook.com/groups/kotob

مستمراً على عمله • حمل الدلوين ، ومر أمام العجوز • فلما عاد قال له لانجيل :

– لسوف تمتلىء بشرتك وثيابك بهذه الرائحة • انك لن تستطيع نيل قسطك من الراحة الليلية بسبب هذه الرائحة الكريهة •

كان العجوز يريد أن يقول له أنه يستطيع أن يعود الى العمل في المكتب ، اعتباراً من صباح الغد • لكن ماركو لم يكن قادراً على الاستماع الى كلامه • لقد كان على آخر رمق • وكان يحمل في يده مجرفة ، فرفعها بين يديه ، وأغمض عينيه ، وضرب بها بكل قواه • أصاب حد المجرفة لانجيل في جمجمته فترنح • غير أن ماركو ماكان يراه في تلك اللحظة • كانت يداه متقلصين على مقبض المجرفة ، فأهوى بها مرة ثانية فثالثة • لكن الضربات كانت في تلك اللحظة ، تصيب الفضاء ، لأن العجوز كان قد سقط على الارض ، اثر الضربة الاولى • لبث ماركو في مكانه والمجرفة في يده • فلما فتح عينيه ، شاهد العجوز لانجيل ، ملقى على الارض ، تحت قدميه ، مشطور الرأس • لم يكن يريد قتله ؟ لقد عمل بوحـــي يأسه ، لكنه لم يأسف على ماعمل •

– ٤١ –

انقضت أربعة أشهر على هذه الحادثة • كان ايوهان موريتز يرى بعين الخيـال ، رأس العجوز قد شطرتـه الاداة الجانيـة الى شطرين ، وماركو وهو يخرج من المعسكر ، بين حراب الجنود • لكن تلك الصورة ، كانت تبدو قديمة باهتـــة ، لفهـــا الماضي في أردانه • كان يتساءل أحيانا ، عما اذا لم يكن قد مضى على هـذه الفاجعة دهر كامل • ان الاموات ، سرعان مايسون • صحيح أن ماركو لم يكن قد مات ، لكن أولئك المحكومين بالاشغال الشاقة ينسون أيضاً بسرعة ، كما ينسى الاموات •

مكتبة ماجد الحيدر
كتب كتب كتب facebook

كان الثلج يتساقط ذلك اليوم ، فأعلن وكيل الضابط ، مجيء أحد الجنرالات في دورة تفتيشية • قال لهم :

ـ اننا ننتظر كذلك زيارة الملك • سيأتي الملك لمشاهدة القناة التي حفرناها • ان الملك هو الذي وضع مخطط هذه القناة بالذات لذلك فانه يود رؤيتها •

راح موريتز يفكر في ماركو الذي يجب أن يكون في تلك اللحظة في أحد المناجم ، يكد ويكدح ، في ظروف شديدة الصعوبة • ثم فكر في الملك الذي وضع بنفسه تصميم القناة • كان يراه الى مكتبه ، يرسم والقلم في يده ، كما لايرى المرء مثل ذلك الا في الصور • كانت القناة طويلة ، يبلغ طولها مائة كيلو متر وتزيد • لكن كل واحد من السجناء لم يكن يعرف منها الا الجزء الذي كان يحفره بنفسه ، لأنه لم يكن يستطيع تصور مسافة أكبر من التي ينجزها • كان عمق القناة ثلاثة أمتار ، وحافتاها مائلتين بانحدار شديد وكانت ستملأ بالماء • أخذ موريتز يحاول تخيّل الماء وهو يجري في القناة ، في ذلك المكان الذي كان يحفر فيه في تلك اللحظة • نما اليه أنه بعدالحرب ، ستسير البواخر في تلك القناة ! أما الآن فانها تحفر لعرقلة الزحف الروسي • لذلك فان العمل فيها سري ، والملك وحده وعدد من جنرالاته هم الذين يعرفون مكان تلك القناة وسرها • لقد أطلعهم وكيل الضابط على ذلك • كان موريتز يحلم غالباً بالملك والى جانبه بعض الجنرالات ، يتهامسون وينحني بعضهم على آذان بعض يتحدثون •

كانوا يتناقشون بشأن القناة التي اشتغل في حفرها ، هو ، موريتز ! لقد أدرك السبب الذي من أجله ، كان السجناء ممنوعين من الكتابة الى ذويهم ، الى زوجاتهم وأطفالهم • كان ينبغي أن يظل سر القناة مكتوماً ، يجهله الروس • لقد أنبأهم وكيل الضابط ، بأن للروس جواسيسهم ، وأن هؤلاء

مكتبة مجد الجبار
www.facebook.com/groups/kotob

منتشرون في كل مكان ، يحاولون أخذ رسوم القناة التي يشتغل فيها ، هو ، موريتز • لكن رجال الشرطة كانوا أبـــداً يعتقلون أولئك الجواسيس • لذلك فان المساجين ، لايمكن أن يخلى سبيلهم ، لأنهم اذا عادوا الى بيوتهم ، فان سر القناة لاشك سينتشر ويذيع •

كان ايوهان موريتز ، يود من صميم قلبه ، أن يعود ذات يوم بعد الحرب ، الى هذه القناة ، برفقة سوزانا زوجته ، وولديه ، ليريهم الامكنة التي اشتغل فيها • ستكون القناة عندئذ مملوءة بالماء لكنه هو ، موريتز ، كان يعرف المواضع التي حفرها • كان قـد حددها في ذاكرته ، ليرجع اليها بعد الحرب • سوف يذهل ولداه • لن يصدقا أنه كان في ذلك المكان بالذات ، قبل القناة ، حقل شاسع تمر فيه الماشية • سوف يرويان الخبر لزملائهما في المدرسة ، ويقصان عليهم عمل أبيهما المجيد ••• سوف يفخران بأب مثله ! لأن الاولاد الآخرين لن يكون لهـــم آباء أتموا مثـــل هذا المشروع الجبار • لقد كان موريتز فخوراً بعمله • حقيقة أنه كان شديد القلق في بداية الأمر لايني يفكر في البيت : لعلّ اللبنات قد جفت أكثر مما ينبغي فتلفت ، لعل سوزانا لم تستطع نقل الأخشاب من الغابة ، لعلها لـم تتمكن من قطف الذرة كلها ••• الخ ••• كانت تلك الأفكار تحرمه نوم الليالي • لكن ذلك العذاب ، لم يدم الا ريثما أمضي فترة في المعسكر • وبعدئذ ، تبدلت آراؤه رويداً رويداً ، حتى بات يقول في نفسه : لاشك أن سوزانا رتبت الامور كما يجب ، ان كل ماتعجز عن عمله بجهودها كامرأة ، سيعود هو لينجزه بعد قليل • كان منذ ذلك اليوم الذي خلع فيه سراويله متعرضاً لفحص وكيل الضابط الذي اقتنع أخيراً بأن موريتز ليس يهودياً ، لاينفك يأمل في اطلاق سراحه • كان يعتقد بأن أمر اخلاء سبيله قد وصل منذ زمن طويل الى المعسكر • لكن اطلاق سراحه ، كان متعذراً قبل أن ينتهي من حفر القناة • وسيحضر الملك وجنرالاته لرؤية القناة

مكتبة ماجد الحيدر
كتب كتب كتب facebook

التي ساهم في حفرها ، وسيصدرون حكمهم ، وبعدئذ ، سيطلقون سراحه • لم يعد موريتز حاقداً على الدولة لأنها أرسلته الى هنا • كان باديء الأمر ، حاقداً على الجندي الذي رافقه من فاتانا الى المدينة ، ناقماً على رئيس مخفر فاتانا الذي كان يعتقد بأنه هو الذي « صادره » • بل أنه لازال ذلك الاعتقاد راسخاً في نفسه حتى اليوم ، لكن نقمته قد خبت • وعندما سيعود الى القرية ، سيرفع قبعته ، محيياً رئيس المخفر دوبريسكو اذا صادفه ، تماماً كما كان شأنه معه في الماضي • لكنهم لو أطلقوا سراحه قبل سبعة أشهر مثلا ، وقابل رئيس المخفر ، لادار له ظهره بل لأهانه أيضاً ، لأنه تعرض لسخريته اللاذعة لما أبلغه أمر المصادرة • غير أن غضبه قد تبخر الآن ، بعد هذا الوقت الطويل • ان كل شيء يزول بفعل الزمن • كان يعرف أنه سيعود الى داره عما قليل • كان يذوي حنيناً لزوجه ، وأولاده ، وقريته • لاشك أن الاولاد قد نموا خلال هذا الوقت • سيركض « بيترو » بخطواته المتعثرة ، لاستقباله أمام الباب ، سوف يرفعه بين ذراعيه ، وسيضم ولده الثاني ، نيكولاي ، الى صدره ! كان موريتز يهدهد هذه الاحلام في خياله • كان يرى نفسه واقفاً أمام منزله ، والصورة التي تمثلها عن ولديه ، تخرج الى حيز التنفيذ والحقيقة • سوف يقص على سوزانا كيف اشتغل ، وأين كان يشتغل • لكنه لن يحدثها عن الضربات التي نالها واحتملها ، وسوف يكتم عنها أنه كاد أن ينفق من الجوع • اذ مافائدة التحدث بـه اليها ؟ سوف يقول لها فقط : انه تعلم البيديش ، وان أحداً من المعسكر ، حتى من اليهود أنفسهم ، ماكان يصدق أنه روماني • لم يصدقوه ، الا بعد أن أمره وكيل الضابط بخلع سراويله ، ليتأكد بالنظر الى •••• لسوف تضحك سوزانا ، وسوف تغرق في الضحك ، لما يعلمها بأن وكيل الضابط أمر سترول ، المولـــج بشؤون الاعاشـــة في المعسكر ، بفحصه كذلك • سيحدثها بأن وكيل الضابط وسترول ، وقفا ذاهلين وقالا له :

مكتبة مازن الحيدر Facebook كتب كتب كتب

ـ ينبغي لنا أن نخرجك من هنا ، لأنك لست يهوديا ، ولأن الملك أمر أن يحفر اليهود وحدهم هذه القناة .

سوف تسعد سوزانا عندما ترى أن كل المضايقات والمصاعب قد انتهت ، وأنه عاد الى مسكنه . سوف تقترب منه مدلهة في حبه ، وستقول له وهي تلتصق به :

ـ انك زوجي ، انك أغلى عندي من الشمس التي تلتمع في كبد السماء!

تلك كانت أحلام موريتز ، وهو ينتظر زيارة ذلك الجنرال . لكنه أنبيء ذلك اليوم بالذات ، بأن الجنرال لن يحضر الا في الغد . فتفرق المساجين ، بعد أن كانوا منتظمين صفوفاً مرتبة ، ويبد كل منه محفرته .

استدعي موريتز الى المكتب . قال له سترول :

ـ ان وكيل الضابط يريد أن يحدثك .

شعر موريتز بوجيب قلبه يشتد ويتعالى . حدث نفسه بأن أمر الافراج عنه قد وصل . لذلك فقد استدعاه وكيل الضابط الى مكتبه . لكنه لم يسأل سترول عن ذلك . كان يجهد في اخفاء سروره ، لأن ظلا من الريب كان يمتد على الحرية المنتظرة . كان يعرف أنه سيطلق سراحه بعد الانتهاء من حفر القناة ، لكن القناة لم تنته بعد . لذلك فان هذا الخبر السار قد سقط عليه من السماء . كان وكيل الضابط يرتدي كسوة جديدة . وكانت أرض المكتب مغسولة بالماء ، استعداداً لزيارة الجنرال ، وطاولة المكتب مغطاة بالورق الازرق النظيف ، والاضبارات مرتبة بعناية ، في رزمة صغيرة . توقف موريتز أمام الباب وحيا . كان شديد اللهفة لمعرفة الخبر السار ، لكنه كان يتصنع الجهل بكل شيء ، لأنه ماكان يريد أن يبدو في فرحته كالاطفال الصغار . كان هناك الى جانب وكيل الضابط ، الطبيب صاموئيل أبراموفيسي . لقد كان هذا الطبيب في عداد المساجين .

مكتبة ماجد الحيدر
facebook
كتب كتب كتب

لكنه توصل الى توثيق عرى الصداقة مع وكيل الضابط ، فكان لايبرح مكتبه • جلس سترول في زاويته أمام منضدته الصغيرة المغطاة ـ هي الاخرى ـ بالورق الازرق • كانوا كلهم يحدقون في وجهه بعيون متسعة ! كانوا عابسين • وأخيراً بدأ وكيل الضابط الحديث :

ـ موريتز ، يافتى ، ان زوجتك قد طلقتك ! انها لم تعد زوجتك •

واستمر يفتل شاربيه بهدوء وأردف :

ـ لقد أرسلوا الينا اعلام الطلاق الذي ينبغي أن توقعه ، لتثبت بأنك اطلعت عليه •

وضع وكيل الضابط الورقة على حافة المكتب ومد الى موريتز يده بالقلم • لكن موريتز لم يتحرك من مكانه • استرسل الضابط :

ـ ان الطلاق قد طلب ، بناء على أسباب قومية دينية • انها لاتريد أن تكون زوجة يهودي !

واسترسل وكيل الضابط بلهجة عاتبة :

ـ مع ذلك ، فقد قصصت عليّ سلسلة من الاكاذيب تؤكد أنك مسيحي وروماني ! لقد كنت تريد خداعي ، هم ؟ انك ماكنت تعتقد أنك تتعامل مع ثعلب عجوز أشد مكراً منك ! انني لم أرسل شكواك ، وأراني قد أحسنت صنعاً ! ان زوجتك تطلب الطلاق منك لأنك يهودي • انها تعرف أكثر من أي آخر لون رجلها الديني ، أليس كذلك ؟

راح وكيل الضابط يبتسم • لكنه لما نظر الى وجه موريتز ورآه يشحب ويمتقع ، اختفت ابتسامته • قال :

ـ ان كل النساء كذلك ! لاشك أنها منذ أن ذهبت ، فتشت عن رجل آخر ! ان النساء كلهن ساقطات ! باه ! لايجب أن تحزن ••••

مكتبة مدرسة الجيزة كتب كتب facebook

ود موريتز لو يمزق وكيل الضابط اربا • ماكان يستطيع تقبل القول بأن زوجته ساقطة • راح يصرف على أسنانه والغضب يعصف في كيانه • حاول بما أوتي من جهد أن يتمالك نفسه ، لكنه شعر بجفاف في حلقه • كان على وشك الانفجار •

قبض أصابعه وبسطها ليمتنع عن ضرب وكيل الضابط • كان يريد أن يضرب كل من كان حوله • قال :

ـ ان زوجتي ليست ساقطة •

فأجابه وكيل الضابط :

ـ انك صادق في قولك • انك رجل ذو زوجة غير ساقطة ، لأنك لم تعد زوجاً لأحد • لقد كنت زوجاً حتى ••••

وأخذ وكيل الضابط الورقة التي كانت على حافة المكتب ، وعاد يقرأها ، ثم استرسل مردفاً :

ـ حتى اليوم الثلاثين من كانون الثاني • ان هذا هو تاريخ منحها الطلاق • لقد أصبحت منذ هذا التاريخ عزباً •

عاد وكيل الضابط يبتسم ، وكذلك الطبيب أبراموفيسي • لكن ابتسامة هذا الأخير كانت باهتة • قال موريتز :

ـ ان زوجتي لم تطلب الطلاق ! انني أعرف سوزانا •

فقال وكيل الضابط :

ـ اذا كنت لاتريد التصديق ، فذلك شأنك • لكن ينبغي أن توقع على هذا العقد اشعاراً باطلاعك على الطلاق ، وعودتك الى حياة الشباب !

قال موريتز بعناد •

ـ انني لست عزباً •

مكتبة ماجد الحيدر
facebook
كتب. كتب. كتب

ـ حسناً ! انك لست عزباً • لكن ينبغي أن توقع على هـذا العقد رغم ذلك !

حدق موريتز في قلم الحبر الذي كانوكيل الضابط يقدمه اليهوهتف:

ـ لن أوقع على شيء !

غضب وكيل الضابط ، واحمرت وجنتاه • تذكر أنه عسكري ، وأن جواب موريتز كان لوناً من العصيان • فصاح آمراً :

ـ وقع ! أتنس مركزك ؟ هل فقدت صوابك ؟

أخذ ايوهان موريتز القلم • كان في تلك اللحظة ، قد تلقى أمراً وجبت عليه طاعته •

كتب اسمه على الورقة ، في المكان الذي وضع وكيل الضابط اصبعه عليه بأسفلها ووضع القلم على المكتب ، ثم استدار ليغادر الغرفة • كانت عيناه مملوءتين بالدموع ، ورأسه يدور • فقال وكيل الضابط :

ـ اقرأ ! ينبغي أن تعرف ماوقعت عليه •

فأجاب موريتز :

ـ لاحاجة الى القراءة ! انني أعرف أن الامر ليس صحيحاً •

هم بفتح الباب للخروج ، لكن يده كانت تتلمس في الظلام ، فلم يرفق في العثور على أكرة الباب •

قال الطبيب أبراموفيسي ، وهو يمد يده اليه حاملة علبة « السجاير » :

ـ ابق ريثما تدخن « سيجارة » •

عاد موريتز على أعقابه ، وأخـذ اللفافة وراح يدخن • لـم يذكر الزمن الذي قدم له الطبيب اليهودي النار ليشعل لفافته • كان يبذل جهداً كبيراً لتحديد الزمن • غير أنه لم يكن يرى حتى تلك اللحظة ، الا لهب الزناد ، اللهب الأصفر ، يتراقص أمام عينيه ، ويتسع بافراط •

مكتبة ماجد الحيدر
كتب كتب كتب .facebook

سأل الطبيب :
ـ هل لديك أطفال ؟

انتبه موريتز من استغراقه ، وأجاب على السؤال • لكنه شعر أن الجواب لم يصدر من فمه هو • أحسّ كأن شفاهاً أخرى هي التي كانت تتحرك فخرج من المكتب ، دون أن يدري كيف خرج ، ولبث بقية النهار مستلقيا على الارض المكسوة بالثلوج ، على حافة القناة • لم يكن يشعر بالبرد • كانت ألوف الافكار تدوي في رأسه وتموج • وكانت الورقة التي وقع عليها ، تثير غضبه كلما عاد في تفكيره اليها •

في صباح اليوم التالي ، مضى الى وكيل الضابط ، فطلب رؤية الورقه وقرأها • كان حتى تلك اللحظة ، لايصدق ماسمع • أما الآن ، فقد رأى أن الأمر كان حقيقة • لقد طلبت سوزانا الطلاق منه ، لأنها اعتقدت هي الاخرى بأنه يهودي ! ولاشك أنها وجدت رجلا آخر •

لم يعاوده الغضب لما كرر وكيل الضابط قوله ، بأنه أضحى عزباً • صحيح أن يداً خفية كانت تعتصر قلبه ، لكنه لم يغضب ، لأنه أدرك صدق قول الضابط وتحقق منه ، لقد قرأ الحقيقة بأم عينيه !

## - ٤٢ -

بدا وكيل الضابط صباح اليوم التالي ، مرتدياً كسوته الجديدة أيضاً ، وانتظر السجناء حتى الظهر ، وهم في صفوفهم على طول القناة • غير أن الجنرال لم يحضر •

وفي اليوم الثالث ، عاد وكيل الضابط الى ثوبه القديم • أعلن أن الجنرال ساخط ، لذلك ، فانه لن يحضر لرؤية القناة •

لبث المساجين أسبوعاً كاملا لايشتغلون • ثم انتقل المعسكر الى الشمال •

مكتبة ماجد الحيدر
facebook.كتب.كتب.كتب

كان السجناء حتى ذلك اليوم ، يحفرون في أرض رخوة صفراء ، أما الآن ، فقد وجب حفر القناة ، في أرض صخرية .

أخذ وكيل الضابط السيارة الكبيرة ، ومضى ليحضر أدوات جديدة ، لأن الادوات القديمة ماكانت تصلح للحفر في المناطق الصخرية . لبث متغيباً ثلاثة أيام ، عاد بعدها بحمولة سيارتين كبيرتين من الادوات الجديدة الصالحة لتحطيم الصخور والحفر في الاراضي الصعبة المتينة . أصبح العمل شاقاً صعباً والطقس شديد البرودة . ظل موريتز يكدح طوال ذلك الشتاء . كان الغذاء رديئاً والرجال يتساقطون كالذباب ، بين مريض وميت . لكن موريتز لـم يمرض . لقد أصيب بألـم في حلقه دام أسبوعاً ، ثم تماثل للشفاء . كان العمل يسير ببطء شديد . لقد كانوا في شهر نيسان في المكان الذي بدأوا منه قبل أربعة أشهر . لم يحفروا أكثر من عشرات الأمتار . كان يقال ان خمسمائة الف رجل قد حفروا القناة ذلك الشتاء . مع ذلك ، فان العمل كان سيستمر كل ذلك الصيف ، ولن ينتهي الى خريف العام التالي . وفي تشرين الاول ، ستملأ « القناة » بالماء . لكـن السجناء ، تلقوا أمراً بعد بضعة شهور بالكف عن العمل . أبلغهم وكيل الضابط ، أن أركان حرب الجيش قد عدل عن حفر القناة ، وأن الملك شارل الثاني قد خلع عن العرش ولاذ بالفرار ، وأن كل « الجنرالات » الذين ساعدوه في وضع مخطط القناة ، قـد عزلوا وفروا معه ، وأن عـدداً من « الجنرالات » الآخرين ، قد احتلوا القصر في تلك اللحظة ، وأن هؤلاء « الجنرالات » ، يؤكدون أن تصميم حفر القناة ، غير نافع ولامجد ، فأصدروا الأمر بالتوقف عن العمل . حمل اليهود في قطارات ، ونقلوا الى الحدود الغربيـة من رومانيا ، لاقامة حصون هناك ضد هونغاريا .

ولما غادر ايوهان موريتز المعسكر الى الحدود ، كان شديد الأسف ،

مكتبة ماجد الحيدر
كتب كتب كتب .facebook

لأن الملك لم يحسن وضع مخطط القتال ، ولأن العمل الذي قام به هو وزملاؤه أصبح عديم النفع والجدوى .

- ٤٣ -

كان المعسكر الجديد ، قد أقيم في غابة ، على الحدود الرومانية الهنغارية . لبث السجناء ثلاثة أيام كاملة ، ( ٧٢ ساعة ) ، في القطار . لقد حملوا معهم أدواتهم التي استعملوها في حفر القناة . أما وكيل الضابط ، فقد حمل معه مكتبه الكامل ، ذلك الكوخ الخشبي ، ونقله بواسطة القطار ، بينما نقل سترول مصنفاته واضباراته . أما المساجين ، فقد نقلوا القمل الذي وجد في أجسادهم مرتعاً خصباً ، فكان كل منهم يحتفظ بعدد كبير منه ! غير أن الادوات القديمة ، لم تكن ذات فائدة في المعسكر الجديد . كان عملهم الجديد مقتصراً على قطع الاشجار لاقامة التحصينات . ولم يكن ايوهان موريتز قد رأى طيلة حياته تحصينات عسكرية ، بل أنه لم يكن يعرف كيف تشاد وتقام . مع ذلك فقد كان يقطع مع زملائه المساجين غابات كاملة ، وينقلون جذوعها الى الحدود .

كانت هناك ألوف مؤلفة من الرجال ، دأبهم قطع الاشجار ونقل الجذوع عبر الوادي واليه .

كان ايوهان موريتز يتوق الى رؤية التحصينات ، لكنه لم يفلح قط في رؤيتها . كان يعتقد بأنهم سيقيمون من تلك الاخشاب سوراً هائلا مرتفعاً بين الهنغاريين والرومانيين . ولعل ذلك هو رأي أركان حرب الجيش ، انه لايدري من الأمر شيئاً ، لكنه كان ينتظر بفارغ صبر أن يرتفع السور الهائل الذي سيفصل بين البلدين . ولما ينتهي بناء السور ، سيستطيع هو ، موريتز ، أن يراه من مكانه ، في أعالي الغابة . لقد سمع بأن الهنغاريين يقيمون تحصينات مماثلة على حدودهم ، فكان ايوهان

مكتبة ماجد الحيدر
facebook كتب كتب كتب

موريتز ، يتحرق شوقاً لمعرفة أي سور سيكون أعلى من الآخر وأكثر ارتفاعاً • كان يسرد سماع وكيل الضابط يقول : ان التحصينات الهنغارية لاتساوي شروى نقير ، وان الرومانيين يستطيعون تخطيها في ليلة واحدة لو شاؤوا ، بيد أن الرومانيين ماكانوا يريدون ذلك • كان ايوهان موريتز يتخيل مرور الجنود الرومانيين الى هنغاريا ، بل أنه كان يتوق الى رؤية ذلك الخيال يتحقق • ولو أنه كان هناك عند نشوب القتال ، لأمكنه رؤيتهم وهو في مكانه من الغابة• كان وكيل الضابط يؤكد لهم أن التحصينات الرومانية ستبلغ مبلغاً في الارتفاع ، لن يستطيع معه أي عصفور أن يحلق فوقها • وكان موريتز يتصور أن تلك التحصينات ، سكون مرتفعة « جداً جداً » لأنه كان يعرف أن هناك بعض الطيور تبلغ في تحليقها مبلغاً تكاد العين تعجز عن رؤيتها ، بسبب شدة ارتفاعهـــا • فاذا كانت تلك الطيور ، لن تستطيع تخطي التحصينات الرومانية والتحليق فوقها ، وقد أكد وكيل الضابط ذلك ، فانها ـ أي التحصينات ـ ستكون عجيبة ، حتى أن من يكون أسفل السور ، لن يستطيع رؤيـة من يكون في أعـــلاه لأنه سيكون عندئذ مرتقياً قمم الغمام والسحب ، متسامياً الى السماء • كان ايوهـان موريتز يتساءل عن المكان الذي ستحتله الجذوع التي يقطعها بنفسه • كان يود لو يؤشر عليها بعلامة فارقة ليستطيع تمييزها في مكانهـا من السور • لعل تلك الجذوع ستكون في القمة المرتفعة السامية • كان ايوهان موريتز يفكر كل يوم في مثل هذه الأمور وهـو منهمك في قطع الأشجار • لذلك فقد مر الوقت بسرعة ، وهو مستغرق في تلك الأحلام التي كان يمكن أن تكون حماقات سخيفة ! والحقيقة أنه لو أتيح لأحد اكتشاف أفكاره وتخيلاته ومعرفة تفاصيلها ، لضحك حتى يستلقي على قفاه • مع ذلك ، فقد كان معجباً بآرائه • لم يكن يريد التفكير في بيته وقريته • كان مجرد التنويه بهذه الاشياء يدفع الدم الى رأسه !

مكتبة عبد الحميد كتب كتب facebook

وذات يوم جميل ، جاء سترول يبحث عنه في الغابة ويدعوه للمثول في المكتب • لم يكن موريتز ، منذ أن وقع على تلك الورقة المشؤومة ، قد استدعي الى المكتب قط ، ولم تطأ قدماه عتبته • كان لايستطيع نسيان تلك الكارثة كلما دخل المكان ، ورأى المناضد والاضبارات ، ووكيل الضابط • كان الركن الذي وضع وكيل الضابط الورقة عليه ودعاه الى التوقيع عليها ، ماثلا أمام عينيه ، وكان يذكر أبداً ، كيف أسند مرفقه الى المنضدة ، وهو يكتب اسمه على المعاملة • لذلك فانه ماكان يود العودة الى المكتب أبداً • لكنه بعد أن استدعي رسمياً ، لايسعه الا أن يطيع • لم يكن وكيل الضابط في المكتب ، بل كان هناك الطبيب أبراموفيسي ، وسترول والطاهي ، واسمه هورتيج • حياهم موريتز فردوا له تحيته بتودد ، وقدموا اليه مقعداً •

قال الطبيب أبراموفيسي :

ـ ان وكيل الضابط ليس هنا ، لذلك نستطيع أن نتحدث بحرية وهدوء •

قدم اليهودي « سيجارة » الى موريتز • كان ذلك الطبيب يحصل دائماً على لفافاته ، وكانت أبداً من النوع الثمين • استطرد الطبيب :

ـ يانكل ، لقد هجرتك زوجتك •

فامتقع وجه موريتز وزمجر قائلا :

ـ ان هذا ليس من شأنك • انه أمر يخصني وحدي ، وليس لسواي أي علاقة به !

فقال الطبيب أبراموفيسي ملاطفاً :

ـ أردت أن أقول لك فقط ، أن أحداً لاينتظر أوبتك الى البيت اذا غادرت المعسكر • انني أعتقد شخصياً بأنه لن يستطيع أحد أن يغادر المعسكر قبل انتهاء الحرب • والحرب قد تدوم عشر سنوات !

مكتبة ماجد الحيدر
كتب. كتب. كتب. facebook

زفر ايوهان موريتز متوجعاً • انـــه اذا لبث في المعسكر عشرين أخرى ، فلن يخرج منه الا وقد غدا شعره أبيض •

سأل الطبيب :

ـ هل تود الذهاب الى بلد آخر ؟

تذكر موريتز ، أنه أراد مرة الذهاب الى امريكا مـــع غيتزا ايون • وراح يحدث نفسه بأنه « لو أمطرت السماء ذلك اليوم ، لو لم يقابل سورانا تلك الليلة لكان الآن في امريكا ••• نعم لو أنه لم يقابل سوزانا تلك الليلة ، لكان اليوم في مكان بعيد ، ولما كان يمكن أن يكون في معسكر اليهود •

قال بمرح :

ـ انني أود من كل نفسي أن أذهب ! لقد اعتزمت الذهاب الى أمريكا ذات يوم ، لكن ذلك لم يتم •••

فأجابه الطبيب أبراموفيسي :

ـ لكن ذلك سيتم هذه المرة • اذا كنت تريد الذهاب ، فانك خلال بضعة أشهر ستكون في أمريكا •

نقل موريتز بصره بـــين أبراموفيسي وسترول وهو رتيـــج • كانوا يحدقون في وجهه بدورهم • كان يرى بوضوح أنهم لايهزأون منه • ولو أن الأمر كان للدعابة والمزاح ، لما استدعوه من الغابة • قال :

ـ انني أتلهف الى ذلك •

فقال الطبيب :

ـ لا توجد قوانين ضد اليهود في هنغاريا • ولـي أخت متزوجة في بودابست ، تقطن هناك ، وهي تنتظرني • وللسيد هورتيج أيضاً أقرباء في هنغاريا • لكننا في حاجة الى من يساعدنا في نقل أمتعتنا•ان لدي أمتعة كثيرة :

ست حقائب .. لقد نقلت معي كل ما هو ثمين . فاذا بلغنا حدود هنغاريا ، فلن يكون أمامنا الا بضعة كيلو مترات نجتازها مشياً على الاقدام ، لذلك فانني لن أستطيع حمل حقائبي وحدي . وقد فكرنا فيك .

سأل موريتز :

ـ لكن كيف يمكننا الخروج من هنا ؟

فأجابه الطبيب :

ـ سوف ينقلنا وكيل الضابط في السيارة حتى الحدود . لولا ذلك ، لما استطعنا مغادرة المعسكر ، لأن الجنود يحرسون كل الطرق ، لكننا سنكون في سيارة عسكرية .

ـ هل يعرف وكيل الضابط أننا سنلوذ بالفرار ؟

قال هورتيج :

ـ طبعا ! انه رب عائلة عديدة الافراد ، وهو في حاجة الى المال . فلو أنك كنت مكانه أما كنت تعمل مثل ما عمل ؟

لم يجب موريتز على هذا السؤال ، فقال الطبيب أبراموفيسي :

ـ خذ هذه « السيجارة » واذهب فهيء ما يلزمك ! لكن انتبه . لا ينبغي أن يكون حملك ثقيلا ، ولا يجب أن يعرف بأمرنا أحد من المساجين .

سأل موريتز :

ـ هل أذهب على الفور ؟

ـ بأسرع ما يمكن ! ان وكيل الضابط ينتظرنا في تمام الساعة التاسعة أمام الباب في السيارة . فاحمل الخفيف من أمتعتك ،لأنك ستحمل حقائبي.

مضى ايوهان موريتز ، وعاد بعد قليل ، وقد أودع قميصه وسراويله

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.facebook

القديمة في رزمة صغيرة ، الى جانب نصف رغيف من الخبز .

-خرج الهاربون من المعسكر في الساعة التاسعة ، وكان وكيل الضابط في مكانه ينتظرهم ، فنقلهم الى الحدود في السيارة العسكرية .

لم تبلغ الساعة الثالثة صباحاً ، حتى كان ايوهان موريتز ينقل حقائب الطبيب أبراموفيسي الى الاراضي الهنغارية . ولما بزغ الفجر ، بلغوا احدى المحطات . فأعطى الطبيب بعض المال الى موريتز ، ليشتري أربع تذاكر الى بودابست في الدرجة الثانية .

- ٤٤ -

في احدى الحفلات التي أقامتها مفوضية فنلندا في بوخارست ، تعرف تريان كوروغا بالجنرال توتو Tautou ، وزير الحربية الروماني . وبعد أيام ، زاره تريان في وزارة الحربية وبسط أمامه مسألة ايوهان موريتز ، فأصغى الجنرال الى أقواله بانتباه ، وأخذ مذكرة باسم موريتز ومهنته ، وتاريخ ولادته ، وتاريخ توقيفه وقال :

ـ لن ينقضي أسبوع على أبعد حد ، حتى يكون رجلك مطلق السراح ، سأعطي الأوامر حالا لاعادة النظر في هذه القضية ، ولاعداد أوراق اطلاق سراحه . اننا اليوم في ...

ونظر « الجنرال » الى النتيجة التي على مكتبه واردف :

ـ الواحد والعشرين من آب . حسنا ، يمكنك أن تعود الي في الثامن والعشرين منه . وسأعطيك أمر اطلاق سراح الرجل .

وبعد فترة صمت سأل :

ـ هل هذا الـ : موريتز خادم أبيك ؟

فأجابه تريان :

مكتبة ماجد الحيدر
كتب كتب كتب facebook

ـ بل هو موضع سره • انه ليس خادماً بمعنى هذه الكلمة •

قال الجنرال دون أن يصغي الى تريان :

ـ ان في الريف أزمة في الأيدي العاملة • انني أفهم سبب اهتمامك الكبير بهذا الأخرق المسكين • ان زيادة رجل أمر هام في البيت ، خصوصاً واننا الآن في موسم الحصاد •

واستمرت المحادثة على هذا النحو •

أراد تريان كوروغا أن يفسر للجنرال انه اذا كان يتوسط في قضيه موريتز ، فان سبب ذلك لا يرجع الى كونه خادم أبيه أو الى أنه في حاجة اليه في الحقل ، بل لأنه أوقف دون سبب ولا مبرر • قال :

ـ ان تدخلي في الموضوع ، ليس الا عملا انسانياً ، انه عمل مجاني !

فقال الوزير :

ـ انني أنا الآخر ، مرغم على التصرف مثلك • انني أتردد غالباً على الريف لأبارك أشخاصاً أو أزوجهم • اننا اليوم مرغمون على سلوك كل السبل الممكنة مع هؤلاء القرويين لنجعلهم يشتغلون بحماس • ينبغي أن نجعلهم أبداً يتخيلون أننا أصدقاؤهم ، حتى ولو اقتضى هذا الأمر الجلوس معهم الى مائدة طعام واحدة • انني أفهم تماماً ما تريد قوله • ان أباك اليوم ، في مثل هذا الموقف الذي أشرحه لك •

وفتح الجنرال درجاً في مكتبه ، أخرج منه نسخة من رواية تريان الأخيرة ووضعها على المكتب • كانت النسخة جديدة لم تقطع أوراقها بعد • قال مشيراً اليها :

ـ لقد أرسلت تابعي الى المكتبة لشرائها ، فهل تتلطف بكتابة اهداء الى ابنتي ؟ ان اسمها اليزابيث ، ولها من العمر ثمانية عشر عاماً • انها تلتهم

مكتبة ماجد الحيدر
Facebook كتب كتب كتب

الروايات التهاماً ، وأنت أحد كتابها المفضلين • سوف تطرح علي عدداً من الأسئلة ظهر اليوم ، حينما أقص عليها على المائدة نبأ زيارتك لي • سوف تسألني عن ثوبك ، وربطة عنقك ، ونوع اللفافات التي تدخنها • ان هذه هي عادات الشباب ، فماذا تستطيع حيالهم ؟

هبط تريان سلم وزارة الحربية ، متأكـــداً من أنه في هـــذه المرة ، سيحصل تأكيداً على أمر اطلاق سراح موريتز • مضى في طريقه الى بائع الزهور ، فأخذ باقة الورد الابيض التي كان أوصى عليها ذلك اليوم بالذات ، ثم قصد الى مكتب البريد ، حيث طير البرقية التالية لأبيه : « سأكون في فانتانا ٢٩ آب مع خطيبتي وأمر اطلاق سراح ايوهان موريتز » •

- ٤٥ -

سألت اليونورا وست :

ـ سنكون في التاسع والعشرين من آب في فانتانا ، في منزل أبيك ؟

كانت مسرورة منشرحة الصدر • أردف :

ـ خلال أسبوع أليس لذلك ؟ وددت لو كنت الآن هناك !

أخذت باقة الورد الأبيض من يد تريان كوروغا ووضعتها في الزهرية • بينما راح تريان يتأمل صامتاً خصلات شعرها الاحمر ، الذي كان يصل الى كتفيها ، ويمتزج بلون ثوبها الحريري الاسود وينظر باعجـــاب الى قامتها وساقيها الدقيقتين •

ـ نورا ، أتدرين ماالتساؤل به كلما نظرت اليك ؟

أدارت وجهها نحوه وهي باسمة فأردف :

ـ انني أطرح على نفسي السؤال الذي طرحه على نفسه الشاعر تودور ارغيزي : « هل كانت أمك جنية أم غزالة أم شجرة ورد ؟ أي نبت أنضجت

مكتبة ما الحبيب
www.facebook.com/groups/kotob

بين حناياها ؟ انك قطعـــة من الفكر أو الروح ولا شك ، اذ لا يمكن أن تكوني من سلالة الأحياء الفانين ... ، انك باهرة الجمال ، ان في سلالتك ونسبك شيئاً من الوعول ، وفي عينيـــك ، نظرات السنجاب الشرود . لقد أخذت مرونتك منهما . ولعل بين أسلافك طحالب المـــاء ، لأن جسدك ، يحتفظ بنعومة هذه النباتات المائية وبنوعها . انك أنيقة ناعمة ، كفروة قط أنجورا ...

لبثت الينورا وست واقفة وظهرها الى ناحيته ، وخداها مدفونان وسط ورود الباقة .

سأل تريان :

ـ هل أزعجتك ؟

فأجابت :

ـ كلا .

ـ لقد اكتأبت . انني وان كنت لا أرى عينيك الآن ، غير انني أخمن سحابة القلق التي تعلوهما . هل أزعجك ما قلته منذ حين ؟

فقالت وقد أشرقت ابتسامة على ثغرها :

ـ كلا ، انني لست حزينة ! كنت أفكر فقط في شجرة نسبي ، حيث من الصعب جداً وجود الغزلان والامراء والجنيات ونباتات الماء والسنجاب فيهـــا ...

جلسا الى المائدة وكانا وحيدين في غرفة الطعام الفسيحة الكبيرة المؤثثة بقطع جميلة مصنوعة من خشب البلوط القديم .

كان منزل اليونورا وست واحداً من مشاهير البيوت في بخارست . لقد وضعت تصميمه بيدها . أما الاثاث وقطع السجاد وغيرها ، فقد صنعت ونظمت حسب تعليماتها .

مكتبة ماجد الجبير
facebook
كتب كتب كتب

كانت اليونورا في التاسعة والعشرين من عمرها ، تشغل مركز مديرة أكبر جريدة في رومانيا : الغرب « اوكسيدان » • كانت قد تلقت علومها في أشهر جامعات أوربا ، وكانت تكتب المقالات الرئيسية التوجيهية في صحيفتها ، وتدير داراً للنشر ، ومجلة أدبية وفنيـــة ، الى جانب اشتراكها في الحياة السياسية والثقافية والاجتماعية • وكان تريان يعرفها منذ سنوات مضت ، مع ذلك فقد ظل غرامهما عنيفاً كما بدأ • ولعله أصبح أشد عنفاً وقوة عن ذي قبل • لكنهما لم يتزوجا • كان تريان كلمـــا طلب اليهـــا الزواج أجابته اليونورا وست :

« لن أكون أبداً زوجة صالحة • انني أحب مهنتي حباً جماً ، فلا أستطيع التخلي عنها دون أن أشعر بأنني حطمت ركناً ثميناً من أركان حياتي ، وأنني أخفقت في كل شيء • »

قال تريان كوروغا :

ـ أعتقد أن ايوهان موريتز سيخلي سراحه ! لقد وعدني وزير الحربيه باطلاق سراحه خلال مدة أقصاها التاسع والعشرين من آب • لقد أبرقت الى أبي بأنني سأصل الى فاتانا مع خطيبتي وأمر اطلاق سراح موريتز • لسوف يكون مزدوج السعادة •

سألت اليونورا :

ـ أتتمسك بشدة بتقديمي الى والديك على اعتباري خطيبتك ؟

ـ نعم ، انني شديد التمسك بهذا • لكنك اذا كنت لاتريدين فسأعدل عن خطتي • صحيح أن أبي سيشعر بالانزعاج ، لكنه شديد الحدب علي ، يعرف كيف يغفر لي •

سألت اليونورا :

مكتبة ماجد الحيدر
كتب كتب كتب facebook

ـ لماذا تقدم له خطيبتك وليس زوجتك ؟ اذا تزوجنا بعد غد ، فاننا سنصل الى فانتانا كزوج وزوجته !

ظن تريان كوروغا أنها تمزح • لقد أمضى عامين متتالين يحاول اقناعها عبثا • كانت تحبه ، لكنها لم تكن تريد أن تصبح زوجة • ماكانت تريد أن تصبح زوجة أحد • وهاهي الآن ، تعرض عليه فجأة الزواج به !

سألها :

ـ هل أنت جادة فيما تقولين ؟

نهض وقبل يدها ، وقال :

ـ ماذا حدث ؟ لم تخبريني بشيء صباح هذا اليوم لما اتصلت بك هاتفياً • كيف توصلت الى هذا القرار ؟

أجابت :

ـ لم يحدث شيء أبداً ! عندما نصل الى فانتانا في ـ ٢٩ ـ الجاري ، سنكون زوجين • لقد طلبت الي ذلك مرارا • فهل غيرت رأيك خلال هذا الوقت ؟ كان يجب أن تخبرني بأنك عدلت عن رأيك !

تأكد تريان كوروغا من أن حدثاً ما قد وقع ، حدثاً جعل اليونورا وست تصبح زوجته • لكن ماهو ذلك الحدث ؟ لم يكن يستطيع تخمينه •

استرسلت تقول :

ـ لنتزوج الآن مدنيا • ولسوف نقيم الزواج الديني في فانتانا في المستقبل • كنت تحلم دائماً بزواج في كنيسة أبيك • كنت تتخيلني مرتدية ثوباً أبيض تحيط بي فتيات القرية ، يتقدمني ببطء الى المذبح ••• سوف أحصل على اذن الزواج المدني • سأتصل بالنائب العام بنفسي •

سأل تريان :

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.كتب.facebook

ـ نورا ، قولي ماذا حدث ؟ لقد وقع لك أمر جلل !

فأجابت :

ـ مطلقاً • لم يحـــدث أي شيء ! كل مافي الأمر ، أنني قررت أن أصبح زوجتك • لقد اتخذت هذا القرار فجأة وأود تحقيقه بأسرع مايمكن كي لايعترض سبيلي شيء ، فيعرقل اتجاه الامور • ان السعادة التي أمنحها نفسي بهذا القرار شديدة الاهميـــة بالنسبة الي ، حتى أنني أود أن أبلغها بالسرعة القصوى ، وأن أطبق عليها بيدي كليتهمـــا • انني أخاف أن أفقد سعادتي ، اذا انتظرت اكثر من ذلك • هذا كل مافي الأمر • ألا تصدقني ؟

## - ٤٦ -

بعد أن تناولا طعام الغذاء ، انتقل تريان كوروغا واليونورا وست الى المكتبة وراحا يتطلعان الى الكتب واللوحات •

اقتنع تريان ، أن اليونورا قالت له كل الحقيقة ، لكنهما لم يتحدثا بعد الطعام عن الزواج • كان كل منهما يريـــد الافلات من الافكـــار المشوشه المزعجة التي لاشك ستتلاحق في رأسه • توقفا أمام لوحة لبيكاسو •

راحت اليونورا وست تنظر الى اللوحة ، التي كانت تمثل امرأة شوهها الألم الشديد ، لدرجة لم يعد وجهها يحتفظ بشيء انساني على قسماته • كانت تمثل الحب الممزق • لوحة تظهر الانسان الذي سحقه الالم ، وقطعه أشلاء كقطع آلة • لم يكـــن في اللوحة الا العوامـــل الجوهرية : العينان والانف ، والفم والاذنان • كانت كل قطعة من هذه القطع ، تعيش منفردة مستقلة لوحدها ، فقد تنافرت بينها بسبب الألم • لقد تنصل الجسد البشري عن وحدته بسبب ذلك !

التفت تريان كوروغا نحو نورا • خيل اليه خلال لحظة خاطفة ، أنها تشبه هذه الصور • ماكان يمكن لأية آلة لاقطة أن تسجل امارات وجهها في

مكتبة ما لا يجبر كتب facebook

تلك اللحظة • كان الألم العميق مرتسماً عليها • كان وجه اليونورا وست ، شديد الشبه بوجه اللوحة المدمر ، وجه امرأة بيكاسو • كان يبدو وكأن تيارات شديدة التوتر تخترقه ، لكنها لايمكن أن تتفاعل ، بسبب القوة الهائلة التي تحملها •

سأل :

ـ فيم تفكرين يانورا ؟

أجابت :

ـ في لاشيء ! هيا نحتسي قدحاً من القهوة • ألا تريد ؟

ودون أن تنتظر جوابه ، أدارت له ظهرها كما فعلت منذ حين ، لما حدثها عن نسبها وصلتها بالغزال والاعشاب المائية •

## ـ ٤٧ ـ

تزوج تريان كوروغا واليونورا وست في دار البلدية زواجاً مدنياً • كانا في ثيابهما العادية • وقد شهد صديقان لتريان على ذلك الزواج • فلما عادا من دار البلدية ، قصدا مطعم « بينيازا » حيث تناولا الطعام •

قال تريان :

ـ سنقيم حفلا كبيراً بمناسبة الزواج الديني •

وراح يصف لها عادات الزواج الروماني في الريف • قال :

ـ سيتقدم الفلاحون على خيولهم موكب العروسين حتى باب الكنيسة • وسيكون عددهم خمسين شاباً في ثيابهم الوطنيـــة ، ممتطين صهوات جياد بيضاء • وستتبعهم عربة يجرها أربعة ثيران ، وقد جرت العادة على أن تعرض باثنة العروس والهدايا المقدمة اليها عـــلى تلك العربة • أما عربتنا نحن ، فستكون غارقة في الزهور ، وسيكون لنا اثنا عشر « عراباً » • وعندما يمسك

مكتبة ماجد الحيدر
كتب كتب كتب facebook

الزوجان بأيدي أشابينهم ، ويرقصون معهم في الكنيسة أثناء الاحتفال الديني ، سيتساقط عليهم مطر من « الملبس » ، فيتهافت الاطفال لالتقاطه ، حتى ولو حشروا أنفسهم بين أقدام العروسين . سوف نلقي اكياساً من السكاكر ، حتى يتاح لكل أبناء فانتانا تناول حاجتهم منها . انني عندما كنت صبياً ، كنت أجمع السكاكر من كل حفلات الزواج التي كانت تقام في البلدة ، لكنني ماكنت أستطيع مرة ، أن أحصل على أكثر من أربع قطع . أريد أن يملأ الاطفال كل جيوبهم في حفلة زفافنا . وسنستقدم اثنتي عشرة فرقة موسيقية بوهيمية ، مع الابواق والقيثارات « جيتار » وسيجري النبيذ في كل القرية ملء الادنان والبراميل،وسيشمل المرح كل السكان.سنقيم الاحتفالات في بقعة خلوية ، فندعو ألوفاً من المدعويين ، وستدوم الحفلات أسبوعاً كاملا .

نظرت نورا الى ساعتها ، كانت على موعد مع المحامي ليوبولد ستين بأزف بعد ربع ساعة . قالت له :

ـ هيا بنا ، ان لدي أعمالا هامة تدعوني الى مكتبي .

فتوقف تريان وقطع حديثه عن زفافهما في فانتانا ، ونهض كلاهما وذهبا .

## - ٤٨ -

قاد تريان كوروغا ، نورا ، الى مكتب التحرير . كان قصر جريدة « الغرب » ، بناء حديثاً جداً ، ذا واجهة من الرخام الابيض ، كانت اليونورا وست قد شيدته على انقاض مطبعة قديمة . فنظر الى الطبقات الست التي كانت تلتمع تحت اشعة الشمس ، وابتسم وهو يفكر : « انه عمل نورا»

قال لها :

ـ سأنتظرك في السيارة .

كان يعرف أن نورا ، اعتادت على قيادة سيارتها وحدها كلما ذهبت الى

مكتبها • لكنه ظن أنها ستستثني ذلك اليوم من عادتهـــا • لقد كان يوم زفافهما • لكنها قالت :

ـ سأعود وحدي بعد أن انتهي من عملي هنا •

وانتظرت ذهابه وهي واقفة عـــلى الدرجات الاولى ، ثم دخلت البناء مرتقية السلم الرخامي واختفت وراء الباب الحديدي الضخم الذي فتحه لها بواب في ثيابه الرسمية المزينة بأشرطة ذهبية وهو يحيها باحترام •

## ـ ٤٩ ـ

دخلت اليونورا وست الى مكتبها بلا مبالاة وشمم وهي تتظاهر بأنها لم تر ذلك العجوز الذي كان مرتدياً ثوباً أسود ، والـذي نهض واقفـا عند قدومها • وضعت حقيبتهـــا وقفازاتها عـــلى المكتب ، ثم دعت العجوز الى الجلوس بنظرة من عينيها ، وجلست بدورها فأخذت لفافة وأشعلتها جاهدة أن تمتلك أعصابها ، لتتغلب على ارتعاد يديهـــا • جلست في مقعدهـــا الوثير وحدجت العجوز بنظرة وقالت :

ـ انني مصغية اليك ياسيد ستين •

فتح المحامي العجوز محفظته التي كانت على ركبتيه ، وأخرج منها حزمة من الاوراق وضعها على حافة المكتب • كان نورا تتابع حركاته باهتمام بالغ •

قال المحامي :

ـ يا آنسة وست ، لقد سويت المسألة ، وها هي الوثائق •

واخرج من المصنف ورقتين قدمهما اليها •

سألت نورا :

ـ أهما كل ما تبقى في محفوظات « بلوئيستي » من صكوك ؟

مكتبة ماجد الحيدر
facebook
كتب. كتب. كتب

فاجاب العجوز :

ـ كل مافي تلك المحفوظات حتى صباح اليوم.ان المستندات على مكتبك الآن . أما المحفوظات ، فلم يعد فيها شيء .

ألقت اليونورا وست نظرة احتقار على المستندين،ثم طوتهما وأودعتهما درج مكتبها . فقال العجوز :

ـ ان من دواعي الحكمة أن تتلفيهما فوراً .

نظرت نورا الى العجوز تتأمله . كانت نظاراته ذات اطار مذهب وياقته من النوع القاسي . أما ثيابه ، فكانت قديمة العهد . قالت تجيبه على ملاحظته:

ـ ليس هناك ما يخشى منه طالما باتت الاوراق في مكتبي ياسيد ستين .

ـ انني شخصياً لا أخاف شيئاً. أما أنت ، فانه من الخير لك ان تحرقيها الآن ، على الفور .

سألت نورا :

ـ كم كلفتك هذه العملية الصغيرة ؟

كانت تريد تغيير موضوع الحديث ، لأنها شعرت أن العجوز خائف . كانت ستحرق تلك الوثائق ، لكنها كانت تود أن تطلع عليها ، قبل كل شيء.

أجابها العجوز :

ـ مائة ألف « لي » تماماً .

ـ وأتعابك ؟

ـ بما فيها أتعابي .

أخرجت اليونوراوست ، من أحد أدراج مكتبها ، رزمتين من الاوراق النقدية ، قدمتها للعجوز فوضعها هذا في حافظته بعد أن عدل عن الحركة التي بدرت منه بحكم العادة الطويلة ، وهي عد الاوراق المالية للوثوق من مجموعها . قالت نورا :

مكتبة ماجد الحيدر
facebook
كتب كتب كتب

ـ هذا كل ما أردته منك ياسيد ستين •

كانت تريد أ نتخلو الى نفسها لتقرأ الوثائق، لكن العجوز لم يتحرك• سألته :

ـ هل هناك ماتريده ؟

ـ كلا ، لم يعد هناك شيء • لقد سويت المسألة على قدر المستطاع •

ـ أليس كل شيء على مايرام ؟

ـ طبعاً • لكن القضية لايمكن أن تنتهي بهذا الشكل ، الا بصورة مؤقته ، وذلك باتلاف هذه الوثائق • هذا ما أردت أن أقوله لك • انني أسمح لنفسي بلفت انتباهك الى ذلك ، لأنني كنت مساعداً لأبيك وصديقاً له ، ولأنني كنت أجلسك على ركبتي ، لما أن كنت طفلة • انني أصر على اعلامك بان اختفاء هذه الوثائق من المحفوظات ، لايسوي القضية الا جزئياً•

قالت اليونورا وست :

ـ أرجو أن تشرح قولك •

ـ انه واضح تماماً يا آنسة وست • لقد أردت امتلاك الوثائق التي تثبت أصل ذويك اليهودي • وهاهي ذي أمامك ، لقد انتزعتها من المحفوظات الرسمية •

ـ ان القضية اذن قد انتهت !

فأجابها ليؤبولد ستين :

ـ تستطيعين أن تخفي المستندات وليس الوقائع نفسها • انك رغم كل شيء ، تبقين يهودية • واذا أراد بعضهم أن يثبت ذلك •••

ـ اذا أراد بعضهم اثبات ذلك ، فلن يستطيعه •

ـ بل انهم سيطلبون أوراقك •

مكتبة ماجد الحيدر
facebook.كتب.كتب.كتب

ـ سأحصل على أوراق اخرى • انني أستطيع الحصول على ما أريد بواسطة المال •

فأجاب المحامي :

ـ هذا صحيح • لكنك في هذه الحالة ، ستتعرضين لقانون الجزاء • ان التلاعب بقانون العقوبات يوازي في خطورته اللعب بالنار •

قالت اليونورا وست بلهجة هازئة :

ـ لكنك سرقت هذه الوثائق من محفوظات پلوئستي صباح هذا اليوم بنفسك ، فلم اذن هذا الدرس الاخلاقي الذي تلقيه علي ؟

أجابها العجوز :

ـ انها ليست دروساً في الاخلاق • انني أحذرك فقط من أن اللعبة خطيرة ، وأنه لايمكن الاستمرار في اللعب الى ما لانهاية •

قالت نورا وهي تشعل لفافة ثانية :

ـ انك متأكد من أن هذا هو الاسلوب الأوحد • انني لن أقوى على تبديل شيء • طالما أن المجتمع يحرم علي أن أحيا حياتي ، وأن أحتفظ ببيتي ومهنتي وزوجي ، فانني عـــلى استعداد للنضال ، نضالا مستميتاً ، مستعملة كل الأسلحة التي أجدها في حوزتي • انني أناضل كالحيوان الجريح • ان كل غرائز البقاء في كياني تدخل الميدان •

ـ ليس المهم يا آنسي وست أن يقاتل المرء ، بل أن يربح المعركة •

ـ لسوف أربحها •

ثم سحقت لفافتها في المنفضة • فقال المحامي الكهل :

ـ هل تعتقدين حقاً بأنك ستمكثين طويلا صاحبة هذه الصحيفة ومديرتها؟ لقد رفضت حتى الآن التصريح عن منشئك اليهودي ، وذلك ليس الا عملا جريئاً من أعمال الشباب • لكنك كنت سعيدة الحظ ، لأن أحداً لم يجرأ على

فتح تحقيق عن أصل منشئك • قد يكون ذلك بسبب الخوف أو بدواعي النذالة والخور • لقد وقعت بعض الوشايات والمطالبات بمصادرة المطبعة والصحيفة طبقاً للقوانين القومية الجديدة ، قوانين المنشأ • فاستطعت شراء من كانوا مولجين بالتحقيق ، وربحت مرة أخرى • وها أنك الان ، تمتلكين الوثائق التي تثبت منبتك اليهودي ونسبك ، وبذلك تكسبين بعض الوقت كذلك • لكن قوانين المنشأ تزداد شدة في تطبيقها يوماً عن يوم ، ولن يستطيع يهودي واحد أن ينجو منها • اننا لسنا الا في بداية المرحلة • ولهذا السبب يمكنك خلال وقت ما أن تستمري على ادارة صحيفة كبيرة وامتلاكها رغم أنك يهودية ، ورغم أن القانون المختص يحرم عليك نشر كلمة واحدة ، ولكن ينبغي التفكير في المستقبل •

فأجابت نورا :

ـ سألبث في المستقبل مديرة جريدة الغرب وصاحبتها •

كان ليؤبولد ستين ، يعرف منطق هذه المرأة الواقفة أمامه ، ويعرف أنها قلما تخطيء في أقوالها • لكن جوابها اليوم كان فيه تعنت وتعصب • والمتعصبون لايحترمون قوانين المنطق ، لذلك فانه لم يجرأ على مغالطتها لأن الكائن البشري ، عندما يكون في حالة تنكب الوضوح والمنطق السديد ، لايجب أن يعارض• وكل محاولة لاعادته الى جادة الصواب تبوء سلفاً بالفشل•

قالت اليونورا وست :

ـ لقد تزوجت ظهر اليوم رجلا مسيحياً • سوف أنقل ملكية الجريدة الى اسمه ، وبذلك لن يستطيع أحد مصادرة الصحيفة ، حتى ولو أصبحت رومانيا أكثر عداء لليهود من ألمانيا بالذات •

سأل ليؤبولدستين بفضول :

ـ هل تزوجت حقيقة ؟

مكتبة ماجد الحيدر
www.facebook.com/groups/كتب.كتب.كتب

ـ انني اعتباراً من اليوم ، أدعى السيدة اليونورا وست كوروغا • ان زوجي هو تريان كوروغا ، الروائي المعروف ، وسوف يصبح خلال أيام قليلة ، مدير هذه الصحيفة • انه هو الآخر ملكي !

كانت نورا وست تضحك راضية مطمئنة ••• راح ليؤبولد ستين يتشاغل بالبحث في جيوبه عن أي شيء اكتساباً لبعض الوقت وامتلاكاً لأعصابه التي هزتها هذه المفاجأة ، متحاشياً النظر في عيني نورا ، أو الاندفاع في حديث لا يريده • كان في حاجة الى بضع دقائق ليقنع نفسه بصحة هذه الحكاية •

قال وهو يسعل وراء منديله :

ـ بعبارة اصح، يمكن القول بأنك تنسحبين من ادارة الجريدة وتتنازلين عن الصحيفة •

ـ كلا ، انني لا أحافظ على ملكية الصحيفة وادارتها فحسب ، بل انني أدخل فيها كذلك ، عناصر جديدة قوية ، فأعيد تنظيم شؤونها• لقداستخدمت مديراً جديداً •

قال المحامي العجوز :

ـ ان الفكرة رائعة : انها بديعة • وهل قبل كل هذه الشروط ؟

فاجابته نورا بجفاء :

ـ لست أفهم قصدك •

ـ أقصد : هل قبل زوجك ، السيد تريان كوروغا ، هذا الحل ؟ ان هذا الأمر يبدو مزعجاً بالنسبة الى رجل • لان ذلك معناه : أنه اشتري من قبل امرأة تنفيذاً لخطة معينة •

قالت نورا وست بانفعال :

ـ لكنني لم أشتر أحداً ! لقد تزوجته زواجاً غرامياً •

نهض ليوبولد ستين وهنأها • فلم تمد له يدها • كانت تتصفح وثائق منشأ ذويها ، والدموع تملأ عينيها • قالت :

ـ ان الاحياء لا حق لهم في تقبل التهاني الا عند موتهم • انك بقليل من الروية والتدقيق ، ستقرني على نظريتي هذه • لكن الاحياء عندما يموتون ، لايستطيعون وللأسف ، تقبل التهاني • انهم يخسرون وللأسف ، المناسبة الوحيدة ، التي يستحقون فيها التهاني الحقيقية •

عاد العجوز يجلس في مقعده قال :

ـ أظن أنك قلت : انكما تزوجتما زواجاً عاطفياً !

سألته شاردة :

ـ ألا تصدق أنني عاشقة ؟ ألا تستطيع فهم ذلك ، رغم ذكائك ؟

ـ لمَ تتألمين اذن الى هذا الحد ! انني أشعر بأنك تبكين •

ـ أعتقد بأنك متعب جداً ياسيد ستين • لست أدري مابك • انك تكاد لا تفقه شيئاً ، حتى ليقال أنك لست يهودياً • انني أحب تريان كوروغا ، بل انه الرجل الاول الذي أحببته • انني أحبه منذ سنوات ، أحبه حباً عنيفاً جارفاً • لكنني أعتقد بأن الحب ، ليس سبباً في الزواج • لقد تزوجت بسبب قوانين المنشأ ، لأنقذ الصحيفة ، وأنقذ حياتي • فهل تفهمني الآن ؟

لم يكن بادياً على ليوبولدستين أنه فهم ، انحنى يقبل يد نورا وست ، ومضى نحو الباب • فاستدعته وقالت :

ـ سأذهب في نهاية هذا الاسبوع الى الريف لزيارة ذوي زوجي • ان والد تريان ، كاهن أورثوذوكسي • سامكث هناك بضعة أيام ، وأريد أن تكون أوراق منح كل أملاكي ومقتنياتي لزوجي تريان كوروغا ، جاهزة عند أوبتي ، بما في ذلك الصحيفة • واذا صادفتك عقبات ومصاعب ، فحرر

مكتبة ماجد الحيدر
facebook.كتب.كتب.كتب

عقوداً بالبيع • ألمهم أن تجد خير الحلول وأكثرها براءة قانونية • ينبغي أن تتم العملية بالسرعة الكلية ؟

قال المجوز :

ـ انك ذكية جداً •

فأجابت :

ـ انني لست ذكية • انني امرأة تناضل بكل قواها وغرائزها وكل أشراق عقلها ، لتدافع عن حقها في الحياة • وداعاً يا سيد ستين •

ـ ٥٠ ـ

بعد ذهاب المحامي المجوز جلست اليونورا وراء مكتبها ، واعتمدت رأسها بين يديها ، وراحت تبكي • بكت كما لايستطيع أحد أن يبكي مثله غير النساء • بكت ليس بعينيها فقط ، بل بكل كيانها ، ثم أخذت بوق الهاتف واتصلت بتريان • قالت :

ـ أرجو أن تتلطف بالحضور لنقلي الى البيت •

ـ هل حدث لك شيء ما !

ـ لم يحدث شيء على الاطلاق • لكن تعال اصطحبني • أقسم لك أنه لم يقع شيء ابداً ، لكن تعال بسرعة •

نهض تريان كوروغا ليلبي رغبتها • ولما غادر المكتبة ، وقعت أنظاره على « امرأة » بيكاسو • كانت تضحك بنصف عينها ، وتبكي بالنصف الآخر • ومن أجل هذا ، شطر الفنان عينها الى شطرين ، لتستطيع العين الواحدة أن تبكي وان تضحك معاً وبقوة متعادلة •

ـ ٥١ ـ

بانتظار وصول تريان كوروغا ، اتصلت اليونورا وست بالمحامي

مكتبة ماجد الحيدر
facebook.كتب.كتب.كتب

ليؤبولدستين • كان هذا يقطن بالقرب من دار الصحيفة فكان قد وصل لتوه الى مسكنه •

قالت نورا :

ـ ياسيد ستين ، قل لي بكل اخلاص : هل تعتقد أنني تزوجت زواجاً عاطفياً أم زواجاً مصلحياً ؟ أرجو أن لا تراعي عواطفي في جوابك • اعطني رأيك بكل اخلاص •

سألها ستين :

ـ ماذا تعتقدين أنت ؟

أجابت :

ـ لست أدري • انهم لو أطاحوا برأسي ، لما أمكنني أن أعطي الجواب الدقيق الحقيقي • هناك فترات يخيل الي خلالها أنني تصرفت بوحي عواطفي ، وحالات أخرى ، أعتقد أنني كنت مدفوعة بالسببين معاً • غير أن هذين التفسيرين ، لايمتازان بأية قيمة حقيقية • انني واثقة من أمر واحد : وهو أنني ماكنت أستطيع الانتظار ، وأن ذلك كان يجب أن يتم • لكنني أريد أن أعرف السبب الحقيقي •

ـ انه لا هذا ولا ذاك •

ـ انني لم أتزوج اذن زواجاً مصلحياً كامرأة •••

ـ كلا ياسيدة وست • انك شديدة الاعتداد حتى تتزوجي انساناً زواجاً مصلحياً ، حتى ولو كنت بذلك تصونين ثروتك وصحيفتك من الخطر •

ـ هل أنت واثق من ذلك ؟

ـ كل الثقة !

ـ اذن ، لقد تزوجت بدافع الحب ؟

ـ لكي يحب الانسان ، ينبغي أن يستطيع الايمان بالمستقبل • ينبغي

مكتبة ماجد الحيدر
facebook
كتب كتب كتب

الايمان بالسعادة بل وأكثر من ذلك ، ينبغي الايمان بأن هذه السعادة أبدية ، وأنها لايمكن أن تمنح لنا ، الا من قبل من نحبه ويحبنا • لكنك مشرقة الذهن ثاقبة التفكير لايمكنك الايمان بهذا • ولهـذا السبب ، اعذريني اذا قلت انك لست متزوجة بسبب أي من هذين الدافعين •

ـ اذن ؟

فأجابها ليؤبولد ستين :

ـ انك لم تتزوجي بسبب الحب ، ولا بدافع المصلحة • بل بدافع الخوف • ان سرعة تصرفك الخارقة تحمل طابع اليأس •

ـ أليس للحب مكان في حسباني ؟

ـ لعله على شيء في الموضوع • لكن غرامك يشبه ذلك الذي كانت النساء تشعر به لما أن كن في الغابات ، عرضة في كل لحظة من لحظات الليل أو النهار لتهديـد الوحوش الضارية ، فكن لهذا السبب ، يتعلقن بيأس وتفان بركبتي الرجل ، طالبات الحماية والحب والحياة ، وهن يهدفن الى هذه المنح الثلاث ، بشغف ولهفة متعادلة • ان النساء لايشعرن بمثل هذا الحب ، الا في حالات الزلازل العنيفة ، والطوفان والمصائب الفظيعة ، أي أنهن يشعرن هذا الشعور ، كلما بدا العالم على وشك الانهيار !

ـ لمَ لم تحدثني بكل ذلك لما كنت أمامي في مكتبي ؟

ـ لم أشأ أن أجعل الشك في قوتك ونفوذك ، يتسرب الى نفسك • كنت أراك ترتعدين من الخوف ، كنت أرى أنك تصوفت بدافع الذعر ، فأشفقت عليك • لاتنسي انني كنت أرفعك على ركبتي لما كنت طفلة صغيرة •

دخل تريان كوروغا المكتب في تلك اللحظة ، فأعادت نورا البوق الى مكانه ، وخطت نحوه لتستقبله ، وهي تلتصق به بعنف • كانت تضحك• فقبلها تريان وقال :

مكتبة نجد الحديث
www.facebook.com/groups/kotob.kotob

ـ انني سعيد اذ أراك في حالة حسنة • لقد خيل الي أنك كنت تبكين خلال البوق •

-٥٢-

في الثامن والعشرين من آب ، قبل ارتحال كوروغا الى فاتتانا بيوم واحد ، كان يرتقي سلم وزارة الحربية ، ليأخذ أمر اطلاق سراح موريتز : كان سعيداً ، وكأن أمر حرية موريتز قد بات في جيبه •

صعد السلم جرياً • وكان تابع « الجنرال » يعرفه ويعرف العلاقات الطيبة التي بينه وبين الوزير ، لذلك ، فقد أدخله الى مكتب « الجنرال » على الفور • دخل تريان كوروغا مكتب الوزير • كان يحمل معه نسخة أنيقة مصورة ، من روايته الاولى ، وكان قد كتب على الصفحة الاولى منها اهداء شيقاً • غير أن الجنرال لم يتقدم لاستقباله ولم ينهض من مكانه اسوة بالمرة الاولى ، بل ظل في مكانه يتشاغل بالقراءة •

قال تريان :

ـ هل أزعجك ياسيدي الوزير ؟

فأجابه الجنرال ببرود :

ـ كلا ، انك لاتزعجني • إجلس اذا أردت •

لاحظ تريان ، أن « الجنرال » لم يمد إليه يده • قال الوزير طارقاً صميم الوضوع مباشرة :

ـ يؤسفني أن أنبي اليك خبراً سيئاً • ان الشخص الذي تحدثت معي عنه في الاسبوع الفائت ، والذي جئت اليوم ولاشك من أجله ، لايمكن أن يطلق سراحه • أو على الأصح ، انه لن يطلق سراحه في الوقت الحاضر • ينبغي قبل كل شيء ، أن نقوم بتحقيق للتثبت مما اذا كان تأكيدك حول منشئه صحيحاً •

مكتبة ماجد الحيدر
facebook.كتب.كتب.كتب

هم تريان كوروغا بمغادرة مكتب الوزير لفوره • لكنه تذكر موريتز فتريث قليلا بينما أردف الوزير :

ـ حسناً ياسيد كوروغا ، لم يبق لك الا أن تنتظر النتيجة التي تسفر عنها تحقيقات اللجنة •

كانت تلك الجملة تنهي المقابلة ، وكان الوزير يدعو تريان للخروج من مكتبه بكل صراحة لم يغب معناها عن تريان ، لكنه لم يتحرك من مقعده • كان عليه أن يذهب غداة اليوم التالي الى فاتنانا • وكان أبوه ، ينتظر أمر اخلاء سبيل موريتز ، لذلك قال :

ـ سيدي الوزير ، انك منذ أسبوع على الضبط ، وعدتني باعطائي أمر اخلاء سبيل موريتز • لقد قلت لي بالحرف الواحد : ان تأكيدي يعتبر لديك ضمانة كافية ، وانه لذلك لا حاجة الى فتح تحقيق •

ـ كان ذلك قبل أسبوع • لقد تبدل الموقف الآن •

ـ لست أرى تبديلا في الموقف • ان ايوهان موريتز سجين في معسكر نيهود ، رغم أنه روماني صميم •

ـ هذا ماستثبت منه لجنة التحقيق •

ـ لكن أعمال اللجنة قد تستغرق أشهراً طويلة ، بينما الرجل المسكين قد أمضى حتى الآن ، قرابة عام ونصف •

فقال الجنرال :

ـ انني أعرف ذلك • ان أعمال اللجنة قد تستغرق عاماً أو عامين • ليس لدينا اليوم وقتاً نضيعه في التحقيقات كما كان الحال في أيام السلم • نحن الآن في حالة حرب •

ـ ولكن ياسيدي الجنرال ، ألا يكفي تأكيدي لاطلاق سراح موريتز والقيام بالتحقيق بعد اخلاء سبيله ؟

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.facebook

فأجاب الجنرال بحزم :

ـ كلا !

قال تريان وهو ينهض واقفاً :

ـ يؤسفني أن أراك قد أبدلت رأيك ، من أسبوع الى آخر .

ـ انني آسف كذلك . ولكن لايدلي في الموضوع !

ـ أهو تعريض يتعلق بي ياسيدي الجنرال ؟

ـ انه ليس تعريضاً ، بل انني أستند الى وقائع ثابتة .

فقال تريان كوروغا ممتقع الوجه :

ـ أعتقد أن من حقي هذه المرة ، أن أسألك تفسيراً .

ـ تفسيراً ياسيد كوروغا ؟ في الساعة التي يحارب كل يهود العالم في صفوف البلاشفة ضد وطننا لاذلالنا واستعباد بلدنا ، تتزوج أنت ، الروماني الاصيل ، أشهر كتاب بلادنا ، امرأة يهودية !

كان الجنرال يتكلم بانفعال ، وقد غدا وجهه شديد الاحمرار . أردف معقباً :

ـ انني كعسكري ، أعتبر عملك هذا خيانة . هل تسمعني ؟ خيانة ! فهل بعد هذا العمل ، أستطيع الاعتماد على قولك ؟ ان تدخلك يجعلني أعتقد الآن ، بأن موريتز يهودي ، ولن أكون شديد الدهشة ، اذا تأيد ظني وتأكد . هل أستطيع بعد هذا أن أحل كلمتك محل الاعتبار ؟

فقال تريان :

ـ بالطبع كلا ...

وانسحب من الغرفة . وبينما هو يهبط السلم ، أحسّ بالكتاب تحت ذراعه ، ففتحه ، ومزق ورقة الاهداء ، ثم صعد الى سيارته .

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.facebook



قال يحدث نفسه : « ان اليونورا يهودية ! مع ذلك لم تحدثني بكلمة واحدة عن ذلك . »

شعر بأنه تعرض لاهانة وبانه خدع في حبه ...

وعند نهاية المدينة ، أوقف سيارته ، وفتح بابها ، وراح يتأمل الحقول.

« انها لم تتحدث الي مطلقاً عن ذلك . لكنني أنا الآخر لم أسألها عنه . ان من السخف طرح مثل هذا السؤال . ان أي رجل لايمكن أن يسأل المرأة التي يحبها عن منشئها . »

تذكر أنه حدثها مرات عديدة عن شجرة نسبها وصلتها السلالية بالوعول والسنجاب وأعشاب الماء والجان وأنها في كل مرة ، كانت تكتئب وتعلو وجهها سحابة من الغم . لقد أدرك تريان في تلك اللحظة ، سبب ذلك الحزن ، وشعر بأنه مذنب .

« لعلها ظنت أنني أعرض بمنشئها اليهودي . انها ولاشك قد تألمت ألماً فظيعاً ! »

أغلق باب سيارته ، وعاد في طريق المدينة . كان يفكر في المرأة على لوحة بيكاسو . قال يحدث نفسه :

« انني شديد الاسف الآن ، لأنني لم أعرف هذا الأمر من قبل . لو أنني عرفته ، لوفرت عليها عناء آلام عنيفة . مسكينة نورا ! »

أوقف تريان سيارته أمام أول بائع زهور وابتاع باقة من الورد الأبيض ، ليقدمها الى نورا . فحزمت البائعة الورد وهي تبتسم له .

-٥٤-

قالت نورا :

ـ حدثني عما تكتب ياتريان !

مكتبة عبد الحميد كتب facebook

كان تريان كوروغا ، قد بدأ في تأليف روايته الجديدة . وكانت اليونورا تسمعه ، وهو يغادر السرير في الساعة الرابعة صباحاً ، فيرتدي معطفه المنزلي ، ويخرج من غرفة اليوم ، ليذهب الى مكتبه ، حيث كان يمكث فيه حتى ساعة الافطار ، فيتناولانه معاً . كان قد مضى على زواجهما شهران . وكان على مكتب تريان اناء فيه زهور .

سألت نورا :

ـ ألا تريد أن تحدثني ؟

كانت متلهفة ، لأن تريان كان يتحاشى دائماً التحدث اليها عن روايته . وكان كل مرة يتحاشى الاجابة على سؤالها . أما الآن ، فانه لـم يستطع رفض طلبها . قال :

ـ لقد قمت مرة بجولة بحرية في جوف غواصة ، ومكثت تحت المـاء حوالي الف ساعة . ان في الغواصات جهازاً خاصاً ، ينبيء بالوقت المعين اللازم لتجديد الهواء . أما من قبل ، فان الغواصات لم تكن تعرف ذلك الجهاز بعد . لذلك فقد كان البحارة ، يصحبون معهم عدداً من الارانب البيضاء الى جوف الغواصة . فاذا تسمم الهواء ماتت الارانب ، ومن ذلك يعرف البحارة أن لديهم خمس ساعات يحيون خلالها قبـل أن يسقطوا بدورهم فريسة للاختناق . فكان على قائد الغواصة في تلك اللحظة ، أن يتخذ القرار الحاسم ، اما الصعود الى سطح الماء ببذل جهد اليائسين ، واما البقاء في الاعماق والموت مع البحارة كلهم . وقد جرت العادة ، أثر اتخاذ القرار الثاني ، على أن يقتل البحارة بعضهم بعضاً بطلقات المسدسات .

« في الغواصة التي كنت مبحراً فيها لم يكن هناك أرانب بيضاء ، بل أجهزة تقوم مقامها . وقـد لاحظ القبطان ، أنني أتحسس نقص مولـد الحموضة ، فكان يسخر من حساسيتي ، لكنه لم يعد يركن الى أجهزة

مكتبة ماجد الحيدر
facebook
كتب كتب كتب

الغواصة ، لأنني كنت دائماً أدله على الوقت الذي ينقص فيه الهواء ، وكان يكفيه أن يلقي علي نظرة واحدة ثم يستشير آلته وأجهزته ، فيجد أن دقتي مدهشة .

« انها موهبة نملكها نحن : الأرانب البيضاء وأنا ، نشعر بدنو الخطر قبل أن يشعر به البشر بست ساعات،ونحس أن الجو بات لايصلح للتنفس. انني أشعر منذ زمن ما بمثل ذلك الشعور الذي كنت أعلن عنه عندما كنت على ظهر الغواصة . ان الجو قد بات خانقاً

سألته نورا :

ـ أي جو تقصد ؟

ـ الجو الذي يعيش فيه المجتمع الحاضر . ان الكائن البشري لن يستطيع احتماله . ان « البوروقراطية » والجيش والحكومة والتنظيم الحكومي والادارة كل هذه الاشياء ، تساهم في تسميم الجو ليختنق الانسان . ان المجتمع الحاضر يستخدم الآلات والرقيق العنصري . لقد خلق من أجلها . ولكن الانسان محكوم عليه بالاختناق . غير أن بني الانسان لايشعرون بذلك . انهم يصرون على أن كل شيء طبيعي ، كما كان في السابق . ان رجال الغواصة التي كنت بينهم كانوا هم أيضاً ، يناضلون ويقاومون الجو المسموم . انهم كانوا يعيشون ست ساعات بعد موت الارانب البيضاء . لكنني أنا ، أعرف أن كل شيء قد انتهى .

ـ أهذا هو موضوع روايتك ؟

ـ لقد وضعت في روايتي ، الطريقة التي يموت بها رجال هذه الارض الذين يحيون في عذاب مريع وقلق قاتل ، تخنقهم الاجواء غير الصالحة للحياة . ولما كنت لا أستطيع أخذ كل الكائنات الحية أبطالا لقصتي ، فقد انتخبت عشرة أشخاص ، أعرفهم أكثر من أي سواهم .

مكتبة ماجد الحيدر
كتب كتب كتب facebook

ـ وهل سيموت هؤلاء الأشخاص العشرة ؟

ـ بعد موت الأرانب البيضاء • لن يستطيع بنو الانسان الحياة أكثر من ست ساعات على الأكثر • ان روايتي تصف هذه الساعات الست ، في حياة أفضل أصدقائي •

ـ وماذا كتبت حتى الآن ؟

ـ الفصل الأول فحسب • ان واحداً من الاشخاص العشرة قـد انتزع من بيننا و •••

ـ ماذا حدث له ؟

ـ لقد سلبوا منه حريته وزوجته وأولاده وبيته في الوقت الحاضر••• لقد أهين وضرب وعذب • لقد بدأوا يخلعون أسنانه وأضراسه • سوف يفقأون عيونه قريباً ، ويسلخون الجلد الذي التصق بعظامه • ولسوف تتحطم تلك العظام : ان الآلام والاوجـاع الاخيرة ستنزل به بطريقة آلية أو كهربائية •

سألت نورا بذعر :

ـ هل وقع كل هذا ؟

فأجاب تريان :

ـ ان كله صحيح • لقد سجلت في روايتي ، اسم الشارع والمدينة والبلد الذي يقطن فيه أشخاصي • لقد أعلنت أرقام هواتفهم • انك أنت كذلك ، تعرفين الشخص الاول في روايتي • انك تستطيعين بحث الحوادث التي سردتها لك للتو ، ومقارنتها مع الحقائق لتتأكدي من صحتها •

ـ من هو هذا الشخص الذي تتحدث عنه ؟

ـ انه ايوهان موريتز !

مكتبة ماجد الحيدر
facebook
كتب. كتب. كتب

اكتأب وجه نورا لدى سماعها هذا الاسم • ان كل مارواه تريان كوروغا حول ايوهان موريتز كان مطابقاً للحقيقة • قالت :

ـ انني أشفق على هذا الفتى اشفاقاً عميقاً • انه هو اذن ، بطل الفصل الاول من قصتك • من ترى سيكون البطل الثاني ؟

أجابها تريان :

ـ لست أدري بعد • لعله أبي أم لعلها أمي • أنا ، أم أنت نفسك • على كل حال ، سيكون أحدنا البطل الثاني •

سألت نورا بقلق :

ـ وهل ستتشابه كل الفصول وتتفق في نهايتها مع الفصل الأول ؟ مع مصير ايوهان موريتز ؟ أليس في كـل قصتك موقف مفرح واحد ؟ نهاية سعيدة ؟

أجاب تريان مقطباً :

ـ كلا ، ليس فيها نهايات سعيدة • بعد موت الأرانب البيضاء ، لايمكن أن تكون النهايات السعيدة قابلة الوقوع • أن موتهـــا يدل على انّ ماتبقى للآخرين من بقاء على قيد الحياة ، لايتجاوز الساعات المعدودة !

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.كتب.facebook

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.كتب.facebook

# البَابُ الثَّانِي

## القسم
## ٢

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.كتب.facebook

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.facebook

- ٥٥ -

وجد ايوهان موريتز نفسه منذ ساعتين في هنغاريا • انتظر اليهود الثلاثة وهو الى جانبهم أمام المحطة لأنهم لم يجرأوا على الدخول الى غرفة الانتظار • وأخيراً وصل القطار الذي سيستقلونه •

صعد الطبيب أبراموفيسي وسترول ثم هورتيج الى احدى عربات الدرجة الثانية ، بينما ظل ايوهان موريتز على رصيف المحطة ينقل اليهم الحقائب فيتناولونها منه خلال نافذة العربة • لذلك فانه لم يستطع الركوب الا في الدقيقة الاخيرة ، فقفز الى مرقاة العربة ، وتشبث بالحواجز الخارجية فأمسك هورتيج بذراعه يساعده على الصعود ، ثم أغلق الباب وراءه • كان موريتز شاحباً • لقد تصور أنه سيبقى على رصيف المحطة وحيداً بعد ذهاب القطار ، فكان ذلك سبب خوفه الذي بدا على وجهه • ترى ماذا كان سيحصل له لو أنه لبث هناك وحيداً ، كيف كان سيتصرف لو تخلى عنه الطبيب أبراموفيسي والآخرون ؟ شكر الله على أنه وفق في الصعود في آخر لحظة •

وجد الطبيب أبراموفيسي وهورتيج أمكنة لجلوسهما • أما سترول وايوهان موريتز فقد ظلا واقفين في الممشى جالسين على الحقائب • لقد فتشا في كل العربات فلم يجدا أمكنة لجلوسهما • كانت الأنوار كلها مطفأة ، والمسافرون نيام • وبعد فترة غير طويلة ، غادرت احدى النساء

مكتبة ماجد الحيدر
www.facebook.com/groups/kotob.kotob

مكانها فأخذت سترول مكانها في العربة ولبث موريتز وحيداً في الممشى . أوصاه الطبيب أبراموفيسي أن لاينام بقوله :

ـ لاتنم ، لأنهم قد يسرقون منك الحقائب .

فأجابه موريتز :

ـ لن أنام .

لكنه منذ أن اختفى رأس الطبيب وراء باب المقصورة ، نام ملء جفنيه . كان يشعر بحاجة فظيعة الى النوم وهو واقف على قدميه ! فأغمض عينيه ولم يفتحهما الا في بودابست .

ولما بارح القطار ، كان الصبح قد طلع . كان موريتز شديد العطش ، غير أن هورتيج لم يسمح له بتناول كاس من الليمون في أحد المطاعم . كان يخشى أن يجده أحد رجال الشرطة في المطعم فيكتشف أنه فر من رومانيا ، فيوقفه والآخرين معه .

قال له الطبيب أبراموفيسي :

ـ ستعطيك أختي قدحاً كبيراً من الماء !

ومضوا مبتعدين . توقفوا قليلا أمام رتل العربات والسيارات الواقعة أمام المحطة . غير أن هورتيج قال :

ـ ان من الحكمة قطع المسافة سيراً على الاقدام . ان سائق العربة يصبح دليلا علينا . ان من الحماقة أن تتسبب في توقيفنا في بودابست بعد أن قطعنا كل هذه المشقات للوصول اليها !

وراحوا يقطعون المسافة سيراً على أقدامهم وموريتز ينوء تحت ثقل الحقائب التي كانت مكدسة على كتفيه وفي يديه . كانت الحقائب ثقيلة جداً ، لكنه شعر بصعوبة أقل في حملها هنا منها لما كان ينقلها عبر الحدود ، في الليلة الفائتة .

مكتبة ماجد الحيدر
كتب كتب كتب facebook

فكر وهو يطبع قدمه العارية على الاسفلت البارد : « لعلي ظننت أن هذه الحقائب أقل ثقلا الآن منها عن ذي قبل لأنني أسير بها الآن على طريق معبدة ، على الاسفلت » . لم تكن القاطرات الكهربائية قد بدأت سيرها في تلك الساعة المبكرة . رآى موريتز الانوار الكهربائية ، تطفأ من تلقاء نفسها في الشوارع ، فسأل هورتيج عمن يطفئها . فصاح هذا غاضباً :

ـ لاتتكلم باللغة الرومانية أيها الحمار ! اذا سمعنا أحدهم نتحدث بالرومانية ، تعرضنا جميعاً للذهاب الى السجن !

ـ هل التحدث باللغة الرومانية ممنوع ؟

فأجابه هورتيج :

ـ انه ليس ممنوعاً . غير أن الرومانيين هنا ، يرسلون الى معسكرات الاعتقال . ان هنغاريا عدوة رومانيا . هل فهمت الآن ؟

ـ وكيف نتفاهم اذن ؟

فأجاب الطبيب أبراموفيسي :

ـ تحدث باليديش . ان اليهود في هنغاريا ليسوا ملاحقين كما هو الحال في رومانيا . ليس هناك ـ حتى الآن على الاقل ـ أي قانون ضد اليهودية في هنغاريا .

امتنع ايوهان موريتز عن النطق بكلمة واحدة باللغة الرومانية . غير أنه لم يتكلم كذلك بلغة اليديش . لقد كان شديد التعب . فلما وصل الأربعة الى منزل أخت الطبيب في شارع بيتوفي ، كان موريتز يترنح تحت ثقل الحقائب . وضعها أمام الباب ، فجاءت الخادم تساعده على نقلها الى الداخل ، فرافقها موريتز الى المطبخ . كانت الخادم ترتدي ثوباً أزرق خيل لموريتز أنه رأى ذلك الثوب من قبل ، في مكان ما لم يعد يذكره . وفجأة تذكر أن سوزانا كانت ترتدي ثوباً مماثلا في تلك الليلة .

مكتبة ماجد الحيدر
كتب كتب كتب facebook

## -٥٦-

كانت أخت الطبيب أبراموفيسي على شيء من البدانة • كانت ترتدي معطفاً منزلياً مزيناً بورود حمراء كبيرة وتتحدث بسرعة فائقة • استدعت ايوهان موريتز الى الحجرة التي كان فيها الطبيب ورفيقيه الآخرين ، وايزاك ناجي ، زوجها ، وقدمت لهم جميعاً أقداحاً من العرق • لبث موريتز واقفاً لأنه لم يكن في الغرفة عدد كاف من المقاعد • وجاءت أخت الطبيب بآنية الشاي فوضعتها على المائدة ونظرت الى موريتز ثم قالت :

ـ ليس لك مكان هنا • امض الى المطبخ وتناول الشاي هناك •

وأعقب زوجها « ناجي » بالهنغارية :

ـ لاشك أن ذلك أفضل لأن لدينا من الأمور الجديدة مايجب أن نبحث فيه فيما بيننا •

فهم موريتز أن أولئك السادة ماكانوا يميلون الى الجلوس معه حول مائدة واحدة • لكنه لم يتألم ولم ينزعج • كانت ايوليسكا ، خادمة البيت ، شديدة الاغتباط عندما وجدته عائداً الى المطبخ • صبت له ثلاثة أقداح من الشاي وسخت بالسكر وعصير الليمون • ثم قدمت اليه ثلاث قطع كبيرة من الخبز ، دفنت في كل منها جانباً من الزبد ولحم الخنزير • أكل موريتز بسرعة ، لأنه كان جائعاً كالذئب ولما فرغ من طعامه ، أراد أن يغسل يديه وعنقه ، غير أن ايوليسكا قالت له :

ـ رافقني أولا الى السوق ! سوف نغتسل عندما نعود •

حمل ايوهان موريتز السلة ، ورافق ايوليسكا الى السوق لشراء ماتريد ، وهكذا كان كل صباح يرافقها الى السوق ويحمل لها السلة •

ولما عاد من السوق ، قطع بعض الاخشاب وحملها الى المطبخ ، وبعد

مكتبة ماجد الحيدر
www.facebook.com/groups/kotob.kotob

الافطار غسل الأطباق مع ايوليسكا • لقد كانت هذه وديعة ، تحب الثرثرة والمزاح • لذلك فقد شعر ايوهان موريتز في ذلك البيت بالمتعة •

- ٥٧ -

انهمك موريتز في المطبخ وفي الاصغاء الى مزاح ايوليسكا فلم ينتبه الى أن النهار قد انقضى دون أن يظهر الطبيب أبر اموفيسي والآخرون • فسأل عن أخبارهم حوالي الظهر فأجابته أخت الطبيب بأنهم نيام • وعاد الى اعماله وكف عن التفكير فيهم • ولما حل المساء وأوى موريتز الى فراشه ، تذكر أنه لم يوجه الى احد من رفاقه الثلاثة أية كلمة خلال النهار كله مع انهم قد تناولوا الطعام جميعهم في البيت • كان موريتز واثقاً من هذه الناحية ، لأنه غسل الصحاف بنفسه بعد طعام الغداء • ولقد كانوا في المنزل كذلك في الساعة الخامسة لانه تذكر أنه غسل خمسة فناجين • لكنه لم يتذكر عدد الصحاف التي غسلها بعد طعام العشاء • لقد جاءت ايوليسكا بمجموعة كبيرة منها فلم يحص موريتز عددها وهو ينظفها • كانت هذه الافكار توجعه وتؤلمه، لذلك لم يستطع النوم رغم حاجته الملحة اليه • خيل اليه أن الصحون كانت أقل عدداً بعد العشاء منها بعد الغداء •

فكر في نفسه « لعل هورتيج مضى لرؤية اقربائه » • كان آسفاً اذ خرج هورتيج دون أن يراه • ولكن ، ألا يجوز أن يكون قد تناول طعام العشاء في المنزل وأن يكون هو ـ موريتز ـ قد خدع نفسه فتخيل النقص الموهوم في عدد الصحاف ؟ غير أن موريتز استطاع أن يتأكد من صدق تخمينه صباح اليوم التالي • لقد مضى هورتيج مساء أمس ولم يتناول طعام العشاء في منزل ايزاك ناجي • غير أن الطبيب وسترول ، كانا لايزالان في المنزل • جاءت ايوليسكا بأحذيتهما حوالي الساعة العاشرة لينظفها موريتز • فقام بعمله بعناية فائقة وأراد أن يحمل الأحذية الى داخل البيت غير أن ايوليسكا استوقفته

مكتبة عبد الحميد كتب كتب كتب facebook

على العتبة وأخذت الأحذية من يده فأدخلتها بنفسها الى الدار • ولما عادت قالت لموريتز :

ـ ان السيدة قد منعتني من السماح لك بدخول البيت • ماذا تريد ؟ انها دائماً هكذا ، انها تخاف دائماً أن تسرق •

## - ٥٨ -

استدعى الطبيب أبراموفيسي ، ايوهان موريتز بعد الغذاء الى غرفة الطعام وقال له بلهجة آمرة :

ـ احمل حقائبي وتعال معي :

كان موريتز سعيداً • كان متأكداً من أن الطبيب سيناديه ، وأنه لم ينسه •

ولما خرجا الى الشارع ، سأله الطبيب غاضباً :

ـ لم تسير حافي القدمين ؟

خجل موريتز من نفسه لكنه لم يكن يملك أحذية • نظر حوله في الشارع فلم يجد مخلوقاً واحداً يسير حافي القدمين ، فتابع طريقه منحني الرأس • كان ينظر بعناية خلال الطريق الى اقدام الناس الذين كانوا يمرون حوله • كانوا جميعاً منتعلين أحذية قصيرة أو عالية الساق ، نظيفة ملمعة • فخجل موريتز من نفسه وود لو انشقت الارض وابتلعته • حاول أن يطلب الصفح من الطبيب، لكن هذا كان يسير أمامه ويديه في جيوبه وكأنه لا يعرفه•

## - ٥٩ -

توقف أمام باب منزل قديم حوله حديقة صغيرة • أخذ الطبيب الحقائب ودخل وحده فبقي موريتز ينتظره على العتبة • قرأ اللوحة المعلقة

مكتبة ماجد الحيدر
facebook.com/كتب كتب كتب

على الجدار • كان عليها كلمة « قنصلية » • فعاد ينظر الى المارة الذين كانوا يخترقون الشارع •

لم يتأخر الطبيب أبراموفيسي في المنزل • لكنه لما خرج منه ، لم يكن يحمل حقائبه • كان يهبط السلم ضاحكاً • لكنه لما رأى موريتز ينتظره مستندا الى الجدار جمدت ضحكته على شفتيه • وقف برهة في مكانه، ووضع يديه في جيوبه ، وكأنه كان يفكر • لقد رآه موريتز يقطب حاجبه ، فلما عادا معاً ، كان الطبيب مطبقاً فكه ، فلم ينطق بكلمة • وكان ايوهان موريتز يسير وراءه على مسافة كبيرة ، حتى لايعرف الناس أن « السيد » الطبيب ، يمشي مصطحباً شخصاً حافي القدمين • كان موريتز لايريد أبداً أن يسبب للطبيب أبراموفيسي ذلك الخجل ، مهما كلفه ذلك من جهد •

توقف الطبيب أمام باب منزل ايزاك ناجي وانتظر أن يلحق به موريتز ثم قال له :

ـ يا نكل ، ان مسألتك شديدة التعقيد • ان الجمعية اليهودية في بودابست ، التي تهيء لنا أوراق السفر الى أمريكا، لاتريد الاهتمام بقضيتك• لقد قلت انك جئت معنا ، وتوسلت اليهم أن يساعدوك ، ولكن عبثاً • لقد أجابوني بأنهم لايستطيعون مدّ يد المساعدة للمسيحيين• ان المجلس اليهودي يجب أن يهتم باليهود وحدهم ، لذلك فانهم يطلقون عليه اسم : « المجمع الاسرائيلي » • وأنت لست يهودياً ، أليس كذلك ؟

ـ اني لست يهودياً يا سيدي الطبيب •

فاردف الطبيب أبراموفيسي :

ـ انهم على حق • لكنني آسف اذاً بلغت النتيجة هذا الحد • كنت اريد أن أصحبك معي الى أمريكا • غير انني رغم ذلك ، لن أهملك أو أسقطك من حسابي •

مكتبة عبد الحميد كتب كتب facebook

فتح الطبيب أبراموفيسي حافظة نقوده ، وراح يعد بعض الأوراق المالية ، بينما راح ايوهان موريتز يحدق بتلك الأوراق الهنغارية. كان شديد الدهشة اذ رآها صغيرة الحجم .

قال الطبيب أبراموفيسي :

ـ هاك عشرين « بانجوس » أجراً لأتعابك . انه مبلغ كبير . ينبغي أن يشتغل المرء هنا في هنغاريا أسبوعاً كاملا قبل أن يحصل على هذا المبلغ بينما ربحته أنت ، لمجرد أن نقلت حقائبي خلال بضع ساعات .

ما كان ايوهان موريتز يفكر قط في المطالبة بنقود أجراً على نقله الحقائب . انه لم ينقلها من أجل المال . لكن الطبيب أبراموفيسي لبث ماداً يده اليه بالمال ، فأخذ موريتز المبلغ ودسه في جيبه .

أردف الطبيب أبراموفيسي :

ـ كان المهم في الموضوع خروجك من المعسكر . ولقد أخرجتك منه، وجئت بك الى هنا . لو أننا لم نساعدك على الفرار ، للبثت دهراً تتحلل هناك . لكنني لا أسألك شيئاً لقاء هذا العمل . انني لست من طراز الرجال الذين يطالبون بالبدل عن الخدمات التي يقدمونها لكائن من كان .

- ٦٠ -

منذ أسبوع ، وايوهان موريتز في هنغاريا ، يقوم بعمله الذي بدأ يعمله ، حينما وطئت قدماه أرض بيت ايزاك ناجي : يرافق ايوليسكا الى السوق ، ويقطع الخشب ، وينقل دلاء النفايات الى الشارع، ويغسل الاطباق. فاذا حل المساء ، نظف المطبخ ، وغسل الارض والسلم .

وفي صباح يوم الاحد ، صادف ايزاك ناجي ايوهان موريتز في الممشى، فقال له بصوت قاس :

مكتبة ماجد الحيدر
facebook.كتب.كتب.كتب

ـ ألم تجد لنفسك عملا بعد ؟ منذ أسبوع وأنت هنا • فهل تظن بأنني سأستمر في التصدق عليك طيلة عمري ؟

تركه ايزاك ناجي ومضى دون أن يعقب بكلمة • فأسف ايوهان موريتز على الوقت الذي أضاعه ، دون أن يبحث لنفسه عن عمل • انه لم يفكر في ايجاد عمل لنفسه ، لأنه ظن أن ايزاك ناجي ، قد ادخله في خدمته•

مضى يحدث نفسه : « كيف بلغ بي السخف أن امتنعت عن البحث عن عمل ؟ ان هؤلاء الناس على حق • انهم لا يستطيعون اطعامي مدى حياتهم • »

تحدث موريتز مساء ذلك اليوم الى ايوليسكا ، فوعدته هذه بايجاد عمل له • كانت تعرف بعضهم في معمل من معامل « الشوكولاته » • قالت له مداعبة :

ـ لعلك تأتيني بقطع من « الشوكولاته » • أم تراك تعطيها الى أخرى!

فقال موريتز ، وقد أزعجه أن تفكر ايوليسكا في مثل هذا الاتجاه :

ـ كيف أعطيها لسواك ؟ لسوف آتيك بكل مايعطونيه • لن أقضم منه قطعة واحدة •

حلم ايوهان موريتز ذلك المساء ، بأنه يشتغل في معمل « الشوكوته »•

في صباح اليوم التالي،ودع الطبيب أبراموفيسي أخته وصهره وذهب• حمل له موريتز حقائبه حتى المحطة ، وهناك نقلها الى عربة النوم • سأله :

ـ أتذهب بعيداً ؟

فأجابه الطبيب :

ـ الى سويسرا•سأستريح هناك بضعة أسابيع قبل رحيلي الى الولايات المتحدة •

مكتبة ما الحبيب
www.facebook.com/groups/kotob

ولما أزفت ساعة الرحيل ، مد الطبيب أبراموفيسي يـــده الى موريتز مصافحـــاً .

شعر ايوهان موريتز بالدم يتصاعد الى وجنتيه . كان كل « الاسياد » على الرصيف ، ينظرون الى حركة الطبيب الذي يصافح يد رجل لا ينعل أخذية في قدميه ، يده هو ، ايوهان موريتز .

لما تحرك القطار هتف الطبيب من النافذة :

ـ الى اللقاء ياعزيزي يانكل ، لن أنساك . سأحاول عمل شيء ما ، لاخراجك من هنا .

فأجابه موريتز محيياً :

ـ الى اللقاء .

غاب القطار عن عيني ايوهان موريتز ، فانخرط في البكاء . شعر بأنه أصبح وحيداً في هذا العالم . لقد ذهب سترول وهورتيج ، دون أن يوجها اليه كلمة واحدة . وها أن الطبيب أبراموفيسي قد ارتحل الآن ... لبث موريتز زمناً على الرصيف القاحل . لم يشعر في حياته بمثل هذا الاحساس بالاغتراب . وفجأة تذكر معمل الشوكولاته ، فخفت أحزانه ، وعاد على أعقابه . فكر وهو يصعد شارع بيتوفي :

« لما أبدأ بالعمل ، سأشتري لايوليسكا قلادة من اللؤلؤ المزيف . »

- ٦١ -

مضى ايوهـــان موريتز وايوليسكا الى السوق في وقت مبكـــر ، خلافاً لجري العادة . اشتريا اللحم والخضار ، وكل مايلزم البيت من حاجات بسرعة عجيبة ، ثم مضيا بخطى حثيثة ، في شارع ذي بيوت منخفضة .

كان موريتز يحمل السلة بيـــده اليمنى ، ويمسك بذراع ايوليسكا بيسراه . كانا يمشيان بخطى مسرعة .

مكتبة ماجد الحيدر
facebook كتب كتب كتب

قالت ايوليسكا :

ـ ان المعمل في الجانب الآخر من المدينة ، لذلك ينبغي أن نسرع في مشيتنا .

كانا قلقين . لأنهما اذا تأخرا عن الوقت المعتاد ، لم تجد ايوليسكا الوقت الكافي لاعداد طعام الصباح . كانت قد تحدثت الى فتى من قريتها ، يعمل في ذلك المعمل ، فطلب اليها أن تصطحب موريتز ذات صباح ، ليقابل رئيس العمال وقال :

ـ اذا جاء ، فلسوف يقبل فوراً ، لأن المعمل يشكو قلة الأيدي العاملة .

قال موريتز وهو يشق لنفسه طريقاً وسط ازدحام عدد من الناس في احدى الساحات :

ـ علهم يقبلونني على الفور ! اذا استخدموني ، فلسوف أقبض أجري يوم الاثنين المقبل ، ولعلهم يعطوني كذلك بعض قطع الشوكولاته لك .

ضغط على ذراعيها بعنف . فنظر كل منهما الى الآخر وراحا يضحكان .

اردف موريتز :

ـ سأجد لنفسي غرفة آوي اليها ، لأنني لايمكن أن أبقى عالة على مخدوميك . سوف أبحث عن غرفة قريبة من المعمل .

سألته ايوليسكا :

ـ هل تسمح لي بالمجيء الى غرفتك ؟

غير أنه لم يسمع كلماتها . لقد اجتذب الازدحام الشديد انتباهه . كان يتساءل عن سبب وجود كل هذا الحشد من الناس ، في تلك الساعة . كان مئات من الناس يتزاحمون ويتدافعون بالمناكب . توقفت ايوليسكا

مكتبة ماجد الحيدر
www.facebook.com/groups/kotob

وحاولت هي الاخرى أن تستطلع سر هذا الازدحام • لكنها تذكرت أن عليها أن تسرع ما استطاعت • قالت :

ـ لنذهب من شارع آخر ، وإلا فانني لن أستطيع العودة في الوقت المناسب •

عادا على أعقابهما وهما يسيران بسرعة أكثر ، محاولين تلافي الوقت الذي أضاعاه • لكن منفذ الشارع كان مغلقاً برجال البوليس •

نظرت ايوليسكا الى رجال الشرطة من زاوية عينها ، وحثت خطاها تضاعف من سرعتها • قالت :

ـ ان رجال الشرطة والدرك أسوأ الرجال في العالم • انني لن أتزوج دركياً أبداً •

التفتت ايوليسكا لتتأكد من أن موريتز قد سمع قولها • لكن موريتز لم يكن يسير وراءها • راحت ايوليسكا تبحث عنه بأبصارها ، فشاهدته قرب بعض الدركيين ، يشير اليها بيده •

اتجهت ايوليسكا نحوه • فهمت في تلك اللحظة سر ذلك الازدحام • لقد أطبق عليهما كمين أعده رجال الشرطة للتحري عن المشبوهين • وقف رجال الدرك ، بعد أن أقاموا شبه حاجز على الطريق ، وراحوا يتصفحون أوراق المارة ، قبل أن يسمحوا لهم بالمرور • أما النساء فما كانوا ليسألوهن أوراقاً ، ولهذا السبب ، استطاعت ايوليسكا المرور من دون موريتز •

تذكرت ايوليسكا أن موريتز ما كان يحمل معه أيـــة أوراق تثبت شخصيته • فذعرت واعتراها الخوف،عادت تمر خلال حاجز رجال الدرك، فأراد أحدهم أن يضغط على ساعدها ، لكنها تحاشته،وهرعت الى حيث وقف موريتز • شاهدت موريتز في تلك الاثناء واقفاً مع نفر من الناس ، يخفرهم دركي شاكي السلاح ، ويسوقهم الى سيارة عسكرية قريبة • كان موريتز قد

مكتبة ماجد الحيدر
كتب كتب كتب
facebook

رفع السلة فوق رأسه ليتيح لايوليسكا أن تهتدي بها الى مكانة ، فتبلغ اليه ، وتستعيد السلة • ورأت ايوليسكا السلة ، لكنها لم تستطع التقدم الى حيث كان حاملها • كان رجال الدرك يمنعونها عن التقدم الى أكثر من الحد الذي بلغت اليه • شرحت لهم بأنها تريد أخذ سلة الخضار من يد الشاب الموقوف، لكنهم لم يصغوا اليها ، أم لعلهم لم يفهموا قولها • صخبت وصاحت وشتمت ، ولكن عبثاً •

كان ايوهان موريتز قد صعد الى السيارة العسكرية ، وترك السلة تتدلى الى جانبها ، على أمل أن تصل ايوليسكا ، فتتلقفها من يده •

وتحركت السيارة ، فوضع السلة على ركبته • فكر أن « السيدة ناجي ستضرب المسكينة ، اذا عادت الى المنزل دون سلة » كان يهم بالقفز من السيارة ، ليعيد الى الخادم المسكينة سلتها • لكنه أفلت تلك الفرصة كذلك اذ أن جنديين شاكيي السلاح ، وقفا الى جانبي السيارة ، لمنع كل محاولة من هذا النوع • ولما وقعت عينا ايوهان موريتز عليهما نسي سلة الخضار • لقد تجلت له الحقيقة المرعبة : لقد كان سجيناً •

## - ٦١ -

مضت أربعة أسابيع على توقيف ايوهان موريتز • غير أنه خلال هذه المدة ، لم يطلع على أي شيء خارج حدود زنزانته • لقد حرم حتى من رؤية الشمس • كانت نافذة زنزانته تطل على باحة داخلية ، تحيط بها أسوار عالية تحجب الافق عن ناظريه ، وجزءاً كبيراً من السماء • منذ أربعة أسابيع لم يستنشق نفحة واحدة من الهواء المنعش • كان هناك موقوفون آخرون • لكنهم كانوا يخرجون الى الباحة ساعة كل يوم • فكان يسمع صوت خطواتهم وهم يغادرون زنزاناتهم ويعادون اليها • كان موريتز يعرف أنهم أخرجوا للنزهة اليومية • كان يخمن ذلك من صوت الخطى •

مكتبة ماجد الحيدر
facebook

كان الممشى في تلك اللحظة ساكناً هادئاً ، والصبح لم يشرق بعد . فتح موريتز عينيه . كان جفناه يفتحان بألم وجهد . لقد كانت عيناه تؤلمانه ، وجفناه متورمان مقرحان وقد تجمد فيهما الدم . ترى متى أعادوه الى زنزانته ؟ لم يكن يذكر شيئاً من ذلك . قال في نفسه « لقد أكثروا من ضربي في المرة الاخيرة ، حتى فقدت وعيي » . كان يتحدث عن نفسه حديثه عن انسان غريب ، عن شخص ثالث . رفع يده الى وجهه ، كانت لحيته كثيفة قاسية والدم قد تجمد خلال شاربيه وشعره وأهدابه . ومرّر ايوهان موريتز لسانه على شفتيه المنتفختين . كانتا كالدملة المتفسخة ، لاتلبث أن تتفقىء . وكانت أسنانه تؤلمه كذلك . لقد فقد أربعة منها حتى الآن . لقد بصقها ذات يومٍ مع الدم ، اثر لكمات عنيفة تلقاها على فكيه . أما هذا اليوم ، فقد كان الألم يشبه في حدته آلام ذلك اليوم . تساءل : « اذا حطموا لي أسناناً جديدة هذه المرة ، فسوف أفقد القدرة على مضغ خبزي بعد الآن » . لم يعن بلمس مواضع الالم ، أو بتحسس فكيه من الداخل بطرف لسانه ليتأكد من عدد الأسنان المفقودة ، لأن أية حركة كانت تؤلمه ، فأغمض عينيه واستسلم لمصيره . ومرَّ الوقت ، فسمع صوت خطى تقترب من الممشى . لكنه لم يرهف السمع كعادته ليخمن نوع تلك الخطى ويحدس من أين كانت تأتي والى أين كانت تمضي . كان جسده مُثخناً وأفكاره متبلدة ، فلما جاءوا يسوقونه الى الاستنطاق ، غادر فراشه وهو يئن متوجعاً . كان باطن قدميه متورماً أشبه بالرغيف الساخن . وقد أدهشه أن لايذكر أنه تلقى على قدميه . دفعه الحارس بقسوة ، فاجتاز موريتز عتبة زنزانته . شعر بألم هائل في ظهره ، في المكان الذي ركله الحارس فيه وهو يسوقه ، ثم زال الالم وغاد يتوجع بسبب قدميه . كان كلما خطا خطوة يشعر كأن بعضهم ينتزع قطعة من لحمه .

كان على بعد مائة خطوة من مكتب المفتش « فارجا » الذي كان يتولى

التحقيق معه • كان عليه أن يقطع هذه الخطوات المائة ، فكان مجرد التفكير فيما سيلقاه ، يكفي لكي تخونه قواه ويتهاوى على الارض • هرع الدركي ورفعه من تحت ابطيه • كان ايوهان موريتز قد غدا خفيفاً كالطفل • كانت العظام المكسوة بالجلد هي كل ماتبقى له ، أما اللحم والشحم ، فلم يعودا موضوع بحث •

مكتبة ماجد الحيدر
كتب كتب كتب
facebook

- ٦٣ -

عندما أوقف ايوهان موريتز أول الأمر ، أدلى بمعلوماته ، فقص بكل أمانة ، كيفيه وصوله الى هنغاريا • غير أن رجال الدرك لم يصدقوه • ضربوه لينتزعوا منه الحقيقة وأخضعوه لتعذيب مريع • ولما أعادوا سؤاله وكرر عليهم أقواله الاولى بكل دقة ، عادوا فضربوه من جديد •

كان في تلك اللحظة في سجن دائرة الجاسيوسية الهنغارية وكان كل يوم يتعرض لاستجواب وضرب • كان المفتش يسأله :

ـ لماذا أرسلوك الى هنغاريا ؟

فيجيب موريتز :

ـ لم يرسلني أحد الى هنغاريا •

ـ لقد أفدتنا بأنك بلغت الحدود في سيارة عسكرية يقودها وكيل ضابط!

ـ صحيح • أن وكيل الضابط كان اسمه « آبوستول كونستانتان » ، لقد كان قائد المعسكر وصديق الطبيب « آ براموفيسي » • لقد رافقنا ليحول دون توقيفنا من قبل العسس على الطريق •

قال المفتش :

ـ انه القائد « تناز ايون » من قلم الاستخبارات الروماني • اننا نعرف أنه ينشط الآن في هذه المنطقة • انه يرسل الينا جواسيسه كل شهر • وهو

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.facebook

الذي أرسلك • لكننا نريد أن نعرف لم أرسلك وماهي مهمتك ؟

أطرق موريتز برأسه الى الأرض وأجاب :

ـ لقد ذكرت لكم كل الحقيقة •

كان يعرف أنه سيقاد بعد لحظات الى غرفة التعذيب في القبو ، فشعر بوخز في أطراف جسده ، واعترته رعدة عندما تمثل له هذا الخاطر •

قال المفتش :

ـ ألا ترى أن كل هذه المهزلة التي تتذرع بها لاتفيدك في شيء ؟ ان من السخف الاستمرار على المقاومة • لقد أعلنت لنا أنك سجنت في معسكر لليهود في رومانيا عاماً ونصف •

فأجاب موريتز

ـ نعم لقد سجنت كذلك •

ـ كاذب • انك لم تطأ بقدمك أرض المعسكر • أنك روماني •

أجاب موريتز :

ـ انني روماني •

استرسل المفتش قائلا

ـ وفي هنغاريا أردت الظهور بمظهر اليهودي وادعيت أنك أرسلت في رومانيا الى معسكر من معسكرات اليهود لترغمنا على تصديق أقوالك ، ثم أعلنت أنك اجتزت الحدود برفقة ثلاثة من اليهود •

ـ ان هذا صحيح أيضاً •

ـ انه ليس صحيحاً • لقد جئت لوحدك • انك لم تقطن لدى ايزاك ناجي • ان أسرة ناجي لم تتلق ضيوفاً منذ ستة أشهر • هل ظننت أننا سنصدق أقوالك دون أن نحقق فيها ؟ لقد أخذنا افادات السيد ناجي

مكتبة ماجد الحيدر
كتب. كتب. كتب. facebook

وزوجته وهي مسجلة ومحفوظة في هذه الاضبارة • انهما لم يسمعا باسمك من قبل والسيدة روزا ناجي ليس لها أخ طبيب •

سأل ايوهان موريتز :

ـ هل قالوا انهم لايعرفونني ؟ ان السيدة لايمكن أن تقول ذلك • لقد اشتغلت في منزلها ورافقت الخادم « ايوليسكا » الى السوق وغسلت الصحاف والأطباق •••

راح ايوهان موريتز يبكي ، بينما صاح المفتش :

ـ وهذه أيضاً كذبة وقحة • ان السيدة روزا ناجي لم تستخدم خادماً باسم ايوليسكا • كان يجدر بك قبل أن تعمد الى الكذب ، أن تتأكد من اسم الخادم !

ضحك المفتش مسروراً من نباهته وأردف :

ـ لقد سألت خادم السيدة ناجي • انها في خدمتها منذ ثمانية أعوام • ان كلمة ايوليسكا من اختراعك وحدك • لقد كنت تريد خداعنا ، أليس كذلك ؟

أغمض ايوهان موريتز عينيه • كان ينتظر أن يدعو المفتش الحارس ليقوده الى الغرفة السفلى • لقد كان يتعذب كلما تصور أن السيدة ناجي أنكرت معرفتها به • كان لايستطيع تصديق هذا القول •

سمع ايوهان موريتز صوت الباب يفتح وصوت خطي تقترب منه • لكنها لم تكن خطوات الحارس الذي كان سيقوده الى غرفة التعذيب • فتح عينيه فرأى ايزاك ناجي واقفاً أمامه • كان يرتدي ثوباً جديداً كستنائي اللون ، لكنه ماكان ينظر اليه أبداً •

سأله المفتش :

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.كتب facebook

ـ هل تعرف هذا الشخص ؟

حدج ايزاك ناجي موريتز بنظرة ملتهبة وقال :

ـ انني أراه اليوم للمرة الأولى .

سأله المفتش :

ـ هل التجأ ثلاثة من اليهود الفارين من رومانيا الى منزلك .؟

ـ ان أحداً لم ينزل عندي منذ سنوات طويلة باستثناء زوجتي والخادم.

قال المفتش :

ـ انني أشكرك !

غادر ايزاك ناجي المكتب ، فدخلت زوجته بعد خروجه مباشرة وأعلنت أنها لاتعرف موريتز وانها لم تر وجهه قبل اليوم .

سألها المفتش :

ـ هل لك أخ طبيب في رومانيا ؟

فأجابت روزا ناجي :

ـ انني وحيدة أبوي .

ألقى المفتش نظرة قاسية على ايوهان موريتز ثم سأل روزا ناجي :

ـ هل استخدمتم في منزلكم خادماً باسم ايوليسكا ؟

فأجابت :

ـ أبداً ! انني في بودابست منذ ثمانية أعوام ولم تدخل في خدمتي الا خادم واحدة اسمها جوزيفينا .

خرجت مدام ناجي من المكتب باسمة وبعد ذلك ، دخلت امرأة عجوز أعلنت أن اسمها جوزيفينا وانها أمضت في خدمة آل ناجي ثمانية أعوام دون انقطاع وأخيراً خرجت وبقي المفتش وحيداً مع ايوهان موريتز ؛ فقال:

مكتبة ماجد الحيدر
facebook.كتب.كتب.كتب

ـ هل تعترف الآن على الاقل بأنك كنت تكذب ؟ قل الحقيقة ! لماذا أرسلوك الى هنغاريا ؟

فكان جواب ايوهان موريتز أن انخرط في بكاء مرير ...

## - ٦٤ -

اقتيد ايوهان موريتز من مكتب المفتش «فارجا» الى غرفة التعذيب مباشرة على جري العادة ، لكنه لم يشعر قط من قبل بمثل الخوف الذي انتابه في ذلك اليوم . ولما دخل غرفة التعذيب ، كانت مضاءة بنور عنيف ، نور أبيض كالحكك . كانت المصابيح كبيرة شديدة الضوء .

أغمض ايوهان موريتز عينيه ، غير أن الضوء العنيف كان يحرق صدغيه كالنار المشبوبة .

صرخ به أحد الحارسين ضاحكا :

ـ اخلع ملابسك .

كان المتكلم واحداً من اثنين من الرجال ، ضخم الجثة كزميله ، ذا شاربين كثيفين ، كان موريتز يراه كلما أدخل الغرفة ، متلهياً بلعب الورق مع زميله . أخذ موريتز يحل ياقته . كان يعرف أنه اذا أبطأ في خلع ملابسه فان واحداً من الحارسين سيهرع اليه ، فيضربه بالسوط بعنف على وجهه . كان يعرف هذه الحقيقة .

لكن أصابعه كانت متورمة ، فكان يجد مشقة كبيرة في تخليص أزرار القميص الدقيقة من عراها . كان موريتز يشعر برعب هائل من ذينك الرجلين . لم يخش كل حياته وقع السياط كما بات يخشاها اليوم . ألقى نظره الى حيث كان الحارسان جالسين يلعبان . كانا منهمكين في اللعب ، حتى أنهما لم يلاحظا تباطؤ موريتز . وأخيراً ، استطاع موريتز أن يخلع

مكتبة عبد الحميد كتب facebook

قميصه وترك سراويله ، فلم يخلعها لأنهم ماكانوا يطلبون اليه ذلك • ليث واقفاً ينتظر • كان أمامه رف مدرج ، صفت عليه قضبان من الحديد ، كالتي يستعملها الجنود في ثكناتهم لتنظيف بنادقهم • كانت تلك القضبان مرتبة بحسب أحجامها ، فكان الى يسار الرف عدد منها بقطر ابهام اليد ، وكانت الأحجام تهبط بالتدريج • وكان هناك قضيبان من كل حجم ، فأخذ موريتز يعدها للمرة الاولى • كانت القضبان الدقيقة مصفوفة الى يمين الرف ، تشبه في حجمها عيدان القش • وكان موريتز يعرف الألم العنيف المضني ، الذي تخلفه هذه العيدان في الجسد •

هتف أحد الحارسين وهو ينتصب واقفاً :

ـ الى العمل يابني !

ظلت أوراق اللعب مبعثرة على المائدة • أردف الحارس يقول :

ـ من لايشتغل لايأكل •

رآه موريتز يتمطى • كان يرتدي قميصاً أزرق تظهر خلاله تقاطيع جسمه الضخم • وكان يبدو عليه النعاس •

أطفأ الحارس الآخر لفافته وألقى نظرة على موريتز وقال :

ـ اذن ؟ هل ستقول لنا اليوم لماذا أرسلوك الى هنا ؟

كان صوت الحارس رقيقاً وكأنه يدعوه الى اشعال لفافته مثلا •

تثاءب الحارس وتمطى كما فعل زميله منذ قليل ، فأجابه موريتز :

ـ لقد قلت لكم : ان أحداً لم يرسلني الى هنا !

استدار الحارسان بعنف نحوه وانتفضا كأنهما لمسا حديداً محمى • التمعت أعينهما بالغضب ، فأخذ ايوهان موريتز يرتعد • اقترب أحد الحارسين منه ولكمه لكمة على وجهه أعقبها بثانية ثم بثالثة • ففقد موريتز الشعور بالألم من منطقة وجهه على الأقل •

مكتبة ماجد الحيدر
facebook

قبض عليه الآخر ، ومده على صدره فوق المقعد الخشبي الذي كان قرب الرف ، ثم اعتلى ظهره كما يمتطي الفارس حصانه • كان موريتز يشعر كلما جلس الحارس على ظهره بأنه سيموت خنقاً • لكنه اليوم كان يتمنى لو يموت • كان يشعر بعظام صدره تتحطم على المقعد وبرئتيه يضغطهما ثقل الحارس كما لو كان يرزح تحت حجر الرحى ، فكانتا لاتستطيعان استنشاق الهواء • سأله الحارس الذي لكمه على وجهه :

ـ ماذا قلت ؟

شعر مورتيز بالضربة الاولى على قدميه ، فتشنجت عضلات ساقيه وراح يحاول تفادي الضربات غير أن الحارس الجاثم فوقه ضم ساقيه بيديه ومنعهما من الحركة وهبطت الضربة الثانية • كانا ولاشك يستعملان القضيب الضخم في تلك اللحظة لذلك فان موريتز بعد الضربة الثانية فقد الاحساس بالألم • كان دماغه وحده هو الذي يتألم • ولما انهالت الضربات تباعاً على قدميه كان يشعر بوقعها في دماغه وصدره ثم في كتفه ، ثم أغمي عليه • تصلب جسمه فغدا كقطعة من الخشب غير أن ذلك لم يطل • شعر في تلك اللحظة بأنه يتلقى ضربات سكين تمزق باطن قدميه وبالنار تشويهما وخمن أنهما يضربانه بالعصي الرفيعة الدقيقة • انهالت الضربات وراحت ترتفع حتى بلغت ركبتيه ثم فخذيه ففقد السلطة على مثانته وبطنه بينما تتابعت الضربات بوحشية وعنف • أحس موريتز بضوء أصفر يتراقص أمام عينه وبدأت الأطعمة التي ابتلعها قبل مجيئه تهجر معدته وتخرج من فمه • وكان سرواله المبلل قد التصق بجلده ، فلا الماء ولا الخبز كان يقبل البقاء في معدته •

شعر ايوهان موريتز بأنه غارق في ذلك الضوء الأصفر الذي يحيط به ، كان فمه مملوءاً بسائل مر أخضر • كانت السوائل تغادر جسمه عن

طريق الأنف والفم وكـل المنافذ الأخرى • كانت ممتزجة بزبد أخضر أشبه بلعاب الضفدع السام • كان ايوهان موريتز يشعر بأن حياته تتسل من كل مكان • ظل عقله وحـده متيقظاً • فكان يخمن أن الحارس يضربه بالقضبان الدقيقة لكنه ماكان يحس بوقعها على جسمه • وأخيراً لم يستطع الدم كذلك أن يتحمل الضربات فحاول بدوره الافلات من ذلك الغلاف الجلدي الممزق المثخن بالجراح فتفجر من كل المسامات التي كان يستطيع الخروج خلالها • كان الدم يغادر جسم ايوهان موريتز من أنفه وأذنيه ويختلط مع البول ويتفجر من كل مكان • كان الدم عاجزاً عن ذلك الجسد الممزق فكان يفر ماستطاع الى الفرار سبيلا •

## - ٦٥ -

استيقظ ايوهان موريتز فتذكر مقابلة البارحة التي جرت بينه وبين ايزاك وروزا ناجي • قدر : « أنهما لو ذكرا الحقيقة لأخلى المفتش سراحي ولما تعرضت لكل ذلك الضرب والعذاب • » انه منذ توقيفه لم يضرب ولم يعذب كأمس • كان جسمه كله عبارة عن جرح عميق واحد ، جرح كبير دام يمتد من قدميه حتى يبلغ قمة رأسه •

« لقد قال ايزاك ناجي انه لايعرفني وكذلك قالت زوجه » مع ذلك فقد كان موريتز يرى نفسه بعين الخيال وهو يلمع أحذيـة ايزاك ناجي ويقطع الأخشاب ويغسل الأرض وينظف المطبخ بناء على أمر روزا ناجي • « كيف استطاعا انكار معرفتهما بي ؟ لقد ادعيا بأنهما لم يريا ايوليسكا وأنهما لم يستخدما قط خادماً بهذا الاسم • »

كان ايوهان موريتز خائر القوى • كان يعرف أن جسمه وعقله قد دب فيهما الهزال والضعف وأنه أعيد الى زنزانته أمس وأمس الأول دون أن يذكر كيف وفي أية لحظة أعيد اليها • كان يعتقد أن ذلك الضعف الشامل

مكتبة ماجد الحيدر
facebook.كتب.كتب.كتب

سببه الضرب والتعذيب • لكنه كان واثقاً من أنـه أوى الى بيت ايزاك ناجي ، واثقاً أن خادم البيت كان اسمها ايوليسكا • مـع ذلك فان ايزاك ناجي قال كلا وقالت زوجه كذلك كلا • لقد سمعهما بأذنيه يقولان كلا •

أغمض ايوهان موريتز عينيه مستسلماً •

-٦٦-

بعد فترة قصيرة من الزمن استدعى موريتز من جديد • فراح يرتعد ويضطرب • عزم للمرة الأولى في حياته على قتل نفسه • لم يعد يستطيع احتمال المزيد من الألم • ترك الحارس الباب مفتوحاً ووقف على عتبته • فرآه موريتز خلال أهدابه يضحك •

قال الحارس :

ـ هيا انهض !

تذكر موريتز المفتش فارجا وخيل اليه أنه يسمع صـوته وأنه أعيد الى غرفة التعذيب حيث القضبان الحديدية من مختلف الاحجام والمقاييس• وشعر بثقل الحارس يهبط على ظهره فغمغم متوسلا :

ـ كلا ليس اليوم : غداً وبعد غد وكل ماتبقى لي من أيام • كل يوم خذني الى التحقيق والتعذيب ولكن ليس اليوم •••

قال الدركي :

ـ اننا اليوم نطلق سراحك !

لم يصدقه ايوهان موريتز بل أنه ما كان يستطيع أن يصدق •مـع ذلك فقد أطلق سرحه ذلك اليوم •

لكنهم لم يعيدوا اليه حريته • لقد كان من الرعايا الرومانيين لذلك وجب سوقه الى معسكر من معسكرات العمل •

مكتبة ماجد الحيدر
كتب كتب كتب .facebook

-٦٧-

قبل أن يغادر السجن تلقي ايوهان موريتز رسالة من ايوليسه كان حارس مكتب المفتش فارجا هو الذي جاءه بها في اللحظة التي موريتزيهم بمغادرة زنزانته • أخذ موريتز الرسالة فطالعته كتابة ايوليسكَ

« عزيزي ايانوس : انني منذ أربعة أيام طردت من خدمة السيد ناجي • وقد كتبت لك هذه الرسالة لأحيطك علماً بالأمر ، حتى لاتبحث عني في شارع « بيتوفي » حين يطلقون سراحك • انني عائدة الى الريف حيث تقطن أمي في اقليم « بالاتون » التابع لناحية « تيزا » حيث أنتظرك بشوق • يمكنك أن تحضر الى هنا حال مغادرتك السجن •

« ايوليسكا »

وجاء في الزواية اليمنى من الرسالة مايلي :

« لقد كنت البارحة لدى آل ناجي لأستعيد أشيائي • ان السيد ناجي وزوجته يطلبان اليك أن لاتغضب لأنهما أعلنا أمام رجال الشرطة انهما لايعرفانك • ان اليهود أصبحوا اليوم يوقفون ويسجنون في المدينة لذلك فقد كانا يرهبان الاعتراف بأنهما أويا غرباء في بيتهما • انهما يرسلان اليك تحياتهما • لقد أعطاني السيد ايزاك ثوباً جديداً تقريباً هدية منه اليك • ستجد الثوب عندي عند عودتك • ان السيد ناجي والسيدة روزا باسلان • لكنهما خافا أن يسجنا لذلك فقد أنكرا معرفتهما بك • ان الاوقات عصيبة والخوف يجعل المرء يقتل أمه وأباه • أقبلك ـ ايوليسكا » •

-٦٨-

كان أعضاء الحكومة الهنغارية مجتمعين اجتماعاً سرياً في قصر الوصاية منذ ثلاث ساعات •

مكتبة ماجد الحيدر
facebook
كتب كتب كتب

كان الاجتماع قد انتهى تقريباً مع ذلك فقد وقف وزير الخارجية يقول:

ـ ان مشكلة الخمسين ألف عامل لم تحل، انها مشكلة شديدة الأهمية.

فقال رئيس الحكومة بصوت قاس :

ـ لقد حلت القضية . ان القرار اتخذ وقبل بالاجماع .

كان الوزراء على وشك مغادرة قاعة الاجتماع وكل منهم يتأبط محفظته غير أن وزير الخارجية لم يلق بالا الى حركتهم بل أردف :

ـ ينبغي أن نجد شيئاً نعطيه . ينبغي أن نحافظ على توازن علاقاتنا مع الرايخ الثالث . انها ليست علاقات الند بالند . ينبغي أن نعترف بذلك مهما كلفنا الأمر . ان موقف هنغاريا من ألمانيا ليس موقف الحليف من حليفه بل المرؤوس من رئيسه . لكن هذا الموقف لايمكن أن يتبدل الا اذا حل محله احتلال عسكري . وهو أسوأ مما نحن عليه . لقد طلبوا منا باديء الأمر أن نقدم ثلاثمائة ألف عامل « ٣٠٠ ألف » ثم عدل هذا الرقم الى خمسين ألفاً . لكن لايمكن الا أن نقدم هذا العدد .

قال رئيس الوزارة وقد غدا وجهه أحمر من الغضب :

ـ ان حكومتي لن تسلم مواطناً هنغارياً واحداً كالعبد الى ألمانيا . ان المسألة اذن منتهية .

فأجاب وزير الخارجية .

ـ ان ألمانيا تتمسك كثيراً بهذا الطلب . لقد وجه الينا على شكل انذار نهائي . ان صناعتهم بحاجة الى الأيدي العاملة . فاذا لم نقدم اليهم خمسين ألفاً من الرجال فان رفضنا سيقضي علينا . لقد أبلغت أنه في حال رفضنا هذا الطلب فان أمر احتلال هنغاريا عسكرياً ، سيعتبر ضرورة ملحة . ان واجبي أن أبلغكم ذلك . انكم ستتحملون المسؤولية التي ستنجم عن هذا الرفض .

مكتبة ماجد الحيدر
كتب كتب كتب facebook

سأل أحد الوزراء :

ـ ألا يمكن أن نجد حلا وسطاً ؟

فأعقب رئيس الوزراء :

ـ اذا أرسلنا هنغارياً واحداً الى ألمانيا فان الموقف لايكون أقل سوءاً • ان التاريخ لن يصفح عن مثل هذا التصرف • لذلك فان جوابنا لايمكن أن يكون الا الرفض الحازم • ليس في هذه المسألة أي حل وسط •

قال وزير الداخلية :

ـ ماذا لو أرسلنا الى ألمانيا خمسين ألف عامل من غير الهنغاريين ؟ ان لدينا في معسكرات الاعتقال أكثر من ثلاثمائة ألف أجنبي • فلماذا لانقدمهم الى ألمانيا ؟

قال وزير الخارجية :

ـ انني أعترض على هذا الحل لأنه سيعقد الأمور • انه مناف للقوانين الدولية المتعلقة بالسجناء والمعتقلين السياسيين • اننا في حاجة الى عطف الدول الأجنبية فاذا اتخذنا هذا الحل سبيلا فان شرف تاج « سان‌ايتين » سيكون معرضاً للامتهان • ان النتيجة الوحيدة لمثل هذا التصرف هي خلق أعداء لبلادنا •

دام النقاش نصف ساعة حتى وجد الوزراء الحل المناسب • قرروا ارسال خمسين ألفاً من العمال الهنغاريين شريطة أن ينتخبوا من بين الموقوفين الذين تكون جنسياتهم غير واضحة • وتعهد وزير الداخلية أن يتصرف بشكل يجعل العمال المرسلين عاجزين عن اثبات جنسياتهم الأخرى وأعقب وزير الداخلية يقول :

ـ وبذلك ننقذ الدم الهنغاري • ولن يستطيع التاريخ أن يتهمنا بارسال هنغاريين الى العبودية • ان هدفنا نبيل حتى أن التاريخ سيعذر الاساليب التي استعملناها •

مكتبة ماجد الحيدر
facebook كتب كتب كتب

-٦٩-

دخل الكونت « بارثولي » رئيس الصحافة الهنغارية مكتبه واستدعى أمينة سره • كان يريد أن يملي عليها البلاغ الرسمي المتضمن القرارات التي اتخذتها الحكومة في جلستها السرية •

كان الكونت يحدث نفسه قائلا « ان الرجل الذي لايحترم شرفه ولا كرامته ليس الا عبداً رقيقاً • ان من يريد أن يحيا اليوم موفور الكرامة عليه أن يحكم على نفسه بالانتحار • ان مجتمعنا ينكر الكرامة والشرف الشخصيين أي أنه ينكر كل حياة الرجل الحر • انه لايسمح الا بحياة العبودية • لكن هذا لايمكن أن يدوم • ان مجتمعاً يتكون أفراده ــ من الوزير وحتى أحط الخدم ــ من عبيد أرقاء لايمكن الا أن ينهار • وكلما انهار بسرعة كلما كان أجدى • »

سألت أمينة السر وهي تدخل مكتب الكونت :

ــ هل قلت شيئاً ياسيدي الوزير ؟

فأجابها :

ــ كلا • اكتبي من فضلك : بلاغ رسمي : « ان مجلس الوزراء في جلسته السرية الأخيرة قد اتخذ قراراً بتسهيل اعطاء السمات وشروط السفر للعمال الهنغاريين الراغبين في السفر الى ألمانيا للتخصص في مختلف فروع الصناعة الفنية الآلية • ان عدد العمال اللذين ستمنحهم الدولة التسهيلات قد حدد في الوقت الحاضر بخمسين ألفاً • » هذا كل شيء • أرجو أن تبلغي الصحف ذلك وأن تطلبي الى ادارتها نشره على صفحاتها الأولى •

-٧٠-

تناول الكونت بارثولي عشاءه مساء ذلك اليوم في مطعم مع ابنه الذي كان بنفس الوقت رئيس ديوانه •

مكتبة ماجد الحيدر
كتب كتب كتب .facebook

وبينما كانا يحتسيان القهوة سأل الكونت ابنه :

ـ مارأيك في قضية ارسال العمال الى ألمانيا .

فأجاب لوسيان :

ـ الحقيقة أنها ضربة قاضية على المسرح السياسي ! ان المشروع جبار وفني . نحن نرسل الى الألمان أجانب نجمعهم من السجون ومعسكرات الاعتقال بدلا من أن نقدم اليهم هنغاريين . ان التجبر الألماني يستحق مثل هذا الدرس . انها فكرة عبقرية .

سأل الكونت :

ـ أتدري أننا سنحصل لقاء ذلك على امتيازات من ألمانيا أو بعبارة أوضح أتدري أننا قد قبضنا ثمن ارسال الخمسين ألف عامل اليهم ؟

فأجاب لوسيان :

ـ ان هذا واضح . اننا لن نعطي الألمان أيد عاملة دون أن نأخذ منهم لقاء ذلك شيئاً .

ـ ألا تشعر ياولدي بامتهان عندما تعرف أن أباك قد ساهم اليوم في عقد صفقة بيع أحياء آدميين ؟ ان هذا النوع من التجارة هو آخر مرحلة على سلم الانحطاط الأخلاقي .

قال لوسيان :

ـ انك تدهشني . هذا هو السبب اذن في اكتئابك هذا المساء ...

قال الكونت باصرار :

ـ لاتحاول المخاتلة ! هل تعترف بأنني ساهمت في تجارة الرقيق أم لا ؟

فأجابه لوسيان باسماً :

ـ اذا كنت تصر على طرح السؤال على هذا الشكل فانني أقول : انك ساهمت حقيقة في تجارة رقيق .

مكتبة ماجد الحيدر
facebook
كتب كتب كتب

ـ ان من السخف أن أفكر في ذلك • انني أعتقد بأن سبب انزعاجك هذا المساء لايمكن أن يكون مبعثه هذا الأمر • ان هذه القضية لايجب أن تكون موضوع قلق ولو عابر • لقد أرغمنا على ارسال عمال الى ألمانيا ولو أننا لم نتوصل الى هـذا الحل لاضطرارنا الى ارسـال مواطنين هنغاريين ولأصبح الأمر شديد الخطورة !

قال الكونت :

ـ شديد الخطورة من وجهة النظر الهنغارية صحيح • لكن من وجهة النظر الانسانية ان الأمر لايختلف في شيء • لقد بعنا مخلوقات بشرية الى الألمان •

ـ لكنهـا ضرورات تمليهـا الظروف الحاضرة لانستطيـع تحاشيها والفكاك منهـا •

ـ لقد تحررت أوربا منذ مئات الأعوام من تجارة الرقيق وكان آخر مابيع من البشر ، زنوج في أمريكا • والآن فان تجارة الرقيق قد حرمت في الدنيا بأسرها • ان شجب الرقيق ومنعه من أهم التنظيمات والترتيبات في حضارتنا • غير أننا الآن نعود القهقرى فنتكص على أعقابنا الى الزمن الغابر فنبعث تجارة الرقيق من لحدها • لقد عدنا من القرن العشرين الى مابعد نشوء المسيحية قافزين قفزة هائلة فوق عصر النهضة والقرون الوسطى •

قال لوسيان :

ـ لاينبغي أن تنظر الى الأمور من هذه الزاوية المؤسية • ان العمال الموفدين الى ألمانيا لن يكونوا مغلولي الأيدي • انهم يذهبون الى هناك كعمال •

ـ لن يغلوا في الحديد لأنهم لن يستطيعوا فراراً • ان المجتمع المعاصر يملك من الوسائل للاحتفاظ بالرقيق مالم يملكه اليونان من قبل • انني لاأفكر فقط في الرشاشات وحواجز الأسلاك الشائكة التي يمر فيها تيار

كهربائي صاعق ، بل أفكر كذلك في الأساليب التعسفية الآلية التي سوف يعمد اليها النظام « البوروقراطي » للرقابة على الكائن الحي . وأقصد ببطاقات الاعاشة وأذون رجال الشرطة للحصول على سرير في الفندق أو ركوب الحافلة أو التنزه في الشارع أو ابدال المسكن . ان اليونان والمصريين ماكانوا ليكبلوا أيدي عبيدهم وأرجلهم بالحديد لو كانت لديهم الوسائل التي لمجتمعنا المتمدين . غير أن الرقيق لم يتبدل .

ـ يجب أن لانفكر في كل هذا ياأبي . اننا لانستطيع تبديل شيء وليس لنا أن نختار . اننا لسنا البلد الأول الذي باع رقيقاً الى ألمانيا . هناك رومانيا والكروات وفرانسا وايطاليا والنروج . بل وكل بلاد أوربا تقريباً . ماذا نستطيع أن نعمل الا التخلي عن الحكم ومقاومة ألمانيا لأنها تشتري رقيقاً ولأن الدول الأخرى تبيعه لها . لو فعلنا ذلك لجاءت حكومة أخرى الى الحكم ، حكومة تبيع وترسل العمال الى ألمانيا . بل لو توصلنا الى سحق الرايخ الألماني فان المسألة لن تكون قد بلغت الحل المناسب لأن الروسيين سيحلون محل الألمان . ان الروسيين أكبر تجار الرقيق في العالم . ان كل رجل في روسيا ملك للدولة ...

ـ أولا يرعبك مجمل هذه الأمور ؟

ـ كلا .

فقال الكونت .

ـ ان هذا أشد خطورة لأن معناه أنك لاتملك ذرة من الاحترام للكائن البشري . ولما كنت بشراً كذلك فان معناه أنك فقدت كل احترام لنفسك .

قال لوسيان :

ـ انني أحترم كل انسان بحسب قيمته . انني اعتقد بانك لن تأخذ علي أي مأخذ بسبب ذلك .

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.كتب.facebook

ـ انك تحترم الرجل كما تحترم سيارتك لأنها تشكل بالنسبة اليك قيمة معينة .

ـ وماذا في ذلك ؟

ـ ولكن هل تحترم الرجل لقيمته الجوهرية ، قيمته الانسانية ؟

ـ طبعاً انني لا أستطيع ايلام أحـــد دون أن أشفق عليه أو أشعر بتبكيت الضمير .

ـ ولكنك لايمكن أن تسيء الى كلب دون أن تشفق عليه لأنك تعرف أنه تألم لما ضربته بسوطك . انك تشفق على الانسان كما يمكن أن تشفق على أي كائن حي . غير أنني أردت أن أعرف ما اذا كنت تحترم الانسان لأنه انسان ولأن قيمته فريدة لاتعوض حتى ولو كان ذلك الانسان عديم القيمة الاجتماعية،أم تراه في هذه الحالة لايوحي اليك بالشفقة أو الحنان كالحيوان؟

قال لوسيان :

ـ انني لم أطرح على نفسي مثل هذا السؤال . كل ما أعرفه هو أنني أحترم الرجل على ضوء قيمته الاجتماعية وعلى اعتباره حيواناً حياً . ان الناس كلهم يفكرون ويشعرون مثلي ...

سأل الكونت :

ـ هل أنت واثق يالوسيان مـــن أن كـــل الناس يفكرون ويشعرون مثلك اليوم ؟

ـ كل الثقة . ان أدق تمحيص منطقي يفرض علينا مثل هذا الرأي . ان الرجل ليس الا قيمة اجتماعية وما تبقى فهو افتراضات واعتبارات .

ـ ان هذا شديد الخطورة .

ـ ماذا ترى من خطورته ؟

ـ لقد اختفت حضارتنا يالوسيان . لقد كانت تحوي على ثلاث ميزات:

كانت تحب وتحترم الجمال وهي عادة أخذت عن اليونان • وتحب وتحترم الحق وهي عادة أخذت عن الرومان • وتحب وتحترم الانسان وهي عادة اتخذت بعد صعوبات جمة عن المسيحيين • ان حضارتنا الغربية لم تبلغ الشأو الذي بلغته الا باحترامها هذه الرموز الثلاثة ، هذه الأقانيم : الانسان الجمال والحق • والآن فان حضارتنا تخسر أثمن جزء في ميراثها وأعني حب الانسان واحترامه • ان الحضارة الغربية لا وجود لها اذا ذهب منها ذلك الحب وذلك الاحترام للانسان • انها تموت •

قال لوسيان :

ـ ان الانسان قد اجتاز خلال حقبات التاريخ مراحـــل أشد ظلمة وحلكة من التي نجتازها اليوم • كان الانسان يحرق في الساحات العامة ، يحرق على المذابح ويسحق عـلى دواليب التعذيب • وكان يبـــاع ويعامل كالمتاع • لذلك فانني أعتقد أن التفوه بمثل هذه الأحكام القاسية على عهدنا هذا فيه شيء من الظلم •

فأجاب الكونت :

ـ هذا صحيح تماماً • في تلك اللحظات الحالكة كان الانسان مجهول القدر وكانت التضحية بالانسان تنفذ لأسباب بربرية • لكننا كنا قد انتصرنا على البربرية وبدأنا نحترم ونقـــدر المخلوق البشري • لقـــد كنا في بداية المرحلة وكان يجب علينا أن نتكلم أكثر فأكثر • غير أن ظهور العصر التكني قد حطم كل ماربحناه وأقمناه خلال قرون من الحضارة • لقد أدخل المجتمع التكني من جديد احتقار الكائن الانساني • لقـــد تحول الانسان اليوم الى مقياسه الاجتماعي فحسب ••• يجب علينا أن نذهب الآن • ألسنا متأخرين ؟

نظر لوسيان الى ساعة يده وقال

ـ ان ساعتي متعطلة • كم الساعة الآن ياأبي ؟

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.facebook

ـ انها الساعة الخامسة والعشرون !

قال لوسيان :

ـ لم أفهم ماذا تعني •

ـ انني أصدقك • ان أحداً لايريد أن يفهم انها الساعة الخامسة والعشرون ، ساعة الحضارة الأوربية •

- ٧١ -

قال رئيس الفريق موجهاً حديثه الى ايوهان موريتز :

ـ لقد باعوك للألمان ياعزيزي موريتز • انني أتساءل كم يمكن أن يدفع الألمان للهنغاريين ثمناً لرأسك • انك لاتساوي شيئاً كثيراً برغم ذلك ، صندوق من الرصاص على أبعد حد ، لأنني سمعت أن الألمان لايستطيعون دفع أموال ما بل يقايضون الرجال بالأسلحة والعتاد • انني لأعتقد أن الألمان قد يدفعون أكثر من صندوق من الذخيرة ثمناً لك • صندوق واحد ثمن جلدك وعظامك !

كان رئيس الفرقة يضحك مسروراً وهو يربت على كتف موريتز • استرسل يقول :

ـ ان الثمن كبير مع ذلك ! ماكان الروسيون ليدفعوا مثله• ان الرجال عند هؤلاء أقل ثمناً •

لم ترق الدعابة لايوهان موريتز لكنه لزم الصمت • كان رئيس فرقته طالباً من بوخارست سجنه الهنغاريون • وكان قد مضى على موريتز ثمانية أشهر في معسكرات العمل في هنغاريا كان يشتغل خلالها مع هذا الطالب في اقامة الحصون • وكان ايوهان موريتز يعرف أن رئيس فرقته مولع بالدعابة ولكنه طيب القلب •

مكتبة ماجد الحيدر
كتب كتب كتب facebook

سأل الطالب :

ـ ألا تصدق أنهم باعوك ؟

أجاب ايوهان موريتز :

ـ كلا انني لاأصدق • انهم يستطيعون سجن الناس في المعسكرات وفي السجون ويقدرون على تسخيرهم وتعذيبهم أو قتلهم لكنهم لايستطيعون بيعهم!

قال الطالب :

ـ مع ذلك لقد باعوك ياعزيزي موريتز • أقسم لك بآبائي ومعتقداتي على أنهم فعلوا ذلك • لقد باعونا أنتَ وأنا وكـل الرومانيين والصربيين والروتانيين الموجودين في هذا المعسكر الى الألمان • بل أنهم وقعوا صكوكاً فيما بينهم تقضي ببيع خمسين ألف رأس منا •

أبتعد الطالب عن ايوهان موريتز فراح هذا يفكر فيما سمعه • قال يحدث نفسـه : « لقد أراد أن يسخر بي ! ان ذلـك لايمكن أن يكون صحيحاً • »

لكن كلمات الطالب لم تفارق ذاكرته طيلة ذلك النهار • كان موريتز يفكر دائماً بأولئك الألمان الذين اشتروه لقاء صندوق من العتاد وانتهى به التفكير الى أنه من الحماقة تصديق مثل هذا القول •

كان معسكرهم يقع على الحدود الرومانية الهنغارية • وكانوا يحفرون الخنادق وقد انتهوا من شطر كبير من العمل كان الطالب « آنتيم » يدعي أن الهنغاريين لن ينتهوا من حفر خنادقهم قبل عشرة أشهر أخرى فكانوا يرسلون كل يوم أفواجاً جديدة من العمال المساجين الى ذلك المعسكر • ولاحظ موريتز أن بين الوافدين بعض المحكومين بالاشغال الشاقة المؤبدة الموسومين بالنار، فاستدل على أن الرجال لم يكونوا موفوري العدد • مع ذلك فقد صـدر اليهم الأمر ذات يـوم بالرحيل • نقل كـل الرومانيين

مكتبة ماجد الحيدر
facebook
كتب كتب كتب

والصربيين الذين كانوا في معسكر موريتز بواسطة القطار • ترامى الى موريتز أن الهنغاريين كانوا غير راضين عن عمل الرومانيين والصربيين لذلك فانهم أخرجوهم من هناك ليأتوا بعمال آخرين يحلون محلهم •

أكد آنتيم أنهم ينقلون الى ألمانيا لانهم بيعوا كما يباع المتاع •

وكان هناك عدد آخر من الرومانيين يؤكدون صحة قول آنتيم • لكن السواد الاعظم من الموجدين ماكانوا يصدقون • وكان موريتز في عداد هؤلاء •

نزل موريتز ذات صباح من مقصورة القطار الى الارض لقضاء حاجة له لأن العربات لم تكن تحوي على دورات للمياه فكان المساجين ينتظرون نهاية الرحلة لقضاء حاجاتهم دورياً يحرسهم الجنود •

توقف القطار ذلك الصباح وسط حقول برتغالية • كانت السماء غائمة ممطرة • قضى موريتز وقتاً طويلا على الأرض ولما عاد الى العربة رأى على كل مقصورة من الخارج كتابة بالحكك الأبيض • فلما اقترب موريتز وأمعن النظر وجد أن الكتابة تحمل العبارة التالية : « ان العمال الهنغاريين يحيون زملاءهم عمال الرايخ الأكبر الألماني ! » وقرأ على جدار المقصورة الثانية العبارة التالية : « ان العمال الهنغاريين يشتغلون لنصرة المحور » • فاستدعى ايوهان موريتز الطالب آنتيم وأطلعه على تلك العبارات • فقال هذا :

ـ هل صدقت الآن أن الهنغاريين قد باعونا الى الألمان ؟

فأجابه موريتز :

ـ لاأصدق • لأن مثل هذا الشيء لايمكن تصديقه !

ـ انتظر ولسوف تقتنع !

وانتظر موريتز •

مكتبة كتب الجيب facebook

لبث القطار في الحقول حتى المساء • وعند مغيب الشمس انتشر الحراس في الحقول وراحوا يقطفون زهوراً • لم ير موريتز من قبل جنوداً شاكي السلاح يقطفون زهوراً تحت امرة ضابط والضابط نفسه يشاركهم في مهمتهم • فلما فرغوا عادوا وفي يد كل منهم باقة جميلة • ثم زينوا العربات بالأوراق الخضراء والحشائش وأكاليل الزهور والأغصان وكأنهم يقيمون حفلة زفاف • ولما انتشر الظلام تحرك القطار • عزم موريتز على البقاء ساهراً ليراقب الأحداث • لكنه أغفى • ولما استفاق كان النهار قد طلع • كانت أبواب العربات مغلقة غير أن ضجيجاً كان يصل الى آذان المساجين • كان القطار واقفاً في محطة مع أنه لم يسبق خلال الرحلة كلها أن وقف الا في الحقول أو على مشارف المدن • تناهت الى أسماع المساجين أصوات مختلفة بين وقع خطى وضجيج قاطرات وصيحات الجنود • فأصاخ موريتز السمع • وفي تلك اللحظة مر رجل قرب النافذة وهو يتحدث بصوت مرتفع •

قال موريتز لرفاقه :

ـ انه يتكلم الألمانية • ان آنتيم لم يكذب في دعواه لقد باعونا الى الألمان •

فكر في نفسه : « لعل الألمان دفعوا حقيقة صندوق عتاد ثمناً لعظامي ولحمي وجلدي • وبكلمة موجزة ثمناً لي » •

قال الطالب آنتيم :

ـ لقد باعونا كالرقيق مدى حياتنا •

عرف آنتيم في تلك اللحظة أنهم قد بلغوا الاراضي الالمانية فراح يتحدث الى زملائه وهم منصتين اليه بانتباه شديد • أما ايوهان موريتز فلم يكن يصغي • كان تفكيره عالقاً في عبارة « رقيق مدى الحياة » • كان

مكتبة ماجد الحيدر
facebook.com/كتب كتب كتب

يتصور نفسه وهـو يمضي حياته في معسكرات الاعتقال يحفر الأقبية والخنادق ويهان ويضرب ويرتع القمل في ثيابه ورأسه .

خيل اليه أنه سيموت في واحد من هذه المعتقلات . فلما بلغ به التفكير هذه المرحلة اغرورقت عيناه بالدموع . كان قد رأى بأم عينه عديداً من المساجين يموتون . بل أنه حفر بنفسه قبوراً لبعضهم . كان يعرف أنهم بعد موتهم تنزع عنهم ثيابهم ويدفنون عراة كالكلاب ، لأن الكلاب تسلخ جلودها بعد موتها لتصنع منها قفازات . أمـا المساجين فكانت تنزع عنهم ثيابهم . فكر موريتز : « لعلهم حين أموت يكونون قد بدأوا بسلخ جلود الرجال قبل دفنهم . » وقف موريتز فجأة وقال يخاطب نفسه : « لهم أن يحتفظوا بي مدى الحياة في المعسكرات ولكن ينبغي أن يطلق سراحي قبل موتي بساعة واحدة . ساعة واحدة قبل موتي على الأقل حتى أموت حراً . ان الموت في السجن خطيئة كبرى . لكنهم اذا باعوني للألمان فلن يخلوا سبيلي حتى ولاقبل موتي بساعة . »

- ٧٢ -

قالت ايليونورا وست :

ـ ينبغي أن أكون بعيدة عن هنا خلال عشرة أيام على أقصى حد . فاذا لم أغادر البلاد خلالها ، فان أمر التوقيف سيجدني هنا . ان عشرة أيام هي أقصى مهلة أستطيع منحها لنفسي ولعلها أطول مما ينبغي .

كانت « اليونورا وست » تنظر الى ليؤبولد ستين الـذي كان جالساً أمامها في مقعده المعتاد . كانت تريد اقناع نفسها والتدليل على أنها لم تبالغ في قولها ، فراحت تستعرض الموقف .

ان المهلة التي أعطيت للمواطنين اليهود لتسجيل أسمائهم في وزارة الداخلية قد انتهت . وكان كل من يتخلف عن التقيد بهذا الأمر ، محكوم

عليه بموجب مرسوم تشريعي بالسجن عشر سنوات • كانت اليونورا في عداد الذين لم يسجلوا أسماءهم وكان في اضبارات النيابة مستندات ماكانت تعرف عنها شيئاً • لكنها كانت مستندات تؤكد بما لايدعو مجالا للشك أصلها اليهودي • وماكان يمكن اخفاء هذه الاضبارة أو الحصول عليها • وقد أخفقت كل المحاولات التي بذلت لشراء المحققين المولجين بهذا الأمر •

استرسلت اليونورا وست قائلة :

ـ لقد هزمنا هذه المرة ياسيد « ستين » فينبغي أن أتخلى عن المعركة وأن أفر • ان هذا هو كل ماأستطيع صنعه في الوقت الحاضر • لقد لبثت عامين ونصف العام أقاوم وأجابه كل الهجمات • لقد كان ذلك شديد الصعوبة مع ذلك فانني ناضلت وقاومت • ان القدر لايساعد المخاطرين حتى الأبد •

قال ليوبولد ستين :

ـ ان المعركة لم تخسر نهائياً • لكن هذا التعبير مفتقر الى ايضاح • اننا نستطيع أن نبيع المطبعة والصحيفة والبيت وأن نحصل على أثمان جيدة • وكذلك الأمر فيما يتعلق بالاثاث واللوحات الفنية والمكتبة • انها أمور يمكن تسويتها ويمكن ايداع المبلغ الحاصل في مصرف سويسري • غير أننا لن نستطيع خلال عشرة أيام أن نحصل على تولية السيد « كوروغا » وعلى جوازات السفر •

قالت نورا :

ـ لايمكن لاحد أن يخرج الآن من رومانيا الا اذا كان موفداً بمهمة رسمية • لذلك يجب أن يعين زوجي مهما كلف الأمر مديراً للمؤسسة الثقافية الرومانية في « راغوز » • انني أستناداً الى هذه التسمية سأحصل بصفتي زوجته على جواز السفر والسمات الضرورية • لكن ذلك ينبغي

مكتبة ماجد الحيدر
facebook
كتب كتب كتب

أن يحدث بأسرع مايمكن • لقد أكد لي النائب العام أن كل مايستطيع عمله من أجلي هو ارجاء التحقيق مدة عشرة أيام • وأنه بعد ذلك لايحتمل أية مسؤولية لأنه سيضطر الى اصدار مذكرة قبض •

تصور ليؤبولد ستين لحظة أن اليونورا وست قد أصبحت في السجن لكنه أبعد تلك الفكرة عن رأسه بجزع وسأل :

ـ ألم تحدثي زوجك بشيء بعد ؟ انه تصرف خاطيء لانه لن يلبث حتى يطلع على الأمر • انني أعتقد بأنه لو أنهي اليه الأمر بسرعة لاستطاع مساعدتنا على الخروج من هـذه الورطة • ترى ماذا سيقول عندما يرى تعيينه لذلك المنصب وجوازات السفر دون أن يكون على علم بشيء ؟

قالت اليونورا وست :

ـ لا أستطيع اطلاعه على هذا الأمر • انني لا أجد مبرراً لاخفاء هذه المسألة عنه خصوصاً وانها ستصبح بعد أسبوعين حديث العامة والخاصة في هذا البلد • سوف يعرف أنني يهودية • لكنني لاأريد التصريح له بذلك • انني متعبة منهكة لا أجد قوة في نفسي ولا جرأة ولا أستطيع أن أطلعه على السر الوحيد الـذي احتفظت به طيلة عامين الا اذا استجمعت قدراً كبيراً من الشجاعة • وأنا الآن عـلى آخر رمق • لقد ظلت ارادتي متوفرة زمناً طويلا غير أنني الآن تعبة منهوكة خائرة القوى •

أخذت اليونورا وست رأسها بين يديها وهي متكئة على مكتبها بمرفقيها فراح ليؤبولدستن يصعدها ببصره •

كانت تبدو تعبة حقيقة • شعر باشفاق نحوها • غير أنه كان عاجزاً عن مديد العون اليها • فتح حافظته ليتشاغل عن النظر اليها في وضعها اليائس المتهدم المحطم • وفي تلك الحافظة بين عقود بيع البيت والأرض والمطبعة

مكتبة مجد الحيدر كتب كتب كتب facebook

والصحيفة واللوحات العائدة الى اليونورا وست كانت هناك كذلك ، حافظة نقود صغيرة ، تحمل شعار « تريان كوروغا » مصنوعاً من الذهب .

أخذ ليؤيولدستن الحافظة ووضعها على المكتب أمام اليونورا . فنظرت هذه اليها ثم أخذتها بينما قال العجوز :

ـ ان غداً عيد زواجكما الثاني . انني أعرف أنك شديدة الانشغال مما جعلك تنسين شراء شيء تقدمينه لزوجك فجئتك بهذه الحافظة الصغيرة لتقديمها له هدية . انها جميلة وستدخل السرور على قلبه .

قالت اليونورا :

ـ هل عيد زواجنا الثاني يصادف يوم غد ؟ لقد نسيت ذلك كلياً . انني أشكرك ياسيدستن على حسن تدبيرك . لسوف يسر تريان أن أقدم له هـذه المحفظة .

راحت تحدق في حافظة النقود الصغيرة وتلمسها بيدها برفق كأنها تلاطف صاحبها وأردفت :

ـ لست أدري لماذا أصر على الاحتفاظ بهذا السر . لعل ذلك راجع الى شدة تعلقي به . انني واثقة من أنه لو اطلع على الأمر لبذل كل مافي وسعه في سبيل مساعدتي لكنني لن أقول له . انني أخاف أن أفقده . انني أعرف أن هذا الخوف غير منطقي لكنني كنت كلما قررت اطلاعه على مافي نفسي انتابني ذعر مفاجيء فألزم الصمت وأدفن السر الرهيب في نفسي . ان تريان هو الوحيد الذي يجعلني أتمسك بالحياة فاذا أضعته أضعت نفسي .

وفجأة وضعت اليونورا وست المحفظة على المكتب وقالت :

ـ أتدري ماذا قال لي النائب العام ؟ لقد ادعى أنني لست متزوجة .

كان صوت اليونورا متهدجاً . استرسلت :

مكتبة ماجد الحيدر
facebook
كتب كتب كتب

ـ وهو على حق • لقد تزوجت بعد أن صدر قانون تحريم زواج الرومانيين باليهود وأصبح نافذ المفعول • لقد صدر ذلك القانون وأعلن رسمياً في نيسان بينما لم أتزوج تريان الا بعد شهرين من صدوره • فزواجي اذن لاغ من الوجهة القانونية • ان كل عقود الزواج التي وقعت بعد صدور ذلك القانون تعتبر لاغية بصورة آلية حتى ولو كان صاحب العلاقة يجهل وجود ذلك القانون •

صمتت اليونورا وست • كان صوت النائب العام لازال يدوي في أذنيها قائلا : « ان السيد تريان كوروغا ليس زوجك • انه بحكم القانون غير متزوج لأن زواجكما يعتبر لاغياً ويستطيع السيد تريان كوروغا أن يتزوج بامرأة أخرى متى شاء دون أن يعتبر مع ذلك معدد الزوجات • واذا كان لديكما ولد فانه سيكون ولداً طبيعياً فيسجل تحت اسم وست وليس اسم كوروغا • انك أنت نفسك ياسيدتي ترتكبين مخالفة الاداء بمعلومات خاطئة كلما وقعت باسم اليونورا كوروغا • » لذلك قالت :

ـ ياسيد ستن ادفع أي مبلغ كان ولكن ينبغي أن نحصل بأي ثمن على جوازات السفر والسمات • ينبغي أن تكون الجوازات باسم السيد والسيدة كوروغا •

## ـ ٧٣ ـ

بعد خمسة أيام عاد ليؤبولدستن ومعه أمر تولية تريان كوروغا مديراً للمؤسسة الثقافية الرومانية في راغوز وجوازات السفر السياسية المجلدة بجلد أزرق • قال وهو شديد الانشراح :

ـ لقد ربحنا ياسيدة كوروغا ! لقد احتجزت لكما أمكنة في عربات النوم الى فيينا • ستسافران يوم الاثنين ، انني شديد السرور لذهابكما ،

راح ليؤبولد ستن ينظف زجاج نظارته بينما استغرقت اليونورا وست

مكتبة عبد الحميد كتب كتب facebook

في فحص جوازات السفر والتحديق في وجه العجوز • رأت أن الهزال قد نال منه كل منال فأرادت أن تطلب اليه السفر معهما غير أنه قال :

ـ لست أدري اذا كنا سنلتقي بعد اليوم • ان عدداً كبيراً من اليهود سينقل اليوم الى « ترانس دنيستري » • انني سعيد لذهابكما • انكما اذا عدتما يوماً ، فلن تجدا يهودياً واحداً في بوخارست ، حتى ولا أنا ، لأن رجلا كهلا مثلي يجد كذلك مكانا في معسكرات الاعتقال وراء الاسلاك •

## - ٧٤ -

كان تريان كوروغا في مكتبه عندما دخلت عليه نورا خلافاً لعادتها • كانت تتحاشى ازعاجه أثناء العمل لكنها اليوم دخلت وجواز السفر في يدها • كان تريان كوروغا جالساً وراء مكتبه ورأسه بين يديه •

ـ لدي هدية لك بمناسبة عيد زواجنا الثاني • لقد سعيت لتسميتك مديراً للمؤسسة الثقافية الرومانية في راغوز •

ومدت اليه يدها بمرسوم التعيين وأضافت :

ـ ان دلماسيا تملك أجمل شاطىء في العالم وهناك تستطيع أن تنهي روايتك بهدوء •

قال تريان كوروغا وهو يعانقها :

ـ كيف نجحت في ذلك وحدك ؟ بل كيف استطعت اخفاء هذا السر الرهيب حتى الآن ؟

تأملها برهة ثم أردف قائلا :

ـ انك عبقرية يانورا ! ليتك تعرفين مبلغ سروري • انني شديد

مكتبة ماجد الحيدر
facebook كتب كتب كتب

الحاجة الى تبديل المناخ • ان ذلك سيساعدني على انهاء روايتي • كنت لا أستطيع الاستمرار في كتابة الفصل الثاني منها ، لأنني شعرت بالهام يحدثني بأنني يجب أن أكتب ذلك الفصل في مكان آخر • كنت أشعر بذلك شعوراً مسبقاً • لعل هذا الفصل سيكون أقوى فصول الكتاب •••

اقتربت اليونورا وست منه فقبلت شفتيه كي تمنعه من اطلاعها على الفصل الثاني • كانت تشعر بخوف رهيب •

★ ★ ★

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.كتب.facebook

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.كتب.facebook

# البَابُ الثَّالِثُ

# القسم
# ٣

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.كتب.facebook

مكتبة ماجد الحيدر
facebook.كتب.كتب.كتب

قال الموظف المشرف في المعمل وهو ينظر الى ايوهان موريتز بحقد :

ـ لقد أوصونا أن نعطيك عملا سهلا لأنك لازلت مريضاً • انهم لايرسلون الينا الا المرضى •

ثم ألقى نظرة على الورقة التي يحملها في يده وعاد ينظر الى موريتز نظرة ملؤها الريبة • كان موريتز خلال العامين اللذين قضاهما في ألمانيا يتعرض دائماً لمثل تلك النظرة • كانوا أبداً يشتبهون في أمره ويعتبرونه مرتكباً بعض الجرائم التي لم يكن قد ارتكبها أو عرف عنها شيئاً • لكنه كان واثقاً من أنه سيرتكبها يوماً •

سأله الموظف :

ـ هنغاري ؟ لقد أرسل الي من قبل عدد من الهنغاريين لكنني لم أكن مسروراً • فلعل الأمر يختلف بالنسبة اليك !

ضحك الموظف ضحكة صغيرة وراح يقرأ بصوت مرتفع :

ـ موريتز ايانوس ، هنغاري اثنان وثلاثون عاماً ، عامل غير مختص ، وصل الى ألمانيا في الواحد والعشرين من حزيران ١٩٤١ •

كان ايوهان موريتز الذي اتخذ كمواطن هنغاري نظراً لما جاء في سجله منذ عامين يراقب بنظره الموظف وهو يقرأ قائمة المعامل والمصانع ومعسكرات العمل في الرايخ الأكبر التي اشتغل فيها خلال مدة وجوده في ألمانيا • كانت القائمة طويلة جداً وقد جاء فيها كل أنواع الصناعات • شعر

موريتز بشيء من الاعتداد عندما تلى عليه ماقام به من عمل خلال فترة اغترابه . كان خلال بعض الفترات يتخيل رؤية عشرات المعسكرات المحاطة بالأسلاك الشائكة ، عشرات المعسكرات التي اشتغل فيها والمصانع والمدن التي انتقل اليها والآلام والأوصاب التي نالته خلال تلك المدة . كان يعتقد أن الموظف المختص سيذهل للشجاعة التي قابل فيها موريتز كل هذه المحن حتى وصل أخيراً اليه . غير أن الموظف القى نظرة صغار على كل أسماء الأمكنة التي احتمل موريتز كثيراً من العناء والمرارة أثناء عمله فيها وتوقف عند المقطع الأخير : « خرج من مستشفى العمال الغرباء رقم ٧٠٧ في ٤٣/٣/٨ » .

استغرب موريتز حينما رأى الرجل يمر بعينية على قائمة مصائبه وآلامه دون أن يشفق عليه أو أن يبدو الحنان في نبرات صوته . لكن الحقيقة لم تكن مكتومة . أخذ الموظف المختص القلم وكتب في أسفل الورقة في الزاوية التي وجدها لا زالت خالية من الكتابة « تقدم للعمل في مصنع الازرار « كنويف اوند سن » في ٤٣/٣/١٠ » ثم وضع البطاقة في قمطر مع عديد من مثيلاتها وعاد ينظر الى موريتز .

ـ « تهذيب ، طاعة ، عمل ، نظام » ! تلك هي الرموز التي ينبغي أن يتقيد بها العمال الاجانب . ان في هذا المصنع عاملات ألمانيات لذلك فانني ألفت انتباهك الى أمر عظيم الأهمية : كل اتصال مع امرأة ألمانية يعاقب عليه بالسجن لمدة أدناها خمسة أعوام . ان مدير المصنع لايغتفر خطيئة من هذا النوع . ان كل امرأة ألمانية تمتلك في حد ذاتها ، حق ارسالك الى السجن لمدة خمسة أعوام . فاذا وضعت يدك حيث لاينبغي أن توضع فانك بذلك تعرف مصيرك . فلا تتصور أنك تستطيع نيل شيء آخر منها . ان الهنغاري الذي أرسل الينا قبلك نزيل السجن الآن . لقد أنذرته عند وصوله كما أنذرك الآن لكنه لم يعبأ بانذاراتي . لقد ظن ولاشك أن أحداً

مكتبة ماجد الحيدر
facebook.كتب.كتب.كتب

لن يستطيع اكتشاف أمره طالما أن الظلام كثيف وأنه يغطي نفسه بالدثار مع الأمرأة • غير أنه في رايخنا الالماني الكبير لايمكنك أن تقوم بأي عمل مهما كان تافهاً دون أن يعرف بعد قليل حتى ولو كان ذلك العمل تحت الاغطية • إنك لن تستطيع الاتيان بأية حركة دون أن نعرف ذلك على الفور • .اننا نخمن كل مايمر في رأسك من خطرات وأفكار • اننا نلتقط صور آرائك وأفكارك عشر مرات في اليوم ! والآن لننتقل الى النقطة الثانية : ان مصنعنا يشتغل من أجل الحرب لذلك فان كل ماتراه وكل ماتسمعه ان هو الا سر عسكري • ان العامل الأجنبي لاينبغي له أن يعرف ماينتجه المعمل وكيف ينتج وكم ينتج ، فاذا حاولت معرفة ذلك عرضت حياتك للخطر • لقد أعدم في كانون الثاني الماضي ايطالي • والآن يقدم أحد التشيكيين للمحاكمة لأنه حاول استطلاع سر مصنع « كنويف اوند سن » •

نهض الموظف واقفاً واتجه نحو الباب يتبعه ايوهان موريتز • قال الموظف متمماً :

ـ انني لم أكن مسروراً من الهنغاريين الذين مروا بهذا المصنع حتى اليوم انهم جميعاً في السجن الآن • بل ان أحدهم قد حكم عليه بالسجن مع الأشغال الشاقة لمدة عشرين عاماً بتهمة التخريب • فآمل أن تشذ أنت ولو أنني لا أؤمن بالمستثنيات !

توقف الموظف أمام آلة كانت تأتي بصناديق تسير على القضبان الحديدية • وكان عامل يقف على طرف القضيب الحديدي ليلتقط الصناديق واحداً تلو الآخر ليضعها على عربة قريبة منه • فلما بلغ الموظف الى حيث كان العامل ، كانت العربة قد امتلأت بالصناديق ومضت من تلقاء نفسها ، لتترك محلا لعربة أخرى فارغة ، جاءت بشكل آلي ، تقف قرب العامل • بدا على العامل أنه لم يلاحظ التبديل الذي وقع في العربات ، اذ

مكتبة ماجد الحيدر
www.facebook.com/groups/kotob.kotob

أنه مازال يرفع الصناديق ويضعها على العربة الفارغة ، كما كان يعمل منذ حين • وكان يبدو عليه الأعياء بسبب ثقل الصناديق •

قال الموظف :

ـ سيكون هذا عملك اعتباراً من الغد • انه عمل سهل • ليس عليك الا أن تنقل الصناديق الممتلئة التي تخرج من المصنع فتضعها على العربة الفارغة التي ستنقلها بدورها الى المستودع • ينبغي أن يكون النظام شديد الاحترام والمراعاة • هذا هو المبدأ الأهم • هل اشتغلت من قبل في مصنع ؟

راح ايوهان موريتز ينظر الى العامل الذي كان ينحني آلياً ويصلب عضلاته آلياً أيضاً فيتناول صندوق الأزرار ويضعه في العربة دون أن يفكر فيما يعمل أو أن يفكر في أي شيء آخر • انه لم يكن يلقي بالا الى من هم بجانبه بل ولعله لم يكن يراهم •

استرسل الموظف قائلا

ـ ان الآلات لاتتقبل الفوضى والاهمال • انها لاتحتمل الكسل الانساني والتواني !

ألقى ايوهان موريتز نظرة على الموظف بينما تابع هذا قوله •

ـ لايسمح لك التفكير بأي شيء آخر والا فان الآلات تعاقبك على الفور • ان كل انتباهك ينبغي أن يكون موجهاً نحو زميلك الآلي • ذلك العامل المجد الذي يأتيك بالصندوق ويمده اليك • وعليك أنت أن تنحني وتأخذ الصندوق من يديه ثم تضعه على العربة !

راح الموظف يبتسم بينما حاول ايوهان موريتز رؤية زراعي زميله الآلي ولكنه أخفق في محاولته • فعاد ينظر الى الموظف الذي كان لايزال يبتسم •

مكتبة ماجد الحيدر
كتب كتب كتب facebook

قال هذا :

ـ ان الانسان الآلي لايمكنه أن ينطبع برغبة الانسان • فعليك اذن أن تساير رغباته وتوازن حركاتك مع حركاته • ان هذا طبيعي جداً ! لأنه هو العامل الكامل • أما أنت فانك لست كاملا • لايستطيع الانسان ، أي انسان ، أن يكون عاملا كاملا • أما الآلات فانها وحدها تستطيع أن تكون كذلك • ينبغي أن تمعن النظر فيها لتتعلم كيفية العمل ، هل فهمت ؟ ان الآلات تعلمك الترتيب والنظام والكمال ، فاذا حاكيتها غدوت عاملا من الدرجة الأولى • لكنك لن تستطيع أن تكون عاملا من الدرجة الأولى لأنك هنغاري ، والهنغاريون في المعامل ينظرون الى النساء وليس الى الآلات •

ودّ ايوهان موريتز لو قال أنه روماني وليس هنغاري • كان يريد أن يعيد تلاوة قصته وأن يتحدث عن السجون التي دخل اليها والضرب والتعذيب اللذين تعرض لهما في بودابست غير أنّ الموظف كان ينظر باعجاب الى الآلات وهي تحمل الصناديق البيضاء بسكون خلال فترات منظمة ثم ينقل أبصاره منها الى ايوهان موريتز • بدت في عينيه نظرة احتقار ، فشعر موريتز أن ذلك الاشمئزاز قد شمله كله فعدل عن سرد قصته والتحدث عن سجون بودابست والمفتش فارجا •

ـ قال الموظف :

ـ ان الانسان ليس الا عاملا أدنى وخصوصاً الانسان الشرقي • انكم معشر الشرقيين أدنى مستوى من الآلات • وكأنه لم يكفك أن تكون انساناً بل كنت كذلك شرقياً وهنغارياً وعلاوة على كل ذلك فقد خرجت من المستشفى • أي أنك مريض • هذا هو « أنت » !

شعر ايوهان موريتز بأن الموظف كان يتألم فرغب في أن يؤكد له أنه سيبذل كل مافي العالم من مجهود ليتقن العمل •

مكتبة ماجد الحيدر facebook كتب كتب كتب

استرسل الموظف •

ـ كيف يمكن أن تضاهي بالآلة ؟ ينبغي أن تلقي نظرة على نفسك ! وراح يصعده بنظره من قدميه الى قمة رأسه واسترسل :

ـ انها اهانة توجها للآلة اذا قارنك بها • بل انه كفر • ان الآلات كاملة أما أنت ••• ثق أنه لايجوز أن نقدم للآلات خدماً مثلك • والآن انبعني سأعطيك ثياب العمل • انك لن تستطيع الدخول الى المصنع الا اذا كنت مرتدياً زي العمل • ان زي العمال يشبه تماماً كسوة الراهب • لكنك لن تستطيع فهم ذلك • انكم معشر الهنغاريين لاتنظرون الا الى النساء • انكم برابرة •

## -٧٦-

في الساعة الرابعة من صباح اليوم التالي دخل ايوهان موريتز وحده القاعة الكبرى المشيدة بالاسمنت واقترب من العربة التي عينت له أمس • كان قد تبقى لبدء العمل خمس دقائق • شعر باضطراب غريب • كان مرتدياً ثوب عمل أزرق يغطي كل جسمه ومنتعلا أحذية من الخشب يدوي صدى وقعها على الارض في ذلك الفراغ الهائل أشبه بقرع المطارق • حاول باديء الأمر أن يسير على رؤوس أصابعه ليتحاشى اصدار تلك الجلبة الفظيعة ، لكن الأحذية الخشبية لم تشأ أن تخفف من وقعها • ولما بلغ وسط القاعة أحسّ كأن بعضهم يناديه • انه لم يسمع اسمه لكنه مع ذلك كان يشعر بأن هناك من يناديه • كان واثقاً من ذلك فأدار رأسه • وفي تلك اللحظة سمع الصوت بوضوح يقول للمرة الثانية :

ـ « سالف سكلاف »[1] !

شاهد كتلة من الشعر الأسود ووجهاً ذا عينين كبيرتين وشاربين

(١) مرحباً أيها العبد !

مكتبة ماجد الحيدر كتب كتب facebook

وأسنان بيضاء كالبورسلان تطل عليه خلال نافذة صغيرة مشبكة بقضبان من الحديد • كان الرجل فتياً هزيلا كهيكل عظمي وكان يحدج موريتز بعينيه السوداوين الكبيرتين بنظرات ملتهبة • غير أن جسمه لم يكن ظاهراً • فلما تقابلت نظراتهما عاد الرجل المجهول يقول وكأنه يعرفه منذ زمن بعيد :

ـ مرحباً أيها العبد •

قال ايوهان موريتز وهـو يعتقد أن الشاب قد خلط بينه وبين آخر اسمه سالف سكلاف :

ـ ان اسمي « ايانوس موريتز » •

دوت صفارة المعمل وبدأت الآلات تتحرك • كان موريتز في مكانه المحدد عـلى الحاجز • لبث الشاب ذو الشعر الأسـود لحظة واقفاً وراء النافذة يبتسم له ابتسامة ودية • كان قد سمع جواب موريتز غير أنه قبل أن يختفي من وراء النافذة هتف مرة أخرى وهو يحدجه بعينيه السوداوين :

ـ سالف سكلاف !

أمسك ايوهان موريتز بالصناديق الأولى التي ظهرت عـلى الخط الحديدي ووضعها في العربـة الفارغة • لو أن تلك الصناديق لـم تكن بذلك الوزن لأمكن لطفل في السابعة من عمره أن يقوم بهذا العمل • كان موريتز يعرف أن تلك الصاديق تحوي عـلى أزرار • كان يود لو يلقي نظرة عليهـا ، لكن تلك الصناديق كانت كلها مغلقة • بل أنهـا لو كانت مفتوحة لما وجد من نفسه الشجاعة على رفع غطائها والقاء نظرة على مافيها • « لقد أعدم ايطالي في كانون الثاني الماضي واليوم سيقدم تشيكي للمحاكمة • »

تذكر موريتز أن التشيكي أراد الاطلاع على أسرار معمل « كنويف أوند سن » • كان يفكر في ذلك التشيكي الذي كان في تلك اللحظة أمـام قضاته ولاشك يطلب اليهم الصفح عنه لاطلاعه على أسرار مصنع الأزرار •

ثم انتقل تفكيره الى الايطالي الذي ضربت عنقه • كان قد رأى كثيراً من الايطاليين فكانوا جميعاً وديعين • لذلك فقد راح يتصور ذلك الذي حكم عليه بالاعدام وأعدم ، مخلوقاً وديعاً ككل مواطنيه • كان يرى بعين خياله رأس الايطالي ذي الشارب الأسود الدقيق يتدحرج مبتسماً تحت أقدام الجلاد •

عاهد ايوهان موريتز نفسه على أن لاينظر أبداً الى الأزرار حتى ولو عثر صدفة على صندوق فتح صدفة من تلقاء نفسه أمام عينيه • كان ذلك لايساوي عناء فقد الحياة لمجرد النظر الى أزرار من أي نوع كانت • وأخيراً أقنع نفسه بأن تلك الأزرار كانت ترسل الى الجيش • تساءل وهو يحمل الصندوق بين زراعيه ويضعه في العربة الفارغة التي توقفت أمامه بعد ذهاب العربة المحملة ، تساءل عن نوع تلك الازرار وشكلها • لقد كانت هناك أزرار خاصة بأثواب رجال البحرية والمدفعية والطيران • كان هناك الأسود والمذهب والاصفر • كان موريتز يفضل أن يكون الصندوق الذي يحمله بين زراعيه مملوءاً بالازرار المذهبة • انها أكثر جمالا حتى ليقال أنها قطع صغيرة من الذهب • ان البحارة كانوا يزينون ثيابهم بأزرار مذهبة • « لعل هذا الصندوق يحوي أزراراً لثياب البحارة ••• »

تذكر ايوهان موريتز فجأة أقوال الموظف : « اننا نعلم كل مايجول في رأسك اننا نلتقط صور أفكارك • »

راح يبذل جهده ليكف عن التفكير في أزرار الصندوق • كان ذلك سر ولم يكن موريتز ليريد معرفة أسرار المصنع •

وجد نفسه بعد فترة من الزمن يتساءل عما يمكن أن يصنع الجيش الالماني بكل تلك الكمية من الازرار • كان كل الجنود والضباط الالمان الذين شاهدهم ، يلبسون كسواتهم العسكرية كاملة الازرار ولم تكن هذه

مكتبة ماجد الحيدر
facebook كتب كتب كتب

تنقص معاطفهم • واذن فان الازرار التي تصنع حالياً مخصصة لتزيين أثواب جديدة •

راح ايوهان موريتز ينظر الى مجموعة الصناديق الهائلة التي كانت تتعاقب بعضها اثر بعض كالنهر المتدفق الهادىء فتساءل « ينبغي أن تكون حاوية على ملايين من الأزرار • ان فيها مايكفي لكل ألبسة الجيوش الألمانية • لعل الألمان قد أصدروا الأمر بأن يكون لكل جندي ثوباً جديداً • ولهذا السبب يصنعون الآن كل هذا الازرار • »

تساءل ايوهان موريتز عما اذا كانت تلك الألبسة الجديدة مخصصة لأولئك الذين سيشتركون في الاستعراضات العسكرية التي ستجري عند نهاية الحرب فيخترقون شارع المدينة الكبير والاعلام ترفرف فوق طلائعهم والموسيقى العسكرية تصدح مدوية • ان كل الجنود سيزينون ثيابهم عندئذ بأزرار مذهبة لماعة كالشمس •

أخذ ايوهان موريتز يبتسم • تصور نفسه واقفاً بين الحشد المجتمع ليتمتع بالنظر الى الجنود وهو شديد الفخر والكبرياء لأن أزرار الضباط كلهم والجنود كلهم بل وأزرار « الجنرالات » أيضاً قد مرت بين يديه • « ان التي أحملها الآن بين يدي ستثبت على ثوب « جنرال » سوف تزين معاطف « الجنرال » وأثوابه كلها بأزرار سيستخرجونها عامدين من هذا الصندوق • لعلهم سيحتاجون الى كل موجودات الصندوق لثياب الجنرال وحده • »

استرسل ايوهان موريتز مع أفكاره فنسي أخذ الصندوق الذي كان أمامه • فاندفع الصندوق خارجاً عن الخط الحديدي وسقط الى الارض فارتطم بها محدثاً دوياً كبيراً • هرع موريتز ليلتقطه وفي تلك اللحظة وصلت صناديق أخرى الى مكانها المحدود ولما لم يرفعها سقطت هي

مكتبة مازن الحيدر كتب كتب facebook

الاخرى خارج القضبان وأحدثت ضجيجاً أشد من الأول • كان الصندوق الثاني قد سقط على الاسمنت فحاول موريتز رفعه • استطاع حمل الصندوق الاول تحت زراعه لكنه فوجىء بصندوق ثالث في ظهره فترك الصندوقين الأخرين يسقطان وقد انتابه ذعر قاتل ، ذعر لم يشعر به طيلة حياته • وسقط الصندوق الرابع ثم أعقبه خامس •

عاد موريتز الى مكانة فوق البسطة وترك الصناديق في مكانها وراح يرفع عن الخط الحديدي الصناديق التي كانت تصل تباعاً ، ويضعها في العربة • كان ينظر الى الآلة وكأنه يتوسل اليها أو يحاول اقناعها بتحطيم السلسلة والتوقف برهة حتى يجمع الصناديق الساقطة على الارض • غير أن الصناديق كانت تصل تباعاً والآلة لاتتوقف • ألقى موريتز نظرة وجلة حوله • كان خائفاً من العقاب لكنه لم يجد أحداً يوجه اليه كلمة •

توقفت الآلة ظهر ذلك اليوم • كان موريتز حتى تلك اللحظة يرتعد خشية أن يضبط خطأه • نزل من مكانه وأخذ الصناديق عن الارض فوضعها في العربة وعندئذ شعر بسرور عميق لأن أحداً لن يعرف الخطأ الذي ارتكبه •

غير أن العربة التي كانت تسير آلياً توقفت هي الأخرى مع بقية الآلات على الخط الحديدي وليس عليها الا خمسة صناديق •

فكر ايوهان موريتز أن يدفع العربة بيده غير أنها لبثت في مكانها ترفض المسير الا بشكل آلي •

أراد موريتز أن يحمل الصناديق بين زراعيه وأن ينقلها الى المخزن غير أنه ماكان يستطيع أن ينفذ خلال فتحة الجدار المشيدة بحجم العربة •

لبث واقفاً والصندوقين تحت زراعيه وهو حائر في أمره • وفجأة

مكتبة ماجد الحيدر
كتب كتب facebook

دوى صوت وراءه • فوضع موريتز الصندوقين بوجل في العربة واستدار •

رأى ذلك الوجه الهزيل ذا العينين السوداوين يبدو من جديد وراء النافذة ذات القضبان الحديدية • كان هو نفسه ذلك الذي ناداه صباح ذلك اليوم ونظر اليه بتودد وهتف مرتين :

ـ سالف سكلاف !

نسي موريتز على الفور الصناديق والخطأ الذي ارتكبه وابتسم للشاب بدوره وقال :

ـ انني لا أدعى هكذا • ان اسمي ايانوس موريتز • لعلك تظنني شخصاً آخر •

أفتر ثغر الشاب عن ابتسامة عريضة أظهرت أسنانه البيضاء الناصعة • كان يبتسم ابتسامة رفيقة مخلصة • ثم اختفى من وراء النافذة وهو يهتف للمرة الثالثة •

ـ سالف سكلاف !

مضى موريتز لتناول الطعام وهو يفكر في أن الشبه بينه وبين المدعو سالف سكلاف ينبغي أن يكون شديداً كاملا حتى أن ذلك الشاب ذالعينين السوداوين ظل يناديه بذلك الاسم رغم أنه أفهمه أنه لم يكن يدعى كذلك•

وبمضي الزمن عرف موريتز أن ذلك الشاب كان ينادي كل الغرباء الذين يشتغلون في ذلك المصنع بهذا النداء وانه كان فرنسياً وعرف موريتز فيما بعد أن اسمه كان جوزيف رغم ادعائه بأنه هو الآخر كان يدعى سالف سكلاف •

## - ٧٧ -

أمضى ايوهان موريتز خمسة أشهر في معمل الازرار لم يترك خلالها

مكتبة ما وراء الحديد Facebook

صندوقاً واحداً يسقط بعد حادثة يومه الاول • كان ينقلها حال وصولها أمامه الى العربة الواقفة • كان يأخذها دون أن ينظر اليها أو أن يفكر في نوع الازرار التي يمكن أن تحويه أو في « الجنرالات » الذين سيحلون أثوابهم بها ولا في الجنود الذين سيسيرون في صفوف الاستعراض المنتظر بعد انتهاء الحرب وهم يرفلون في أثوابهم الجديدة وأزرارهم اللامعة التي يحملها الآن بين يديه في تلك الصناديق •

كف ايوهان موريتز عن التفكير وانقطع عن الاحلام • لم يعد يفكر في شيء حتى ولا في رأس الايطالي التي تدحرجت تحت أقدام الجلاد •

كان أحياناً يتوق الى معرفة مصير التشيكي الذي كان ماثلا أمـــام قضاته غداة دخوله الى المصنع وهل حكم بالاعدام أم غفرت المحكمة له •

كانت هذه الاشياء قد وقعت له في بداية عهده • أما الآن فقد فقد موريتز حب الاستطلاع والتطفل • فكان كلما دخل قاعة الآلات ظهر رأس الفرنسي وراء النافذة ، نافذة المصهر ، وصاح به •

ـ سالف سكلاف !

وكان موريتز يجيب على ندائه بنداء مماثل دون أن يفكر فيما يقول • كان يبسم له دون أن يلاحظ أنه يبتسم • ثم كان يقف جامداً على البسطة منتظراً وصول الصناديق • فكر مرة واحدة في تسهيل عمله بحمل صندوقين معاً يضعهما في العربة لكن الخط الحديدي لم يسمح لـه بذلك اذا أن السلسلة لامست طرف الصندوق الاول وهي تصر صريراً عالياً وكأنهـا تتأهب للافتراس • فاضطربت كل ألياف جسم موريتز وكأن بعضهم قـد انتزع له سناً • ومنذ ذلك الحين ، لم يحاول موريتز قط حمل صندوقين معاً • كانت الآلة ترفض ذلك وكان عليه أن يمتثل لأمر الآلة • حتى أنه لو كان يستطيع حمل خمسة صناديق دفعة واحدة لما فعل • لقد سيطر عليه

مكتبة ماجد الحيدر
facebook
كتب كتب كتب

ايقاعها فكان لايستطيع التحرر من ربقه . لم يكن العمل صعباً ولا سهلا . كان في الايام السالفة ، عندما يشتغل شغلا مضنياً ، يتقصد العرق من جسمه ويشعر بالتعب فيسب ويشتم . أما الآن فانه لم يكن يسبح في عرقه كما كان في السابق . لذلك فقد كف عن السباب . لم يكن يحس بأنه يعمل وكذلك لم يكن يشعر بأنه لايعمل . كان ايوهان موريتز أثناء عمله السابق يفكر في شتى الامور فيمر الوقت دون أن يشعر بمروره . أما الآن فقد عدل عن التفكير . كان يستطيع التفكير بألوف الاشياء خلال رفعه الصندوق وايداعه جوف العربة . لكنه لم يكن يجد في رأسه خيالا خصباً يحلق به الى مرتبة التفكير . كانت رأسه فارغة خالية من أي نوع من الصور . لقد فارقته الاحلام والافكار . فكان لايفكر حتى في عمله . كان يعرف أنه يقوم بعمله ذاك ليس بقوة ذراعيه فحسب بل بمجهود من عقله كذلك . ولولا ذلك المجهود الفكري ، لكان عقله ودماغه في مكان آخر . لكنهما كانا هنا قرب الصناديق ، لصق الآلة !

كان ايوهان موريتز يشعر بأن كيانه ينوي كالغصن المحروم من الري . كان اذا ما أوى الى فراشه مساء يشعر باحساس غريب ، يخيل اليه أنه ينحني ويلتقط صندوقاً . واذا نهض من سريره صباحاً ، شعر كأنه انتصب في تلك اللحظة بعد أن أودع الصندوق في العربة وباتت يداه فارغتين فترة بانتظار وصول الصندوق التالي . كان نومه خلواً من الاحلام . أما جبينه وعيناه فقد غشيهما الاكتئاب والقلق . لقد اتخذ لون الآلة وليس لون الارض .

لقد بلغ ايوهان موريتز في الأيام الاخيرة حداً جعله ينسى أن الصناديق التي كان ينقلها تحوي أزراراً . فاذا ماتذكر ذلك صدفة ـ وكان ذلك لايقع له الا نادراً ـ كان يبتسم . وكانت ابتسامته جافة كالارض بعد الجفاف .

مكتبة عبد الحيدر
www.facebook.com/groups/kotob.kotob

زعم الاطباء أنه مريض ، لذلك فقد نقل ايوهان موريتز الى مستشفى المعسكر .

-٧٨-

كان ايوهان موريتز في تلك اللحظة في الابنية الخشبية التي أقيمت لتكون مستشفى المعسكر . وكانت النوافذ مشبكة بالاسلاك الشائكة . لبث في المستشفى أكثر من أربعة أسابيع لأنه كان مصاباً في رئتيه . كان كل جسمه يحترق وكأنه معرض لنار حامية تذيب جسده . كان لايحلم الا في مصنع الازرار ويتحرق شوقاً للعودة اليه . كان يلبث مغلق العينين طيلة النهار لايتحرك . شعر ذلك اليوم أن حوله ضجة غير مألوفة . قال في سره : « لعلهم الاطباء وهم يقومون الآن بجولتهم التفتيشية » . أحسَّ فجأة برائحة بشرة مغسولة نظيفة ، رائحة لم تبلغ أنفه مثلها منذ زمن طويل . لكنه ماكان يستطيع نسيانها . فتح عينيه وهو يبتسم . كان بالقرب منه امرأة ترتدي ثوباً عسكرياً . كانت شقراء في مبعة الصبا تفوح من جسمها رائحة الصابون والهواء الطلق النقي . راحت تنظر اليه بخشونة لكنه استمر يبسم لها . وكان جنديان وعدد من الاطباء يحيطون بها . سألها أحد الاطباء بينما كانت تنظر اليه :

ـ أهذا هو ؟

كانت المرأة تقرأ اللائحة الطبية المعلقة على سريره وهي تلقي عليه نظرات مستريبة . كان كل من لقيهم في ألمانيا يحتفظ بذلك الشك في نظراته . سألته :

ـ هنغاري ؟ ان الهنغاريين والايطاليين أشد الناس خطورة !

أمسكت المرأة بالغطاء فأزاحته عن جسمه وكشفت عن صدره ثم أردفت :

مكتبة ماجد الحيدر facebook كتب كتب كتب

ـ انه ليس هو ! ان الآخر كان غزير شعر الصدر •

ابتعدت وراحت تتوقف أمام الاسرة الاخرى ، فتتأمل الوجوه وتكشف عن صدور بعض المرضى • والجنديان يتبعانها أبداً فلم تجد الشخص الذي تبحث عنه •

لبثت تلك الرائحة زمناً طويلا في القاعة بعد أن غادرتها المرأة • لم تكن رائحة الماء والصابون والعطر فحسب • كانت رائحة المرأة • تذكر موريتز أن رائحة جسم سوزانا وايوليسكا مشابهة لهذه •

قال الطبيب :

ـ ان واحداً من زملائكم قد ضاجع في الليلة الفائتة امرأة ألمانية • لقد فاجأتهما المرأة التي خرجت منذ حين فأوقفت الفتاة • أما الرجل فقد تمكن من الفرار • انه أسمر غزير شعر الصدر رفضت الفتاة الافصاح عن اسمه • لكنه لن يستطيع الافلات • لسوف ينال خمس سنوات يقضيها في السجن • يا للمسكين !

كان الطبيب هولندياً • قال وهو ينظر الى النافذة :

ـ لقد قبضوا عليه !

تناهض موريتز واشرأب بعنقه • شاهد خلال النافذة شاباً صربياً مغلول اليدين يقوده الجنديان بخشونة • كان رجلا جميلا ذا شعر أسود يعرفه موريتز • كان يشتغل في معمل الحبال وهو فتى دمث وديع • وكانت الفتاة ذات الثوب العسكري تتبعه وهي تقول :

ـ لقد قلت لكم انني سأعثر عليه أخيراً !

## ـ ٧٩ ـ

كان جوزيف « الشخص » الوحيدالذي يشعر معهموريتز بالاطمئنان•

مكتبة ماجد الحيدر
www.facebook.com/groups/كتب.كتب

لم يشعر بخوف مطلقاً من صحبته رغم أن كل شيء كان يخيفه في الايام الاخيرة • وفي المصنع كان يخاف أن يفلت أحد الصناديق وأن يتأخر في حمله فيسقط عن الخط • وكان يخاف النظر في وجه احدى الالمانيات كما يخاف أن يطلع ، ولو عفواً ، على أسرار الازرار • كان يخاف من كل الالمان ، ليس فقط من الرجال والنساء بل من الارض الالمانية والكلمات الالمانية والهواء الذي يستنشقه لانه هو الآخر ألماني • لقد سجن ايوهان موريتز في رومانيا وضرب وأهين • لكنه لم يشعر بالخوف • حتى في هنغاريا قطعوا جسده قطعة فقطعه ، لم يشعر بكل هذا الخوف • فالرومانيون والهنغاريون كانوا كائنات بشرية • كان ايورغو ايوردان انساناً أيضاً فلم يشعر موريتز بالخوف منه •

لم يرتعد موريتز مرة أمام الانسان لانه يعرف أن بني الانسان يتمتعون بطيب النفس وخبثها معاً فكان بعضهم ميالا للطيبة والبعض الآخر للخبث • لكنهم كانوا جميعاً يجمعون بين الاثنتين •

ففي رومانيا قدم اليه وكيل الضابط سيجارة بعد أن لكمه لكمة أطاحت بسنين من أسنانه • وفي هنغاريا كان رجال الدرك يعطونه ماء وتبغاً بعد أن يحرقوا باطن قدميه بالحديد الأحمر •

أما في ألمانيا فانه لم يضرب قط • كان يتناول كل يوم ربع رغيف كبير من الخبز وقدحاً من القهوة لساخنة وحساء • وكان العمل أكثر سهولة ويسراً من حفر القناة في رومانيا واقامة التحصينات في هنغاريا • لكنه لم يكن يستطيع العيش في ألمانيا • كان موريتز واثقاً من أن الالمان سيطيحون برأسه آخر الأمر • كان واثقاً من أن التفكير في مثل هذا الأمر لون من السخف المطلق • مع ذلك فقد كان يشعر باحساس غامض ينذره بأنه سيؤخذ ذات يوم والقيود في يديه حتى ولو لم يكن مذنباً • سوف يرسلونه

مكتبة ماجد الحيدر
facebook
كتب كتب كتب

الى السجن حتى ولو لم يكن قد حاول الاطلاع على أسرار معمل الازرار • كان بنو الانسان هناك يعادلون الآلات في الخبث • لذلك فقد كان يذوي عوده ويشعر بخوف مقيم • كان يخاف من كل الآلات ومن كل الرجال الذين هم على شاكلته • كان يشعر بوحدة مريعة وهو بين الآلات • كان يتلهف الى الصياح لشدة ماكان يرزح تحت وطأة الوحدة • ولذلك فانه كان يشعر بميل طبيعي الى الفرنسي •

جاء جوزيف يقابله وقال :

ـ سالف سكلاف !

فأجابه موريتز باسماً :

ـ سالف سكلاف !

كان جوزيف يحب أن يجاب على تحيته بعبارة مماثلة • كان يقول :

ـ اننا جميعاً عبيد • ومن الخير أن نظل نذكر أنفسنا بذلك الف مرة كل يوم حتى لاننسى هذه الحقيقة لحظة واحدة • اننا اذا تناسينا أننا عبيد هنا فقدنا كل شيء • ينبغي أن يظل وجداننا متيقظاً •

كان ذلك بعد ظهر يـوم أحـد وكان ايوهـان موريتز وجوزيف مستلقيين على الاعشاب في ظل واحـد من أبنية المعسكر الخشبية • كان جوزيف يروي لموريتز أنه يحب امرأة وكان موريتز يعرف أن تلك المرأة اسمها بياتريس وأنها تقطن باريز وأن لها عيونا سوداء كبيرة وأنها تبكي كل ليلة لأن جوزيف سجين • كان الفرنسي قد قص عليه أشياء وأشياء عن بياتريس حبيبته حتى خيل لموريتز أخيراً أنه سيتعرف عليها ولو كانت بين الف امرأة من شبيهاتها • بل أنه كان أحياناً يخيل اليه أنه يصغي الى حديثها وأن صوتها يشبه التغريد • كان موريتز يشعر بوجود بياتريس معه ومع جوزيف كلما التقيا • فكان كلما جلس اليه يشعر بأن المجلس

مكتبة عبد الحميد كتب كتب كتب facebook

يضم ثلاثة • بل أنه كان يدهش أحياناً لأن بياتريس لاتشترك في الحديث ولاتجيب على الأسئلة •••

-٨٠-

وفجأة سمعا صوت قائد المعسكر يصدر أمراً خلال مكبرات الصوت :

ـ ليدخل الجميع الى الاكواخ !

قال موريتز وهو ينهض واقفاً :

ـ أهو تفتيش جديد ؟

وتبعه جوزيف وهو يقول :

ـ ماذا يريدون منا بعد !

كان الفرنسي متذمراً لأنه ماكان يحب قضاء بعد ظهر أيام الأحاد في الاكواخ !

أخذ العمال يغادرون الباحة جماعات جماعات • كان النهار جميلا دافئاً والشمس مشرقة •

وقف موريتز وجوزيف قرب نافذة مهجعهما يطلان على الباحة مستطلعين خلال الاسلاك الشائكة •

هتف موريتز :

ـ ان الأمر صحيح اذن !

ذلك أن ثلاث سيارات عسكرية كبيرة دخلت الى الباحة الكبرى في تلك اللحظة وتوقفت قرب النافذة التي كانا وراءها •

راجت في الايام الاخيرة شائعة على الألسن مفادها أن نساء سوف يؤتى بهن الى المعسكر • لقد وقع مثل هذا الأمر في المعسكرات الاخرى • لكن السجناء لم يصدقوا هذه الشائعة • وها أن النساء الآن أمامهم ، نساء لهم هم !

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.كتب.facebook

قال ايوهان موريتز :

ـ ألا ترى أن الأمر حقيقي !

كان ايوهان موريتز لايقوى على تصديق هـذا الأمر رغم أنه كان ماثلا أمام عينيه • غير أن النساء كن هنا وكان موريتز يتطلع اليهن • كن جميعاً مبرجات متزينات يرتدين ثياباً خفيفة • ألقين نظرة حولهن حيث كان السجناء محشورين حشراً وهن يتضاحكن • وأخيراً شرعن يهبطن من السيارات بخفة فكانت الريح ترفع أطراف أثوابهن • كان موريتز يرى ألبستهن الداخلية وسراويلهن الصغيرة الشفافة وكأنها صنعت من أوراق السجاير وصبغت بألوان مختلفة • وكان يرى أفخاذهن الى أقصى الوسط • كان السجناء الواقفون وراء موريتز يضحكون أما هو فانه ماكان يصـدق عينيه لذلك لم يجد الضحك سبيلا الى شفتيه •

ارتفع صوت آمر المعسكر خلال المكبرات :

ـ لاينبغي للنساء أن يبارحن السيارات ! ان أمر مغادرة السـيارات لم يعط بعد !

كان الصوت قاسياً آمراً • لم يكن أحد من السجناء قد رأى من قبل آمر المعسكر لأنـه كان يتكلم من مكتبه • عادت النسـوة الى السيارات فتسلقنها بسرعة كما هبطن وتكدسن فوق بعضهن وجلات • كن يخشين العقاب لأنهن بارحن أماكنهن دون أن تلقي الامر بذلك •

ولما تسلقن صاعدات ، استطاع السجناء رؤيـة ركبهن وسراويلهن وألبستهن الداخلية العديدة الالوان • كن يضحكن ولكن ضحكهن في تلك المرة كان مخنوقاً مذعوراً •

أمر الصوت بحزم :

ـ عشر نساء لكل مهجع ! سيمكثن فيه حتى التاسعة مساء • ان رؤساء

مكتبة عبد الحميد كتب كتب كتب .facebook

المهاجع قد تلقوا التعليمات الخاصة المتعلقة بسير البرنامج خلال هذه الفترة • انهم مسؤولون عن النظام والطاعة في المهاجع !

وصمت مكبر الصوت •••

لبث النسوة هادئات في السيارات • كنّ ينتظرن صدور الأمر اليهن •

صرف الفرنسي على أسنانه وهتف :

ـ خ •••!

ظن موريتز أن الفرنسي يوجه اليه الكلام فاستدار برأسه نحوه غير أن جوزيف كان شديد السخط والحنق فلم يكن يلتف اليه •

جلجل الصوت الآمر خلال مبكرات الصوت :

ـ لتنزل النسوة من السيارات بنظام حسب عدد الجماعات !

كان هـذا ماينتظره النسوة • ورحن يقفزن من السيارات هابطات وانقسمن الى خمس فرق فتقدم لكل منها رجل هو رئيس المهجع وأشار الى الفريق النسائي أن يتبعه •

لم يكن موريتز يفهم كيف « سيتم الأمر حسب النظام المقرر » • كان يتحرق من الفضول • كان يعرف أن النسـاء قـد جئن ليضاجعن المساجين ، لأن الالمان ادعوا أن انتاجهم لم يكن كافياً وأنه سيزداد نقصاً اذا لبث المساجين محرومين من المقارنة الجنسية • والالمان يريدون أن يكون الانتاج حسناً لذلك فقد استقدموا نساء ليتيحوا للمساجين تحسين العمل في مصانع الحبال ومعمل الازرار وأفران الصهر •

لم يكن ايوهان موريتز يفهم كيف يستطيع الرجال زيـادة انتاجهم اذا زاولوا العمل الجنسي • وماكان يفهم كيف سيستطيع العمال مضاجعة أولئك النساء اللواتي انتقين انتقاء ووزعن على المهاجع بذلك الشكل الآلي •

مكتبة ماجد الحيدر
facebook
كتب كتب كتب

كانت المهاجع كبيرة تحوي على أسرة كثيرة وكان عدد الرجال كبيراً وعدد النسوة ضئيلا فكان يتعذر على كل سجين الانفراد وحده بامرأة في سريره: « لعلهن سيطفن من سرير الى آخر ! » لكنه فكر في أن النسوة سيخجلن من التنقل من سرير الى آخر • لم يكن يتوقع أبداً رؤية نساء في أكواخ تحيط بها الاسلاك الشائكة • مع ذلك فها أن النسوة على وشك الدخول الى المهاجع •

كان رئيس المهجع يتحدث اليهن • فكان ولاشك ينهي اليهن التعليمات التي يجب عليهن اتباعها فكن يستقبلن أقواله بضحكات مرتفعة •

سأل جوزيف :

ـ لنخرج هل توافق ؟ لنذهب حيث كنا منذ قليل •

خرج موريتز من المهجع مع الفرنسي وتبعهما عدد من العمال •

ولما وصلا الى عتبة المدخل مرا بالقرب من النساء • كانت رائحة العطور والاصباغ تنبعث منهن • رحن ينظرن الى موريتز وجوزيف وهما في طريقهما الى خارج المهجع ويتضاحكن بصوت مرتفع هازئات منهما لأنهما غادرا المكان •

شعر ايوهان موريتز بيد احداهن تلامس وجهه وتداعبه ففض الطرف وجرض بريقه • كانت اليد معطرة رطبة •

هتف جوزيف لما وصل الى حيث كن مجتمعات •

ـ سالفيتي سكلافي !

فأجبنه بضحكات مدوية •

لم يضحك جوزيف كما فعلن بل اكتأب واكفهر وجهه •

لما وصل الى الفناء استلقى على العشب وراح يتطلع الى السماء فتمدد

مكتبة محمد الجيار
facebook.كتب.كتب.كتب

موريتز بجواره وراح يفكر في النساء • كان جوزيف ولاشك يفكر فيهن كذلك غير أن موريتز ماكان يستطيع تحديد أفكاره •

قال الفرنسي :

ـ يمكنك أن تذهب اذا شئت •

فأجاب موريتز :

ـ كلا لن أذهب •

لم يتبادلا كلمة واحدة • كانت تلك هي أول مرة يجد موريتز نفسه بجانب جوزيف دون أن يحدثه هذا عن بياتريس •

قال جوزيف :

ـ انهن بولونيات من معسكرات الاعتقال • ان الموقوفات في ذلك المعسكر يستعدن حريتهن اذا زاولن هذا العمل مدة ستة أشهر ••• غير أنهن خلال هذه الفترة سيتهدمن تهديماً • انهن لايغادرن معسكرات الاعتقال الا ليمضين مباشرة الى المستشفى أو الملجأ أو الى المشرحة •

قال ايوهان موريتز :

ـ ظننت أنهن محترفات •

شعر باشفاق نحوهن بدلا من الازدراء لانه عرف أنهن سجينات مثله•

قال الفرنسي :

ـ انهن لسن محترفات ياجان ( كان دأب الفرنسي مناداة موريتز باسم جان ) • هؤلاء النسوة هن رقيق مثلنا يبذلن مجهوداً يائساً لنيل حريتهن • انهن رقيق يحاول تحطيم أغلاله بيديه وحدهما دون الاستعانة بأية أداة أخرى • انهن يمزقن أجسادهن وهن يحاولن تحطيم سلاسلهن وأغلالهن • انه عمل ينطوي على بطولة • ولكن للأسف ان اغلال العبودية أقوى من الجسد البشري •

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.facebook

في الساعة التاسعة مساء غادرت النسوة المعسكر •
ماكن يضحكن لما صعدن الى السيارات بل كن يدخنّ •
هتف جوزيف عند رحيلهن بصوته الصريح الودود :
ـ سالفيني سكلافي !
وفي تلك الليلة فر الفرنسي من المعسكر ••

## - ٨١ -

قال موظف المعمل لايوهان موريتز وهو يقوده الى المكتب :

ـ ان الضباط بحاجة الى مترجم للغات البلقانية • فكن مهذباً وقوراً ! انهم ضباط من هيئة الاركان العامة والمؤسسة القومية للدراسات العنصرية •

انتظر ايوهان موريتز أمام الباب مايقرب مـن الساعة وأخيراً أدخل الى المكتب فاستقبله دخان اللفافات ورائحة الخمر ورآى على المائدة أقداحا وزجاجات فارغة •

لما دخل ايوهان موريتز لم يحول أحد رأسه لينظر اليه • فلبث واقفاً قرب الباب يكاد دخان اللفائف أن يخنقه • كان يود أن يقول لهم انه ليس مترجماً ضليعاً لتتاح له العودة الى صناديق الازرار • فهناك كان الصمت والسكون يخيمان والجو نظيف خال من دخان السجاير الخانق • راح يتأمل الشريط الاحمر المثبت على طرفي سراويل الضباط • كانوا جميعاً في أعمار فتية أحصى موريتز عددهم فاذا هـــم سبعة • تقدم أحدهم من موريتز ووضع يده على رأسه ثم راح يديره ويتأمله كما يتأمل اللاعب الكرة التي سيلعب بها • نظر اليه من جانبه الأيمن ثم أداره وتأمل جانبه الأيسر وقال :

ـ استدر !

راح ينظر الى مؤخرة رأسه ثم أخذ يلمس كتفيه وأخـيراً أمسك

مكتبة عبد الحميد كتب كتب كتب facebook

بذقنه وطلب اليـــه أن يفتح فمه لينظر الى أسنانـــه • فلما فعـل استنتج الضابط آمراً :

ـ اخلع ملابسك !

نزع ايوهان موريتز ثوب العمل الذي يرتديه ووضعه على الارض قرب الجدار • وكان الضابط يتابع حركاته بنظره •

وبينما كان موريتز ينزع ثيابه ، والضابط يزن كل حركاته ويراقبها لبث الآخرون يتحدثون غير مبالين به •

قال الضابط ـ وكان برتبة زعيـم في قلم المخابرات ـ عنـدما فرغ موريتز من تنفيذ أمره :

ـ أيها السادة اصغوا الي • سأعرض على حضراتكم بعض البيانات والبراهين !

أقبل الضباط الستة فالتفوا حولهما بينما لبث ايوهان موريتز عابساً مرتبكا بينهم • لقد استدعي ليكون مترجماً لذلك لم يفهم شيئاً مما كان يقوله ذلك الزعيم • عادت به ذاكرته الى الالعاب التي كان يشاهدها في « السيرك » • تذكر أن أحد الحواة كان يستدعي رجلا من المتفرجين ويطلب اليه الصعود على المسرح وهناك يستخرج من جيبه على مرآى من النظارة قططاً حية وعدداً من الارانب والعصافير • كان هـذا هو مدلول كلمـة البراهين والبيانات في نظره • ولم يكن يعرف لهاتين الكلمتين معنى آخر • وها ان الزعيم الآن يدعو رفاقه ليقدم لهم بيانات مستخدماً شخصه • لعله سيرى بعد حين مشهداً من تلك المشاهد الخلابة التي كان يرى مثلها في « السـيرك » لما أن كان جندياً • شعر ايوهان موريتز بقلق وبلبال عظيم فابتسم لانه لم يكن يخاف مثل تلك التجارب • كان يعرف أن الرجال الذين ينتقيهم الحواة لاجراء التجارب عليهم أمام الجمهور لايشعرون بشيء مؤذ من جراء ألاعيبهم •

مكتبة ماجد الحيدر facebook كتب كتب كتب

بل أنهم يذهلون فقط • ولسوف يذهل هو الآخر في اللحظة التي يستخرج فيها الزعيم الارانب والقطط والعصافير من تحت ابطيه أو من بين يديه لذلك فقد مضى يبتسم بتودد للزعيم لأنه كان يحب الحواة • كان يفكر في نفسه : « أنه لو لبث يتمرن ألف عام لما توصل الى عمل ألاعيبهم واتقانها ! »

راح يتأمل الزعيم الذي يستطيع القيام بتلك الألاعيب وتذكر في تلك اللحظة كلمات أمه التي كانت لاتنفك تقول : ان الحواة والمشعوذين هم خدم الشيطان • فشعر عندئذ بموجة من الغم وكف عن الابتسام لأنه كان يخاف دائماً من الشيطان ويرهبه •

قال الزعيم :

ـ أيها السادة ان هذا الشخص أدخل الى المكتب منذ عشر دقائق • انني لم أره من قبل ولاأعرف سبب مجيئه الى هنا !

فقال موظف المصنع :

ـ انه المترجم الذي طلبته للغات اللبقانية •

قال الزعيم :

ـ لقد نسيت تماماً أنني طلبت منا مترجماً • غير أنه منذ دخوله جذب وجهه انتباهي •

وضع الزعيم يده على رأس ايوهان موريتز وهو يبتسم ، بينما راح موريتز ينتظر بفارغ صبر أن يبدأ الزعيم باخراج الأرانب من تحت ابطه • صحيح أن وجهه كان صارماً ، غير أن موريتز كان يعرف ، أن هذا هو شأن الحواة في « السرك » أيضاً • ان المشعوذين يلبثون دائماً متجهمي الأسارير ، حتى ولو كان الجمهور يتفجر من الضحك •

كان موريتز ينتظر القهقهات التي ستنبعث عندما تموء القطة الأولى ،

مكتبة ماجد الحيدر
www.facebook.com/groups/kotob.kotob

وكان يهيء نفسه لمشاركتهم الضحك • لقد كف عن الضحك منذ زمن طويل •

قال الزعيم :

ـ لقد وقع بصري على هذا الشخص لأول مرة ، منذ عشر دقائق • في ذات الوقت الذي نظرتم أنتم اليه فيه • ولعلكم تذكرون ، أنني لم أتبادل معه كلمة واحدة • ومع ذلك ، فانني سأقص عليكم ، بتفاصيل دقيقة ، تاريخ حياة هذا الرجل ، وتاريخ ثلاثمائة عام ، معتمداً فقط على المشاهدات العلمية •

تذكر ايوهان موريتز ، أنه شاهد من قبل ، فصلا مماثلا لهذا ، في أحد مسارح « السيرك » لما أن كان جندياً • كان المشعوذ يستدعي واحداً من النظارة ، فيحكي له اسمه وسنه ، ويبين له اذا كان متزوجاً أم عزباً ، ويسرد عليه سلسلة من الأقوال المشابهة ، والنظارة ذاهلون لقدرة المشعوذ على اكتشاف كل هذه الأسرار • غير أن ايوهان موريتز ، ما كان يحب هذا النوع من الأدوار • كان يفضل عليها مسألة القطط والأرانب • لذلك فقد شعر بأسف في أعماق نفسه ، لأن الزعيم لاينقن ألاعيب الأرانب • كان يتمنى لو أخرج من جيبه فجأة ، قطاً يموء • لقد عرض نفسه مرات عديدة في السيرك ، أمام أنظار المشعوذ ، لكن هذا ، كان ينتقي دائماً رجلا آخر بدلا منه ، فيأسف موريتز لحرمانه من هذه المتعة •

قال الزعيم وكان اسمه « موللر » :

ـ ان دراسة الاصول والأجناس تقدمت تقدماً ملحوظاً في عهد القومية الاشتراكية حتى أنها سبقت مثيلاتها في البلدان الأخرى بما لايقل عن مائة عام • انني أستطيع بمجرد النظر الى هذا الشخص العاري أن أبين لكم نوع أسلافه والتزاوج الذي وقع بينهم وعادات أسرته وبمكنكم بعد ذلك

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.كتب.facebook

التحقق من بياناتي بطرح الاسئلة المباشرة عليه والاصغاء الى أجوبته .

هتف الضباط :

ـ ان هذا لايصدق ! انه خارق !

وراحت دائرتهم تضيق حول ايوهان موريتز .

استرسل الزعيم قائلا .

اذا نظرنا الى تكوين الجمجمة وطريقة التئام العظم الجبهي والانفي والوجهي ، واذا نظرنا الى تركيب الهيكل العظمي وبصورة خاصة الى القفص الصدري ووضعية الترقوه ، فان هذا الشخص الماثل أمامكم ينتمي الى عرق جرماني يعيش اليوم باعداد قليلة في وادي الرين واللوكسمبورغ وترانسلفانيا وفي اوستراليا . وهناك ثماني عشرة أسرة في الصين وفي الولايات المتحدة لكنها لم تسجل في الاحصاء الرسمي لأنها لم تكتشف الا قبل نشوب الحرب بأشهر معدودات . اننا سنقدم في احصاءاتنا الرسمية التي سننشرها في عدد خاص نظريات دقيقة كاملة للمرة الاولى عن هذا الفريق الجرماني الذي نطلق عليه اسم « الأسرة الشجاعية » . ان هذه الاسرة تضم أعظمياً ثمانمائة عضو وقد نزح أسلافهم جماعات من جنوب غربي ألمانيا في الحقبة التي تقع بين أعوام ١٥٠٠ ـ ١٦٠٠ للميلاد . انهم ألمان من أكثر الاجناس صفاء . ولقد استطاعوا الحفاظ على دمهم حتى اليوم متحاشين أي اختلاط فيه رغم الضغط العنيف والارهاق الشديد اللذين تعرضوا لهما خلال التاريخ . ان « الاصل » أيها السادة يحوي على شعور بالمحافظة يفوق أحياناً شعور الشخص نفسه . « ان الاسرة الشجاعية » التي يمت اليها هذا الشاب بصلة ، برهنت بما فيه الكفاية على صلابة الاحساس بالمحافظة الذي يمتاز به عنصرنا ، اذ كيف نفسر بغير ذلك تزاوج أسلاف هذا الشاب الماثل أمامكم من عنصرهم خلال ثلاثة قرون أو أربعة بينما تنتشر حولهم نساء

مكتبة ماجد الحيدر
facebook كتب كتب كتب

أخريات يتمتعن بجاذبية أقوى ! انها غريزة المحافظة على العنصر ، انه صوت الدم الذي جعل أفراد هذه الأسرة يتحاشون الخطيئة القاتلة الكامنة وراء اختلاط العنصر • ان تاريخ هـذه الاسرة لم يقدم أي حالة حتى اليوم من حالات الزواج بامرأة من عنصر آخر وهذا هو التفسير الوحيد الذي جعل هذا الشاب الماثل أمامكم يبدو اليوم شبيهاً لأسلافه الذين سبقوه بأربعة قرون • تأملوا شعره القاسي ولكن الناعم ، انه نسخة مشابهة تماماً لشعر « الأسرة الشجاعية » • لم يختلف أبـداً عما كان عليه منذ أربعة قرون بدلالة البقايا الجسدية التي جمعناها من أفراد هذه الاسرة • ان هذا النوع من الشعر لايمكن أن يختلط أمره على أحد من العارفين الذين يستطيعون تشخيصه وتمييزه على الفور • انه شعر أكثر نعومة من شعر معظم الفصائل الجرمانية • غير أن المنشأ واحد لم يختلف • ثم أن الانف والجبهة والعينين والذقن عند هذا الشاب لاتختلف في شيء عن الرسوم التي في مجموعاتنا عن أسلافه الذين سبقوه بأربعة قرون•ان الزمن لم يحدث أي تبديل عليها!

راح الضباط يمسون رأس موريتز ويعاينون شعره وينظرون اليـه باعجاب •

شعر موريتز بأن العيون كلها تحدق في وجهه • لم يقع له أبداً في مجرى حياته أن عوين بمثل هذا الاهتمام • لقد كان بطلا لكنه كان يخاف أن يخيب أمل الضباط ويأسف لأنه لم يعمل شيئاً ليستحق مديحهم ، ذلك المديح الذي ماكان يغدق مثله الا على أولئك الذين استطاعوا نيل الصليب الحديدي المرصع مع أوراق السنديان •

عادت أصابع الكولونيل موللر تلمس كتفي ايوهان موريتز من جديد باعجاب وفخار وورع وكأنه يلمس رفات القديسة باراشيفا العجائبية في كنيسة « الملائكة الثلاثة » •

مكتبة ماجد الحيدر
facebook كتب كتب كتب

أطرق ايوهان موريتز وهو شديد الخجل لأنه لم يساهم في معارك الجبهة الشرقية ولم يقم بأي عمل يدل على الشجاعة والاقدام • بينما أردف الزعيم قائلا :

ـ ان هـذه الفصيلة التي تسميها « الأسرة الشجاعية » تعطي المثل الاعلى للبطولة العنصرية • انني أعتبر اليـوم عيداً حقيقياً لانني وفقت الى اكتشاف هذه النسخة الفريدة • ولايسعني الا أن أقول لكم في هذه المناسبة ان واحداً من أسلافي كان قد تزوج من فتاة من هـذه الاسرة لكنهما وللأسف لم ينجبا أبناء لأن قريبي قتل في الحرب بعد زواجه بثلاثة أشهر • غير أن هذا ليس الا أمراً ثانوياً • انني أريد الآن أن أبرز صورة هـذا الشاب في الكتاب الـذي أضعه مصحوبة بنظريـات عن فن قياس الجسم البشري ولمحة عن التسلسل التاريخي لأنني الآن في صدد اعداد هذا الكتاب الـذي اشتغلت فيـه منذ عشر سنين بارشادات الرايـخ فوهرر الطبيب روزنبرغ • ان ذلك سيساهم في تتويج مجهودي •

هتف الضباط فرحين وهم في وضعية الاستعداد :

ـ تفضل بقبول تهانينا •

كان الزعيم قد غـدا أحمر الوجه من الانفعال فرفع ذراعه اليمنى بالتحية ثم صافح زملاءه الضباط فرداً فرداً •

لبث موريتز جامداً ينظر اليه فسأله الزعيم :

ـ هل أنت من رينلاد ( أراضي الرين ) أم من اللوكسمبورغ أم من تراتسلفانيا ؟

فأجاب موريتز :

ـ انني من ترانسلفانيا •

أطلق الضباط صرخة اعجاب بينما أشرق وجه الزعيم مولول بالسعادة• قال لزملائه :

مكتبة ماجد الحيدر
كتب كتب كتب .facebook

ـ سأحدد لكم على الضبط محل اقامة هذا الشاب .

ثم التفت الى موريتز وسأل :

ـ هل ولدت في تيميزوآرا ، في برازوف أم في بلاد الزيكلريين ؟

فأجاب موريتز :

ـ في بلاد الزيكلريين .

هتف الزعيم :

ـ مدهش !

وراح يفرك راحتيه بسرور ثم أردف :

ـ كان من المستحيل علي أن أخطىء . منـذ أن فتح الباب شعرت كأنني أرى شخصاً من لوحات جناح « الاسرة الشجاعية » يهبط بيننا . انني أعرف تلك اللوحات عن ظهر قلب ولسوف يمكنكم أنتم أيضاً أن تتأملوا تلك اللوحات في كتابي المقبل . سيكون حافلا بالصور الملونة . انني أؤكد لكم أيها السادة أن هذا الشاب نسخة كاملة عن « العائلة الشجاعية » . انه يؤيد نظريتي بكاملها .

طلب الزعيـم الى موظف المصنع أن يأتيـه ببطاقة موريتز . فلما قرأها هتف :

ـ يا للحقيرين ! لم يحمل أحد من أفراد الاسرة « الشجاعية » اسم ايانوس ! ان هذا الاسم عار شنيع !

كان الزعيم في منتهى الغضب لهذه الفضيحة . فالتفت الى موريتز وقد تجهم وجهه وقال له :

ـ هل أطلق أبوك عليك هذا الاسم ، ايانوس ؟

قال ايوهان موريتز :

ـ كلا ياسيدي الزعيم ، انني لا أدعى ايانوس !

مكتبة ماجد الحيدر
facebook
كتب كتب كتب

كان يريد أن يطلعه على أن اسمه هو ايون • غير أن الزعيم قال :

ـ ماكان ممكناً أن يعمد أحد أفراد « الاسرة الشجاعية » ابنه باسم خارج عن التقويم الألماني • ان عكس هذا الامر لم يقع منذ أربعمائة عام • انه من المستحيل أن يكون اسم هذا الشاب ايانوس !

التفتت الزعيم نحو موريتز مشرق الاسارير ، كان شديد السرور لان موريتز لم يكن يدعي ايانوس • سأله :

ـ من أعطاك اسم ايانوس ؟

ـ لست أدري ، عندما وصلت الى ألمانيا منذ عامين وجدته مسطوراً في أوراقي !

قال الزعيم :

ـ ان اسمه ليس ايانوس ! ان « الاسرة الشجاعية » قد احتملت كثيراً من الاضطهاد والظلم خلال تاريخها • لقد غيرت الشعوب التي عاشوا بينها أسماءهم دون أن تستطيع تغيير دمهم ، ان دم « الاسرة الشجاعية » لبث نقياً كقطعة من الزجاج !

اتجه الزعيم نحو موظف المصنع وقال له :

ـ ان هذا الشاب قد وضع منذ اليوم رهن تصرف المؤسسة القومية للدراسات العنصرية • انه مثال نحن في حاجة اليه •

سأل الموظف :

ـ ألن يشتغل بعد اليوم في المصنع ؟

فأجابه الزعيم بجفاء :

ـ كلا ! سأرسل لكم فيما بعد التعليمات الخاصة المتعلقة به •

نظر الزعيم الى موريتز وراح يفكر : « ان العلم قد تقدم تقدماً خارقاً

مكتبة عبد الحميد كتب facebook

غير أننا لازلنا بعيدين عن الكمال . ان هذا المثال المصطفى ، هـذا المثل لفئة عنصرية شـديدة الاهمية ، ينبغي أن يحفظ في حديقة معروضـات الاصول البشرية التي ستؤوي نماذج نادرة ثمينة عن العنصر الانساني . غير أن هذه الحديقة لم تنشأ بعد وللأسف . لدينا في أوربا حدائق تضم نماذج شتى أنواع الطيور والحيوانات لصيانتها . غير أن الآراء الفاسدة جعلتنا نمتنع عن اقامة حدائق لصيانة أنواع الانسان وعرض مختلف أصوله . وانها لخسارة كبرى للعلم . لقد سبقنا الامريكيون في هذا المضمار اذ أقاموا مثل هذه الامكنة الخاصة حيث يحتفظون فيها « بعينات » هامة من الهنود . غير أننا سنشيء بعد النصر مثل هذه الحدائق في أوروبا . ينبغي أولا أن ننتصر . سـوف أقترح في محاضرة لي قريبة انشاء هـذا النوع من الحدائق التي ستتيح للعلم أن يحصل على الأمثلة الفريدة النادرة لدراستها ومعاينتها . وسيكون هذا العضو من العائلة « الشجاعية » من الامثلة الاولى في حديقتنا . سوف أقدمه للحديقة هدية مني .

نظر الزعيـم موللر الى موريتز وابتسم . كان يتصـوره في حديقة صيانة أنواع الانسان في جناح العناصر الالمانيـة ، يقطن فيه مع زوجتـه وأولاده ! أردف :

ـ سوف يتحقق هذا الحلم ذات يوم .... أما في الوقت الحاضر ، فيجب أن نجد لهذا الشاب ، العمل الجدير بمنبته . ان ماسيسره ويرضيه ، هو أن يكون جندياً . انني أعرف « العائلة الشجاعية » ، انها جماعة من أشد المحاربين من العنصر الجرماني بأساً . فلنعطه اذن ، امكانية الانخراط في الجيش ، لنجعله جندياً .

راح الضباط يهنئون الزعيم موللر ، على سداد فكرته ورأيه . فعاد وجه الزعيم يصطبغ باللون الأحمر لشـدة اغتباطه ، وطلب الى تابعه أن

مكتبة ماجد الجبير
www.facebook.com/groups/kotob.kotob

يعطيه حافظة أوراقه ليخرج منها ورقة مطبوعة باسم المؤسسة القومية للدراسات العنصرية كتب عليها توصية لايوهان موريتز الى المختصين ليدخلوه في عداد الجيش كجندي في فرق الحرس • ثم سلم تلك التوصية الى موظف المصنع وقال آمراً :

ـ قم بكل المعاملات اللازمة ودون تأخر !

والتفت الزعيم موللر الى موريتز باسماً وقال :

ـ أريد الحصول على صورة لك باللباس العسكري خلال الشهر المقبل • ستكون تلك الصورة ثمينة جداً في دراستي حول « الأسرة الشجاعية » التي تمتّ اليها بسبب • سوف أرسل واحدة منها الى الدكتور غوبيلز • ولسوف تتأمل صورتك على صفحات المجلات والصحف •

## - ٨٢ -

قال الرئيس الطبيب في لجنة معاينة المجندين الطبية اثر فحص ايوهان موريتز :

ـ ان هذا الرجل غير صالح للخدمة العسكرية • ان على رئته اليمنى أطياقاً مشبوهة • ينبغي أن تكون رئتا الجندي متينتين •

كان قد مضى على مقابلة موريتز مع الزعيم موللر ثلاثة أسابيع •

فكر ايوهان موريتز قبل كل شيء ، في أن الجندي يحصل على الأقل على نصف رغيف من الخبز في اليوم ، وينتعل أحذية ضخمة لاينفذ الماء خلالها ويرتدي ألبسة دافئة مناسبة ، وأنه يستطيع أن يأكل طعاماً مناسباً ، وأن يدخن اللفافات ويستمتع بها • وكان يعرف أن حياة الجندي خير ولاشك من حياة المساجين ، مع ذلك فقد شعر بشيء من السرور ، عندما بلغه أن اللجنة الطبية لاتوافق على انخراطه في الجندية •

مكتبة ماجد الحيدر
كتب كتب كتب .facebook

قال الطبيب وهو يتصفح ملف موريتز :

ـ ان هذا الشاب يحمل توصية من الزعيم موللر من هيئة الاركان العامة ، ورئيس المؤسسةالقومية للدراسات العنصرية • لايمكننا أن نرفضه •

نظر الأطباء الثلاثة الى موريتز • سأله الرئيس :

ـ هل تستطيع القيام بعمل كتابي ؟ ماذا كانت مهنتك في حياتكالمدنية ؟

فأجاب موريتز :

ـ حراث •

تشاور الاطباء الثلاثة ، وطلبوا الى موريتز انتظار النتيجة في غرفة الانتظار ، وعندما استدعوه ، أفهموه أنهم وجدوه صالحاً للخدمة وأعطوه الأمر الذي يجب عليه أن يتقدم به الى وحدته •

قال الرئيس مفسراً :

ـ لقد الحقت في الخدمة الاضافية • ولما كنت لاتستطيع القيام بأى عمل كتابي ، فانك ستلحق في فصيلة للحراسة •

## ـ ٨٣ ـ

صفر قائـد المعسكر التأديبي معلناً حلول وقت الافطـار ، فانتفض الجندي ايوهان موريتز لدى سماعه الاشارة • لقد نسي تماماً أنه كان في مرصد للحراسة ، وراح يبحث بحركات محمومة عن اناء الطعام الذي جرت عادته على تناول طعامه فيـه عندما كان سجيناً ، واحمر وجهه من الحنق حينما لم يجده • وفجأة هتف يحدث نفسه :

« كم أنا سخيف ! » • ثم ضم بندقيته بين يديه واسترسل : « لقد نسيت من جديد أنني حارس ولست سجيناً » •

كان في مركزه ذاك منذ ثلاثة أيام • غير أنه كان ينتفض دائماً كلما

سمع الاشارة . لم يكن يستطيع اقناع نفسه بأنه أصبح حارساً ولم يعد سجيناً . فكان كلما شاهد الاسلاك الشائكة التي تحيط بالمعسكر وصفوف المساجين الواقفين بانتظام ، ينسى تماماً أين هو ، ويعتقد أنه سجين مثلهم . كانت السنوات الطويلة التي قضاها في السجن قد أحدثت في نفسه تأثيراً كبيراً تغلغل في دمه ، فكان لايستطيع التخلص من الفكرة المسيطرة عليه بأنه سجين مدى العمر ! فاذا جاء زميله لينوب عنه في الحراسة بعد انتهاء مدته ، ارتعد ظناً منه أن ذلك الجندي انما جاء يوقفه ! كان في تلك اللحظة بالذات ، يرى المساجين ينتظمون صفوفاً طويلة أمام المطبخ لتناول أنصبتهم من الطعام فينسى أنه في المرصد ، ويتساءل لم تأخر دوره في تناول طعامه كل هذا التأخير . كان يرى نفسه واقفاً بين صفوف المساجين منتظراً .

راح موريتز منذ يومه الاول في عمله الجديد يتفحص وجود المساجين علّه يرى بينهم وجهاً يعرفه ، فلم يعثر على أي وجه معروف منه مما أدهشه . لقد انتقل في ألمانيا بين عشرات المعسكرات وكان ولاشك قد استخلص لنفسه صديقاً بين كل هذا الحشد الهائل . كان يتوق الى رؤية وجه يعرفه بين هذه الوجوه العديدة . لم يكن مسموحاً له أن يحادث المساجين مع ذلك فقد كان يتلهف الى رؤية وجه معروف ولو على البعد !

نسي ايوهان موريتز أنه جندي وحارس بنفس الوقت وراح يصرخ :

ـ جوزيف ، جوزيف !

راح المساجين المجتمعون في الفناء ينظرون اليه . ونظر اليه جوزيف بدوره غير أنه استمر يأكل . لم يتعرف الفرنسي عليه في ملابسة تلك .

عاد موريتز يناديه مرة أخرى فلبث جوزيف فترة وصحفة طعامه في يده يحدق في وجهه ثم أوغل مبتعداً .

صرخ موريتز :

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.كتب.facebook

ـ ألا تعرفني ؟ أنا موريتز ايانوس !

هتف الفرنسي ضاحكاً :

ـ سالف سكلاف !

لقد عرفه في تلك اللحظة • فوضع طبق الطعام على الارض واقترب من الحاجز الشائك • سأل جوزيف :

ـ كيف وصلت الى هنا ؟

قص عليه موريتز بعبارات مختصرة كيف وصل الى ماهو عليه • كان جوزيف يفهم الالمانيـة أكثر من ذي قبـل غير أن مسافة بعيدة كانت تفصل بينه وبين موريتز • سأل موريتز :

ـ وأنت ، كيف وصلت الى هنا ؟

أجاب جوزيف :

ـ لقد قبضوا علي بعد خمسة أيام من فراري • هل تريد أن ترسل كلمة مني الى بياتريس ؟ ان الكتابة محرمة علينا ولم أتلق أخباراً عنها منذ أربعة أشهر •

سأل ايوهان موريتز عن عنـوان بياتريس • فراح الفرنسي يكتبه على ورقة • وبينما كان هذا مستغرقاً في الكتابة ، اخرج موريتز رزمة علب السجائر من جيبه وكان قد تلقاها أمس من السرية وألقاها عبر الحاجز الشائك الى جوزيف فسقطت عند أقدام الفرنسي • قال موريتز :

ـ سآتيك غداً بسجاير وبمزيد من الخبز • وسأرسل كتابك الليلة بالذات الى بياتريس •

أنحنى جوزيف وأخذ الرزمة • ثم لف العنوان على حجر صغير والقاه بدوره عبر الحاجز الشائك الى موريتز • غير أن الحجر وحده بلغ الجانب

مكتبة ماجد الحيدر
facebook.كتب.كتب.كتب

الآخر أما الورقة فقد سقطت بين الاسلاك الشائكة • هم جوزيف بكتابة العنوان من جديد • فهتف موريتز :

ـ دعها • سآخذها بنفسي • انهم لن يعدموني رمياً بالرصاص اذا تسللت خلال الاسلاك أو اقتربت من الحاجز •

وبينما كان موريتز يهبط درجات سلم برج الحراسة ، رآى على البعد عريف الحرس متجهاً نحوه لتبديله • فعاد يصعد السلم متهافتاً وصرخ يحذر جوزيف :

ـ ان العريف قد أقبل • لن أستطيع أخذ العنوان • سأكون غداً في الساعة التاسعة في مركزي وسآخذ الورقة • فانتظرني غداً • والآن الى اللقاء !

فأجاب جوزيف :

ـ سالف سكلاف !

وابتعد وهو يشعل « سيجارة » • كان يرتدي ذلك الثوب الرمادي القديم لكنه كان أكثر تمزيقاً عن ذي قبل • وكان قد ازداد نحولا • لقد كان الطعام في ذلك المعسكر رديئاً •

وبينما كان العريف يبدله بحارس آخر ، كان ايوهان موريتز ينظر بزاوية عينه الى حيث كان جوزيف ويقول لنفسه :

ـ « ساتيه غداً برغيف كامل ! » •

## - ٨٤ -

أصيب ايوهان موريتز تلك الليلة بالذات بحمى شديدة فنقل صباح اليوم التالي في سيارة الاسعاف الى المستشفى • كان يعرف أن جوزيف سينتظر قرب الحاجز ليلتقط الخبز والسجائر التي وعد بتقديمها اليه •

مكتبة محمد الحيدر facebook كتب كتب

والادهى من ذلك أن تلك الورقة ـ العنوان ـ كانت في مكانها وكان عليه أن يلتقطها كما وعـد • أسف كل الاسف لأن الفرنسي سينتظره عبثاً وسوف يعتريه اليأس أخيراً • غمغم ايوهان موريتز : مسكين جوزيف ! لعله كـان ينتظر بفارغ صبر بزوغ النهار ممنياً نفسـه بتلقي الرغيف الموعود ! » •

راح ايوهان موريتز يعزي نفسه بأنه خلال أيام قليلة سيسترد عافيته وسيستطيع عندئذ تزويـد صديقه بالخبز كـل يوم وسيحمل رسالته الى بياتريس •

غير أن موريتز كان مصاباً بذات الرئة وكانت الاصابة قد سرت الى رئتيه معاً ، فلبث شهرين كاملين في المستشفى •

وفي اليوم الاول من شباط قال له الطبيب :

ـ ستخرج هـذا الاسبوع من المستشفى وستمنح شهراً كامـلا راحة مرضية •

فكر ايوهان موريتز في أنـه لو تقبل الراحة المرضية لازداد ابطاؤه على جوزيف • ولعل الفرنسي كان خلال هذ الوقت الطويل ينتظر كل يوم أن يأتي موريتز ليلتقط عنوان بياتريس ويكتب اليها • كان ينتظر اللفافات والخبز الموعودين •

قرر ايوهان موريتز أن يرفض الراحة وأن يلتحق بفرقته • غـير أن الطبيب قال :

ـ ينبغي أن تستعيد قواك يافتى ! انك في حاجة الى غذاء وراحة كاملة والا فانك هالك • أين تريد قضاء عطلتك ؟

لم يجد ايوهان موريتز الشجاعة على رفض الراحة المرضية لكنه شعر بالدماء تتصاعد الى رأسه • فقال الطبيب :

مكتبة ماجد الحيدر
كتب كتب كتب facebook

ـ انني أفهم ... انك لاتدري أين تذهب • أستطيع أن أرسلك الى مصحة للنقاهة لكنني أعتقد أن هذا ليس ماينبغي لك • انك في حاجة الى جو دافيء ... عائلي !...

شعر ايوهان موريتز بعواطفه كلها تتحفز • لقد أدرك الطبيب ماكان يجول في خاطره • انه لم يكن يريد مالا ولا مصحات ولا غذاء جيد • بل كان يتوق الى مكان هادىء يستطيع أن يرى نفسه فيه وكأنه في داره • قال :

ـ انك بحاجة الى امرأة تعنى بك وتساعدك • ينبغي أن تستعيد ثقتك في نفسك والا فانك لن تشفى • انك ستجد في مصحات النقاهة نساء كثيرات عديدات غير أنهن هناك لمجرد الضرورات الجنسية فقط • أما بالنسبة الى مريض في مثل حالتك الصحية والنفسانية ، فان هذا النوع لايدخل في نطاق تفكيرك • انك يافتاي في حاجة الى الحنان وليس الى الاثارة الغريزية !

ألقى الطبيب نظرة حوله • كان واثقاً من دقة تشخيصه للمرض • كان متأكداً مما يتفق ومزاج مريضه • كان ضميره المهني وقناعته توحيان اليه بأن يشير على مريضه بالحنان والجو العائلي والثقة واخلاص المرأة كعلاج ناجع ! غير أنه ماكان يستطيع تقديم هذه الادوية الى مريضه لافتقاره اليها • مع ذلك فان المريض ماكان يمكن شفاؤه بدونها • توقفت أنظاره على الممرضة التي كانت واقفة بقربه وبيدها بطاقة موريتز •

هتف الطبيب وكأنه وجد الحل :

ـ شفايتزر هيلدا ! انك تقطنين مع امك في المدينة أليس كذلك ؟

أجابت :

ـ مع أمي نعم • وعلى بعد خطوتين من المستشفى •

مكتبة نجد الجديد
www.facebook.com/groups/

كانت هيلدا تنظر الى الطبيب وفي عينيها بوادر ثقة الجندي الذي ينتظر بكل طاعة أوامر رئيسه •

ابتسم الطبيب • لقد تأكد في تلك اللحظة من أن الحل المطلوب قد بات في متناول يده • قال :

ـ انني أوكل اليك أمر ايوهان موريتز الذي يجب أن تعامليه كما تعاملين زوجك تماماً • يجب أن تعيديه خلال شهر من اليوم مسترداً كامل قواه • أريد أن أراه قبل أن يلتحق بوحدته • وانه في حاجة الى امرأة تكون حبيبته بنفس الوقت الذي تكون فيه أمه وأخته !

ـ لقد فهمت ياسيدي الطبيب •

كانت هيلدا فتاة ذات وجنتين ورديتين ممتلئتين لاتتجاوز العشرين من عمرها قصيرة القامة ميالة الى البدانة •

راح الطبيب يفحصها ببصره ناعماً • لقد آمن من أنه واجد فيها كل الحنان اللازم لايوهان موريتز • ولما نظر الى شعرها قال الطبيب في نفسه : « ان الشقراء مفضلة في مثل هذه الحالة لأن السمراء تثير فلا تصلح لهذه الحالة • أما الشقراوات فان حضورهن وحده يكفي لتهدئة انفعال المريض • »

قال الطبيب موجهاً حديثه الى الفتاة :

ـ ستحصلين على راحة أربعة عشر يوماً • لن يكون لديك خلالها الا العناية المتواصلة بموريتز • يمكنك أن تأخذي الطعام كل يوم من مطبخ المستشفى ولكن يجب أن تطهي شيئاً في الدار لأنه في حاجة الى ألوان من الأطعمة يهيئها الرفيق في عش الزوجية وليس الا الطعام المأخوذ من قدر عام •

قالت هيلدا :

مكتبة ماجد الحيدر
facebook
كتب كتب كتب

ـ فهمت ياسيدي الطبيب !

كانت تشعر بفخار وكبرياء لهذه المهمة وتعرف أن كل زميلاتها سيحسدنها على هذه الخدمة • سأل الطبيب :

ـ هل لك غرفة مستقلة في البيت ؟

فاحمر وجه هيلدا وأجابت :

ـ بالطبع •

فقال الطبيب :

ـ أعتقد أن هذا الفتى يعجبك أليس كذلك ؟

ودون أن ينتظر الجواب أصدر الأمر التالي :

ـ هيئي ورقة الخروج وأوراق المأذونيات لكما وأذون الطعام الجيد الكافي لثلاثين يوماً لشخصين مع زيادات في الفئة « آ » من الاطعمة •

هتف هيلدا :

ـ ليكن !

وفتحت الباب ليخرج الطبيب • بيد أن هذا توقف على العتبة وألقى نظرة على ايوهان موريتز وقال له :

ـ الى اللقاء يافتاي • عد اني سريعاً معافى !

## ـ ٨٥ ـ

ألقى ايوهان موريتز نظرة على فناء المستشفى • كان الثلج يتساقط • فلبث فترة طويلة أمام النافذة يتأمل حاجز الأسلاك الشائكة • وفجأة أحس بيدين باردتين تحجبان عينيه • فالتفت واذا به أمام هيلدا • كان قد نسيها تماماً بل ونسي كذلك كلمات الطبيب وأقواله •

قالت هيلدا :

مكتبة محمد السيد كتب facebook

ـ ارتد كسوتك العسكرية وتعال معي الى الصندوق ليدفع لك مرتبك. ان ورقة الخروج من المستشفى والمأذونية جاهزتان . وكذلك مأذونيتي .

كانت هيلدا تتحدث بعجلة وهي تساعده على ارتداء كسوته وتمد يدها الى قميصه فتسويه . شعر ايوهان موريتز بيد هيلدا على صدره فأحس بأنها يد حبيبة عرفها منذ زمن طويل . كانت تساعده على ارتداء ملابسه كما لو كان ولداً لها أو زوجاً منذ الأبد .

كانت هيلدا حتى ذلك اليوم نافرة باردة الاحساس نحوه ، فكانت تأتيه بالأدوية وتقيس حرارته ثم تمضي دون أن تتفوه بكلمة ، أما الآن فقد أصبحت ودودة متحببة أكثر تعلقاً وحناناً من سوزانا وايوليسكا .

شعر موريتز بأن هيلدا متيمة حباً به . لقد خلقت هذه العاطفة في نفسها فجأة بعد صدور أمر الطبيب . كانت تحبه تنفيذاً لوعدها للطبيب . كانت تلك اليد التي امتدت الى صدره لتسوي القميص والتي راحت تساعده على ارتداء ثوبه يد امرأة محبة عاشقة تماماً كما أشار به الطبيب اليها .

قالت هيلدا :

ـ لقد سمح لنا الطبيب بأخذ سرير من المستشفى . انه سرير كبير أبيض من الشعبة الجراحية ومعه غطاءان من الصوف . ان سريري يضيق عن استيعاب شخصين .

كانت هيلدا تفكر حتى في السرير . قالت معقبة :

ـ لقد قال الطبيب أنه لايجب أن أثيرك كثيراً . وهذا طبيعي للغاية لأنك كنت مريضاً مرضاً خطيراً . غير أنه بعد أسبوع من النظام الغذائي وتناول الأطعمة الغنية بالغذاء والاستسلام للراحة ، سيتبدل حالك كله .

سأل موريتز :

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.كتب.facebook

ـ ماالذي سيتبدل ؟

فقاطعته قائلة وهي تطبع قبلة على شفتيه :

ـ سترى •

قبض ايوهان موريتز مرتبه • لكنه لم يشعر بسرور لأنه كان انما ينفذ أمراً صدر اليه • لـم يكن أمراً بالعمل في الحصـون أو في مصنع الأزرار أو بالقيام بالحراسـة في المعسكر ، بل كان أمراً بمرافقة هيلدا ومضاجعتها ليشفى بعد شهر من الناحيتين : الجسدية والعقلية • وانه لأمر جميل غير أنه أمر على كل حال وماكان الأمر ليسعد موريتز •

## - ٨٦ -

قالت هيلدا بعد انقضاء أسبوع على حياتهما المشتركة :

ـ أتدري أننا لو تزوجنا فانني سأحصل على أربعة عشر يوماً أخرى أقضيها معك •

نظر اليها بحنان • فأعقبت :

ـ حدثتني البارحة بعزمك على الزواج بي •

فقال موريتز :

ـ صحيح •

تذكر أنه شرب أمس مع هيلدا وأمها خمس زجاجات من الخمر •

قالت هيلدا :

ـ لم لانتزوج ؟ اذا أسرعنا في ذلك فانني سأحصل على أذن اضافي وسيكون نصيبك كذلك تمديد راحتك • سوف يعطونا مسكناً وأثاثاً وعلاوة مالية قدرها ألف مارك • ثم انك لن تنام في الثكنة الا في يوم خدمتك • ولقد تحدثت بذلك الى أمي وأعتقد أن خير حل هو أن نسارع بالزواج •

مكتبة كتب الجيب كتب كتب .facebook

لم يحر موريتز جواباً • فظنت هيلدا أنه لايريد قضاء عطلته بالطواف بين مختلف الدوائر لاعداد الشكليات اللازمة • قالت :

ـ لن أحيجك الى القيـــام بأي مجهود • يمكنك البقـــاء في البيت والاستمتاع بالراحة الكاملة بينما أقوم أنـا بالخطوات اللازمـة في مكاتب الأحوال المدنية والاسكان والاعاشة والعمل ودائرة الشرطة • وبالايجاز سأقوم بكل ماينبغي • اذ لاينبغي أن تتعب نفسك •

كان ايوهان موريتز موافقاً على هذا العرض • لقد كانت نظريات هيلدا وعروضها منطقية • انهما اذا تزوجا ستزداد الفائدة التي يجنيانها •

تزوجا وحصلا على مسكن ذي ثلاث غرف وحمام ومطبخ وأعطي لهما ألف مارك مع بطاقات للحصول على الأسرة والألبسة والأثاث وأدوات المطبخ ولوازمها من الحطب والفحم والنبيذ واللحوم اللازمة لحفلة الزفاف الى جانب جهاز « للراديو » وعدد كثير من الكماليات •

قالت هيلدا وهي تساعد موريتز في ارتداء ثيابه للذهاب الى الثكنة :

ـ لو أننا لم نتزوج لكنا من الحمقى لأننا كنا سنخسر كل هذه الفوائد •

ثم أعقبت :

ـ ألا تنام في البيت خيراً من نومك في الثكنة ؟

فأجابها :

ـ بلا شك •

ـ أليست الأطعمة التي أقدمها لك مساء خيراً مما تأكل في السرية ؟

كانت هيلدا متباهية فخورة بعملها • أردفت تقول :

ـ سأعلن بعد شهرين أنني حبلى وبذلك أحصل على اجازة طويلة وبذلك تستطيع أن تتناول طعام الظهر في المنزل أيضاً وسنحصل على مزيد

مكتبة ماجد الحيدر
facebook.كتب.كتب.كتب

من الطعام لأن المرأة الحبلى تعطى عادة ثلاث بطاقات تغذية • سيمكنك أن تأكل كما تشتهي ، لأنني أتوق الى رؤيتك منتفخ الأوداج سميناً •

ابتسم ايوهان موريتز وقال لها :

ـ انك فتاة طيبة ياهيلدا !

## - ٨٧ -

تلقى مخفر درك فانتانا نسختين من اذاعة بحث لأعلانهـا في القرية قرأ رئيس المخفر نيكولاي دوبريسكو فيها مايلي : « ان اليهودي موريتز ايون المسمى ايوهان وجاكوب وايانكل قد فرّ من معسكر العمل • والمطلوب من كل شرطة البلاد ورجال الدرك فيها البحث عنه • مع العلم أن كل من يأويـه أو يعرف معلومات عن مكان وجوده ولايتقدم بهـا الى السلطات يعاقب بالسجن • »

وكان في الزاوية اليمنى من النشرة صورتين لايوهان موريتز أحداهما مأخوذة من الامام الأخرى من الجانب •

قال رئيس مخفر الدرك وهو ينظر الى الصورة : « ان هذا الشخص اذن يهودي حقاً ! » • ثم استدعى أحد الجنود وأمره قائلا :

ـ خذ بندقيتك وامض على الفور فأتني بأم هذا اليهودي وبأبيه والصق هذا الاعلان عـلى الجدار الخارجي وليكن الالصاق محكماً فلا يتطاير مـع الريح •

كان الثلج يتساقط في فانتانا ورئيس المخفر يتأمله خلال النافذة فلمح على الطريق الكاهـن ألكسندرو كوروغا يسـير مقوس الكتفين متأبطـاً حافظة أوراق •

عاد الجندي بعد فترة يقول :

مكتبة ماجد الجبير facebook كتب كتب كتب

ـ لقد جئتك بأم اليهودي فقط لأن أباه مريض .

غضب رئيس المخفر لأنه كان يريد استجواب الابوين معاً . فقال الجندي :

ـ اذا أمرت أتيتك بالأب بالقوة . غير أنه لايستطيع الوقوف على ساقيه . لقد نزعت الغطاء عنه فوجدت جسده منتفخاً كالقربة .

فكر رئيس المخفر برهة ثم عدل عن استجواب الأب وأمر الجندي بادخال أم ايوهان موريتز التي كانت منتظرة بالباب .

دخلت أريستيتزا الى المكتب وهي ممتقعة الوجه من الغضب ، سألت محنقة :

ـ كيف تجرأ على ارسال الجندي الي ليسوقني بندقيته وكأنني مجرمة ؟ أليس لديك كفاية من اللصوص والمجرمين تستقدمهم الى المخفر فرحت توقف الأشخاص الاشراف بدلا عنهم ؟ أم تراني ارتكبت جريمة ما !

كانت أريستيتزا في أقصى درجات الانفعال وقد صممت على ثمل عيني رئيس المخفر عندما أبلغها الجندي المسلح أنه جاء يقودها الى القسم . قال رئيس المخفر :

ـ انك لست مجرمة . انما هو ابنك الذي هو الآن موضع بحث السلطات وملاحقة رجال البوليس .

نظرت أريستيتزا الى اذاعة البحث التي قدمها رئيس المخفر فلما رأت صورة ابنها انخرطت في البكاء وقالت :

ـ كم هزل المسكين !

كان حسبها أن ابنها ايوهان قد هزل لتستخلص من ذلك أنه أسيء اليه . وكان هذا هو كل مايستحوز على اهتمامها .

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.كتب.facebook

قال رئيس المخفر آمراً :

ـ اقرئي •

فأجابت وهي تمسح دموعها :

ـ وما فائدة القراءة ؟ انني أرى صورته وأعرف أنه سينفق من الجوع وأن القمل يفترس جسده وأنهم ضربوه وسجنوه فماذا تريدني أن أقرأ بعد هذا ؟ ان هذا يكفيني ؟

قرأ الدركي النشرة بصـوت مرتفع فقاطعته أريستيتزا منذ قراءته الجملة الأولى وهتف :

ـ اقرأ مرة أخرى أيها الدركي • علني لم أفهم ماسمعت • هل قلت « اليهودي موريتز ايون » ؟ اذا كنت قرأت ذلك فان الأمر اذن لايتعلق بولدي ! انني لست أماً لولد يهودي !

مد رئيس المخفر الاذاعة اليها فعادت أريستيتزا تتأمل الصورة وتجيش عواطفها حسرة على ولدها الهزيل •

سأل رئيس المخفر :

ـ أليس هذا ابنك ؟

فأجابت أريستيتزا :

ـ انه هو ، المسكين ! الا لاغفر الله خطيئات أولئك الذين سجنوه !

هتف رئيس المخفر :

ـ هل تعرفت عليه ؟ اذن لمَ تنكرين أنه يهودي ؟ دعينا لانضيع وقتنا • من الخير لك أن تصغي الي • ان كل ماستعلنينه عديم الفائدة • انك شخص خاص • أما أنا فلا أصدق الا الاقوال الرسمية • ان هـذه الورقة مستند صدر عن السلطات فهي اذن مستند مقدس وهي تؤكد أن ابنك يهودي •

مكتبة ماجد الحيدر على facebook

صرخت أريستيتزا :

ـ اذا جرؤت على القول بأن ابني يهودي فقأت عينيك ! هل تريد اغضابي ؟ مسكين ولدي ! لقد كان عند ذهابه جميلا معتدلاً كالأرزة السامقة والآن لم يبق عليه الا الجلد والعظام !

قال رئيس المخفر :

ـ لاتهيني السلطة والا نظمت بحقك ضبطاً لاهانتك أحـــد أفراد القوة العامة !

هتفت أريستيتزا :

ـ لقد أنجبت ايوهان مع زوجي وليس مع السلطات ؟ انني أنا التي حملته في أحشائي وأرضعته حليبي وليست السلطات • وأنا أعرف أنـه ليس يهودياً •

ـ ان وزارة الداخلية تؤكد حرفياً في هذه النشرة أن موريتز ايون يهودي •

ـ لتقل لي وزارة الداخلية ذلك اذا وجدت في نفسها الجرأة ! سأبصق في وجهها اذا جرؤت على القول انها تعرف ذلك الذي حملته في أحشائي أكثر مني •

ـ اذا كنت رومانية فان زوجك قد يكون يهودياً • ان واحداً منكما ينبغي أن يكونه على كل حال • لأن هذا مستند رسمي • لعلك ماكنت تعرفين ذلك •

سألت أريستيتزا :

ـ هل أنت ثمل ؟ كيف لا أعرف من هو ربي وأمام أية « أيقونة » أجثو على ركبتي ؟

فقال رئيس المخفر :

مكتبة ماجد الحيدر
facebook.كتب.كتب.كتب

ـ ان القضية ليست مسألة أيقونات • يمكن أن يكون المرء يهودياً مسيحياً لان المسألة مسألة دم •

ـ ان دمي ودم زوجي مسيحيان • أما أولئك الـذين سجنوا ابني وعذبوه في السجون فهؤلاء هم الكفرة !

قال رئيس المخفر ملمحاً :

ـ هل أنت واثقة من أن زوجك مسيحي ؟ لعلك خلال هذه السنوات الطويلة من الحياة الاجتماعية الوثيقة قد اطلعت على شيء • ان الرجال أسهل من النساء في تقديم الدليل • أم تراك تجهلين هذه الناحية المميزة ؟

زمجرت أريستيتزا :

ـ أتجرأ على القول بأنني لاأعرف ذلك الذي نمت بجانبه خمسـة وثلاثين عاماً ؟ ان النساء الفاسقات يعرفن نوع الرجل الذي يضاجعهن • مع ذلك فانك تجرأ على القول انني نمت خمسة وثلاثين عاماً بجانب زوجي دون أن أعرفه ؟ وان السلطة تعرف خيراً مني مذهب الغلام الذي أنجبته أنا وزوجي ؟ أتسألاني أنت أيها الدركي والسلطة من ورائك تفسيراً عن الذي حملته في بطني وأرضعته لبني ؟

كانت عينا أريستيتزا تحدقان في المحبرة الموضوعة على المكتب قبالتها • كانت ترى كل شيء مصبوغاً بلون أحمر فكانت المحبرة التي كانت تريد قذفها الى رأس الدركي حمراء والجدران كذلك • بل أن الدركي نفسه كان من ذلك اللون في نظرها •

وشعر الدركي باتجاه أبصارهـا فنقل المحبرة بحكمة بعيداً عـن متناول يدها •

تقلصت أصابع أريستيتزا عـلى أردان ثوبهـا بغضب وكأنها تعتصر

عنق السلطة بين يديها فتخنقها • فلما أبعدت المحبرة عن متناول يدها شعرت بأن آخر سلاح قد انتزع منها •

راحت أريستيتزا تصرف على أسنانها ثم رفعت أطراف ثوبها بيديها لتغطي رأسها • فتطايرت أطراف الثوب العريض المثنى وكأن عاصفة قد هبت بين طياته فارتفع كذلك قميصها وتعرى بذلك جسدها المغضن المزرق وظهر ثدياها وكأنهما كيسان فارغان أسودان من الجلد • شاهد الدركي خلال لحظات خاطفة كل عري أريستيتزا من الصدر والظهر والجانب فأغمض عينيه • ثم سمع صوت الباب ينصفق بعنف اهتزت له الجدران وتساقطت من السقف قطع بيضاء من الجير •

خرجت أريستيتزا وصوتها يجلجل كالنفير الصدىء في أسماع الدركي قائلة :

ـ اليك جوابي ! فلتلحس ••• أنت والسلطة معاً !

## ـ ٨٨ ـ

لما وصلت أريستيتزا الى منزلها تخلصت من الشال الذي كانت تغطي به كتفيها وتمددت أمام الموقد • ألقت قطعة من الخشب تغذي النار المشبوبة وراحت تنظر الى اللهب الطويل الاحمر يتراقص أمام عينيها • كانت الدموع تنهمر من عينيها وتسيل على خديها • فكرت في نفسها : « لن أقول شيئاً لزوجي ، انه مريض فلا يجب أن أعذبه » •

أدارت أريستيتزا رأسها • كان العجوز نائماً على ظهره فراحت تنظر اليه خلال دموعها وتفكر في ايون الذي كانت السلطة ورجال الدرك يعذبونه منذ خمس سنين في كل السجون ويعتبرونه يهودياً • غمغمت : « وهو ليس كذلك • فلو أنه كان يهودياً لما كان سجن • أما ايون فانه

مكتبة ماجد الحيدر
facebook.كتب.كتب.كتب

مسكين ساذج يصدق كل مايقوله الناس له فلو أنهم ضربوه ليعترف بأنه يهودي لاعترف ولنجم عن ذلك تصديق السلطة لاعترافه ! » •

لبثت أريستيتزا تنتحب بهدوء ورأسها بين يديها • ماكانت تستطيع السيطرة على مشاعرها فأرادت أن تقول لزوجها أن ولدهما قد طبعت صورته على اعلانات خضراء كاعلانات الانتخابات وانها ملصقة على باب مخفر الدرك • غير أنها راحت تفكر : بأنها لن تحدثه عن هزال ايون وعن أنه يشبه الكلب العقور لانه سيغتم للخبر • غير أنني سأحدثه بأن الدركي قال لي : ان ايون يهودي • »

هتفت أريستيتزا :

ـ ايانكو ! استيقظ • اذا نمت طول النهار فانك لن تستطيع الاستراحة خلال الليل !

لم يجب العجوز • كان من عادته أن يخلد الى الصمت كلما أوقظ ، لكنه الآن غير نائم • ان عينيه مفتوحتان ولاشك أنه يسمع كل مايقال له غير أنه لايجيب لشدة كسله • قالت :

ـ ايانكو ! لقد قال لي الدركي بأنك يهودي • أتظن أنه كان شديد المكر • لقد أجبته الجواب الذي يستحقه •

خيل لأريستيتزا أن زوجها يبتسم : كانا كثيري التشاحن خلال حياتهما الزوجية التي تخطت عامها الخامس والثلاثين • لكنها كانت تشعر أبداً بكثير من المودة نحوه • كانت تقرعه لانه كان متناهي الطيبة ، يغرر به من الجميع • لكنها كانت تحبه رغم كل ذلك • كانت أريستيتزا تحب زوجها بكل مافي روحها من قوة •

قالت :

ـ ايانكو ، اذا لم تشف حتى صباح الغد سآتيك بطبيب من المدينة •

مكتبة محمد الجبير
www.facebook.com/groups/kotob.kotob

سأبيع خنزيراً وأدفع من ثمنه أجرة الطبيب • أما اذا شفيت فشتري خنزيراً آخر • لكن ينبغي أن تشفى •

غير أن العجوز لم يجب بل ظلّ صامتاً فاسترسلت أريستيتزا :

ـ افتح عينيك يا ايانكو سأعطيك لفافة • لقد احتفظت لك بواحدة •

ونهضت من مكانها ومضت الى عمود في الركن أخرجت من تحته « سيجارة » كانت قد وضعتها جانباً من أجل زوجها وقالت تسأله :

ـ هل لديك ثقاب الى جانبك ؟

واقتربت من السرير واللفافة في يدها • كانت تريد أن تضعها بيدها بين شفتي زوجها كما جرت عادتها في أيام زواجهما الاولى • كانت تعرف أنه لن يفتح عينيه بل سيساعد بين شفتيه بما يكفي لادخال طرف اللفافة •

غير أن شفتي العجوز المتورمتين لـــم تتحركا ذلك اليـــوم • بل لبثتا جامدتين حتى بعد أن قربت أريستيتزا اللفافة منهما •

قالت المرأة :

ـ ماذا بك يا ايانكو ؟

وأمسكت بكتفه تهزه •

شعرت أريستيتزا وهي تمسه بيدها ببرودة الجسد تسري اليها خلال القميص • لمست جبينه فكان الجبين مثلجاً • كان العجوز قد قضى •

أخذت أريستيتزا تصرخ ، ثم أرادت أن تفر هاربة من الغرفة • لكنها نكصت على عقبيها وعادت الى قرب الميت • وبعود الثقاب الذي أرادت أن تشعل لـــه اللفافة بـــه ، أضاءت شمعة وضعتها عـلى رأس السرير • كانت تبكي بكاء شديداً لانها كانت تعلم أنه لم يعد لديها أحد ليصغي اليها •

مكتبة ماجد الحيدر
facebook كتب كتب كتب



بكت أريستيتزا حتى أنهكها البكاء وأرهقها الالم فخفت حدة تأوهاتها وراحت تنتحب صامتة قرب الميت المسجى ، دون كلمات ولا ضجة وكأنها تبكي في فكرها . غير أن ألمها لم يكن أقل شمولا .

ثم أجهد فكرها أيضاً فكفت عن البكاء . كانت أريستيتزا في تلك اللحظة وحيدة مع نفسها . كانت وهي تبكي تشعر بوجود غامض الى جانبها . أما الآن وقد كفت عن البكاء فقد ثقلت الوحدة عليها وراتت قوية مؤلمة فأرادت أن تعاود البكاء لتستأنس لكنها أخفقت .

انتصبت واقفة وراحت تؤجج النار ثم وضعت ماء في القدر لتهيء الطعام كما كانت تعمل كل يوم ثم جذبت ستائر النوافذ . فلما انتهت من كل هذا أحست بالوحدة أكثر فأكثر . كانت ذاهلة متعبة . حدقت في وجه الميت لأنها لم تكن تخاف الموتى . كانت تعرف أنها ستنام وحيدة مع الميت في غرفة واحدة تلك الليلة والليالي الثلاثة المقبلة حتى يدفن وانها ستبقى خلال هذه الفترة وحيدة مع ميتها في ذلك البيت .

تذكرت أريستيتزا أقوال الدركي : « لعل زوجك يهودي . »

كانت واقفة في منتصف الحجرة معقودة الذراعين على صدرها حائرة في أمرها .

راحت الماء تغلي في القدر لكنها لم تكن تشعر بالجوع . كان السرير غير منظم وكانت تستطيع الاستلقاء عليه . غير أنها لم تكن نعسة . كانت تريد أن تتحرك ، أن تعمل شيئاً مهما كلف الامر . كان عقلها وجسمها قد هزهما الالم وأثارهما ، فما كانا يستطيعان السكون . كان ينبغي أن تتحرك . ثم أن الوحدة كانت ماتزال هناك . عادت من جديد تجذب

مكتبة نجد الخير كتب كتب .facebook

الستائر بعد أن رفعتها واقتربت من الميت وهي تشعر كأن الدركي منتصب بالقرب منها يقول لها « لعل زوجك يهودي ! » .

نظرت أريستيتزا الى الميت ثم أزاحت الغطاء . كانت الجثة منتفخة . ألقت أريستيتزا نظرة على القميص والسراويل المصنوعة من الكتان الخشن والتي كثيراً ماغسلتها بيديها وطوتهـــا بعناية ، ثم حملت رباط السروايل وأنزلتها حتى ركبتي الميت . كان جسده قد حال لونه الى الزرقة .

هتفت أريستيتزا بصوت مرتفع :

ـ لماذا أخجل ؟ انه زوجي .

تذكرت أيام شبابهما عندما كانت تراه عارياً تماماً الى جانبها . لقد كان جسد الرجل الآن بنفسجي اللون .

« لعل زوجك يهودي ! » رنت هذه الجملة في أذني أريستيتزا من جديد فراحت يدها تبحث عن أعضاء زوجها أسفل بطنه . لقد كانت هي الأخرى بنفسجية اللون كالجفنين والانف والشفتين . سحبت أريستيتزا يدها وقد أجفلت ورفعت سراويل الميت بسرعة وأعادت عليـه الغطاء ثم انتصبت واقفة ورسمت اشارة الصليب وهي تتمتم :

ـ أشكرك يارباه لأنك أوقفتني في اللحظة المناسبة .

وعادت ترسم اشارة الصليب على صدرها وتقول :

ـ لو أنني نظرت الى أعضائه الجنسية لاحترقت في الجحيم . لأن فعلتي كانت ستعتبر خطيئة قاتلة . لكنني لـم أنظر . انني لم أر شيئاً . ولاأريد أن أرى أو أن أعرف اذا كان يهودياً . لاأريد !

نظرت أريستيتزا الى الميت ثم قالت وهي تنتحب :

ـ اغفر لي يا ايانكو . أقسم لك أنني لم أر شيئاً . وأنني ماكنت أريد

مكتبة ماجد الحيدر
facebook
كتب كتب كتب

رؤية شيء . انك تعرف ياايانكو أنني لم أنحدر في الخطيئة الى هذا الحد ، انك تعرفني تماماً لتتأكد من صحة قولي . لقد حشا الدركي والسلطة الخطيئة في رأسي فليحترق كلاهما في نار جهنم .

- ٩٠ -

كان الجندي ايوهان موريتز يجتاز شوارع المدينة مرافقاً خمسة مساجين . وكانت الساعة السابعة صباحاً . فلما مرّ قرب بيته أطلت هيلدا من النافذة ولوحت له بيدها . كانت تحمل بين يديها ولدهما فرانتز . سمع موريتز صوت هيلدا وهي تقول . « هذا أبوك أتعرفه ؟ أنظر . انه يلبس خوذة ويحمل بندقية . »

كان فرانتز في شهره الثالث وكان لايستطيع رؤية موريتز وهو يحرس المساجين خلال شوارع المدينة متنكباً بندقيته . غير أن هيلدا كانت تريه كل يوم تلك اللوحة ليكون فخوراً بأبيه كما كانت هي تفخر به .

ظل ايوهان موريتز يفكر في هيلدا وفي ابنه طوال الطريق .

بعد أن تجاوز السجناء المدينة قطعوا حقلا وموريتز في أعقابهم صامتاً وبندقيته على كتفه . ثم اتجهوا نحو جسر فهبطوا تحته . كان هذا الجسر هو منطقة عمل أولئك السجناء . ولما بلغ السجناء الضفة التفتوا نحو موريتز وضحكوا مقهقهين . كانوا هنا بعيدين عن الابصار والاسماع .

هتف أحد السجناء وهو يضغط على يد موريتز بصداقة واخلاص :

ـ سالف سكلاف ! هل نمت جيداً ؟

كان ذلك السجين هو جوزيف .

أجاب موريتز بمثل ذلك النداء وراح يضغط على أيدي السجناء مصافحاً بعد أن أسند بندقيته الى صخرة ثم فتح أزرار معطفه وأخرج قطعة كبيرة من الخبز وخمس علب من « السجاير » .

مكتبة ماجد الحيدر كتب كتب facebook

قال موريتز وهو يقدم « السجاير » الى جوزيف :

ـ مازلت مديناً لك بخمسة عشـر ماركا لانني مااستطعت شـراء الصابون • سأحاول الحصول عليه غداً • ثم أخرج من حقيبته العسكرية رغيفاً من الخبز أعطاه لجوزيف فجلس السجناء وراحوا يدخنون اللفافات يشاركهم موريتز في جلستهم • كانوا كل صباح منذ أن بدأوا العمل في هذا الجسر ، يجلسون كل يـوم نصف ساعة تحت الجسر يستريحون ويضحكون ويتجاذبون الحديث مع موريتز بعيداً عن أعين الرقباء • ثم كانـوا يشتغلون حتى الظهر حيث يعاودون الاستراحـة فيعطيهم موريتز الرسائل التي وردت الى عنوانه باسمهم من فرنسا ويوزع عليهم « السجاير » والخبز وكل ماكان يشتريه لهم من المدينة • وبعد الاستراحة كانوا يعودون الى العمل • وكان موريتز كثيراً مايساعدهم في عملهم بنفسه • كان يقوم بالعمل سراً كيلا يرى ، لكنه كـان يشعر بلذة في ماكان يعمل • وكان السجناء يحاولون منعه عن ذلك لكنه كان يشفق عليهم • فالسجناء الخمسة كانوا من المفكرين فكانوا لذلك يحارون في انجاز ذلك العمل • وعندئذ كان موريتز يأخذ الرفش ويدلهم على الطريقة التي يتوجب عليهم اتباعها • فقد كان معتاداً على هذا النوع من العمل •

قال جوزيف :

ـ جان ان لدي اليوم موضوعاً أناقشك فيه •

وقف السجناء الآخرون وشرعوا في العمل فكانت المعاول والمجاريف تضرب الصخر ضربات متزنة رتيبة •

قال جوزيف لما أضحى وحيداً مع موريتز :

ـ اننا سنلوذ بالفرار • ليس اليوم ولكن في أحد الايام • سوف نفر نحن الخمسة معاً •

مكتبة ماجد الحيدر
facebook.كتب.كتب.كتب

نظر موريتز الى الفرنسي • كان يظن أن جوزيف يمزح في قوله أن جوزيف لم يكن مازحاً •

سأل موريتز :

ـ أية اساءة سببتها لك ولزملائك لتهربوا ؟ هـل تريدون أن أقضي بقي لي من عمر بين جدران السجون ؟

كان موريتز ممتقع الوجه من الغضب • استرسل :

ـ انك تعرف أنني لن أستطيع اطلاق النار عليك اذا فررت لانني أريد أن أقتلك • واذا لم أطلق النار عليك انتهى بي الحال الى السجن • لنني أعتقد بأنك تمزح •

أجاب جوزيف :

ـ كلا انني لا أمزح • ينبغي أن تفر • غير أنك لن تسجن •

لم يكن موريتز راغباً في متابعة الاصغاء • قال :

ـ سأطلب الى آمر السرية أن يبدل مركزي • لن أعود لحراستكم لى هذا الجسر اعتباراً من صباح غد لأنكم عازمون على الفرار•انني لاأريد ن أقتل كما لا أريد أن أسجن • انني لم أطلق النار على أحد في حياتي وقد مكثت سنين كافية في السجن • لن أحضر معكم اعتباراً من الغـد وباستطاعتكم اذا شئتم أن تفروا من حراسة سواي • ان ذلك شأنكم •

سأل جوزيف :

ـ لم لاتدعني أطلعك على خطتنا ؟ ينبغي أن تفر معنا ؟

فأجاب موريتز :

ـ لامبرر لي على الفرار ؟ ان لي ولداً وزوجه ولست سجيناً • لو كنت سجيناً لكان من الممكن أن أهرب •

مكتبة ماجد الجبير facebook كتب كتب كتب

قال جوزيف •

ـ لكنك سجين مثلنا ياعزيزي جان • انك رقيق يحمل بندقية على كتفه بينما نحن أرقاء دون بنادق • اننا رغم كل ذلك من طراز ونوع واحد لذلك ينبغي لك أن تفرّ معنا •

قال موريتز وهو يشعل « سيجارته » :

ـ لن أحضر معكم اعتباراً من الغد •

كان وجهه شديد الاحمرار من الغضب •

قال جوزيف يقنعه :

ـ لكننا نريد خيرك ياعزيزي • انك تعرف بأن الحرب ستنتهي قريباً والحلفاء يقتربون • ألا ترى أنهم اذا وجدوك في ثياب الحرس الالماني ذقت منهم ويلا جديداً ؟ سيسجنونك لعشرين عاماً •

فقال موريتز :

ـ لاتحدثني بالحماقات • اذ وصل الحلفاء فلن يسيئوا الي لانني لم أسىء الى أحد • ان أجهزة الراديو تتحدث قائلة : ان الحلفاء أقوام عادلون•

ـ لكنك عدوهم ياجان • انك عدو فرنسا وطني وعدو الأمم الحليفة•

قال ايوهان موريتز غاضباً

ـ أنا عدو فرنسا ؟ ألأنني عدو فرنسا أشتري لكم خبزاً « وسجاير » وكل ماتريدون ؟

طرح موريتز « سيجارته » على الارض واسترسل بانفعال :

ـ ماكنت أعرف أنكم تعتبرونني عدواً لكم • كنت أظن أنني صديقكم•

قال جوزيف •

ـ انك صديق الالمان تحارب من أجلهم • انك من جنود هتلر فلا ينبغي أن تنسى ذلك •

مكتبة ماجد الحيدر
facebook كتب كتب كتب

سأل موريتز غاضباً :

ـ قل لي : عندما أحصل على زجاجة من الجعة هل أشربها مع الألمان أم معكم ؟ هل أشربها في الثكنة أم هنا معكم تحت الجسر ؟ أجبني ؟ مع من أدخن التبغ الذي أملكه ؟ هل أتحدث معكم عن كل مافي خاطري أم معهم هم ؟ انني لم أتحدث أبداً الى الالمان في الثكنة • انني أتحدث معكم وحدكم لأنني صديقكم • لكنكم تدعون الآن بأنني عدوكم • لقد ذكرت لي منذ حين أنني صديق الألمان • هل رأيتني مرة أتحدث معهم كما أتحدث الى أصدقاء ؟ انني كنت صديقاً لكم ولكم وحدكم !

كانت يدا موريتز ترتعدان كلما رفعهما باللفافة الى شفتيه •

استرسل قائلا :

ـ لقد قلت أن الحلفاسيسجنونني عشرين عاماًولعل الفرنسيين أنفسهم هم الذين يتولون ذلك • أليس كذلك ؟

فأجاب جوزيف :

ـ نعم • اذا دخل الجيش الفرنسي الى هنا فسيسجنك الفرنسيون •

ـ حسناً • اذا كان الأمر كذلك فان معناه أن كل عدالة على الارض قد اختفت • وعندئذ لن آسف على شيء حتى ولو رموني بالرصاص • اذ مافائدة الحياة بعد زوال العدالة • مافائدتها • اذا كنت أنت والآخرون تزعمون أنني عدو لكم • اعتباراً من الغد لن أرافقكم الى الجسر • واذا شئتم الفرار فأنتم وشأنكم • لن أتدخل في موضوعكم ولن أوقفكم • بل أنني اذا استطعت مساعدتكم فانني لن أتوانى عن مساعدتكم شريطة أن لا أعرض نفسي للخطر • ان مساعدة السجين على الفرار عمل طيب يسرني القيام به • لكنني لن أفر معكم • ولاأريد قضاء بقية عمري في سجن الاشغال الشاقة من أجلكم •

قال جوزيف :

مكتبة محمد الحيدر facebook كتب كتب كتب

ـ ان المسألة لاينبغي أن تناقش من هذه الزاوية • انا نريد انقاذك معنا وهذا هو عربون الصداقة • نريد أن تصحبك معنا الى فرنسا •

قال موريتز :

ـ ان لي زوجة هنا وولداً ولا أستطيع مرافقتكم •

ـ لن تمضي شهور قليلة حتى يكون الحلفاء قد وصلوا الى هنا • وعندئذ سنستقدم زوجتك الى فرنسا • ان لي مزرعة في منطقة باريز وستبقى فيها • انك حراث لذلك فستغنى بها وستربح مالا وفيراً تستطيع به أن تشتري لنفسك مزرعة وبيتاً • ان فرنسا جميلة وأهلها طيبون • ماذا تعمل في ألمانيا بعد الحرب ؟ سوف نفر معاً •

فقال موريتز :

ـ انني لن أفر •

قال جوزيف :

ـ سنترك لزوجتك مالا يكفيها ريثما نعود لأخذها معنا الى فرنسا • لقد اقتصدنا خمسة آلاف مارك حتى اليوم ولن تنقضي أشهر معدودة حتى نكون قد عدنا لأخذها • ان فرنسا ستعترف بجميلك اذا ساعدت خمسة من أبنائها على الفرار • ماجوابك على كل هذا ؟

لم يجب ايوهان موريتز • كان طوال الوقت يفكر في المزرعة التي سيحصل عليها في فرنسا • كان يحاول أن يتخيل الارض التي سيشتريها هناك والبيت الذي سيشيده والحياة التي سوف يحياها مع هيلدا وفرانتز • كان يحدث نفسه بقوله : « سيكون لي أطفال آخرون • انني أتوق الى ابنة اسميها أريستيتزا باسم أمي • »

شعر موريتز بأنه يبسم لمستقبله فاكتأب وجهه وتجهم وقال :

ـ انني لن أفر •

مكتبة ماجد الحيدر
facebook
كتب. كتب. كتب



استقبلت هيلدا ايوهان موريتز على عتبة الباب • كانت مرتدية ثيابها على أهبة الخروج للذهاب الى دار الصور المتحركة •

ماكان موريتز ليذكر أي شريط شهد ، لان أفكاره كانت متجهة وجهة أخرى • كان يتذكر فقط المناظر التي عرضت فيها المعارك الاخيرة على الجبهة : مصفحات محطمة وبيوتاً محترقة ورجالا قتلى • كانوا قد عرضوا كذلك خريطة القتال فظهرت الجبهة قريبة من حدود الرايخ • لذلك فان موريتز عند خروجه من الدار لم يكن يحس برغبة في الحديث • وقبل أن ينام ألقى نظرة على ولده في السرير وأوى الى فراشه • لكنه ماكان يستطيع أن يغمض جفنه •

سأل زوجته :

ـ هيلدا ، ماذا سيحل بنا اذا هزمت ألمانيا ؟

فأجابت :

ـ ان ألمانيا لن تهزم أبداً !

راح موريتز يفكر في المعارك التي تدور رحاها على كل الجبهات والتي شاهد عرضاً عنها منذ حين في دار الصور المتحركة ثم انتقل بتفكيره الى خريطة الجبهات التي عرضت وأخيراً الى جوزيف ومنه الى الطفل الذي في السرير وقال :

ـ انني أعرف ياهيلدا أن ألمانيا ستخسر الحرب • لكني لا أعرف ماذا سيحل بنا • انني واثق من أنهم سيسجنونني • فكيف تستطيعين الحياة أنت والطفل ؟

أجابت هيلدا :

مكتبة سور الحيدر
www.facebook.com/groups/كتب.كتب.كتب

ـ سننتصر أو نفنى حتى آخر رجل . ان أي ألماني لن يقبل العيش في ألمانيا محتلة !

سأل موريتز :

ـ واذا لم نمت ؟

أجابت هيلدا :

ـ سنموت ونحن نحارب ! ان من لايموت أثناء المعركة عليه أن ينتحر في اللحظة التي يدرك فيها أن كل شيء قد أفلت من يديه .

قال موريتز :

ـ هذا حال الرجال ولكن ماذا سيفعل النساء ؟

ـ ان النساء سيحذين حذو الرجال وسأكون أول من تنتحر مع ابنها اذا خسرنا الحرب . انني لن أعيش يوماً واحداً بعد الهزيمة . غير أن ألمانيا لن تخسر الحرب . انها لن تهزم أبداً ! كيف استطعت التفكير لحظة واحدة في هذا المصير ؟ والآن عم مساء !

ورفعت هيلدا الغطاء الى مافوق رأسها .

راح ايوهان موريتز يفكر في هيلدا وفي فرانتز . رآهما يموتان . كان يحلم طيلة الليل بأن الحلفاء دخلوا ألمانيا وأنهم كانوا أمام بيته بوحداتهم المصفحة وأن هيلدا أخذت بندقيته فأطلقت منها الرصاص على فرانتز في سريره ثم قتلت نفسها على الأثر . فاستيقظ سابحاً في العرق وهو يصيح في نومه . تسلل من السرير بهدوء متحاشياً ايقاظ هيلدا وارتدى ثيابه ومضى الى الثكنة . لم يطلب الى رئيسه ابدال مركز خدمته كما كان مصمماً أمس ، مع ذلك ، فان الفرنسيين لم يدهشوا عندما رأوه معهم بل غمرت الغبطة نفوسهم . كانوا يخافون من تخلف موريتز عن حراستهم في العمل .

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.facebook

ولما بلغوا الجسر هتف جوزيف كعادته :

ـ سالف سكلاف ! هل نمت جيداً ؟

تذكر ايوهان موريتز أحلام ليلة أمس ذلك ، الحلم الذي رأى فيه زوجته هيلدا تقتل ابنه وتنتحر فقال :

ـ هل تقسم لي ياجوزيف بأنك ستنقل زوجتي وابني الى فرنسا اذا خسر الالمان الحرب ؟

ـ نقسم لك على أننا سننفذ ذلك منذ أن تصل القوات الحليفة الى هنا .

طرح ايوهان موريتز سلاحه جانباً وراح يقص على الفرنسيين المناقشة التي دارت بينه وبين زوجته عند أوبتهما الى البيت وأردف :

ـ وماذا تعملون اذا تأخرتم في الوصول ، بعد أن تكون قتلت ابني وانتحرت ؟

فوعده الفرنسيون بأنهم سيكونون مع الصفوف الحليفة الاولى التي ستدخل ألمانيا . فامتلأت عينا موريتز بالدموع وقال :

ـ اذا كنتم تعدونني بذلك فسأفرّ معكم . متى ينبغي أن ننفذ عزمنا ؟

فأجاب جوزيف :

ـ غداً صباحاً . سنأتي الى عملنا كالمعتاد غير أننا لن نعود الى المعسكر . انك تقوم بعمل مشرف لفرنسا ولن تنسى لك فرنسا هذا الجميل .

قال موريتز :

ـ انني لاأعمل شيئاً لفرنسا ! انني أعرف هيلدا تمام المعرفة . انها تنفذ وعدها أبداً . فاذا لم نصل في الوقت المناسب قتلت نفسها على الأثر . ان لها قلباً كالجلمود .

مكتبة ماجد الحيدر
كتب كتب facebook

صمت برهة مفكراً واسترسل :

ـ كيف اعتقدت بأنني أفرّ من أجل فرنسا ؟ انك تعلمت كثيراً وقرأت كثيراً فينبغي أن تفهم • انني لاأعرف ماهي فرنسا • اذ ماهي العلاقة المشتركة بيني وبين فرنسا ؟ ان ما أعرفه هو أن لي ولداً وزوجة حياتهما في خطر • ومن أجلهما أفر معكم !

-٩٣-

رسالة من تريان كوروغا الى أبيه :

« أبي ، أكتب اليك في البريد الدبلوماسي وأرجوك أن تبعث الي بالجواب دون دقيقة ابطاء • انني أخاف أن يكون قد أصابك مكروه • يمكنك أن تسخر من ذعري القاتل • لك أن تتهمني بالهستريا • لكنني أتوسل اليك أن تجيبني فوراً • أريد أن أعرف اذا كنت لازلت على قيد الحياة •

« ان روايتي الجديدة تتقدم في طريق نهايتها • لقد وصلت الى الفصل الرابع ، الى الساعة الثالثة بعد موت الارانب البيضاء • ان العبيد التكنيين يدمرون كل شيء على طريقهم والانوار تطفأ بعضها اثر بعض والرجال هائمون في ظلمة قريبة من ظلمة الموت •

« نقبلك كما نقبل أمي • ـ تريان ونورا • ـ »

« راغوز ، دالماسيا ، ٢٠ آب ١٩٤٤ »

* * *

مكتبة ماجد الحيدر
facebook.كتب.كتب.كتب

# الباب الرابع

## القسم ٤

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.كتب.facebook

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.كتب.facebook



أجاب الكاهن كوروغا على رسالة تريان دون ابطاء فأعلمه بأنه وزوجته في صحة جيدة وأن فانتانا لازالت كما كانت عليه من قبل باستثناء ايوهان موريتز الذي لم يعد الى منزله ولايعرف أحد عنه شيئاً •

دخل قاضي التحقيق جورج داميان الى باحة دار الكاهن في اللحظة التي كان هذا يعيد قراءة الرسالة • جاء يقضي يومين في الريف مع الكاهن• تلك كانت عادة درج عليها فكان لايخطئها الا أسابيع نادرة ، فمضى الرجلان يودعان الرسالة البريد •

قال الكاهن وهو يطلع داميان على الرسالة التي تلقاها :

ـ ان تريان شديد القلق من أجلنا •

قرأ قاضي التحقيق الرسالة وهو يبتسم وأعقب :

ـ ان تريان شاعر • انه يبالغ دائماً وأعتقد أنه متعب مرهق الاعصاب•

كان عدد كبير من الناس مجتمعاً في فناء البلدية •

لم تكن عربة البريد قد تحركت بعد فأراد الكاهن اعطاء الرسالة الى الساعي غير أنه رفض أخذها قائلا :

ـ اننا لانقبل رسائل للخارج اعتباراً من اليوم • لقد استسلمت رومانيا اليوم في الساعة السادسة وسيحتل الروسيون البلاد • لقد تكلم الملك في الراديو •

فوضع الكاهن كوروغا الرسالة في جيبه •

مكتبة ماجد الجبار كتب كتب facebook



اجتمع القرويون ذلك المساء في فناء دار الكاهن الكسندرو كوروغا . لقد جاءوا يسألونه النصح . فالروسيون كانوا قد دخلوا مدينة مجاورة فكان سكانها ينفرون الى الارياف مذعورين يروون الفظاعات التي يرتكبها المحتلون : لقد استحيوا النساء وشنقوهن وأطلقوا الرصاص على الرجال في الشوارع .

خرج الكاهن كوروغا الى شرفة منزله وكان القرويون متجهمي الاسارير صامتين ، فقال لهم :

ـ ان رجالا آخرين يديرون البلاد . انهم ليسوا أسوأ من أسلافهم الاول لأنهم غرباء . غير أن المؤمنين بمسيحيتهم يعرفون أن كل سيطرة في عالمنا الارضي صعبة الاحتمال . ان الملكوت الحقيقي هو ملكوت السماء .

سأل قروي شاب :

ـ هل يجب علينا الالتجاء الى الغابة اذن ومتابعة النضال ضد المحتلين ؟ بماذا تشير علينا أن نعمل ؟

ـ ان الكنيسة لاتستطيع دفع المسيحيين للقتال من أجل الحصول على سلطة زمنية .

فسأل القروي مستزيداً :

ـ هل تنصحنا الكنيسة بمد أيدينا لتلف حولها السلاسل ؟ هل تريد الكنيسة أن تلبث مكتوفي الايدي بينما تغتصب نساؤنا وتحرق دورنا ! ان الكنيسة لايمكنها أن تطلب منا ذلك . واذا أوجبت الكنيسة هذا التصرف فاننا لن نكون بعد اليوم مع الكنيسة !

أيد القرويون الشبان وجهة نظر زميلهم بينما لبث الكاهن كوروغا شديد الهدوء . فقال مجيباً :

مكتبة ماجد الحيدر
facebook
كتب كتب كتب

ـ لقد علمَّ يسوع المسيح المسيحيين الخضوع للسيطرة الزمنية • لعلكم تقولون بأن السيادة الحالية في رومانيا سيادة أجنبية قاسية كافرة • انني أعرف ذلك • غير أن أولئك الذين كانوا يهيمنون على الارض التي ولد فيها يسوع المسيح كانوا كذلك غرباء قساة وملحدين • فكروا في ألوف الاطفال الذين ذبحوا في بلاد اليهود بأمر الملك هيرودت عقب ولادة المسيح • لقد كانت السلطة وحشية باغية ولعلها كانت تساوي في البغي والطغيان سيطرة الشيوعيين وحكمهم • غير أن يسوع لم يثر ولم يدفع أحداً الى الثورة • لقد قال : « أعطوا لقيصر ما لقيصر ولله ما لله • »

سأل القروي الشاب :

ـ وأنت يا أبانا ، هل ستصلي في الكنيسة من أجل ستالين اذن ؟ اذا كنت ستبتهل من أجل ستالين في الكنيسة فان معنى ذلك أنك ستصلي من أجل الدجال • سوف لن نطأ بأقدامنا أرض الكنيسة !

ـ اذا أمر محتلو البلد المسيطرون عليه أن أصلي من أجل ستالين كما صليت حتى الآن من أجل الملك فانني سأخضع وأمتثل • انني أعرف أن « ستالين » ملحد كافر غير أن الكفرة ليسوا الا آدميين • فاذا كانت نفوسهم محملة بالخطايا فذلك لأنهم تاهوا بعيداً عن حظيرة المسيح • ان الكاهن ينبغي أن يصلي من أجل كل البشر وخصوصاً من أجل النفوس الخاطئة •

قال الفلاح الشاب :

ـ باستطاعتك أنت أن تصلي من أجل ستالين أما نحن فاننا لن نطأ بعد اليوم أرض الكنيسة •

وأعقب بصوت عامر بالحقد :

مكتبة مجد الحيدر كتب كتب كتب facebook

ـ واذا أوينا الى الغابة لنكافح ضد البلشفية من أجل حريتنا ، هل ستصلي أيام الآحاد في الكنيسة من أجلنا أيضاً ؟

ـ ان الكاهن يصلي كذلك من أجل أولئك الذين يناضلون في الغابات والجبال ليس أيام الآحاد فحسب بل مرتين كل يوم • لأن حياة أولئك المكافحين في خطر دائم ولأنهم في حاجة الى صلوات الكاهن ورحمة العذراء•

ران الصمت على الحشد وفجأة قال آبوستول فازيل :

ـ اذا صليت مرة من أجلنا أعدموك رمياً بالرصاص !

ـ ان هذا ليس سبباً وجيهاً لأكف عن الصلاة من أجلكم • ان الموت لم يرهب قط مسيحياً •

قال أبوستول :

ـ اننا سنمضي الى الغابة • اننا نرجوك قبل ذهابنا أن تباركنا وأن تستمع الى اعترافاتنا • اننا لانعرف ماسيقع ولاندري اذا كنا سنعود • اننا سنناضل من أجل الصليب والكنيسة •

فقال الكاهن :

ـ اذا أردتم النضال من أجل الصليب والكنيسة مستعملين السيف فانكم تنساقون في طريق الخطيئة ومن الخير لكم أن تمكثوا في بيوتكم • ان الكنيسة والايمان المسيحي لايتطلبان للدفاع عنهما نضالا مسلحاً •

قال آبوستول فازيل :

ـ سنناضل من أجل رومانيا التي هي بلد مسيحي •

ثم نظم الفلاحين فرقاً صغيرة بعد أن أجمعت كلمتهم على اللجوء الى الغابة • كانوا خيرة شباب القرية •

كان بينهم عدد من النساء وغلمان كانوا طلاباً في المدرسة •

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.facebook

ركعوا جميعاً على الحشائش في الفناء !

تلا عليهم الكاهن كوروغا صلاة ثم راح يباركهم كلا بدوره • فقال قاضي التحقيق جورج داميان :

ـ أرجوك ياأبي أن تباركني أنا الآخر !

وركع أمام القسيس وهو يقول :

ـ سأنسحب معهم الى الغابة وأقاتل من أجل حرية الرجال والانسانية !

فقال الكاهن :

ـ ان الكنيسة تقدم تبريكها الى كل من يطلبه •

سأل القاضي :

ـ هـل تبارك الكنيسة أولئك الذين يرتكبون اثماً أم أنك قانع من عدالة غايتنا ؟

فقال الكاهن :

ـ احبب واعمل ماتريد • فاذا كان عملك ياسيدي القاضي ناشئاً عن بواعث مخلصة فلا تخش من الخطيئة لأنك تكون عندئذ في الطريق القويم •

قبل قاضي التحقيق يد الكاهن الكسندرو كوروغا كما فعل القرويون وخرج مع الجماعات المنظمة في طريقهم الى الغابة •

وفي البيت ، كانت زوجة الكاهن تبكي •

## ـ ٩٥ ـ

مضت ساعتان عـلى ذهاب القرويين • كـان الكاهن يحاول القراءة ليبدد قلقه • لكن قرويين لم يكونا من قريته ، دخلا في تلك اللحظة الى المكتبة ، دون أن يقرعا الباب • كانا يربطان على سواعدهما أشرطة مثلثة

مكتبة نجد الحديثة
www.facebook.com/groups/

الالوان ويحملان المسدسات • فاستقبلهما الكاهن باسماً متجاهلاً رؤيـة الاسلحة •

قال الكاهن بصوت مرتفع ليتأكد من أن زوجته قد سمعت قوله في الغرفة المجاورة •

ـ يخيل الي أنهم يدعونني الى دار البلدية •

كان يتحاشى بث الخوف في نفس زوجته •

قال احد القرويين بصوت مرتفع :

ـ لقد تلقينا أمر سوقك لتمثل أمام محكمة الشعب !

ألقى الكاهن نظرة الى حيث كانت زوجته في الغرفة المجاورة وابتهل في سره أن لا تكون قد سمعت عبـــارة القروي • ثم وضـــع الكتاب على الاريكة وخرج •

وقبل أن يغادر الفناء ، ألقى نظرة الى الوراء •• كانت نظرة وداع •

رافقه القرويان وهما سائران الى جانبيه فاجتاز العتبة مرفوع الرأس ـ ماكان يمشي كالمساجين • كان يبدو كمن يلامس جبينه السماء •

مشى هكذا في أزقة القرية وطرقاتها ، من بيته حتى دار البلدية •••

## ـ ٩٦ ـ

كانت « محكمة الشعب » تشغل قاعـة البلدية الكبـرى وكان ماركو غولدنبرغ يرأسها فكان جالساً على مقعد وثير •

كان شعر ماركـو غولدنبرغ محلوقاً ككل الـذين يحكمون بالاشغال الشاقة • وكان الروسيون قد حرروه قبل أيام قليلة من السجن الذي كان يقضي فيه عقوبته تكفيراً عن قتله « لانجيل » •

مكتبة ماجد الحيدر
facebook
كتب كتب كتب

كان الى يمينه وراء مكتب رئيس البلدية أريستيتزا أم ايوهان موريتز . لقد انتخبها ماركو غولدنبرغ لتكون قاضية لأنها كانت أفقر « المواطنين » في فانتانا . والى يساره كان ايون كالوغارو الذي كان منذ سنين قد قتل دركياً بضربات فأس وكانت فعلته هذه هي التي رفعته الى هذا المركز .

حياهم الكاهن كوروغا فحدجه ماركو غولدنبرغ بنظرة قاسية . لكنه لم يجب على تحيته .

وخفض ايون كالوغارو وأريستيتزا أبصارهما متشاغلين عن رؤيته . لقد كانا قد أصدرا حكمهما على آخرين قبل وصول القس . أما في تلك اللحظة فقد كانت قاعة البلدية خاليـــة . لم يكن فيهـــا الا القضاة الثلاثة والقرويان المسلحان .

سأل ماركو غولدنبرغ عن اسمه وســنه وصنعته . فلمـا أجاب قال غولدنبرغ :

ـ ان الكهانة ليست مهنـــة .! ان الحذّاء يصنع الأحذية والخياط الالبسة ان كل شغيل ينتج شيئاً فهل يمكنك أن تخبرني ماذا ينتج القس ؟

أشاح ايون كالوغارو وأريستيتزا بأبصارهما عن القس وأطرقا الى الارض بينما راح القرويان المسلحان يضحكان من وراء ظهره .

ـ انك لا مهنة لك ! وانها لجريمة أن يكون المرء غير ممتهن . لقد عشت اذن عالة على أكتاف الشغيلة .

كان وجه ماركو غولدنبرغ شاحباً كالليمون وشفتاه رقيقتين بنفسجيتي اللون . تذكر الكاهن أن أبا غولدنبرغ العجوز كان له مثل تينك الشفتين الرقيقتين البنفسجيتين لكنهمـــا كانتـــا تنفرجان بابتسامة . أما شفتا ماركو فكانتا متقلصتين .

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.كتب.facebook

سأل غولدنبرغ :

ـ أتدري لم استدعيت أمام محكمة الشعب ؟

أجاب الكاهن :

ـ كلا .

صرخ ماركو محنقاً :

ـ انه جواب المعارضين المثالـي ! ان المعارض يزعم دائماً أنه يجهل السبب الذي من أجله يحاكم . هل تعترف أنك نظمت العصابات الفاشية التي أوت الى الغابات ؟

ـ انني لم أنظم عصابات . غير أنني أعترف بتلاوتي الصلوات في فناء منزلي من أجل شباب القرية الذين طلبوا مني الابتهال من أجلهم .

سأل غولدنبرغ :

ـ وتقول مع ذلك أنها ليست عصابات فاشية ؟ لم صليت منْ أجلهم اذا لم تكن راعي أولئك الجناة ؟

قال الكاهن :

ـ انني أعرف أن الشبان الذين صليت من أجلهم يجتازون الآن حقبة عصيبة . لقد ابتهلت الى العذراء أن تساعدهم وتهديهم طريق الحقيقة والعدالة .

قال ماركو غولدنبرغ :

ـ ان محكمة الشعب تحكم عليك بالموت شنقاً ! انك متهـــم بتنظيم عصيان مسلح ضد النظام العام . وقد صحت التهمة !

رفع ايون كالوغارو وأريستيتزا عيونهمـا مذعورين وراحـا ينظران الى ماركو .

كان غولدنبرغ يكتب دون أن يعيرهما التفاتاً .

مكتبة ماجد الحيدر
facebook
كتب كتب كتب

حول ايون كالوغارو وأريستيتزا عيونهما الى القس فابتسم الكاهن كوروغا لهما بعذوبة .

وقال ماركو :

ـ سينفذ الحكم فجر غد أمام الشعب!لقد رفعت جلسةمحكمة الشعب.

-٩٧-

اقتاد القرويان المسلحان الكاهن كوروغا وسجناه في اصطبل البلدية حيث كان هناك جورج داميان الذي لم يستطع بلوغ الغابة ورئيس مخفر درك فنتانا وفازيل أبوستول وثمانية من القرويين الاكثر ثراء في القرية.لقد كانوا جميعاً محكومين بالاعدام شنقاً حكما ينفذ فجر غد لان محكمة الشعب قررت أن يكون الامر كذلك .

غير أن السجناء أخرجوا خلال الليل الواحد تلو الآخر وأعدموا رمياً بالرصاص أمام حفرة مجاري القرية لأن ماركو غولدنبرغ تلقى أمراً بعدم تنفيذ أحكام الاعدام جهاراً تحاشياً لاثارة غليان في الرأي العام ضد الجيش الأحمر . لذلك فقد قتل السجناء بيده باطلاق رصاصة على مؤخرة رأس كل منهم .

-٩٨-

بعد منتصف تلك الليلة سمعت أريستيتزا قرعاً على زجاج النافذة . كان الطارق سوزانا زوجة ايوهان موريتز .

خيل لأريستيتزا وهي تسمع تأوهات المرأة وتحسرها أن الروسيين قد دخلوا القرية وأنهم استحيوها ، فنهضت مغضبة . كانت تعرف أن فصيلة من الجنود الروسيينستمر في القرية وأن من عادة الجنود استباحة النساء. لكنها ما كانت تحتمل أن تكون كنتها أولى النساء اللواتي يعتدى على عفافهن ، كنتها هي ، المواطنة القاضية في محكمة الشعب !

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.facebook

سألت أريستيتزا وهي تفتح لها الباب :

ـ ماذا جرى ؟

قالت سوزانا :

ـ لقد أعدم الكاهن كوروغا رمياً بالرصاص •

قالت أريستيتزا :

ـ هذا غير صحيح!ان غولدنبرغ يريد شنقه صباح غد في فناء الكنيسة • غير أنه لن يستطيع تنفيذ هذا الحكم • انني أنا الاخرى قاضية !

انه ليس وحده قاضي القرية • لسوف نعيد النظر غداً في قضية الكاهن وسنطلق سراحه • لقد تحدثت في ذلك الى كالوغارو فاذهبي الى زوجة القس وطمئنيها حتى تنام مطمئنة •

قالت سوزانا :

ـ ان الكاهن كوروغا قد مات ! لقد شاهده عـــدد من الرجال عندما أطلق عليه الرصاص وحدثوني بذلك •

كانت أريستيتزا لا تستطيع تصديق ذلك الخبر فاتجهت مـع سوزانا الى دار البلدية دون أن تدخل الى غرفتها • ولم تكن مرتدية الا جلباب النوم • كانت الليلة مضيئة والمرأتان تمشيان وسط الطريق دون ان تتفوها بكلمة • وكانت سوزانا تبكي بهدوء وتمسح عينيها بين الحين والحين بذيل ثوبها أما أريستيتزا فقد كانت محنقة تتنفس بصعوبة • استدارت نحو زوجة ابنها عدة مرات خلال الطريق وهتفت بها صاخبة :

ـ أتنامين وأنت تمشين ؟ ما الذي يسيل في عروقك ؟ أهـو دم أم حليب ؟

كانت ســوزانا تحث الخطى وهي تفكر في أن اســراعها عبث لان الكاهن قد مات ولن يستطيع أحد أن يعيده اليه الحياة •

مكتبة ماجد الحيدر
facebook.كتب.كتب.كتب

كانت الانوار مضاءة في بناء البلدية • غير أنه لم يكن فيه أحـد • قالت أريستيتزا :

ـ هيا بنا الى الاصطبل • انني قاضية ولي الحق في السؤال وفي معرفة كل ما حصل •

كان الظلام مخيماً على الزريبة والباب موصداً • غير أن الرتاج لـم يكن مدفوعـاً وراءه • فلمـا دخلت أريستيتزا شعرت بالخوف • فقالت تسأل سوزانا :

ـ هل معك ثقاب ؟

ـ كلا يا أماه •

فهتفت أريستيتزا حانقة :

ـ انك لاتملكين شيئاً أبـداً حتى أنك عنـدما تزوجت كنت خالية الوفاض • كان عليك أن تجدي أبلهاً كابني ليتزوجك كما كنت •

لم تغضب سوزانا لأنها كانت تعرف أن نقمة أريستيتزا لم تكن موجهة اليها • كانت أريستيتزا تخاف ثبوت موت القس لذلك كانت تزجرها •

هتفت أريستيتزا وهي واقفة أمام باب الاصطبل •

ـ هل من أحد هنا ؟

قالت سوزانا :

ـ ليس من أحد هنا يا أماه • ان ماركو قد ساق كل الذين كانوا هنا وقتلهم رمياً بالرصاص قرب حفرة أقذار القرية •

صرخت أريستيتزا :

ـ هل تحلمين ؟ كيف يستطيع قتلهم دون اعلامنا نحن القضاة ؟

صمت سوزانا وراحت المرأتان تبحثان في الفناء في ذلك الظلام عن أجساد القتلى •

مكتبة ماجد الجبير
كتب كتب facebook

قالت أريستيتزا :

ـ ليس من أحد هنا ، لقد قلت لك بأنك تحلمين ، لعلهم نقلوهم الى سجن آخر فانتهز المعارضون في القرية هـذه الفرصة ليشيعوا أن ماركو أعدمهم رمياً بالرصاص .

ابتعدت سوزانا عن أريستيتزا وراحت تبحث بعناية في الفناء حـول حفرة القاذورات . لقد روى لها الفلاحون الـذين شهدوا الحادث أن ماركو غولدنبرغ أخرج السجناء من الاصطبل واحـداً فواحدا وأيديهم معقودة الى الوراء بوثاق متين وانه أطلق عليهم الرصاص من الخلف .

قالت أريستيتزا :

ـ هيا بنا نبحث عن غولدنبرغ .

أطلقت سوزانا صرخة وتهاوت على الاعشاب فهرعت أريستيتزا اليها غاضبة محنقة :

ـ ماذا بك أيضاً أيتها المغفلة ؟ هل رأيت ظلك فارتميت عليه ؟

غير أن الكلمات توقفت في حنجرتها . رأت بجانب سوزانا على حافة حفرة الاقذار أجساداً ممدودة على العشب .

رأت أريستيتزا بادىء الامر جثة رجل يرتدي قميصاً أبيض كانت مسجاة قرب أقدام سوزانا ، ثم جثة أخرى سوداء عـلى بعد خطوات من الاولى وثالثة ورابعة ، فرسمت أريستيتزا على صدرها اشارة الصليب لتبعث الشجاعة في نفسها وقالت آمرة :

ـ انهضي ، انني بحاجة اليك .

كانت أريستيتزا لا تخاف الموتى غـير أنها في تلك اللحظة ماكانت تريد البقاء وحدها .

مكتبة ماجد الحيدر
facebook
كتب كتب كتب

نهضت سوزانا وهي ترتعد فقبضت أريستيتزا على يدها وراحتا تبحثان بين الجثث وتنحنيان فوق كل واحدة منها . كانتا تتفحصان الوجوه بعناية للتعرف على أصحابها . كان هناك تسع جثث على حافة الحفرة ، وثلاثة بداخلها .

انحنت أريستيتزا تتأمل احدى الجثث وقالت :

ـ انه نيكولاي جيوبوتارو رئيس البلدية السابق !

جثت على ركبتيها وأدنت أذنها من صدر الجثة تتحسس ضربات قلبه ثم نهضت وهي تقول :

ـ ميت !

ومضت الى جثة أخرى تنحني فوقها من جديد .

قالت أريستيتزا :

ـ لا زالت الجثة دافئة غير أن القلب ميت . انه كونستانتان سالومون ليرحمه الله . لقد سألني الزواج منه عندما كنت شابة .

ولكي تبعد الألم عن نفسها صرخت في وجه سوزانا غاضبة :

ـ ابحثي أنت الأخرى عما اذا كان هناك بعض الأحياء ! لم تمكثين هكذا باكية كالحمقاء ؟

قالت سوزانا :

ـ لا أستطيع يا أماه ، انني خائفة .

ـ ولم تخافين ؟ ضعي أذنك على كل صدر واكتمي أنفاسك لحظة واصغي الى ضربات القلب . فاذا كان ساكتاً ، اطلبي الى الله أن يرحم الميت وارسمي على صدرك اشارة الصليب . أما اذا كان القلب لازال خافقاً فاننا عندئذ سنعمل شيئاً آخر غير رسم اشارة الصليب . هل فهمت ؟

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.facebook

فأجابت سوزانا :

ـ لقد فهمت ولكني خائفة !

صرخت أريستيتزا غاضبة :

ـ أيتها الحمقاء المغفلة ! كيف تزوج ابني بك !

كانت أريستيتزا في تلك اللحظة منحنية على جثة أخرى • قالت :

ـ ان هذه جثة قاضي التحقيق الشاب الذي كان يأتي كل أسبوع لزيارة كوروغا • لقد كان صديق السيد تريان وكان شاباً ممتازاً •

أزاحت أريستيتزا سترة القاضي وأصغت برهة ثم نهضت وقالت :

ـ ليرحمه الله ! انه ميت هو الآخر • لعل للمسكين زوجة وأطفالا ينتظرونه في البيت •

كانت أريستيتزا قد نسيت تقريباً وجود سوزانا بقربها اذ أنها عثرت في تلك اللحظة على جثة الكاهن كوروغا وانحنت على صدره باحترام وتقوى فأزاحت ثوبه الكهنوتي وألصقت أذنها على صدره • وقالت بصوت منخفض :

ـ ان الكاهن لم يمت بعد يا ابنتي •

ازداد نحيب سوزانا وبكاؤها لدى سماعها بأن الكاهن لازال على قيد الحياة • فقالت أريستيتزا :

ـ أمجنونة أنت ؟ أتبكين بدلا من أن تسري وتسعدي ؟ تعالي قربه واصغي الى ضربات قلبة الرتيبة •

ركعت سوزانا أمام القس لكنها لم تنحن للاصغاء الى ضربات قلبه • أخذت أريستيتزا يد الكاهن بين يديها وقالت :

ـ انه لازال دافئاً • أنظري كم هو دافيء يا ابنتي •

كانت أذنا أريستيتزا وعيناها ويداها تحاول لمس الحياة التي يختلج

مكتبة ماجد الحيدر
facebook
كتب كتب كتب

بها جسد الكاهن بأكثر دقة • لكن حواس أريستيتزا لم تلتقط شيئاً جديداً عن حياة الرجل الممدد بالقرب منها أكثر من حرارة يده ووجنتيه وضربات قلبه :

ـ هذه اذن هي الحياة : وجيب خفيف في القلب وقليل من الحرارة التي تنتشر في أطراف الجسد •

كانت أريستيتزا تعتقد أن ذلك شيء ضئيل تافه •

قالت :

ـ اذا كانت حياة البشر هي هذه الدلائل فانها في الحقيقة من أتفه الأمور •

كان السكون مخيماً على الفناء حول المرأتين •

أردفت أريستيتزا :

ـ ان رائحة البخور والريحان تفوح منه • ان جسد الكاهن يشبه الكنيسة لشد ماتفوح منه رائحة طيبة • انه كالكنيسة الحقيقية •

كانت الروح قد فارقت أجساد كل السجناء باستثناء الكاهن • وكانت بعض الجثث لاتزال دافئة لأن أصحابها لم يموتوا بل تألموا وقتاً طويلا • وكان بادياً على جثثهم أنهم تدحرجوا وتقلبوا على الحشائش طويلا قبل أن يسلموا الروح • وكانت بعض الجثث باردة مما يدل على أن أصحابها فارقوا الحياة فور اختراق الرصاصة أجسادهم •

مسحت أريستيتزا يديها بثوبها للمرة الخامسة أو السادسة دون أن تدرك سبباً لتلك الحركة وكانت ركبتاها قد ابتلتا لكثرة ما جثت عليهما • قالت :

ـ لعلني وطأت دماءهم • انني في هذه الظلمة غمست قدمي ويدي في

دمائهم • وانها لخطيئة كبرى أن يطأ المرء بأقدامه دماء الانسان • غير أن الله سيغفر لي لأنني ما فعلت ذلك الا بسبب الظلام •

وبينما هبطت أريستيتزا الى حفرة الأقذار لتفحص الجثث الأخرى كانت سوزانا تدلك جبين القس •

سألت أريستيتزا وهي تخرج من الحفرة وتمسح يديها بأطراف ثوبها من جديد :

ـ أين الجرح ؟

ـ لست أدري يا أماه •

ـ انك لاتدرين شيئاً • ينبغي أن نضع شيئاً فوق الجرح فوراً والا فان الدم كله سيغادر الجسد كما تغادره الروح •

وجدت أريستيتزا بقعة مغرقة بالـدم • كان الكاهن مصاباً في ظهره في أعلى الكتف اليمنى •

هتفت أريستيتزا آمرة :

ـ اعطني خرقاً لأضعها على الجرح واسرعي •

راحت سوزانا تتساءل من أين تأتي بالخرق فنفذ صبر أريستيتزا ورفعت ثوبها بحثاً عن قميصها لتنتزع منه قطعة • راحت يداها تبحثان متقلصين بين ثوبها وجلدها عن القميص عبثاً • فرفعت الثوب حتى فوق صدرها وقالت منفعلة •

ـ أي شيطان ذهب بالقميص ؟ أين هو ؟

تذكرت أنها صباح أمس لما دعيت على عجل الى محكمة الشعب فاتها أن تلبس قميصها تحت ثوبها • قالت :

ـ انني ألبس ثوبي دون قميص تحته •

أخذت أريستيتزا الكاهن بين زراعيها وفكت أزرار ثوبه الكهنوتي

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.كتب.facebook

فكشفت عن كتفه حيث موضع الجرح وخاطبت سوزانا آمرة :

ـ اعطني قميصك ياسوزانا •

وراحت تمسح الدماء عن الجرح بيديها وتقول :

ـ ما أطيب أريج الريحان والبخور • ان جسده يتضوع بشذى عطري كالكنيسة •

التفتت أريستيتزا نحو سوزانا التي كانت قد فرغت من نزع ثوبها وراحت تنزع قميصها وهي عارية تماماً فصرخت فيها :

ـ أمجنونة أنت ياأبنتي ؟ ألا تخجلين من المثول عارية تماماً في حضرة الكاهن والاموات !

سألت سوزانا :

ـ كيف تريدين مني أن أقدم لك قميصي دون أن أنزع ثوبي أولا ؟

فقالت أريستيتزا دون أن تصغي اليها :

ـ يا لك من قذرة ! انك تظهرين عريك أمام الكاهن والاموات •

وبصقت على الأرض •

-٩٩-

توقفت أريستيتزا وسوزانا قرب حقل من الذرة ووضعتا جسد الكاهن على الحشائش بعد أن نقلتاه من الاصطبل حتى ذلك المكان ملفوفاً بكسونه الكهنوتية وكأنه لف في الاكفان • بدأتا الطريق بأن أسجتا الجسد على الثوب الكهنوتي وحملت كل منهما جانباً من الثوب أشبة بالنقالة ، فسبحتا في العرق وأعياهما الحمل • وكانت أريستيتزا كلما وضعتا حملهما على الأرض تنحني على الكاهن تتلمس بوادر الحياة فيه وتعود مع سوزانا الى نقله • فلما أعياهما التعب عزفتا عن نقل الكاهن على طريقة النقالة واكتفتا بأن راحتا تجرانه جراً بعد أن حزمتا جسده في ثوبه •

مكتبة ماجد الجبير
www.facebook.com/groups/kotob

قالت أريستيتزا :

ـ عسى أن يشاء الله فلا يميته على الطريق • لنسرع ولسوف نجد متسعاً من وقتنا للاستراحة • ان لدينا الغد وما بعده والايام التي تليه •

خافت أريستيتزا أن تنقل الكاهن الى منزلها فيكشف الشيوعيون عن مكانه فكانت تقول في نفسها : « اذا استطعنا انقاذه في المرة الاولى فانه لن يفلت في المرة الثانيـة • » لذلك قررت نقله الى الغابة ، الى حيث الفتيان يختبئون « لأنهم سيعالجونـه الى أن يشفى دون أن يستطيع الشيوعيون اكتشاف مكانه في الغابة » •

قالت سوزانا :

ـ ان موظف الصحية قد رافقهم حاملا معه صندوقاً من العلاجات والاضمدة •

فقالت أريستيتزا :

ـ سوف نعثر عليه •

لكنهما كلما ازداد اقترابا من الغابة هبطت حماستهما وفترت عزيمتها • فالغابة كبيرة واسعة الارجاء وليس من السهل العثور على موظف الصحة فيها • ان البحث عنه فيها يشبه البحث عن ابرة في كومة من التبن •

قالت أريستيتزا :

ـ اذا لـم نجد فتيانا فاننا سنخفي الكاهن بعيداً عن الشيوعيين • ان هذا هو المهم وبعدئذ سنرى ما سنعمل • ستمكثين معه في الغابة بينما أمضي الى القرية • وسأعود قبل الفجر ومعي الطعام والماء ولعلني أصطحب معي احدى القابلات اللواتي يحسن تضميد الجراح •

ـ ١٠٠ ـ

راحت سوزانا تبكي • كانت تخاف البقاء في الغابة وحيـدة في ذلك

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.كتب.facebook

الظلام • وكانت تبتهل الى الله بصمت أن يجمعهما بفتيان القرية •

كانت هناك طريق تسير بمحاذاة الغابة فلما عزمتا على قطعها أصاخت أريستيتزا السمع خشية أن يكون بعض الجنود الروسيين مارين عليها في تلك اللحظة فرأت على الطريق رتلا من السيارات تدرج ببطء وأنوارها مطفأة •

كان دوي المحركات الخافت المكتوم يصل اليهما خافتاً كالدندنة • كان الرتل يقترب في الطريق الصاعدة • فوضعت المرأتان حملهما على العشب واختبأتا بين الذرة بجانب الطريق •

همست أريستيتزا :

ـ انها فرقة روسية • ولكن لابأس علينا منها • لندعهم يمرون • سوف لن يرونا •

وصلت السيارات الى مكان اختبائهما وتوقف الرتل دفعة واحدة وكفت المحركات عن الدوي • وتعالت أصوات الصراصير • هبط بعض الجنود من السيارات وراحوا يتحدثون بأصوات خافتة •

قالت سوزانا :

ـ انهم ألمان !

أصاخت أريستيتزا السمع ثم اقتربتا كلتاهما من الرتل وهما تزحفان عبر حقل الذرة وتصغيان بعناية وانتباه •

قالت أريستيتزا ؟

ـ انهم ألمان حقاً • ماذا لو سألناهم علاجاً للكاهن ؟ ينبغي أن يكون بينهم ممرض أو طبيب ؟

خرجت المرأتان من حقل الذرة • وقالت أريستيتزا تسأل سوزانا :

مكتبة عبد الحميد كتب كتب كتب .facebook

ـ ألا تعرفين كلمة من الالمانية ؟ ولا كلمة واحدة ؟ اذا لم تتحدث معهم فانهم سيظنون أننا أعداء وسيرموننا بالرصاص .

فأجابت سوزانا :

ـ انني لا أعرف أية كلمة بالالمانية .

خطت الامرأتان بضع خطوات أخرى نحو القافلة ثم توقفنا . لبثنا على الطريق دون حراك واحداهما ملتصقة بالأخرى بينما كانت يد أريستيتزا تعتصر معصم سوزانا بحركة تشنجية . قالت لها .

ـ انك أصغر مني سناً . حاولي أن تذكري كلمة ألمانية . لاشك أنك سمعت خلال حياتك حديثاً بالالمانية . لقد كان أبوك يتكلم هذه اللغة . ان الانسان في شبابه يكون عادة متوقد الذاكرة .

قالت سوزانا :

ـ انني لا أذكر شيئاً . حدثيهم باللغة الرومانية :

قالت أريستيتزا بغضب:

ـ ماذا تريدين أن أقول لهم بالرومانية ؟ انهم لن يفهموها وسيعتقدون أننا شيوعيون .

قالت سوزانا .

ـ لنهتف بكلمة كريست يا أماه . ان الالمان مسيحيون فاذا سمعوا ننادي بكلمة « كريست » سيعرفون أننا لسنا شيوعيين . ان كلمة « المسيح » « كريست » تعني أفكاراً نبيلة وطيبة .

فقالت أريستيتزا :

ـ حسناً حاولي . فاذا فهم الالمان ، فانك ستثبتين أنك لست حمقاء كما تبدين !

قالت سوزانا :

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.facebook

ـ لا أجرأ على الذهاب وحدي • لنصرخ معاً •

ازداد التصاق المرأتين بعضهما ببعض وراحتا تصيحان بصوت منخفض راح يرتفع تدريجياً :

ـ كريست ! كريست ! مسيح ! مسيح !

سأل صوت آمر :

ـ من هناك ؟

لم تفهم المرأتان ماذا يطلب الألماني فأجابتا بصوت واحد :

ـ كريست !

اقترب جنديان منهما فارتعدت أريستيتزا من الخوف • كانت أشد خوفاً من سوزانا • لم يفهم الالمان ماذا تريدان فذهبتا الى حيث كان الكاهن في حقل الذرة وعادتا به فوضعتاه في منتصف الطريق أمام القافلة •

أشعل الالمان بعض المصابيح وراحوا ينظرون الى وجه القس •

سأل ضابط :

ـ أهو كاهن ؟

فأجابت أريستيتزا •

ـ كريست !

سأل الضابط :

ـ هل أعدمه البلاشفه ؟

ظنت أريستيتزا أن الضابط يسألها عما اذا كان الجريح شيوعياً ، فكررت مقتنعة :

ـ كريست !

كانت القافلة الالمانية في طريق التقهقر فأصدر الضابط الذي تحدث الى المرأتين أمره بالمسير وأشار الى أريستيتزا أن تزيح الجريح عن طريق السيارات لتمر •

مكتبة خالد الجبير كتب كتب كتب facebook

قبضت أريستيتزا على يده وراحت تتوسل اليه أن يعطيها ممرضاً أو طبيباً ليعنى بالقس •

ولما سمعت أريستيتزا صوت السيارات يدوي من جديد استحوز عليها رعب قاتل • كانت لاتريد أن يغادرها الالمان قبل أن يضمدوا جراح القس• فجثت على ركبتيها أمام الضابط وقبلت يديه • كانت تعرف أنها لن تستطيع ايجاد طبيب في مكان آخر •

سأل قائد القافلة :

ـ ماذا تريد هذه المرأة ؟

ـ انها تريد أن نأخذ معنا جريحاً الى المدينة • انه قس أرثوذوكسي •

فقال القائد :

ـ ولم لا نأخذه ؟ اننا شعب متمدين حتى في الهزيمة ! احملوا الجريح الى عربة الاسعاف واسرعوا لاننا راحلون •

رأت أريستيتزا وسوزانا الجنود يحملون الكاهن على محفة ويغطونه بدثار من الصوف وتحركت السيارات • ولما همت أريستيتزا أن تركب بدورها لترافق الكاهن سخر الجنود منها وأغلقوا باب العربة •

تحركت القافلة وراحت تختفي عن أنظار سوزانا في طيات الليل • فبكت هذه وكأنها تنشد عونا •

أمسكت أريستيتزا بكتفها وراحت تهزها قائلة :

ـ ماذا أصابك أيضاً ؟ أتريدين أن يسمع صياحك الروسيون ؟

قالت سوزانا :

ـ سيعاقبنا الله على الخطيئة التي ارتكبناها الآن • ماكان يجب أن نسلمه الى الألمان ! من يدري ماذا سيفعلون به !

قالت أريستيتزا :

مكتبة ماجد الحيدر
facebook.كتب.كتب.كتب

ـ سيحملونه الى المستشفى • ومن الخير له أن يكون في المستشفى بدلا من الغابة •

لكنها بعد لحظات انخرطت هي الاخرى في البكاء وقد أسفت شديد الأسف على تصرفها • هتفت :

ـ ماكان يجب أن نعطيه للالمان • لقد ارتكبنا خطأ كبيراً • سيعاقبنا الله عليه ! سوف نحترق في جهنم • انه خطأك • ولولاه لما أعطينا الكاهن الى الألمان •

أرادت المرأتان اللحاق بالقافلة لاستعادة القس ، غير أن الطريق كانت مقفرة •

فعادتا الى القرية •

## -١٠١-

في صبيحة اليوم الثاني أوقفت أريستيتزا وجلدت في دار البلدية بالحبال الندية فاعترفت بأنها أخرجت القس من الحفرة وأعطته للألمان •

وفي الساعة التاسعة أعدمت بالرصاص قرب حفرة الاقذار بينما فرت سوزانا مع ولديها من القرية •

ولما جاء رجال ماركو غولدنبرغ للقبض عليها وجدوا بيت ايوهان موريتز خالياً •••

## -١٠٢-

قال جوزيف وهو يتمدد على سريره •

ان هذا هو أجمل يوم في حياتي !

كان السجناء الفرنسيون الذين فرّوا بفضل مؤازرة ايوهان موريتز قد اخترقوا منذ حين الخطوط الامريكية وحلّوا بينهم •

وجد ايوهان موريتز وجوزيف نفسيهما في غرفة جميلة في فندق من

مكتبة عبد الحميد كتب facebook

فنادق « الاونرا » . كانا قد التهما ألواناً طيبة شهية من الطعام واحتسيا كؤوساً من الخمر ودخنا لفائف ثمينة جداً . أعطيت لهم رزم الطعام والالبسة واللوازم الاخرى . كان ايوهان موريتز ينظر الى تلك الرزم المرصوفة فوق بعضها على السجادة قرب الجدار ويشعر أنه قد تلقى من التكريم وحسن الالتفات كما لم يتلق مثلهما من قبل . لقد أعطاه الامريكيون حاجته من القمصان والاثواب الجديدة وأمواس الحلاقة كما أعطوه أحذية وصابوناً وعلب « السجاير » . لقد أعطوه كل هذه الاشياء ، هو ايوهان موريتز ، منذ أن وقعت أبصارهم عليه . كان فخوراً يعتقد أنه قام بعمل جليل تأييداً لنصر الحلفاء لاول مرة في حياته .

« لو أنني لم أقم بعمل خطير لما أعطاني الامريكيون كل هذه الاشياء بسخاء . »

تذكر أن الامريكيين لم يسألوه عن اسمه وتصور أنهم كانوا على علم بفراره قبل أن يصل زملاؤه . كان كل الامريكيين يبتسمون له شأن من يدلل على أنه مطلع على كل ما عاناه من ألم وما بذله من مشقة وأظهر من شجاعة .

كان ايوهان موريتز تعباً لكنه ما كان يريد النوم . كان ينظر حوله باعجاب ولا يستطيع التصديق أنهم احتجزوا له تلك الغرفة الفخمة وأن كل تلك الاشياء المصفوفة بعناية قرب الطاولة أو على السجادة كانت له . لقد منحه الامريكيون كل هذه الاشياء الثمينة لأنه بذل من الشجاعة الخارقة وانقذ خمسة من المساجين الفرنسيين من معسكر الاعتقال .

قال جوزيف :

ـ لقد كان قرارنا فراراً كاملا موفقاً .

تذكر ايوهان موريتز كيف خرج ذلك الصباح من المعسكر مع

مكتبة ماجد الحيدر
facebook
كتب. كتب. كتب

المساجين الخمسة واخترق شوارع المدينة • كانت هيلدا تنتظره دائماً وراء نافذتها والطفل بين يديها تقول له « انظر ، ان ذلك الذي يحمل البندقية ويلبس الخوذة هو أبوك • » ابتسم موريتز ذلك الصباح ابتسامة كل صباح لكنه لم يتوقف عـــلى الجسر • كان السجناء يتقدمونه وهو يمشي وراءهم وبندقيته على كتفه حتى بلغوا حدود الغابة • كان الناس الذين يلاقونهم على الطريق يعتقدون أنهم ازاء جندي يحرس خمسة مساجين • لكنهم كانوا في الحقيقة خمسة فارين • خيل الى موريتز أن امرأة أطالت النظر اليه فشعر بقلبه يدق بعنف وبالخوف يدب فيه•وقد نظر اليه بعضهم بشيء من الارتياب غير أن موريتز تجاهل نظراتهم •

ولما بلغوا الغابة ارتدى موريتز ثوباً مدنياً كان الفرنسيون قد أتوا به له وحطّم جوزيف بندقيته عـلى الصخور • فلمـا أصابته بعض الشظايا شعر ايوهان موريتز بأن شيئاً قد تحطم في قلبه • غير أنه كتم مافي نفسه ولم يمانع عندما أشعل الفرنسيون النار في ثوبه العسكري رغم أنه شعر برغبة ملحة في البكاء وهو يشاهد بزته تحترق • لكنه تمالك أعصابه كيلا يغضب الفرنسيين الذين كانوا يشتمون هتلر دون أن يفهم موريتز شيئاً من أقوالهم •

لبثوا بعد ذلك أسبوعاً كاملا يسيرون في الغابة • وذات يوم خرجوا من الغابة فاذا هم أمام سيارات أمريكية • فراح الفرنسيون يغنون • كانوا منهوكين من الاعياء غير أنهم راحوا يغنون كالمجانين في الغابة_وضعوا أشرطة مثلثة الالوان في عروة سترانهم ومثلها في عروة ايوهان موريتز • ثم خرجوا أمام السيارات الامريكية فأعطاهـم الامريكيون لفافات وحملوهم الى مركز المساعدة « أونرا » حيث خصصت لهم الغرف وقدم لهم الطعام وكأنهم كانوا ينتظرون مجيئهم •

منذ وصول الفارّين وحتى ذلك اليوم لم يكف الامريكيون عن اعطائهم

مكتبة مازن الحيدر كتب كتب facebook

الرزم والطعام • حتى أن ايوهان موريتز شعر بأنه يعيش في جو سحري من قصص الجان • لكنه عندما يرى جوزيف الى جانبه كان يتأكد من أنه يعيش في حقيقة وأن كل ذلك قد وقع له ، هو ، ايوهان موريتز ، لأنه قام بعمل جليل في سبيل نصرة الحلفاء •

نام جوزيف بينما كان ايوهان موريتز يحدث نفسه بأنه سيذهب من هنا الى فرنسا ويحلم في البيت الـذي سيشيده وفي هيلـدا وفرانتز ويطمئن نفسه بقوله « عندما تنتهي الحرب سأستدعي أبي وأمي الى فرنسا »

ثم أغفى هو الآخر وهو في كامل ثيابه ونام ليلته وهو يحلم في سعادته الصافية فلم يستيقظ ولم يتحرك حتى انبلج الصبح •

## - ١٠٣ -

أمضى ايوهان موريتز أسبوعين في مركز « الاونرا » • كان قد قص على الامريكيين كيفية فراره مع الفرنسيين الخمسة وهنأه الامريكيون على شجاعته ثم طلبوا اليه أن يقص تفاصيل الفرار خطياً لانهم يريدون نشر قصة ايوهان موريتز في صحفهم • سوف يشيد كل الناس بذكره ويتحدثون عنه •

كان ايوهان موريتز يزداد اقتناعاً كل يوم بأنه ساعد الامم الحليفة في كسب الحرب • فكان سعيداً فخوراً لأنه استطاع أن يقوم بعمل في سبيل الامم الحليفة ولأنه رأى أن تلك الامم الحليفة ، كانت مسرورة من فعلته •

وذات يوم استدعاه المدير الى مكتبه • كان قد استدعاه من قبل عدة مرات ليقص حكاية فراره •

دخل ايوهـــان موريتز الى المكتب فرحاً مسروراً فدعـــاه المدير الى الجلوس على الاريكة وقدم له علبة « سجاير » وابتسم • فكان هذا التقدير يذهل ايوهان موريتز وتطيب له نفسه • كان يستقبل كل مرة بمثل هذه الحفاوة لكنه ما كان يستطيع احتمال هذه الحفاوة دون أن تهز مشاعره •

مكتبة ماجد الحيدر
كتب كتب facebook

قال المدير وهو يشعل لفافة ايوهان موريتز ...

ـ لم يعد من حقك السكنى وتناول الطعام في « الاونرا » . لن تستطيع اعتباراً من الغد الجلوس الى المائدة وتناول الطعام معنا . وينبغي لك أن تخلي الغرفة التي تقيم فيها في الفندق .

شحب وجه ايوهان موريتز . راح يتساءل عن الخطيئة التي ارتكبها حتى غضب عليه الامريكيون . قال سره : « لعلني ارتكبت جرماً كبيراً حتى يطردوني ويلقوا بي الى الشارع » .

كان قد تلقى حتى ذلك اليوم عـــدداً كبيراً من الهدايا . كان لديه خمس رزم من الاشياء له ولهيلدا . ولما عرف الامريكيون أن له طفلا حملوه بالهدايا والثياب لطفله فراتتز وطلبوا منه ابراز صورة ابنـه وراحـوا كلهم ينظرون اليها بحنان .

« والآن ، وفجأة ، يطرحني هؤلاء الرجال أنفسهم الى الطريق فلا شك اذن أن الخطأ خطأي » .

قال المدير !

ـ ان « الأونرا » لا تحمي الا رعايا الدول الحليفة . أما أنت فانك عدو الامم المتحدة .

تذكر ايوهان موريتز الهدايا التي حصل عليها لقاء العمل الذي قام به . كانوا جميعاً يؤكدون له منذ حين أنه قام بعمل شديد الاهمية في نصرة الحلفاء . وها أن أولئك الرجـــال أنفسهم يدعون الآن أنـــه ـ هو ايوهان موريتز ـ عدو للامم المتحدة .

كرّر المدير قوله :

ـ انك عدو الامم المتحدة .

فقال ايوهان موريتز :

مكتبة عبد الحيدر
www.facebook.كتب.كتب.كتب

ـ لكنني لم أرتكب شيئاً ضد الامم المتحدة ! أقسم لك يا سيدي المدير أنني لم أسىء مطلقاً الى الحلفاء !

سأل المدير بصوت قاس :

ـ ألست رومانياً ؟ ان الرومانيين أعداء الامم المتحدة • وأنت روماني واذن فانك تكون عدواً لنا بصورة آلية ولا تستطيع مؤسسة « الاونرا » أن تأوي وتطعم رعايا البلاد العدوة • ينبغي أن تخلي غرفتك •

خرج ايوهان موريتز من مكتب الرئيس مطرق الرأس • كان يود العودة الى سريته لكنه تذكر أنه حطم بندقيته في الغابة وأن الفرنسيين أحرقوا ثوبه العسكري وما كان يستطيع العودة الى قطعته دون سلاح • فراح يتساءل: « والآن الى أين أمضي ؟ » •

## ـ ١٠٤ ـ

أوقفت هيلدا بعد فرار موريتز مباشرة فأعلنت في دائرة البوليس أنها لا تعرف شيئاً • وأوقفت أم هيلدا بعد يومين من توقيف ابنتها واخضعتا معاً للاستجواب والضرب • غير أن مفتشي البوليس لم يستطيعوا الوصول الى أية معلومات عن طريقهما • ولما فتش المسكن ، عثر رجال البوليس على رسائل الزعيم موللر •

قالت هيلدا :

ـ انه صديق ايوهان ! لقد كان يرسل الينا مائتي مارك كل شهر • وقد كان يزودنا في عيدي رأس السنة والفصح وفي أعياد زواجنا وميلادنا بما نحتاجه من الاطعمة والسجاير •

فأعلمت الشرطة العسكرية الزعيم موللر بفرار موريتز على أمل

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.facebook

الحصول على معلومات متممة تتيح لها الاستمرار في التحقيق .

وبعد يومين ، تلقى رجال البوليس البرقية المطولة التالية من دائرة الاركان .

أبرق الزعيم موللر يقول :

« منذ أربعة قرون ، لم يشر مرة واحدة الى فرار فرد من « الاسرة الشجاعية » التي ينتمي اليها ايوهان موريتز . نقطه . يستحيل استحالة كلية أن يكون ايوهان موريتز قد فر من الجيش . نقطه . انني مقتنع بأن اختفاءه يرجع اما الى اختطاف واما الى جريمة قتل . نقطـــة . ان اختفاء ايوهان موريتز يشكل بالنسبة الى تاريخ « الاسرة الشجاعية » خسارة لا تعوض . نقطه . ينبغي العثور عليه مهما كان الثمن . نقطه . لاتلوثوا بشبهة الفرار من الجندية فرداً من أعرق الاسر ذات الدم الجرماني وأكثرها شجاعة . نقطه . لا تستعملوا كلمة فرار من الجندية في التحقيق الذي تقومون به . نقطه . ان زوجة ايوهان موريتز وولده يعتبران منذ الآن محميين من قبل مؤسسة الدراسات والبحوث الالمانية . نقطه . سيمنح لزوجة ايوهان موريتز وولده جراية غذائية من المؤسسة حتى العثور عـــلى الزوج . نقطة . ان الشرطة المحلية مدعوة للسهر على المرأة والطفل . نقطه . اطلعوني على سير الأمور . نقطه . كل خبر جديد يتعلق بايوهان موريتز ينبغي أن يبلغ برقياً الى الاركان العامة . نقطه . الزعيم موللر رئيس مؤسسة الدراسات الالمانيـــة . »

فقال الرئيس قائد الشرطة العسكرية :

ـ اذا علم الزعيم بأننا أوقفنا زوجة موريتز فسوف ينقلنا الى الجبهة فوراً لأسباب تأديبية خلال الاربع والعشرين ساعة القادمة . من الخير لنا أن نطلب الى المرأة عدم الاتصال بالزعيم واطلاعه على مسألة توقيفها .

وسأل الملازم الاول الذي يترأس الشرطة العدلية :

مكتبة ماجد الحيدر
كتب كتب كتب .facebook

ـ وماذا سنعمل بالملف ؟

فأجاب الرئيس :

ـ احفظ القضية فوراً • ان اللعب مع مؤسسة الدراسات خطير جداً •

واسترسل يقول :

ـ هذا لا يمنع من أن نعترف بأن عـــدم ابلاغنا عن حالة فرار هذا الجندي من الجيش حماقة جسيمة • ان الرؤساء أحياناً يرتكبون من الاخطاء أكثر مما يرتكبه الاحياء العاديون • ان الزعيم موللر عالم • ولقد قرأت عدة مقالات له في المجلات • بل انه نشر كتباً أيضاً • غير أنه شديد التعصب لرأيه اذ كيف يستطيع التصور أن موريتز لم يفر من الجيش ؟

اقتيدت هيلدا الى دارها في سيارة الرئيس قائد الشرطة الذي قال لها :

ـ اذا احتجت الى السيارة مرة أخرى ، فمري أو اتصلي بي هاتفياً • ان سيارتي « الميرسدس » ستبقى رهن اشارتك ليـلا نهاراً • اتصلي بي لانفذ لك أية رغبة تعتلج في نفسك • انني أكـون لك مـن الشاكرين اذا امتنعت عن اخبار الزعيم موللر بأمر توقيفك • اننا لم نقم بهذه الخطوة الا على سبيل اعطاء المثال للآخرين وابراز القدوة الحسنة • لقد كان توقيفك لمجرد الشكليات •

سألت ديانا :

ـ ان زوجي لم يفر من الخدمة اذن ؟ هل أرسل في مهمة خاصة ؟

فأجاب رئيس البوليس :

ـ لا نستطيع اعطاءك جواباً شافياً • ان زوجك لم يفر • أما الباقي فانه سر •

احمر وجه هيلدا من الاغتباط وراحت حياتها اعتباراً من ذلك اليوم ترى أشبه بقصص ألف ليلة وليلة •

كانت مقتنعة من أن زوجها قد أرسـل بمهمة خاصة من قبـل مكتب

مكتبة ماجد الحيدر
كتب. كتب. facebook

الدراسات والا « فلم يضعون السيارة تحت تصرفي ؟ » .

كانت تلبث ساعات طويلة أمام النافذة وهي تتصور ايوهان موريتز في مواقف مختلفة تكتنفه الاسرار كما تشاهد في أشرطة المغامرات .

كانت تحدث نفسها : « انه لم يحدثني بشيء . انه يعتبرني أدنى منه مقاماً . لذلك فسأبذل قصارى جهدي لأكون جديرة به » .

قبلت هيلدا ابنها وراحت تضمنه وتقول :

ـ انني لم أكن في حياتي أكثر سعادة من اليوم . ان زوجة ايوهان موريتز هي وحدها التي تستطيع معرفة هذه السعادة وتذوقها ، سعادة اقتران امرأة ببطل !

- ١٠٥ -

قالت هيلدا :

ـ لا أستطيع التصديق أننا خسرنا الحرب . ان كل سكان المدينة قد فروا الى الغابات أو الارياف وهم يقولون أن الروسيين على بعد عشرة كيلو مترات من هنا . ان كل الجيران قد ارتحلوا . لكنني لا أصدق ذلك . ان الامر مجرد دعاية عدوة هدفها بث الذعر في النفوس . انني سأبقى في مكاني لأن ألمانيا لا يمكن أن تخسر الحرب .

فقال الضابط الذي كانت تحدثه :

ـ ائتني بوعاء فيه ماء لاغتسل .

وراح ينزع معطفه الجلدي ويعلقه على المشجب . كانت حقيبته على مقعد قريب فنزع سترته العسكرية ووضعها على مسند المقعد وظل واقفاً يكسو جذعه قميص صوفي .

كانت هيلدا تتابع حركاته . كانت تشعر بأنها قادرة على البقاء

مكتبة ما جد الحيدر
facebook
كتب كتب كتب

ساعات طويلة تتمتع بالنظر اليه وهو يخلع معطفه الجلدي ويعلقه على المشجب ثم يفك أزرار سترته •

قال الضابط :

ـ ائتني بماء ساخن لاحلق لحيتي •

ثم أدار لها ظهره وفتح الحقيبة فخرجت هيلدا من الغرفة تاركة بابها مفتوحاً • كانت ترى من نافذة المطبخ سيارة الضابط العسكرية الواقفة أمام الباب • لقد جاء الضابط في تلك السيارة • نظرت هيلدا الى ساعة المطبخ فاذا بها تشير الى أن الضابط لم يمض أكثر من ربع ساعة في المنزل فقالت في سرها « مع ذلك فانني أشعر بأنني أعرفه منذ الابد • »

كان الضابط قد قرع الباب ففتحت له • أنبأها بأنه يريد الاغتسال وابدال ثيابه • كانت لهجته آمرة وكأنه يصدر أمراً الى جنوده • ودخل البيت دون أن ينتظر جوابها • مر بجانب هيلدا التي لبثت واقفة على العتبة واحتك بها في مروره بجانبها فاستنشقت رائحة المعطف الجلدي الممتزجة بأريج الرياح والغبار والحرب ، فتبعته الى الداخل نشوى •

كان القادم طويل القامة عملاقاً • فتح باب غرفة الطعام بحركة طبيعية وكأنه كان في مسكنه ودخل اليها ثم راح يخلع ثيابه بينما ظل الباب مفتوحاً • انتظرت هيلدا على العتبة عله يصدر أمراً • غير أن العملاق راح يخلع ثيابه دون أن يلتفت اليها •

لما خلع خوذته لمحت هيلدا شعره الاشهب الفضي ثم خلع معطفه فلمحت رتبة الملازم الاول التي يتقلدها فقالت تناجي نفسها :

« انه من ضباط الاحتياط »

نظر اليها العملاق عدة مرات غير أن نظراته كانت تخترقها ببساطة

مكتبة ماجد الحيدر
facebook كتب كتب كتب

دون أن تراها • راحت هيلدا تتحدث وتقص عليه مايجيش في صدرها والعملاق لايجيب على قولها ولاينظر اليها •

وبعد أن خلع سترته أمرها بكل بساطة أن تأتيه بالماء وباناء • همت هيلدا بدعوته الى الاغتسال في الحمام لأن بيتها كان يضم حماماً جميلا أنيقاً ، لكنه بعد أن أمرها باحضار الاناء والماء لم تجرأ على معارضة رغبته •

ملأت ابريق الماء وهي تنظر من جديد الى السيارة الواقفة أمام الباب • كانت السيارة مغطاة بطبقة من الغبار كما كان حال معطف الضابط الجلدي • ولما رجعت بالاناء الى الغرفة كان العملاق يستر جسده بقميصه •

قال لها وهو يبدو مشغول البال متعباً :

ـ اعطني مرآة •

فكرت هيلدا في أنه قد يطلب اليها أن ينام • كانت على استعداد لاعداد سرير له في غرفة نومها وتركه ينام فترة ويرتاح •

شهدت في الايام الاخيرة عدداً كبيراً من قوافل الجند تخترق المدينة وقرع عديد من الجنود والضباط بابها في طلب القرى لليلة أو الماء للاغتسال أو لطهي الاطعمة المحفوظة • وقد عنيت خلال هذا الوقت كله باسداء كل مااستطاعته من خدمات وهي تفكر في زوجها • كانت تعرف أن ايوهان موريتز في مهمة سرية خاصة فأرادت أن تبرهن عن جدارتها به وبخدمة وطنها اسوة بزوجها •

كان أولئك الجنود والضباط يجدون عندها مايريدون من خدمات وكانت تسمح لبعضهم بالنوم في غرفة الطعام • أما هذا العملاق فانها كانت على استعداد لدعوته للنوم في غرفة النوم أما هي فانها كانت ستنام على الاريكة في غرفة الطعام •

فكرت هيلدا في أن العملاق قد يختار سريرها بدلا من النوم في

مكتبة محمد السيد كتب facebook

سرير موريتز • فارتعدت فرائصها لهذه الفكرة • أخذت المرآة التي كان موريتز يقف أمامها كلما أزال لحيته وحملتها الى العملاق الذي كان يسير في الغرفة جيئة وذهابا مفتوح الياقة • فأخذ المرآة من يدها وبحث عن مكان مناسب يضعها فيه • غير أنه لم يجد المكان المناسب لأنه كان طويل القامة لايستطيع تركيز المرآة على المائدة لأنه في هذه الحالة سيضطر الى الانحناء لاتمام مهمته • لذلك فقد وضع المرآة بين يدي هيلدا دون أن ينطق بكلمة وراح يغطي وجهه بطبقة الصابون •

هتف آمراً :

ـ ارفعيها أكثر من ذلك !

كان وجهه متأثراً بالشمس والريح ووجنتاه تغطيهما لحية شهباء ميالة الى الحمرة • رفعت هيلدا المرآة الى مستوى فمها وظلت حتى بلغت ارتفاع الجبهة • ولما اقترب العملاق من المرآة أحست بانفاسه فارتعدت يداها •غير أنها بذلت مجهوداً كبيراً للبقاء منتصبة وقد تقلصت أصابعها على المرآة •

كرر العملاق بصوته الخشن :

ـ ارفعيها قليلا أيضاً •

فرفعت هيلدا المرآة الى أعلى من الجبهة وشعرت بذراعيها يتخدران وودت لو قالت شيئاً • غير أن صوت الموسى المتزن وهي تقطع شعر اللحية الأصهب المغطى بالصابون جعلها تلزم الصمت • كانت حواسها المستيقظة تلتقط رائحة الصابون وتحس بأنها ليست مجرد عطر يفوح من الصابون نفسه بل انها رائحة الرجل والحرب والطريق التي لانهاية لها • انها رائحة المعطف الجلدي • لم يلاحظ العملاق أنها تترنح لأنه كان يزيل لحيته بعناية متفادياً جرح بشرته •

مكتبة ماجد الحيدر
facebook
كتب. كتب. كتب

ولما فرغ من غسل يديه بالصابون في الأناء النظيف الأبيض قال لها:

ـ شمري عن ساعدي •

فلفت هيلدا أكمام القميص • كانت تخاف أن تلمس بشرة العملاق ولما اصطدمت يداها بيده ارتعدت • كانت رائحة الغابة والريح التي حملها العملاق معه تفوح في البيت كله • وكانت هيلدا تشم ذلك العطر وتشعر أنه تغلغل في قطع الاثاث والسجاد والجدران وأنه لن يبرحها أبداً • لقد اخترق ذلك العطر أثوابها وبشرتها وشعرها وقميصها ولن يخرج منها ولو أمضت العمر في الاغتسال •

قال الضابط :

ـ والآن أريد أن أبقى وحيداً •

ولما استدارت هيلدا لتغلق الباب رأت جذعه عارياً لأنه كان يخلع قميصه • كان رأسه محجوبا بالقميص فلم تر الا صدره • كانت هيلدا قد رأت من قبل ألوفاً من الرجال بوصفها ممرضة • لكنها لم تر أبداً قبل تلك اللحظة صدراً يشبه ذلك الصدر •

مضت هيلدا الى المطبخ وعادت تنظر الى السيارة من النافذة •

كان طفلها نائماً فراحت هيلدا تتساءل عما اذا كان العملاق سيتابع طريقه على الفور أم أنه سينال قسطاً من الراحة • كانت تريد أن تهيء له الطعام • لكنهـا كانت في تلك اللحظة مصغية بكل جوارحهـا استعداداً للاجابة على أول طلب •

قالت احدى الجارات وهي تمر أمام نافذة هيلدا :

ـ ان الروسيين على بعد ثلاثة كيلومترات ! ألا زلت باقية هنا ؟

فأجابت هيلدا :

ـ انني أبقى •

مكتبة نجد الجديد
facebook

راحت تتساءل عن سبب ابطاء العملاق في مناداتها ونفذ صبرها فلم تعد تطيق الصبر والانتظار • قرعت الباب ودخلت • كان العملاق مرتدياً ثوب الحفلات وقد غطت الاوسمة صدره العريض •

تسمرت هيلدا على العتبة مذهولة •

ابتسم لها العملاق للمرة الاولى • كانت رائحة الزهور تفوح في الغرفة بدلا من رائحة الجلد والحرب والريح التي كانت تملأ جو المكان •

قال العملاق :

ـ أريد أن أعلم اذا كنت ألمانية حقاً • لأنني أريد سؤالك خدمة لاتستطيع أداؤها الا الالمانية الصميمة •

فأجابت :

ـ انني الألمانية الصميمة التي تطلب • انني لست فقط ألمانية بل ان زوجي موفد من قبل •••

كانت هيلدا تتوق الى سرد سر ذهاب زوجها على العملاق • لكنها بترت حديثها فجأة • كانت على المائدة صور مأطرة لامرأتين جميلتين • فراحت هيلدا تنظر اليهما • لم تجد في نفسها الشجاعة على التصريح له بالسر الذي لم تبح به لانسان والذي كادت أن تطلع العملاق عليه لمجرد رغبة رعناء • لكنها ما أن رأت الصورة تحت أبصارها حتى أسفت على ما اعتزمت من رواية القصة التي تعرفها •

قال العملاق :

ـ هذه زوجتي وتلك ابنتي • لقد ماتتا ، كلتاهما • لقد أحببتهما كثيراً لكنهما خدعتا حبي • ان زوجتي وابنتي قد خدعتاني • ولقد ووريت زوجتي الثرى • أما ابنتي فانها في مكان ما لاأعرفه • لقد تزوجت صعلوكاً تافهاً ومنذ ذلك الحين اعتبرها ميتة بالنسبة الي •

مكتبة ماجد الحيدر
facebook
كتب. كتب. كتب

نظرت هيلدا الى الصورتين وناجت نفسها قائلة : « أما أنا فانني ماكنت لأخدعه قط لو أنه أحبني ! »

كان بالقرب من الصورتين صورة ثالثة ذات اطار من الجلد • تلك كانت صورة الفوهرر •

قال :

ـ والآن لقد مات الفوهرر أيضاً ! ان ألمانيا لم يعد لها وجود • انني لم أحيا الا من أجلهم • كنت أحب الخيول لما كنت فتى لكنه كان حب شباب • لقد اختفى كل من عشت من أجله • لقد ماتوا جميعاً : زوجتي ، ابنتي ، زعيمي ووطني • والآن جاء دوري • سيكون الروسيون هنا بعد نصف ساعة وانني أود قبل مجيئهم أن أنهي واجبي الاخير خلال حياتي •

اخضلت عينا هيلدا بالدموع • كانت تظن أن العملاق سينام في غرفة نومها وانه جائع فتقدم له طعاماً يأكله ، واذا بها الآن تراه مرتدياً ثوب الحفلات الرسمية •

قالت :

ـ سأعمل كل ماتطلبه مني • هل تريد الذهاب الى مكان ما ؟

كانت تنظر الى ثوبه الأنيق • فأجابها :

ـ انني لن أذهب الى أي مكان • ان هذه آخر رحلاتي في هذا العالم السفلي •

راح العملاق يضحك راضياً وأردف :

ـ كنت تظنين أنني سأذهب الى مكان ما لأنني حلقت لحيتي واغتسلت وارتديت كسوتي الجميلة ؟

أخذ يربت على كتفها وهي شديدة الارتباك • شعرت هيلدا بصغارها ازاءه مثل ذلك الصغار الذي أحست به عندما علمت أن ايوهان أرسل في مهمة خاصة •

مكتبة ماجد الحيدر على facebook

قال العملاق :

ـ انتبهي جيداً الى ما سأقوله لك • انه أمر شديد السهولة • غير أن المرأة الالمانية وحدها هي التي تستطيع انجازة ! ان زوجتي ما كانت تقدر على مثل ذلك الأمر • أمـا أنت فتقدرين • لقد كانت زوجتي شـديدة الضعف • بل انني ما كنت لاسألها مثل ذلك الامر • أمـا أنت فان الامر يختلف معك •

شعرت هيلدا بالاعتداد والزهو لأن العملاق يسألها مالا يسأل مثله زوجته الخاصة •

استرسل يقول :

ـ بعد مـوتي ينبغي أن تسحبي جثتي الى الفنـاء وأن تحرقيهـا • ستجدينني ميتاً هنا على قطعة من قماش الخيام •

كان العملاق قد مد على الأرض قطعة من قماش الخيام • أردف يقول:

ـ لن يكون عليك الا أن تأخذي بطرفي قطعة القماش وأن تسحبيني الى الفناء •

وأخرج العملاق من تحت المائدة صفيحتين عسكريتين وقال :

ـ هذا هو البنزين اللازم • انه من وقود الطائرات • بعد أن تجري جثتي الى الفناء ستغطينني بهذه القطعة من قماش الخيام وتسكبين الوقود عليها ثم تشعلين النار بهذا المشعل •

كان العملاق دائم الابتسام • أخرج من جيبه مشعلا ذهبياً قدمه اليها واسترسل يقول :

ـ اليك ماتشعلين به النار • اذا انطفأت النار الاولى فما عليك الا أن تصبي مافي الصفيحة الثانية من وقود وأن تشعلي النار من جديد •• وبعدئذ أعتقد أنـه لن يبقى مني شيء • لن يجد الروسيون الا رمادي • ان جندياً

مكتبة ماجد الحيدر
facebook
كتب كتب كتب

جديراً بشرف هذا الاسم لاينبغي أن يترك جثته بين يدي أعدائه • لقد تصرف الجنود الألمان هكذا خلال حقبات التاريخ • كانوا اذا قضي الأمر يسقون أنفسهم كأس المنون ويتلفون أجسادهم فلا يجد العدو الا بقاياهم المتفحمة •

راح العملاق يفرك كفيه بارتياح ، بينما لبثت هيلدا صامتة تنظر الى الصور •

ـ اذا شئت احراق الصور فما عليك الا وضعها معي ضمن قطعة الخيمة • انها ستحترق كما أحترق أنا • أما اذا شئت الاحتفاظ بها فلك ذلك • لكنني لا أرى سبباً يدعوك للاحتفاظ بها • انني لست من هذه البلاد بل انني من رومانيا •

لبثت هيلدا صامتة لاتريم • كانت تتخيل العملاق ممدداً على قماش الخيمة • لكنها ماكانت تستطيع تصديق ذلك واعتباره ممكناً • كانت ترى أن العملاق خلق لا ليموت بل ليبقى خالداً •

ـ هل تشعرين بالخوف ؟ ان الالمانية لاتخاف أبداً وخصوصاً لما يكون الأمر متعلقاً بالوطن•انني أعتقد بأنك مقتنعة من أن في تنفيذك رغبات جندي قبل موته خدمة لوطنك •

قالت هيلدا :

ـ انني أعرف ذلك ولست خائفة • لكنني لا أستطيع تصديق كل هذا • انني لا أصدق أن الروسيين سيصلون الى هنا ولا أعتقد أن ألمانيا يمكن أن تهزم !

قال العملاق •

ـ لقد انتهى كل شيء • لقد ضاع كل شيء ولايمكن التعويض عنه • لاتنسي وضع المسدس في جرابه الجلدي ليحترق معي بآن واحد • ينبغي

مكتبة ماجد الجبوري
www.facebook.com/groups/kotobkotob

أن يدفن الجندي أو يحرق مع سلاحه .

ساد الصمت فترة كان العملاق خلالها ينظر الى اللانهاية ساهما تائها في أفكاره مستغرقاً فيها وكأنه غارق في ماء لاقرار له .

وفجأة قال :

ـ والآن لقد انتهى كل شيء .

رفعت هيلدا عينيها اليه . ظنت أن العملاق يريد الانتحار أمامها الأمر الذي ما كانت تستطيع احتماله . غير أنه لم يكن يبدو عليه أنه راغب في الانتحار . استدار العملاق الى حيث كانت صورة الفوهرر فوقف وقفة الاستعداد ورفع زراعه اليمنى محييا .

كانت هيلدا تقف وراءه وتنظر الى كتفيه وقامته التي يضمها الثوب العسكري . كانت ترى ذراعه الممدودة وهو جامد كالتمثال . وأخيراً استدار نحوها ورفع ذراعه يحييها وقال :

ـ الوداع ياصديقتي وشكراً ! انني الملازم ايورغو ايوردان . ولكن لا حاجة بك الى ترديد هذا الاسم . كوني فخورة بما ستقومين به . انه شرف للالمانية أن تنفذ الرغبات الأخيرة للجندي !

ضغط على يد هيلدا مصافحاً . كان يضغط عليها بشدة كمن كان يشعر بالفراق ثم قال آمراً :

ـ أريد الآن أن أبقى وحيداً ! تعالي حالما تسمعين صوت الطلقة . الوداع !

## -١٠٦-

ظهرت السيارات الروسية الاولى عند أول الشارع .

سمعت هيلدا بادىء الامر دوي محركاتها ثم رأتها من نافذة المطبخ مقبلة فهرعت الى الغرفة التي تركت العملاق فيها . كان قد أمرها بأن

مكتبة ماجد الحيدر
كتب كتب كتب facebook

لاتدخل الغرفة الا بعد سماعها صوت الطلق الناري ولم تكن حتى تلك اللحظة قد سمعت شيئاً لذلك ماكانت تجرأ على خرق أوامره •

كانت السيارات الروسية الكبيرة التي تمر في الشارع تهز الجدران فلم تستطع هيلدا الانتظار أكثر مما انتظرت لأنها كانت خائفة • قرعت الباب ودخلت •

كان العملاق منطرحاً في وسط الغرفة مسجى على ظهره فوق قطعة الخيمة •

تساءلت هيلدا : « كيف لم أسمع صوت الطلق ؟ »

كان جسد العملاق مستقيماً وكأنه مات وهو في وضعية الاستعداد يحيي صورة الفوهرر • كانت عمرته على رأسه ووجهه مزرقاً وكأن مسحوق الرماد قد نثر فوقه • وكانت وجنته اليمنى وفمه وأنفه ملطخة بالدم • لم يكن هناك دم كثير بل خيوط دقيقة لا أكثر •

أخذت هيلدا المسدس الذي سقط قرب فم العملاق ووضعته في جرابه الجلدي وأغلقت الجراب وهي تتساءل : كيف استطاع العملاق أن ينتحر دون أن تسمع صوت الطلقة النارية •

أمسكت هيلدا بأطراف قطعة القلع وغطت الجثة بها وقبل أن تحجب وجهه ألقت على العلاق النظرة الاخيرة •

راحت تحدث نفسها :

ـ انني لا أشعر بأنني بالقرب من ميت • ان الموت لايخيفني • انني لا أرى الموت حتى عندما أكون بجواره • ذلك راجع الى عديد الاشخاص الذين رأيتهم يموتون في المستشفى ••• »

غطت هيلدا وجه العملاق دون أن تلمسه •

كان في تلك اللحظة يشبه كل الرجال الذين رأتهم من قبل • لكن

مكتبة مجد الجبر للكتب facebook

العملاق لم يكن يشبه الآخرين لما كان على قيد الحياة • بيد أن هيلدا كانت لاتكاد تذكر اللحظات التي لبث العملاق فيها حياً يزيل لحيته ويرتدي ثوبه ولا الرعدة التي كانت تسري في كل أوصالها عندما كانت تقترب منه •

أما الآن فقد بدا ذلك وكأنه حصل منذ سنين طويلة • لأنها كانت قد نسيت كل شيء عنه تقريباً •

وفي الخارج كان ضجيج السيارات والمصفحات الروسية يرتفع مدويا • شعرت هيلدا فجأة بالخوف • فأرادت أن تأخذ الطفل وتفر به الى الغابات عن طريق باب الحديقة • لكنها تذكرت الوعد الذي قطعته للعملاق •

همست تحدث نفسها : « انني آسفة اذ وعدته باحراقه بعد موته » •

كانت لا تستطيع حمل الجثة الى الحديقة لأنها كانت تعرض نفسها للاكتشاف من قبل الجنود الروسيين وهم في سياراتهم ومصفحاتهم يمرون أمام الباب •

ناجت نفسها تقول : « ينبغي أن أنتظر حتى المساء • وعندئذ سأحمله الى الفناء وأشعل النار فيه عند هبوط الظلام وألوذ بالفرار مع الطفل • »

لبثت هيلدا بجانب الميت لا تفكر في شيء • وفجأة حدثت نفسها بأنهم اذا وجدوا الميت في البيت فانها قد تسجن • لذلك فقد جاءت بطفلها من الغرفة المجاورة وجلست على مقعد قرب الميت وأجلست الطفل في حجرها •

خاطبت نفسها : « لا أستطيع الاخلال بوعد قطعته لجندي قبل موته •

أغلقت الباب ودفعت المزلاج وراءه مصممة على الانتظار حتى يهبط الظلام • كانت هيلدا لاتحمل ساعة لكنها كانت تعرف أن الظلام سيسود بعد ساعتين أو ثلاث ساعات • تذكرت أن العملاق يحمل ساعة حول معصمه

مكتبة ماجد الحيدر
facebook.كتب.كتب.كتب

فأزاحت طرف القلع ونظرت الى ساعة العملاق لتعرف الوقت الذي يجب عليها الانتظار خلاله • وحينئذ سمعت قرعاً على الباب •

ضمت هيلدا الطفل بين زراعيها ولم تجب •

سمعت حديثاً بالروسية وراء الباب وعادت الضربات تقرع الباب من جديد ففتحت النافذة المطلة على الحديقة •

« لا أستطيع الفرار دون أن أنفذ وعـدي • ان ايوهان « زوجي » بطل فلا يحق لي أن أكون أنا على عسكه نذلة • »

رفعت هيلدا غطاء احدى الصفيحتين وصبت محتوياتها على قطعة الخيمة بينما كانت ضربات أعقاب البنادق تكاد أن تطيـح بالباب • فتحت هيلدا الصفيحة الثانية وصبت نصف محتوياتها • كانت متعجلة خائفة أن يوفق الروسيون في تحطيم الباب • ثم حملت طفلها واتجهت نحو النافذة •

حدثت نفسها : « بعد أن أقفز من النافذة سألقي بالزناد المشتعل في الغرفة فيحترق الجسد وبذلك أكون قد بررت بوعدي • »

كان جو الغرفة مشبعاً بالسائل القابل للاشتعال فراح الطفل يسعل بينما زادت هيلدا من سرعتها • ولما تخطت حاجز النافذة لتقفز الى الفناء كان الروسيون قد تمكنوا من تحطيم الباب بأكتافهم•لم تكن المسافة بين حافة النافذة وممشى الحديقة مرتفعة جداً وكان القفز سهلا • غير أنه في تلك اللحظة بالذات ظهرت ثلاث عمرات روسية أمام النافذة •

كان في الحديقة عدد آخر من الجنود فتعذر عليها القفز • ألقت هيلدا نظرة نحو الباب • كان الطفل يصيح وهو عـلى وشك الاختناق من غاز الوقـود • فقررت القفز من النافذة وشـق الطريق لنفسها بـين الجنود الروسيين • وفي تلك اللحظة مد أحدهم يده من النافذة محاولا الامساك بها فلمس قدمها •

مكتبة عبد الحميد على كتب كتب facebook

أطلقت هيلدا صرخة وأرادت الدفاع عن نفسها • لم يكن في يديها الا الزناد فضغطت عليه دون وعي كما يضغط المرء على زناد المسدس عندما يهاجم فانبعث ضوء هائل دام ثانية أعقبه ظلام أشد حلكة وكثافة من الليل البهيم • كان الضوء قد مضى الى لا رجعة •

واحتوت النيران التي كانت تحرق جسد العملاق ايورغو ايوردان زوجة ايوهان موريتز وطفلهما فراتتز ودمرت تلك النار نفسها المنزل من القبو وحتى السطح ، وأتلفت كل مافيه بما في ذلك الصور التي أتى بها العملاق معه ووضعها بنفسه على المائدة : صورة أم سوزانا وصورة سوزانا زوجة موريتز الأولى •

لبث الوقود الذي أتى به العملاق مشتعلا وارتفعت ألسنة اللهب صاعدة نحو السماء •

- ١٠٧ -

لبث تريان كوروغا واليونورا وست جالسين قرب بعضهما أمام الميجر براون الحاكم الأمريكي لمدينة ويمار •

قال تريان كوروغا :

ـ هذا كل شيء ياسيدي الحاكم • عندما طلبت رومانيا الهدنة في الثالث والعشرين من آب أوقفنا ، زوجتي وأنا من قبل الكرواتيين مع جميع أعضاء السفارة الرومانية •

« لقد سجنا حسب القوانين الدبلوماسية في فندق مع ممثلي الدول العدوة الاخرى •

« ثم احتل أنصار تيتو بلاد الكروات فنقلنا الى النمسا ثم الى ألمانيا ومنها الى تشيكوسلوفاكيا •

« ولما استسلمت ألمانيا لم يكن هناك من يسجننا بعد ذلك فمضينا نحو

مكتبة ماجد الحيدر
كتب كتب كتب facebook

الغرب • لقد هجرنا كل شيء لنذهب نحو الغرب •

تخيلت اليونورا المائتي كيلو متر التي قطعتها مشياً على الاقدام والتي أدمت ساقيها وملأت باطن قدميها بالشنن •

قالت اليونورا وست معقبة :

ـ لقد تركنا كل شيء وفررنا خلال الغابات والحقول لنصل الى منطقة محتلة من قبل الامريكيين أو الانجليز أو الفرنسيين • ماكنا نريد أن نقع أحياء بين أيدي الروسيين أو الانصار • لقد كنا على استعداد لقتل أنفسنا بدلا من الاستسلام اليهم •

سأل الحاكم :

ـ لم كنتما تخافان من الروسيين والانصار ؟ ان الفاشيين وحدهم يخافون منهم • ان الروسيين والانصار حلفاؤنا • لقد حاربوا في سبيل نصرة الامم المتحدة •

قال تريان :

ـ انك لست فاشياً ياسيدي الحاكم مع ذلك فانني لا أظن أنك تقبل ببقاء زوجتك في أرض يحتلها البلاشفة ولو لأربع وعشرين ساعة • ليس لاسباب سياسية ولكن بسبب قسوتهم ووحشيتهم والذعر الذي يشيعونه في النفوس • انني أعتقد بأنك شخصياً لاتجد في نفسك الشجاعة على الدخول الى منطقة سوفييتية الا وأنت مرتدياً لباسك العسكري ومحاطاً بحرس كاف• فهل من العدل أن تسألنا ، ونحن مخلوقين محرومين من كل سلاح عن سبب فرارنا أمام عصابات البرابرة المسلحين ببنادق رشاشة من أحدث طراز أمريكي •

قال الحاكم :

ـ وماذا تريدان الآن ؟ ليس باستطاعتكما الخروج من ألمانيا • سوف

مكتبة عبد الحيدر
كتب كتب كتب .facebook

تعاملان هنا معاملة رعايا الأعداء وتخضعان للقيود التي يخضع لها الشعب الالماني • سيكون لكما ما لهم من حقوق وليس أكثر •

فقال كوروغا :

ـ أي أنه لن يكون لنا أي حق • ان الألمان في ويمار يرغمون على تنظيف مراحيض معسكر « بوشنوالد » وغسل ألبسة الموقوفين السابقين مرة كل أسبوع على الاقل • فهل تريد ارغام زوجتي على القيام بمثل هذه المهمات؟

وقالت اليونورا وست :

ـ اننا لسنا أعداء أمريكا والامم الحليفة • لقد سجنا قرابة عام من قبل أعداء الامم المتحدة واليوم نسألك أن تسمح لنا بالسكن في غرفة ما في هذه المنطقة أو تأمين امكانية رحيلنا اذا كنا غير مقبولين للبقاء • اننا كلانا لانملك شيئاً ولاندري أين ننام ولا أين نأكل ولانستطيع الاغتسال فيمنع علينا البقاء ويمنع عنا الذهاب •

قال الحاكم :

ـ انكما من رعايا الأعداء ووجودكما لايهمني • ألستما تحملان جوازات سفر رومانية ؟ انكما أعداء اذن •

قالت اليونورا وست :

ـ لكن رومانيا تقاتل مع الحلفاء ضد ألمانيا منذ أكثر من عشرة شهور وأنت تعرف ذلك كما أعرفه • لقد قتل ثمانون ألف روماني في سبيل قضية الحلفاء • فهل تعتبرون أولئك الذين يقاتلون في صفوفكم أعداء لكم •

كرّر الميجر براون :

ـ ان رومانيا دولة عدوة •

وأخرج من درج في مكتبه ورقة راح يقرأها بصوت مرتفع :

ـ البلاد العدوة : رومانيا ، هنغاريا ، فنلندا ، ألمانيا ، اليابان ،

مكتبة ماجد الحيدر
facebook
كتب كتب كتب

ايطاليا . ، ان هـذا واضح أليس كذلك ؟ انكم معشر الرومانيين أعداء الولايات المتحدة .

نهض تريان كوروغا واقفاً بينما ألقت اليونورا وست نظرة متوسلة على الحاكم وسألته :

ـ ألم تقرأ أبداً في الصحف أن رومانيا تقاتل في صفوف الحلفاء منذ حوالي عام ؟ ألا تكفيكم أوراقنا التي تدل عـلى أننا سجنا من قبل الألمان ؟ اننا لسنا أعداءكم .

فأجاب الحاكم :

ـ ان الأمر لايمكن أن يهمني حتى ولو كان كما تقولين،ان التعليمات التي تلقيتها تفيد بأن الرومانيين أعداء للولايات المتحدة . لقد أضعت وقتاً طويلا في النقاش معكما . انك ياسيدتي عدوة لي . عدوة هل تسمعين ؟ ولو أنني وقعت بين أيديكما لأعدمتماني رمياً بالرصاص ولما لبثما تناقشاني كما ناقشتكما منذ حين . ان ماقمت به حتى الآن غير قانوني ولن أعود لمثله لأنه لايجوز أن يناقش المرء أعداءه !

كان الميجور براون حاكم مدينة ويمار العسكري ممتقعاً غضباً فلم يردّ على تحية تريان كوروغا واليونورا .

قال تريان كوروغا وهو يهبط السلم :

ـ هذا هو الغرب . انهم لا يأبهون بالوقائع ولا بالانسان . لقد عمموا كل شيء فهم لاينحنون الا أمام النظام .

قالت نورا :

ـ لا أستطيع الاستمرار على السير .

أمسك تريان بذراعها ليسندها فارتمت على كتفه وراحت تبكي :

مكتبة نجد الجديد
www.facebook.com/groups/كتب.كتب.كتب

ـ لقد قطعنا مائتي كيلو متر ونحن نجري لنصل اليهم • لقد ركضنا وكأننا نقصد مكة ...

قال تريان :

ـ لايجب أن تأسفي يانورا • لقد فررنا من الهول الروسي ونجاتنا منه منة على كل حال • غير أن بني الانسان لايمكن أن يكونوا في هذه اللحظة طيّبين في أية ناحية • لم تعد الأرض ملكا للبشر •

-١٠٨-

بعد أربعة أيام عاد تريان كوزوغا واليونورا وست الى مكتب الحاكم لأنهما كانا في حاجة الى اذن يخولهما حق البقاء أسبوعياً آخر في مدينة ويمار •

كانت أقدام نورا منتفخة لاتسمح لها بالسير والابتعاد عن المدينة في الوقت الحاضر •

ارتدت أجمل ثيابها ووضعت على رأسها قبعة وانتعلت أحذية ذات كعبين مرتفعين • وبعد أن أعلنا للجندي الحاجب عن رغبتهما في التحدث الى الحاكم قال تريان يحدث اليونورا :

ـ انك مرتدية ثيابك وكأنك ماضية الى حفلة استقبال رسمية •

ابتسمت اليونورا • لقد ارتدت ذلك الثوب لأول مرة منذ ثلاثة أعوام عندما ذهبت في زيارة صباحية الى وزير فنلندا •

عاد الحاجب وقال لهما بأدب :

ـ ان سيدي الحاكم يرجو الانتظار بضع لحظات •

وانقضت دقائق كانت نورا خلالها مسرورة • ثم تقدم جندي نحوهما وسأل :

ـ أأنتما الدبلوماسيان الرومانيان الراغبان في التحدث الى الحاكم ؟ تفضلا بالانتظار برهة أخرى •

مكتبة ماجد الحيدر
www.facebook.com/groups/kotob.kotob

وذهب الجندي ؟ فراحت اليونورا وست تخمن في سرها أن الميجر براون كان في حقيقته رجلا مهذباً يعرف كيف يتصرف • لقد اعتذر مرتين لأنه تركهما ينتظران خمس دقائق •

كان قصر الحاكم في بنـاء كبير ذي بهو متسـع • راحت تنظر الى نفسها بالمرآة • رأت أنها قد هزلت وأن ثنيات ثوبها كانت في هذه المرة أكثر انسدالا مما كانت عليه عندما زارت مفوضية فنلندا •

عاد الجندي يقول وهو يتجه نحوها :

ـ اتبعاني •

ابتعدت اليونورا وست عن المرآة باسمة وأخذ تريان يساعدها لتستند اليه وتبعا الجندي الذي ماكان يصعد السلم كما فعل في المرة الاخيرة بل يهبطه متجهاً نحو باب الخروج •

ثم دعاهما الى أخذ أمكنتهما في سيارة جيب كانت تنتظر أمام الباب • سأل تريان :

ـ الى أين نمضي ؟

هز الجندي الذي كان يقود السـيارة كتفيه • كانت الريح نشطة والسيارة مندفعة في شوارع ويمار بسرعة جنونية • انحنى تريان على أذن الجندي الآخر وسأله :

ـ الى أين نمضي ؟

فهز هذا كتفيه كما فعل زميله من قبل • التفت تريان الى نورا • كانت ممسـكة بحوافي قبعتها بيديها الاثنتين • كانت تضحك • لقد كانت دائماً تحب السرعة •

توقفت سيارة الجيب في الطرف الآخر من المدينة أمـام جدار من الحجر • وفتح الباب بواب معتمر بقبعة ذات حافة أمامية •

مكتبة ماجد الحيدر
www.facebook.com/groups/kotob.kotob

لكن السيارة لم تدخل الى الفناء •

سلم أحد الجنديين مغلفاً الى البواب ، ثم أشار الى ايليونورا وتريان بالنزول •

سألت اليونورا وست :

ـ أين نحن ؟

غير أن الامريكيين كانا ينتظران هبوطهما من السيارة فلم يجيبا •

كرّرت نورا السؤال باللغة الألمانية متوجهة به الى البواب :

ـ أين نحن ؟

فأجاب هذا :

ـ في سجن المدينة •

ثم أخذ بذارع نورا •

أرادت نورا أن تقول شيئاً للجنديين ولكن بعد فوات الاوان اذ أن سيارة الجيب كانت قد اختفت بمثل السرعة التي جاءت بها •

التفتت نور الى تريان الذي كان شاحب الوجه • وانغلقت الأبواب الحديدية خلفهما •

كانا قد أصبحا في باحة السجن •

## -١٠٩-

أودع تريان كوروغا في الزنزانة رقم « ٥ » من الطبقة الارضية أما نورا فقد اقتيدت الى الزنزانة رقم « ٢ » في الدور الثالث •

قال تريان في نفسه عندما أضحى وحيداً :

ـ لعلهم أخطأوا •

كان يحاول معرفة أسباب هذا التطور • لكنه تذكر أن نورا كانت في تلك اللحظة نفسها سجينة في زنزانة مماثلة ففقد هدوءه •

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.كتب.facebook

ود تريان قبل افتراقه عن نورا أن يقبلها وأن يقول لها جملة أو كلمة عاطفية • غير أن الحارس أمسك بكتفه وفرقهما بوحشية •

استدارت نورا الى الحارس متوسلة لكنه دفعها بعنف نحو الجانب الآخر من الممشى •

وهكذا قدر لهما أن يفترقا في ممشى السجن •

ـ أعتقد أنهم يخلطون بيني وبين مجرم يحمل اسمي أو يشبهني لايعرف الا الله من أمره شيئاً • ولكن لم أوقفوا نورا ؟

راح تريان كوروغا يقرع الباب بقبضتيه ليستدعي الحارس • كان يفكر في سره :

« كنت أنتظر أن يوقفني الروسيون • لأن الأيدي النظيفة عند الروسيين تكفي لتوقيف الشخص • بل انهم لو أوقفوني دون أن ينظروا الى يدي أو أن يكون هناك أي داع لما كنت أستغرب تصرفهم لأن للمرء أن يتوقع كل شيء مع الروسيين •

« لقد قطعت مائتي كيلو متر سيراً على الاقدام لأبتعد عن مجتمع يعتبر فيه « الأفتقار للأدلة » سبباً كافياً للتوقيف أو القتل أو النفي •

راحت قبضتاه تؤلمانه غير أنه استمر يقرع الباب دون هوادة •

لم يكن يضرب الباب لاستدعاء الحارس فحسب بل ليعاقب نفسه على قطعه مائتي كيلو متر عبثاً وهو يجر نورا وراءه ، نورا ذات القدمين المتفختين المثخنتين •

حدث نفسه قائلا : « كان يستطيع الألمان توقيف نورا لأن الألمان كانوا نازيين وأعداء اليهودية •

قال الحارس الذي ظهر على عتبة الباب :

ـ ماذا تريد ؟

مكتبة ماجد الحيدر
facebook كتب كتب كتب

قال تريان :

ـ أريد أن أتحدث الى مدير السجن فوراً • لقد أوقفنا ـ زوجتي وأنا ـ خطأ •

فأجاب الحارس ساخراً :

ـ انني لا أشك في ذلك • ان كل الوافدين الى هنا ، يدعون أنهم أوقفوا خطأ •

قال تريان :

ـ لا أسمح لك أن تسخر مني ! أريد التحدث الى مدير السجن فوراً •

ـ ليس هنا مدير للسجن • لقد أوقفكما الأمريكيون • اننا هنا نقوم بالاشراف على الادارة • أي أننا سجناء على شكل ما •

ـ اذن ، أريد التحدث الى الامريكيين !

فقال الحارس :

ـ ان الرقيب لا يأتي الا مرة كل أسبوع ، يوم الاثنين •

تذكر تريان أنه كان في يوم الاثنين فسأل مذعوراً :

ـ أتعني أن علي أن أنتظر حتى الاثنين المقبل قبل أن أتصل بمسؤول ما ؟ أتعتقد بأن زوجتي تستطيع البقاء أسبوعاً كاملا في السجن ؟

قال الحارس :

ـ لا حول لي ولا قوة • تستطيع أن تحدثني بما تشاء وتستطيع كذلك أن تقرع الباب ساعات وساعات ولكن عبثاً • انني لاأستطيع اسداء المعونة لك والرقيب لن يعود الا يوم الاثنين المقبل •

واغلق الباب •

ـ اعلم من تشاء أو لاتعلم أحداً بأنني لن أقرب الماء ولا الطعام حتى تحين اللحظة التي أتحدث فيها الى مدير السجن لمعرفة سبب توقيفي • انه

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.كتب.facebook

الاسلوب الوحيد الذي أستطيع اللجوء اليه للاحتجاج • وسأستعمله •
سأل الحارس :
ـ هل ستضرب عن الطعام ؟
ـ وعن الماء أيضاً !

لبث الحارس برهة في الباب والمفاتيح في يده وراح ينظر الى تريان باشفاق ثم أغلق الباب :
ـ يا للاسف ! انك لازلت في شرخ الشباب !
وأدار المفتاح في القفل دورتين •

-١١٠-

قرعت نورا وست باب زنزانتها بيديها طيلة نصف ساعة فجاء حارس يصغي دون أن يفتح • نظر الى الزنزانة خلال فتحة في الباب وقال لها :
ـ اذا لبثت تقرعين الباب هكذا فانك ستعاقبين • لأن السجناء لايحق لهم قرع أبواب زنزاناتهم •
وابتعد الحارس •

تمددت نورا وست على السرير • لكنها لم تلبث حتى نهضت مذعورة وهي تغمغم : « ينبغي أن يكون السرير حافلا بالقمل » • كانت خائفة • ودت لو تقرع الباب لتطلب غطاء آخر أو لتستعلم على الاقل عما اذا كان هناك قمل أم لا • لكنها كانت تعرف أنـه ليس من حقهـا أن تقرع الباب • فاستمرت تذرع الزنزانة •

كانت اليونورا وست تشعر في أعماق نفسها بأنها مذنبة • كانت عالمة بأن توقيفها حق وعدل • لقد كانت فكرة السجن تغزو عقلها ليلا نهاراً منذ أن زورت أوراقها المشيرة الى أصلها اليهودي واشترت ورشت كل ذي علاقة لتسحب تلك الوثائق من ملفات الأحوال المدنية • كانت تنتظر كل يـوم

مكتبة ماجد الحيدر
facebook/كتب.كتب.كتب

وصول رجال الشرطة وتعرف أنها ستكتشف يوماً وتوقف • لقد كانت ترتعد فرقاً خلال رحلتها في ألمانيا كلما وقع بصرها على شرطي : ان أوراقها كانت مزورة !

لم تكن السنوات الاخيرة غير فترة انتظار طويلة : انتظار الساعة التي ستحين لتوقيفها •

غمغمت : « ولقد حانت الساعة • لقد اكتشفوا الآن أنني يهودية ولن أستطيع الخلاص بعد اليوم • »

كانت ترتعد من الخوف ويقشعر جسمها رعباً •

« انني سخيفة اذ أظن أن الامريكيين قد أوقفوني بسبب اخفائي نشأتي العنصرية وتزييفي أوراقاً في رومانيا • لكنني مع ذلك أشعر بأن هذا هو سبب توقيفي الحقيقي ، والسبب الوحيد • انني أعرف أن هذا غير منطقي لكنه كذلك : فأنا مذنبة وسأنال عقابي وسيكون عقاباً مثالياً ، عقاباً قاسياً ، لكنني أستحقه • »

شعرت اليونورا وست بالبرد « كانت ألبستها الداخلية الشفافة الرقيقة التي تشبه فقاعات الصابون وثوبها الخفيف الرقيق لايمكن أن تدفع عنها عاديات الرطوبة الباردة التي تتسرب من الجدران الحجرية •

اخترق البرد بشرتها وبلغ عظامها • فكانت تشعر بتلك الرطوبة منتشرة في أعماق جسدها • لم تشعر قط من قبل بالبرد في كليتيها بل انها ماكانت تعرف تماماً موضع الكليتين ولا الحجم الذي يمكن أن تكونا عليه • أما الآن فقد أحست ببرودة في الكليتين ولم تكن البرودة مقتصرة عليهما فقط بل أن أمعاءها كانت كذلك متجمدة •

غطت اليونورا وست ركبتيها بثوبها لكن ذلك التدبير لم يجد فتيلا •

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.كتب.facebook

كانت تخاف الجلوس على السرير فراحت ترتعد وترتجف وبدأت أسنانها تصطك ببعضها .

كان الجو حاراً خارج الزنزانة لكن ذلك لم يكن مهماً طالما أنها كانت ترتجف من البرد وتصطك أسنانها وكأنها في صميم الشتاء . عمدت يونورا الى الجثو وسط الزنزانة لتبعث الدفء في أوصالها وفي تلك اللحظة شعرت بالحاجة الجسدية الملحة الى بيت الخلاء . أحست بمئات من الأبر تخترق مثانتها ولم تعد قادرة على اخضاع عضلاتها لارادتها .

تذكرت اليونورا وست القصص التي كانت تقرأها : في زنزانات السجون يقوم وعاء أو صفيحة مقام دورات المياه . لكنها لم تجد في زنزانتها غير سرير ومائدة صغيرة ونافذة مشبكة . تقدمت نورا نحو الباب ورفعت يدها لتطرقه .

قالت في سرها : « سوف يأذنون لي ولاشك بالذهاب الى دورات المياه »

تذكرت في تلك اللحظة كلمات الحارس الألماني القاسية : « اذا قرعت الباب ستعاقبين ! »

فاسقطت يدها الى جانبها وخافت أن تقرع الباب .

قالت : « لقد أخطأت في قرع الباب لما لم يكن هناك داع لقرعه . » وعادت تسير في طول الزنزانة وعرضها .

توقفت من جديد ورفعت يدها . لكنها لم تهو بها على الباب لأن عبارة الحارس كانت تدوي في اذنيها : « ستعاقبين اذا قرعت الباب ! »

وبينما كانت تتذكر تلك الكلمات سرى في جسمها تيار كهربائي : شارة الخطر . شعرت بأنها فقدت سيطرتها على عضلاتها. أحست بسراويلها الحريرية ثبتل وبالبلل ينتقل الى حمالة جواربها فالى الجوارب . شعرت بشيء رطب ساخن معاً يسيل منحدراً على فخذيها فجوربيها ويبلغ حذاءيها.

مكتبة ما الجبار كتب facebook

بذلت اليونورا وست جهداً جديداً لتتمالك نفسها غير أن عضلاتها وبشرتها وكل جسمها يعد ملكاً لها فازدادت انكماشاً • وكلما ازدادت سراويلها بللا وشاع فيها الدفء كان شعور بالراحة والتحرر لم تحس بمثله من قبل يجتاح كيانها • كانت كل عضلة وكل مسام وكل ليف من ألياف جسدها يسترخي • وكان الاحساس الذي خالج نفسها بالغبطة أقوى من أي احساس شعرت به من قبل • كان لذة حقيقية بل أنه كان أكثر من لذة • كان نشوة • وبفضل هذه اللذة انفصلت عن كل العوالم الأرضية • كانت بعيدة عن مضمار الزمن • كان جسمها كله متحرراً •

شعرت اليونورا وست بأنها تفرغ مثانتها منذ ساعات وساعات دون انقطاع ولاتوقف • لكنها عندما رأت سطح الأرض مبتلا حولها اعتراها الذعر والذهول فانتفضت واقفة وهرعت الى زاوية الزنزانة تحتمي فيها وكأنها تبحث عن مخبأ • كانت تلك الساعة من أعصب ساعات حياتها • كانت الارض كلها مبتلة وقد سالت « الاملاح » الى أسفل السرير والمائدة وتجمعت أمام قدميها •

أدركت اليونورا وست أنها ارتكبت أمراً محظوراً وأن ذلك الامر سيكتشف ويؤدي الى عقابها وعاد صوت الحارس القاسي يدوي مهدداً في أذنيها : « ستعاقبين ! »

همت اليونورا وست بتمزيق ثوبها لتجفيف الارض غير أنها أدركت عقم المحاولة • لقد كان السائل كثيراً متوافراً لايمكن لثوبها الحريري أن يمتصه حتى ولو استعملت في سبيل ذلك ما عليها من ألبسة رقيقة شفافة • وظل ذلك الصوت قريباً منها وظلت تسمعه دون فكاك : « ستعاقبين ! ستعاقبين ! »

تأكدت أنها لن تستطيع الاختفاء وأنها ستكتشف فتصبح كل محاولة

مكتبة ماجد الحيدر facebook كتب كتب كتب

للافلات من العقاب غير مجدية • فغطت عينيها بقبضتيها اللتين لم تنزع عنهما القفازين الشفافين المصنوعين من الدانتيلا على شكل نسيج العنكبوت وراحت تبكي من اليأس •

- ١١١ -

قال الرقيب غولد سميث ، مدير السجن •

ـ ان ماوقع لكما يدعو الى الاسف الشديد • انني أقدم لكما اعتذاري وأعرب عن أسفي الشديد لأنني لم أطلع على مسألتكما من قبل •

كان قد مضى أسبوعاً على توقيف تريان كوروغا واليونورا وست وكان تريان ممدداً على سريره لايستطيع الحراك لانه لم يقرب طعاماً ولا شرابا منذ سبعة أيام •

وكان الرقيب غولد سميث قد جاءهما بأشيائهما في سيارته فراح يساعد نورا على ترتيبها • قدم لهما السجاير وقد بدا عليه انزعاج شديد • قال لهما :

ـ سيطلق سراحكما غداً، صباحاً وسأبحث لكما بنفسي عن مسكن أقودكما اليه بسيارتي • انني آسف باخلاص لما حدث لكما •

كان تريان كوروغا واليونورا وست صامتين واجمين •

قال الرقيب غولد سميث لرئيس الحرس :

ـ ان السيدة والسيد كوروغا لايعتبرلن موقوفين • لقد أدخلا الى هنا خطأ وسيخرجان صباح غد لأنهما لايملكان مأوى في الوقت الحاضر • لذلك فانهما سيقضيان ليلتهما في هذه الغرفة فقدم لهما أغطية نظيفة كافية واعتبرهما ضيفين علينا ولا أقل من ضيفين •

مضى الرقيب وعاد بعد نصف ساعة يحمل ربطة فيها أطعمة وقدم الى تريان برتقالا وعدداً من « الكريب فروت » • وقبل أن ينسحب اعتذر لهما من جديد وضغط على يد تريان مصافحاً ومضى •

مكتبة ماجد الحيدر
facebook
كتب كتب كتب

كان رئيس الحرس يراقب هـذا المشهد ، جاحظ العينين وكأنـه شهد معجزة .

قالت نورا :

ـ لقد كنت واثقة خلال كل هذا الوقت من أن الامريكيين سيقدمون لنا اعتذاراتهم . ان الولايات المتحدة بلد تقطنه أمة متمدنة .

كان تريان مصاباً بالحمى فنام على الفور . حلم خلال نومه أنه كان على سطح غواصة وأن كل الأرانب البيضاء ماتت عن آخرها فاستيقظ وهو غارق في عرقه وجلبابه مبتل . قال : « ليس هنـاك من أمل بعد مـوت الأرانب البيضاء . »

كان قد صاح خلال نومه بهذه الحقيقة بكل قواه غير أن البحارة أبوا تصديقه ...

-١١٢-

لم يعد الرقيب غولد سميث صباح اليوم التالي فلبثت نورا تنتظره طيلة ذلك النهار . كانت تقول :

ـ من يدري ما الذي منعه عن الحضور ؟ لكنه سيحضر غداً حتماً .

كان رئيس الحرس من رأيها . غير أن الرقيب لم يحضر في اليوم التالي ولافي اليوم الثالث . ومضى أسبوع فجاء رقيب آخر بدلا عنه .

قال مدير السجن الجديد :

ـ انني لست مطلعاً على قضيتكما ! لقد عاد الرقيب غولد سميث الى الولايات المتحدة دون أن يترك لي اشارة عنكما . لكنني سأبحث في أمركما وأطلعكما يوم الاثنين المقبل على النتيجة .

ومضى .

مكتبة ماجد الحيدر
كتب كتب كتب .facebook

كان شاباً ذا شعر أحمر يغطيه الكلف • لـم يشأ ذكر أسمه حتى ولا لرئيس الحرس • وكان توقيعه معقداً غير مقروء •

وفي الاسبوع التالي عاد الى السجن لكنه لم يمض في مكتبه الا فترة قصيرة وكانت حركاته تدل على عصبية ظاهرة •

فلما جاء تريان وزوجته للقائه في مكتبه وجدا أنه قد غادر السجن فاضطر الى الانتظار أسبوعاً آخر •

كان الرقيب في هذه المرة سيء المزاج • قال :

ـ لقد سألت عـن التعليمات الصادرة بخصوصكما فأعلمت بأنكمـا موقوفين كالآخرين وليس هناك مايسمح لكما بجراية غذائية خاصة •

وأدار لهما الرقيب ظهره وأصدر أمره الى رئيس الحرس :

ـ ينبغي سجنهما في زنزانتين منفصلتين واخضاعهما للنظام الغذائي الساري مفعوله على الآخرين • انني لا أقبل أية استثناءات في السجن •

حملق رئيس الحرس في وجهه وجحظت عيناه وهو يحاول اقناع نفسه بصحة ماسمع وقال مردداً :

ـ لقد فهمت : زنزانتان منفصلتان ونظام غذائي عادي دون استثناء • كان صوته متهدجاً •••

## -١١٣-

قالت نورا وهي تصغي الى وقع أقدام الحارس في الممشى :

ـ لقد جاءوا يفصلوننا !

ارتمت على عنق تريان باكية منشجة وقالت :

ـ انني أفضل الموت على الانفراد في زنزانة من جديد !

وقف رئيس الحرس بالباب يلوح بحلقة مفاتيحه • لم تلتفت نورا اليه لأنها كانت تعرف سبب مجيئه كما يعرفه تريان كذلك • شخص ببصره

اليه • كان يود أن يتوسل الى الحارس أن يبقيهما معاً بضع دقائق أخرى • لكنه لم ينطق بحرف واحد لأنه كان يعرف عقم المحاولة •

قال الحارس :

ـ سوف أسرح خلال الصيف المقبل لأنني رجل مسن • ومن كان في سني لايروق له أن يلعب « الطميمه » • بل ولاأريد أن ألعب هذه اللعبة •

صمت الحارس برهة وراح يستجمع قواه وكأنه يحاول ازاحة عبء ثقيل • قال :

ـ ستبقيان معاً كما كنتما وسأترك لكما الباب مفتوحاً •

سألت نورا :

ـ هل رجع الرقيب عن أمره ؟

فأجاب الحاس :

ـ لم يرجع الرقيب عن أمره •

ومضى وهو يهز مفاتيحه ، تاركاً باب الزنزانة مفتوحاً على مصراعيه •

-١١٤-

سألت نورا بيأس :

ـ ماذا يحمل الامريكيون نحونا ؟ لم يبقونا في السجن منـذ ستة أسابيع ؟

فأجاب تريان :

ـ ان الامريكيين غير حاقدين علينا بل انهم لايشعرون بوجودنا •

ـ وكم ينبغي لهم من الوقت ليعرفوا أنهم أوقفونا وأودعونا السجن ؟ انني ماعدت أستطيع الاحتمال !

قال تريان :

ـ انهم لن يتحققوا أبداً من وجودنا • ان الحضارة الغربية في مرحلتها

مكتبة ماجد الحيدر
facebook كتب كتب كتب

التقدمية الاخيرة لاتحفل بالفرد • وليس هناك مايدعونا الى الآمل بأنهم سيحفلون به • ان هذا المجتمع لايعرف الا بعضاً من مقاييس الفرد • ان الانسان المتكامل ، الانسان بصورة فردية لاوجود له في هذا المجتمع • أنت اليونورا وست التي تبقين في السجن دون ما ذنب ، وأنا وكثير غيرنا لاوجود لهم ولاأثر • اننا عديمو الوجود • ان وجودنا مقتصر على اعتباره كسراً في حسابات الكميات الصغرى • أنت مثلا ، انك لست الا مواطنة عدوة أوقفت في أرض ألمانية • ان هذا أقصى درجات الاحصاء في المجتمع الآلي الغربي ولايمكن لهذا المجتمع أن يهضم أكثر من ذلك الاحصاء • انه كل مايشير اليك في نظره • ان هذا المجتمع لايتعرف عليك الا على ضوء هذه الخطوط المميزة ولا يعاملك الا مع النوع أو الفصيلة التي تنتمين اليها وبحسب قواعد الضرب والتقسيم والطرح • انك لست الا جزءاً من رومانيا وقد أوقف هذا الجزء • والخطيئة أو الجريمة التي سببت هذا التوقيف راجعة الى فصيلتك •

قالت نورا :

ـ مع ذلك لابد وأن يكون للأمريكيين سبب لتوقيفنا • انهم حاقدون علينا • انهم يشتبهون بأمرنا • والا لأطلقوا سراحنا • انني أتألم لأنني لاأعرف سبب توقيفنا ولابد وأن يكون هناك سبب !

أجاب تريان :

ـ هناك سبب ولاشك • لكنه سبب سخيف شاذ من الناحية الانسانية ومعترف بعدالته من وجهة نظر الآلة • ان الغرب ينظر الى الانسان بعيني التكنية • أما الانسان المخلوق من لحم وعظم ، القادر على الشعور بالفرح والألم ، فانه غير موجود • ولهذا السبب ، فان واقع توقيفنا واحتفاظهم بنا في السجن بل واعدامنا غداً اذا أرادوا لايمكن أن يعتبر جرماً • كان يمكن أن يكون كذلك لو كان متعلقاً بواقع بشر من لحم ودم • غير أن المجتمع

الغربي عاجز عن الاعتراف بالرجل الحي • وهو عندما يوقف شخصاً أو يقتله فانه لايوقف شيئاً حياً بل رقماً أو اشعاراً • فاذا راعينا المنطق الصحيح وجدنا أن هذا الجرم لايمكن أن يعزى الى المجتمع الغربي لان أية آلة لايمكن أن تتهم بالقتل ولايمكن لاحد أن يطلب الى آلة ما معاملة الانسان معاملة تنطبق على مميزاته الشخصية •

سألت نورا :

ـ ماذ يمكن أن يكون السبب العادل الكامل الذي دفع الامريكيين الى توقيفنا من وجهة النظر التكنية ؟

فأجاب تريان :

ـ انني أجهل السبب • كل ماأعرفه ، هو أن واقع اخضاع الانسان للقوانين والمقاييس الآلية ، تلك المقاييس الممتازة بالنسبة للآلة وحدها ، يساوي جريمة قتل • ان الانسان الذي يرغم على العيش في الوسط والجو الذي تعيش فيه الاسماك ، يموت خلال دقائق معدودة • والعكس صحيح • لقد خلق الغرب حضارة تشبه الآلة وهو يرغم الانسان عـــلى الحياة في صميم هذا المجتمع ويدعو الى التطبع بطبائع الآلات وقوانينها • لكنهم بذلك يقتلون الانسان باخضاعه للقوانين التي تهيمن على الشاحنات والساعات •

ان الناس ليسوا كذلك •••

ان الشعوب ليست كذلك •

ليس كل انسان مشابهاً في القوة أو في الضعف كل انسان آخر •

« ان الآلات وحدها يمكن أن تكون متكافئة فيما بينها • انها وحدها يمكن أن تستبدل وأن تفكك أجزاؤها وتحول الى عناصرها الرئيسية أو الى حركات أساسية • فاذا تشبه الانسان بها حتى يماثلها ، عندئذ لايبقى انسان على سطح الارض •

مكتبة ماجد الحيدر
facebook كتب كتب كتب

زفرت نورا بينما استرسل تريان يقول :

ـ انك لست موجودة على اعتبارك من الأحياء أو اذا شئت ، انك موجودة ولكن ينظر اليك مشوهة مفككة بعيني الآلة .

« ولكن الانسان لاقيمة لـه في المجتمع التكني كما هـو الحال في المجتمعات البربرية . واذا كانت له بعض القيم فانها تافهة . ومن ذلـك يتضح أنك لم توفقي في حقيقة الأمر .

ـ ألسنا موقوفين ؟

ـ أبداً . وأقصد أننا رغم مرور ستة أسابيع على بقائنا في السجن لايمكن أن نكون موقوفين . لأن شخصيتنا وكياننا الفردي لاوجود لهما في المجتمع الآلي الغربي . لذلك فان كياناً لاوجود له لايمكن كذلك أن يوقف ويسجن .

قالت نورا :

ـ ان هذا لايعز ينبي . اننا لسنا موقوفين مع أننا في السجن .

ـ بل انه عزاء.انه العزاء الاوحد في هذه الساعة المتأخرة من التاريخ.

## ـ ١١٥ ـ

قال رئيس الحرس وهو يدخل زنزانة كوروغا :

ـ لقد انتهى كل شيء الآن . اقرأ هذا البلاغ . لقد استسلمت مدينة ويمار ومدينة « سورينج » الى الروسيين وقد دخلتها الوحدات الروسية بعد أن نقلتها سيارات كبيرة طيلة الليل . ان الامريكيين قد انسحبوا من المدينة ولم يبق في حوزتتهم الآن الا بناء الحكومة والسجن وعدد من المساكن . لايحق لاحـد مغادرة المدينة . لقد أحاطت بهـا الشرطة العسكرية منذ الصباح الباكر .

قرأت نـورا البلاغ في الصحيفة وراحت تنقل الطرف بين تريـان والحارس المستند الى الباب .

مكتبة ماجد الحيدر
facebook

سألت :

ـ وعندما يسلم السجن الى الروسيين ، سنبقى فيه لنسلم اليهم بدورنا أليس كذلك ؟

فأجاب الحارس :

ـ أخشى أن يكون كذلك . سوف يستولي الروسيون على السجن صباحاً أو بعد الظهر أو في المساء على أبعد حد . لايمكن تحديد الوقت .

ضغط تريان كوروغا رأسه بين يديه وراح يفكر لحظة ويستعيد في ذاكرته عديداً من الاحداث : « الفرار ، مائتي كيلو متر ، روسيا ، الرعب والذعر ، استباحة النساء ، سيبيريا ، أقدام نورا المنتفخة المقروحة القوميسيرين السياسيين ، تسليمهم عند تسليم السجن وكأنهم عبيد مغلولون » .

قال تريان :

ـ لاتهتمي بعد الآن الا بالأهم لأن الزمن لايسمح بغير ذلك . لايجب أن نحتفظ بالأسرار في هذه اللحظة ويستطيع رئيس الحرس أن يصغي الينا . انني أعرف أن الامريكيين سيسلموننا ونحن في زنزاناتنا الى الروسيين وأعرف أن هذا العمل جريمة . لكنني اذا نظرت الى الأمر من زاويتهم أدركت أنهم أبرياء . انهم يشبهون في سذاجتهم القاطرات التي تبدو كأنها تبتسم عندما تسحق انساناً على الخط الحديدي . لقد حول الغربيون الخطيئة ذاتها الى مقياس محدود موحد . لقد ضغطوا ذلك المقياس حتى أعدموه . بل أستطيع القول أنهم نسوا كل مقياس للخطيئة . انهم ليسوا مذنبين في ذلك . ان الذنب ذنب الحضارة . غير أن كل هذا عديم الفائدة في الوقت الحاضر . ولقد ذكرته لأبعد الشك والتورية عن الحديث . سنصبح بعد لحظات ملكا للروسيين أي لأشد الرجال وحشية بفضل أسلوب حكمهم على الأرض . فاذا كنت أستطيع احتمال « الرجل الآلي » الذي

مكتبة ماجد الحيدر
facebook.كتب.كتب.كتب

تحول الى مخلوق عديم الاحساس فانني لا أستطيع أبداً مجابهة « الوحش المفترس الآلي » . ولا أريد ذلك . سأحاول أن أفر قبل أن أسلم الى الروسيين فاذا لم أفلح قتلت نفسي .

والتفت تريان كوروغا الى الحارس وقال :

ـ هل تساعدنا على الهرب ؟

فقال هذا :

ـ سأعمل مافي وسعي . انني أريد الذهاب من هنا أيضاً لأنني نمساوي . سأذهب الى فينا لكنني لن أستطيع الذهاب الآن .

قالت نورا :

ـ ماذا يصيبني بعد فرارك ؟ انني لا أستطيع الهرب ! انني خائفة . ان أفضل ماتعمله ياتريان هو أن تقتلني !

قال تريان :

ـ بل سنفر معاً !

فقال الحارس :

ـ يحسن بك أن تحاول الفرار أولا . ان الأمر ليس مستحيلا . ان الجدران قد دمرت بالقنابل والصعوبة هي في بلوغ الفناء . ومتى بلغته أصبح الامر كلعبة الأطفال .

## -١١٦-

قالت نورا :

لا أجد في نفسي الشجاعة على الهبوط من الدور الثالث على الحبل . أما أنت فانك رجل ويمكنك أن تهبط .

كان تريان كوروغا يربط الأغطية بعضها ببعض ليصنع منها حبلا . قال :

ـ لايجب أن تخافي . سوف أربطك بالحبل وأدليك من النافذة

مكتبة ماجد الحيدر كتب كتب .facebook

وعندما تبلغين الأرض تتسللين على طول الجدار ، وتختبئين قرب الشجرة التي أشرت اليها •

كانت نورا ممسكة بطرف الحبل بينما كان تريان يعقده • فأفلتت الحبل من يدها وقالت :

ـ لا أستطيع الفرار • • عندما تدليني من النافذة لايمكنني الا أن أفكر في أنهم سيطلقون علي الرصاص • ان مجرد هذه الفكرة ستجعلني أفقد شعوري • ألا تظن بأنهم سيطلقون علي النار عندما أكون هابطة ؟

فأجابها تريان :

ـ ان هذا ممكن ولكن ينبغي أن نحاول فلعلهم لايطلقون • على كل حال اننا بهذه العملية نقابل احتمال النجاة وذلك خير من أن نقتل أنفسنا مباشرة •

سألت نورا :

ـ وماذا لو بقينا لدى الروسيين ؟ قد لايكون الشيطان شديد السواد كما يصفونه • ان هناك عدداً كبيراً من البشر تحت الحكم الشيوعي • ولما كانوا لايزالون على قيد الحياة فاننا نستطيع أيضاً أن نعيش مثلهم •

قال تريان :

ـ انك على حق • ان في الدولة الشيوعية بشراً يعيشون • ولعل حياتهم ليست أكثر مشقة وصعوبة من حياة الرجال في الغرب •

« ليست هناك زاوية نظرية لايمكن للمرء أن يحكم منها • ليس في العالم حقائق موضوعية ان كل مافيه ذاتي •

« أما أنا فانني لن أتقبل أبداً أن أعيش في الجنة السوفييتية • وقد يبدو عنادي غريباً ، لكنني أراه من وجهة نظري عادلا صحيحاً •

« ان الكائن البشري لايجد أشياء عادلة الا حسب وجهة نظره الشخصية •

« انني شخصياً لاأريد الوقوع في أيدي وحوش الفولغا الآليين .

« قد أكون مجنوناً لكنني لا أتمسك بالحياة بصورة خاصة . انني أستطيع التخلي عنها متى أشاء .

« لكنني لن أتخلى عن الحياة بل أريد أن أحياها في شروط تبدو لي أكثر ملاءمة . يمكن لأي كان أن يبرهن لي على أن أسلوبي في الاحتفاظ بالحياة ليس أسلوباً حسناً . وانني أتقبل أي نقد . لكنني لاأرتضي أبداً أن يدلني أحد على الطريقة التي يجب أن أعيش بها حتى ولو أقتنع المتكلم بوجاهة رأيه وأراد أن يرغمني على اتباعه . ان حياتي ملكي أنا وهي ليست ملكا للوحدة الاشتراكية أو للقوميسيرية السياسية أو لغيرهما . اذاً فان من حقي أن أحيا حسب الطريقة التي أنتقيتها بنفسي فأستطيع اذا شئت محاكاة حياة القوميسير نفسه . لكنني لا أرغب في ذلك ولو رغبت فيه لما جاز لأحد لومي أو الادعاء بأنني أسأت العمل أو أحسنته .

« انني أتصرف بحياتي كما أشتهي . لذلك فانني أرفض أن أعيش على الطريقة السوفياتية .

« ولذلك فانني سأقتل نفسي . »

راحت نورا تبكي . بينما استمر تريان يعقد الحبل ويربطه بعد أن أعاد الطرف الثاني الى يد نورا التي أمسكت به بقوة .

قال تريان :

ـ أنظري اذا كان الامريكيون قد غادروا برج الحراسة في الفناء .

خرجت نورا الى الممشى ومضت الى باب السجن فأطلت منه على أبراج الرقابة لتتأكد من أن الروسيين لم يحتلوها بعد لأنهم لو فعلوا ذلك لفات الوقت .

قال تريان :

مكتبة ماجد الحيدر
www.facebook.com/groups/kotob.kotob

ـ ينبغي مراقبة ذلك مرة كـل خمس دقائق • ان اللحظة المناسبة لفرارنا هي تلك التي تسنح لنا أثناء تبادل الحراس الروسيين مع الحراس الامريكيين • فاذا لم ننتهزها أفلتت الفرصة من أيدينا •

واستمرا يلفان الحبال ويبرمانها فأمضيا ساعات النهار الاولى • وأخيراً راحا يختبران طول الحبل ومقاومته •

كان أحدهما يخرج من الغرفة كـل خمس دقائق ليراقب أبراج السجن ويعود معلناً لزميله :

ـ لازال الامريكيون في أمكنتهم !

كانا مسرورين لبقاء الامريكيين لأنهما اعتقدا أنه طالما لبث الامريكيون في أمكنتهم فان الخطر لم يكن قد دنا والفرصة لم تكن قد أفلتت •

## -١١٧-

في الساعة السادسة مسـاء ، أخرج تريان كوروغا ونورا وست من زنزانتهما ونقلا الى سيارة نقل عسكرية كبيرة مع الموقوفين الآخرين •

كان تريان شاحباً وكانت نورا تبكي •

قال يرتان :

ـ لقد انتقوا موضعاً آخر يسلمونا فيه الى الروسيين • ان السيارة تتجه نحو الشرق •

كانت شوارع مدينة ويمار تعج بالجنود الروسيين وبالسيارات الروسية •

سأل تريان :

ـ أتوافقين على أن نقفز من السيارة ؟ انهم ينقلوننا حتماً الى سجن روسي •

كانت السيارة قد خرجت من المدينة فراحت نورا تنظر الى الحقول الخضراء ثم الى الشمس فكان الاتجاه الى الشرق واضحاً تماماً •

مكتبة ماجد الحيدر
كتب كتب كتب facebook

قال تريان :

ـ سنجتاز غابة بعد حين وليس عليك الا أن تقفزي أولا ثم تختبئي في دغل وتنتظريني • وسأقفز بعدك •

كانت نورا تبكي • فقال تريان :

ـ استعدي •

أجابت :

ـ لن أستطيع الآن لأنني شديدة الخوف • لننتظر قليلا •

قال تريان :

ـ لن تسنح لنا فرصة أفضل من هذه • أنظري الى الادغال على جانبي الطريق • لاشيء أسهل من الاختفاء فيها • ألا تريدين القفز ؟ أنظري لقد أبطأت السيارة !

قبض على ذراع نورا فتشبثت بيديها في المقعد وتقلصت أصابعها على جوانبه وقالت :

ـ كلا • تستطيع أن تقفز أنت • أقسم لك أنني لن أحقد عليك اذا تركتني ونجوت بنفسك وحيداً •

جلس تريان كوروغا الى جانبها وأغمض عينيه كي لايرى الادغال الكثيفة التي كان يمكن أن يختبيء فيها • كان يعرف أنهما لن يجدا فرصة أطيب من هذه •

ولما فتح عينيه وجد أنه يمضي في مواجهة الشمس والشمس تبهر بصره فدهش وذهل لأنها كانت أمامه بعد أن كانت وراءه منذ حين •

كانت السيارة تتجه الآن نحو الغرب •

أمسك تريان بيد نورا وقال لها :

ـ ان الامريكيين نبلاء رغم كل شيء انهم لن يسلمونا الى الروسيين!

كان وجهه يطفح بالبشر فسألت نورا :

مكتبة ماجد الحيدر
facebook.كتب.كتب.كتب

ـ والى أين يمضون بنا ؟

تجهم وجه تريان وقال :

ـ الى سجن أمريكي .

شعر بالخجل لما بدا عليه من حبور . قال معتذراً :

ـ اصفحي عني يانورا لما بدر مني من سرور . ان من الجنون أن يبتهج المرء لأنه سيحبس في سجن دون آخر .

« لكن هذه هي المرحلة الاخيرة التي بلغ اليها الانسان في أوربا .

« لم يكن أمام الانسان الا اختيار واحد من سجين .

-١١٨-

سأل الضابط الامريكي .

ـ ألست أنت ايوهان موريتز ؟

وابتسم ابتسامة وديعة متوددة وأردف :

ـ ان قائد المدينة يود أن يسمع من فمك كيفية فرارك . ألست أنت الذي أنقذت خمسة من المساجين من معسكر الاعتقال ؟

احمر وجه ايوهان موريتز من الغبطة .

ماكان يصدق أن الضباط الامريكيين يمكن أن يأتوا اليه بسياراتهم لاستقدامه ليقص بنفسه على مسامعهم كل ماعمله . فكر ايوهان موريتز في سره : « حتى قائد المدينة سمع مايروى عني » فقال ببهجة لم يشعر بمثلها من قبل :

ـ نعم . انني أنا ايوهان موريتز :

قال الضابط :

ـ لنمض ! ان سيارتي معي .

أراد ايوهان موريتز أن يرتدي سترته لأنه كان بالقميص والسراويل

مكتبة ماجد الحيدر
www.facebook.com/groups/kotob.kotob

فقط • ورغب في وضع جواربـه لأنه كان ينتعل أحذيته دون جوارب • غير أن الضابط كان مستعجلا فقال له :

ـ ان القائد ينتظرنا فتعال كما أنت الآن سوف تعود خلال نصف ساعة • سأعيدك بسيارتي •

صعد كلاهما الى سيارة الجيب • راح موريتز يحدث نفسه بأنـه سيروي القصة الى القائد دون أن يضيف اليها شيئاً وأخذ ينتقي كلماته سلفاً • كان مشرق الوجه من الحبور • كان يتصور وجه القائد ويرى نفسه جالساً أمامه يحدثه عن قصة الفرار •

خلال ذلك الوقت كانت السيارة قد بلغت بناء كبيراً من الحجر فالتفت الضابط الى موريتز وقال :

ـ انك ستمكث هنا •

نزل ايوهان موريتز من السيارة وهو يأسف لأن الضابط لم يرافقه • كان يعتقد بأنه سيستوحي من وجوده شجاعة أكثر عند سرد قصته • لكن السيارة كانت قد ابتعدت • أدخل حارس الباب ايوهان موريتز الى الفناء فجاء شرطيان ألمانيان يأخذانه منه • راح موريتز يتلفت يميناً ويساراً • لم يكن يعتقد أن قائد المدينة يوافق على السكنى في بيت بشع كهذا غير أنه لم يجرأ على السؤال •

ولما أدخل عبر الفناء الى البيت رأى كـــل النوافذ مشبكة بقضبان حديدية كنوافذ السجون •

سأل ايوهان موريتز :

ـ هل يقطن قائد المدينة هنا ؟

قهقه الشرطيان ضاحكين اذ أخفقا في امتلاك نفسيهما • اقتادا ايوهان موريتز الى أحد الاقبية حيث أدخلاه الى زنزانة محرومة من الضوء وأغلقا

مكتبة مجد الحيدر
www.facebook.com/groups/kotob.kotob

الباب بالمفتاح وأداراه دورتين وهما يضحكان للسؤال الساذج الذي طرحه السجين .

-١١٩-

استدعيت كورينا كوروغا زوجة الكاهن كوروغا الى دار البلدية . كان الوقت يقارب منتصف الليل حينما تقدم فلاحان يربطان على ساعديهما أشرطة مثلثة الالوان فقرعا الزجاج وأمراها بالمجيء معهما . كان القمر بدراً فأغلقت كورينا كوروغا الباب بعناية واحتفظت بالمفتاح في يدها .

وفي دار البلدية كان عشرة من الجنود الروسيين يثرثرون مع القرويين . استحضرت زوجة الكاهن أمامهم فقدموا لها قدحاً من الخمر وراحوا يفحصونها من كل الزوايا .

أطرقت زوجة الكاهن بعينيها الى الأرض وراحت في سرها ترفع صلاة للقديس نيكولا .

أجبرها الجنود على الشرب . غير أنها لبثت تبتهل الى القديس نيكولا دون أن تنظر الى أحد أو أن تمس قدح الخمر بشفتيها . فصب لها أحد الجنود خمراً في طوقها ورفع آخر ثوبها وراح يصب الخمر على جسدها . غير أنها لم تكن تسمع شيئاً ولم تكن ترى شيئاً . أغمضت عينيها واسترسلت ترفع الصلوات للقديس نيكولا الذي كان يشبه الكاهن الكسندرو كوروغا زوجها . راح الروسيون والقرويون يسكبون على رأسها أقداحاً أخرى من الخمر وعلى قميصها وأثوابها حتى ابتلت كلها . ثم طرحوها أرضاً بوحشية . شعرت زوجة القس أن ثوبها وجسدها قد ابتلا وكأنها سقطت في الماء وأحست بأنها تغرق وتختنق وعلى الشاطيء لبث القديس نيكولا يصلي من أجلها .

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.facebook

وفي اليوم التالي شنقت كورينا زوجة القس كوروغا نفسها في غرفة الدواجن اثر ماوقع لها في دار البلدية .

-١٢٠-

نورا وست في الليلة الاولى في معسكر أوهردروف .

حدثت نورا نفسها : « لايمكن رغم ذلك أن يكونوا قد أوقفونا دونما سبب . »

كانت مستلقية . لم يكن لديها فراش ولاغطاء . لاشيء غير السرير ذي الالواح الخشبية . كان جسمها كله يؤلمها : وركاها ، مرفقاها ، ظهرها ... كل جسمها .

عندما وصلت الى المعسكر قبيل ساعات ، كان الليل قد أرخى سدوله.

فرق الجنود بينهما حال نزولهما من السيارة التي نقلتهما من ( ويمار ) واقتيد تريان الى مكان آخر . أما هي فقد جيء بها الى هنا ..

حدثت نفسها قائلة : « لابد وأن يكون الوقت قد شارف الآن على منتصف الليل . ترى ماهي هوية النساء اللاتي سجن هنا ؟

انبعثت ضحكة مكتومة من الزاوية الاخرى للغرفة .

خيل لنورا أنها ضحكة رجل . غير أن الرجال لايمكن أن يكونوا في معسكر للنساء . أصاخت السمع . تأكدت من أنه رجل . لكنه لم يكن يضحك . شعرت أنه يضاجع امرأة . لأن حركاتهما كانت واضحة .

عاد الرجل يضحك من جديد غير أن الصوت انبعث في تلك المرة من الزاوية الثانية .

أحست نورا بالخوف .

قالت تطمئن نفسها : « لم أخف من هؤلاء الرجال اللذين يقضون سويعاتهم مع النساء ؟ »

غير أنها لم تهدأ ولم تسكن •

صمت أذنيها فلم تعد تسمع شيئاً • غير أنها لبثت تراهم حتى وهي مغمضة العينين • اهتز خشب سريرها ففتحت نورا عينيها • كان الباب مفتوحاً على مصراعيه فرأت عدداً من الرجال يدخلون الى الغرفة ويقفون في وسط المهجع يتحادثون •

وكانت امرأة مرتدية جلباباً واقفة بالقرب منهم •

لم تستطع أن تضبط شعورها فراحت تصرخ • أغمضت عينيها وزمجرت بكل قواها •

لم تعرف هي نفسها لم راحت تصرخ غير أنها استمرت في صراخها ، لأنها كانت تخاف من النساء والرجال الذين كانوا في المهجع • لعلهم سيسحقونها باللكم والضرب لأنها صرخت وحرمتهم بذلك من لذاتهم •

قالت في سرها • « ماكان ينبغي أن أصرخ • ان مافعلته سخيف • سوف يرتمون علي ويضربوني حتى الموت • ولن يكونوا مخطئين في قتلي لأنني صرخت • »

هرع الرجال يغادرون الغرفة فارين • كان عددهم كبيراً • وكان بعضهم مستلقياً على أرض المهجع نفسه مع أن نورا لم تسمع حركاتهم •

وكان آخر قد ضاجع امرأة في سرير مجاور لسريرها مع ذلك فانها لم تسمع صوتاً لحركاته •

والآن غادر الرجال المهجع أشبه بالظلال والاشباح •

ظنت اليونورا وست أنها ترى أولئك الرجال أطول من المعتاد وأشد سواداً من الليل •

ذهب بعض النسوة مع الرجال لكنهن عدن بعد فترة قصيرة وتسللن على أطراف أقدامهن واستلقين في مضاجعهن •

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.facebook

والآن عاد السكون وعادت النسوة كل الى سريرها ماعدا اثنتين منهن لبثتا وسط الغرفة واقفتين في الظلام • كانتا مرتديتين قمصاناً قصيرة صغيرة وكان شبحاهما واضحين في الظلام • كانتا صامتين لاتتكلمان ، ملتصقتين ببعضهما • سمعتهما نورا تأكلان • لقد كانتا تقضمان قطع « الشوكولاته » • انتظرت نورا أن تذهب المرأتان الواقفتان وسط الغرفة الى سريريهما • كانت تخاف أن تضرباها أو أن تذبحاها خلال نومها • غير أن الامرأتين لبثتا واقفتين بهدوء واستمرتا تقضمان الشوكولاته دون أن تنطقا بحرف واحد •

سألت احداهما بصوت منخفض :

ـ من التي صرخت ؟ أليست الغريبة الصهباء اللون التي وصلت مساء اليوم ؟

فأجابت الأخرى :

ـ لست أدري • لكنني لست آسفة على صراخها • كنت قد انتهيت من رجلي ، وماكانت بي رغبة في معاودة الكرة •••

لبثتا تقضمان « الشوكولاته » ، دون أن تتبادلا كلمة جديدة ، بينما راحت نورا تتابع حركاتهما • وأخيراً افترقتا ، ومضت كل منهما الى زاويتها في المهجع ، فاستلقتا على سريرهما • وارتفع صرير أخشاب السرير ثم عاد السكون •

غير أن نورا كانت تختنق • لم تكن تستطيع النوم •

لم يكن في تلك اللحظة أي رجل في الغرفة • وكانت النسوة قد أوين الى مضاجعهن ونمن ، لكن الجو كان عابقاً برائحة الخمر ، والعرق ، ورائحة الرجال الذين يمارسون لذائذهم البهيمية • كانت النوافذ مفتوحة الدرفات • غير أن الرائحة ماكانت تتبدد •

لم تعد نورا وست تستطيع المقاومة •

مكتبة ما لا يدرك بكتب facebook

كانت تقول لنفسها : « ينبغي أن يكون هناك سبب لتوقيفي ، ولولا ذلك لما كنا حيث نحن . »

شعرت بحاجتها الى السعال . لكنها وضعت يدها على فمها ، وكتمت تلك الحاجة : كانت تخشى أن يضربها النسوة ..

## - ١٢١ -

الصبحية الاولى في معسكر اعتقال أوهردروف . فتح تريان كوروغا عينيه ، فوقعتا على ايوهان موريتز .

قال تريان ، وهو يضغط على يد ايوهان موريتز مصافحاً :

ـ لقد نمنا كل الليل جنباً الى جنب ! كيف وصلت الى هنا ؟

قص ايوهان موريتز حكايته على تريان ، بادئاً من النهاية . ذكر أن الضابط قد أتى به الى السجن ، بحجة استقدامه ليقص قصة فراره على القائد . واسترسل موريتز قائلا :

ـ وبدلا من أن يصحبني الى قائد المدينة ألقاني في السجن ! لقد لبثت فيه ، ثمانية أسابيع ، في زنزانة لانوافذ فيها ، ولا اشعاع من ضوء . انتظرت طوال الوقت أن يستدعيني القائد ، لكنه لم يفعل . ثم جاءوا بي الى هنا . هذا كل شيء .

ـ وأنت ، كيف جئت الى هنا ؟

هزّ تريان كوروغا كتفيه .

راح المساجين الذين ناموا مستلقين على الأرض يستيقظون واحداً اثر واحد . كان معسكر اعتقال أوهردروف حقلا كبيراً محاطاً بالأسلاك الشائكة . وكان يضم خمسة عشر ألفاً من السجناء ، ليس فيه الا السماء والأرض والرجال .

مكتبة ماجد الحيدر
facebook
كتب كتب كتب

وعلى أربعة أركان الحاجز الشائك ، وقف جنود مسلحون بالرشاشات قرب مصفحات يراقبون المعسكر ، ويسهرون عليه .

سأل ايوهان موريتز :

ـ هل لديك أخبار عن فاتانا ؟

ونظر الى وجه تريان ، وقال مسترسلا :

ـ لا أستطيع تصديق وجودك هنا ! كيف حدث والتقينا هنا وجهاً الى وجه ؟ لقد بتنا ليلتنا جنباً الى جنب . انني لاأستطيع الفهم ...

ـ ١٢٢ ـ

كان قائد معسكر أوهردروف يهودياً . فاستبشرت اليونورا وست .

قالت تحدث نفسها : « ان اليهودي يستطيع أن يفهم آلامي أكثر من سواه . سوف يساعدني كما يساعد احدى قريباته . سوف يخرجني من هنا . »

صممت على أن تروي له حكايتها ، وأن تتوسل اليه ، وتطلب منه مساعدتها . عزمت على التحدث اليه كما تتحدث مع أخ .

كانت جدران حجرة القائد مغطاة بصور أخذت في معسكرات الاعتقال الألمانية .

راحت نورا وست تتأملها . كانت الصور بحجم الجدار ، تمثل رجالا بين قتلى ومشنوقين وجائعين ، وسجناء يرتدون أثواباً مخططة ، وأشلاء الجثث ، وأعمدة المشانق ، وسيارات كبرى مملوءة بنساء ميتات .

نسيت نورا أين كانت في تلك اللحظة . خيل اليها أنها ، هي الاخرى في معسكر من معسكرات افناء اليهود .

نظرت الى الملازم ذي الشعر الاحمر الفاتح ، الذي كان في المكتب ،

مكتبة ماجد الحيدر
facebook
كتب كتب كتب

وراحت تتوسل اليه بنظرتها ، مبتهلة أن ينقذها من الفناء والجوع ، وغرف الغازات والتعذيب .

غمغمت نورا في سرها : « انني أختك ، أتوسل اليك أن تساعدني ! »

لم تشعر نورا في حياتها أنها أكثر يهودية مما كانت عليه في تلك اللحظة!

قالت نورا :

ـ أيها الملازم !

كان صوتها متهدجاً ، وحنجرتها مضغوطة ، كأن نصالا كانت تخترق حنجرتها وتمنعها من الكلام .

قال الضابط بخفاء :

ـ لايحق لك أن تتحدثي قبل أن تُسألي .

عضت نورا وست على شفتيها وصمتت . راحت تنتظر الأسئلة .

كان الضابط يقرأ دون أن يحفل بها . وأخيراً سألها بجفاء :

ـ ان اسمك اليونورا وست كوروغا ؟ أهي أنت ؟ ان زوجك هو الآخر موقوف ، أليس كذلك ؟

كان الضابط يخاطبها بلغة المفرد . لكن لهجته لم تكن لهجة أخ .

استطرد يسأل :

ـ لقد كان زوجك موظفاً في حكومة الدكتور أنتونيسكو ؟

فأجابت نورا وست :

ـ كان زوجي موظفاً في مملكة رومانيا .

احمر وجه الضابط بعد أن كان شاحباً وازداد الكلف الذي في وجهه دكنة ، وارتعدت شفتاه . سأل قائلا :

ـ لقد وقع في رومانيا استفزاز رهيب ضد اليهود ؟

لم تجد نورا وقتاً كافياً للجواب ، لأنه استطرد يقول :

مكتبة ماجد الحيدر
facebook.كتب.كتب.كتب

ـ ألم يكن في رومانيا معسكرات اعتقال لليهود ؟ لقد كان فيهـا معسكرات ، كان اليهود يفنون فيها ، سواء في غرف الغاز ، أو على أعواد المشانق ، أو رمياً بالرصاص أو بالنطع ...

نهض الملازم واقفاً .

قررت نورا أن تخبره بأنها كانت هي الاخرى يهودية ، وأنهـا استحصلت على أوراق زائفة ، وأنها فرت وظلت ترتعد خوفاً كل ليلة .

زمجر الضابط :

ـ أجيبي على أسئلتي !

اقترب نحوها رافعاً قبضته مهدداً .

تأكدت نورا من أنه سيضربها بجمع قبضته على وجهها ، فأغمضت عينيها ، وانتظرت اللكمات . راح جسدها يرتعد فرقاً ، وفقدت الشجاعة فما استطاعت أن تحير جواباً .

زمجر الضابط :

ـ أجيبي أيتها المجرمة ! كم يهودية قتلت بيديك ؟ أجيبي ! اذا لبثت صامتة مزقتك شر ممزق ! كم يهودية قتلت بيديك هاتين ؟

ظلت نورا صامتة .

ـ ألا تريدين القول ! انك خائفة الآن . الآن فقط ترتعدين . انك تلوثين سراويلك من الخوف ، لكنك لمـا كنت تقتلين ، ماكنت تشعرين بالخوف !

قالت نورا وست .

ـ انني أنا الأخرى ...

صرخ الضابط حانقاً :

ـ أيتها العاهرة النازية القذرة ، أخرجي من هنا ! أخرجي !

كانت قبضته مرفوعة مهددة ، تكاد أن تلامس عينيها ، فلم يسـع اليونورا وست الا الخروج .

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.كتب facebook

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.كتب.facebook

# الباب الخامس

## القسم ٥

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.كتب.facebook

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.كتب.facebook

## - ١٢٣ -

كان تريان كوروغا يكتب . وايوهان موريتز بجانبه ينظر ، بانتباه ، الى الكيفية التي يمسك بها قلمه بأصابعه المشدودة ، وكيف يرسم أحرفه بدقة ، وكأنه ينضد عقداً من اللؤلؤ .

لم يكن ايوهان موريتز جلوداً على الكتابة ، وماكان يحب أن يكتب ، لكنه كان قادراً على البقاء ، ساعات طويلة ، ينظر الى تريان كوروغا وهو يكتب ، دون أن يشعر بملل .

كان ايوهان موريتز يقول في نفسه : « عندما يكتب السيد كوروغا ، يبدو كأنه يصلي أمام « الايقونات » . وعندما ينظر المرء الى السيد كوروغا ، ينسى أنه سجين . انه ينسى أنه حافي القدمين ، طويل اللحيه ، ممزق السراويل . عندما يكتب كوروغا ، فانه يكتب كسيد ، يشعر المرء أمامه برغبته في نزع قبعته ، وبالتحدث اليه بصوت منخفض . »

سأل تريان ، متوقفاً عن الكتابة :

ـ هل سمعت مرة عن مروضي الثعابين ؟

ـ نعم .

فقال تريان :

ـ لقد لبث القديس دانيال في حفرة مع الأسود ، دون أن تفترسه . لقد سيطر عليها . ان الرجال يستطيعون ترويض الثعابين ، والسيطرة على الأسود . لقد كان لدى موسوليني نمران في مكتبه . لقد حولهما من

مكتبة عبد الحميد كتب facebook

وحشين ضاريين الى حيوانين أليفين • ان الانسان يستطيع السيطرة على كل الحيوانات المفترسة • غير أن حيواناً جديداً ظهر على سطح الارض في الآونة الاخيرة • وهذا الحيوان الجديد اسمه : المواطنون • انهم لايعيشون في الغابات ، ولافي الادغال ، ولكن في المكاتب • مع ذلك فانهم أشد قسوة ووحشية من الحيوانات المتوحشة في الادغال • لقد ولدوا من اتحاد الرجل مع الآلات • انهم نوع من أبناء السفاح ، وهم أقوى الاصول والاجناس الموجودة الآن على سطح الارض • ان وجههم يشبه وجه الرجال ، بل أن المرء غالباً مايخلط بينهم • ولكن لايلبث المرء حتى يدرك ، بعد حين ، أنهم لايتصرفون كما يتصرف الرجال ، بل كما تتصرف الآلات • ان لهم مقاييس وأجهزة تشبه الساعات ، بدلا من القلوب • وأدمغتهم نوع من الآلة ، فهم بين الآلة والانسان ، ليسوا من هذه ولا من ذاك • ان لهم رغبات الوحوش الضارية ، مع أنهم ليسوا وحوشاً ضارية • بل انهم مواطنون ••• انها سلالة غريبة اكتسحت الارض •

راح ايوهان موريتز يحاول تصور المواطنين ، لكنه لم يفلح • انتقل تفكيره خلال فترة الى ماركو غولدنبرغ • غير أن تريان استرسل في الحديث ، فطرد صورة ماركو من خيال موريتز •

استطرد تريان :

ـ انني كاتب • وفي نظري أن الكاتب نوع من مروض • انه عندما يظهر للبشر الجمال ، وأقصد الحقيقة ، فانه يرهف شعورهم • أما أنا ، فأريد أن أروض المواطنين• لقد بدأت في كتابة هذا الكتاب ، وبلغت الفصل الخامس • ثم أوقفني المواطنون وسجنوني ، فانقطعت عن الكتابة • لذلك فان الفصل الخامس لم يبدأ بعد •

« والآن لم تعد هناك حاجة لكتابة الفصل الخامس •

مكتبة ماجد الحيدر
www.facebook.com/groups/kotob.kotob

« انني لن أنشر كتباً بعد اليوم . وبدلا من الفصل الخامس أريد أن أكتب شيئاً لأروض به المواطنين .

« واذا نجحت في ترويضهم ، فسأموت قرير النفس . سأقرأ لك ماسأكتبه . انه لن يكون رواية ، ولاقطعة مسرحية ، لأن المواطنين لايحبون الأدب . ولكي أستطيع ايناسهم ، واخضاعهم ، فسأكتب بالاسلوب الذي يتقبلونه . سأكتب « معروضات » . ان المواطنين لايجدون من وقتهم مايضيعونه في قراءة الروايات ، والمآسي ، والمقطوعات ، لكنهم يقرأون عروض الحال .

- ١٢٤ -

عرض حال رقم ١ - الموضوع اقتصادي « مواد دسمة . »

سأرسل اليكم عروض أحوال كثيرة ، وسأبدأ بموضوع اقتصادي . انني أعرف أن المدنية الآلية مبنية على أسس مادية ، وان الاقتصاد انجيلكم . انني شخصياً كاتب ، وكل كاتب « شاهد » قبل كل شيء .

ان الميزة الاولى للشاهد هي الحياد الذي يجب أن يتصف به . وبناء على ذلك ، فان عروض الاحوال التي سأقدمها ستكون شواهد على الحقيقة .

ان المشكلة التي سأعرضها عليكم ، تبدو لي شديدة الأهمية . انها تتعلق بالمواد الدسمة .

انكم ولاشك على علم بنقص المواد الدسمة والحاجة الماسة اليها ، التي يعرفها العالم أجمع . انني ، عندما وصلت الى هذا المعسكر ، وجدت المساجين ينامون على الارض ، الواحد بجانب الآخر . فلم أجد مكاناً أستلقي فيه الا بمشقة . وكنت خارجاً من السجن ، وكنت منهوكا . لاحظت أن الحقل الذي يحيط بالمعسكر متسع كبير جداً . فلم أفهم سبب تضييقكم فسحة المعسكر الى هذا الحد .

مكتبة عبد الحميد كتب كتب على facebook

ان الخمسة عشر الف سجيناً ، الموجودين في هذا المعسكر ، يمكثون ملتصقين بعضهم ببعض . فاذا وقفوا ، ظلت مساحة قليلة خالية . أما اذا أرادوا النوم ، فان المساحة شديدة الضيق ، حتى أنهم يتراكمون بعضهم فوق بعض . انني ، شخصياً ، لم أستطع مدّ ساقي طيلة الليل ، فكان كل من حولي يضعون أقدامهم فوق رأسي . كانت أرجلهم حارة ، لذلك ، ولما كانوا متمددين فوق جسمي طيلة الليل فانني لم أشعر بالبرد .

أعتقد ، الآن ، انني فهمت السبب الذي من أجله ضيقتم فسحة المعسكر الى هذا الحد . ذلك لأن المساجين يطأون الحشائش بأقدامهم ، بينما أنتم ترغبون في توفير تلك الحشائش في الحقول ، لانها مرتفعة الثمن ، ولأنه من المؤسف أن تطأها الاقدام ، دون أن ينجم عن ذلك أية فائدة . ومن الخير أن تعطى تلك الحشائش لبقرة تجترهـا ، لأن البقرة تعطي الحليب . أما المساجين ، فانهم لايعطون شيئاً .

ومن جهة أخرى ، فان جعلكم رحبة المعسكر أكثر اتساعاً ، كان سيكلفكم مزيداً من الأسلاك الشائكة ، وهذه الأسلاك مرتفعة الثمن ، فما كان من الضروري انفاق مبالغ طائلة لمجرد اتاحة مساحة أفضل للمساجين ، حتى يستطيعوا النوم براحة على طول أجسادهم .

كذلك ، فانه عندما يحين البرد ، ويحل موسم الامطار ، فان معظم المساجين سيموتون ، بينما سيموت بعضهم قبل ذلك . وعليه ، فان الذين يظلون على قيد الحياة بعدهم سيجدون ولاشك المكان الكافي للاستلقاء ، وتمديد سيقانهم . انني أعتقد بأنكم عنيتم ذلك ، عندما بنيتم هذا المعتقل ، فلا أستطيع والحالة هذه الا أن أنحني أمام دقة نظرياتكم الفنية .

لقد أصغيت ، قبل أن أنام ، الى محاضرة . كان المحاضر – وهـو

مكتبة ماجد الحيدر
facebook
كتب. كتب. كتب

أستاذ في جامعة برلين ـ يحدثنا عن المواد الدسمة ، وانني سأشرح لكم في عرض الحال هذا خلاصة محاضرته .

لقد أحصى الاستاذ حبات الفاصولياء التي تقدم الينا في الحساء الذي نأكله في المعسكر كل يوم .

لبث يعد ثلاثين يوماً ، كل ظهر ومساء ، جميع الحبات التي تحويها قصعته . ثم جمع ، واستخرج نسبة وسطية . وهو يؤكد ، بناء على احصاءاته ، أن السجين الواحد يتلقى يومياً في وقعة الطعام عشر حبات من الفاصولياء فقط . وكان المستمعون الى محاضرة الاستاذ قد عدّوا بدورهم محتويات قصعاتهم ، فأيدوا حساب الاستاذ الدقيق وأكدوه .

ثم أحصى الأستاذ قشور البطاطا ، واستخرج حسابياً كمية الطحين الموجودة في الحساء . ولاشك أن هـذا الحساب الأخير تقريبي ، لأن الأستاذ ، لايُسمح له بالدخول الى المطبخ .

انكم تعرفون ، مثلي ، أن الألمان قوم أقوياء في مشاكل القياسات والاحصاءات ، لذلك فانه يحق لنا أن نعتقد ونؤمن أن حبات الفاصولياء قد أحصيت بدقة متناهية . ان الألمان شديدو الصبر ، كثيرو التدقيق . وبعد ثلاثين يوماً من العمل والاحصاء المتواصل ، أنهى الاستاذ دراسته ، وألقى محاضرته التي قدّرها المستمعون حق قدرها . ان الألمان شغوفون بالاستماع الى المحاضرات ، والبحث فيها عن شتى المواضيع على اختلافها . انها عادة عندهم ، ترجع الى العصور الوسطى . وبعد أن سرد الاستاذ كيف استطاع احصاء الحبات ، بتصفية حسائه كل يوم ، بيّن عدد الحريرات الموجودة في كل حبة ـ ولست أذكر الرقم على وجه الدقة ـ ثم أحصى عدد الحريرات التي تنتج عن احتراق الحبات العشرة ، وأضاف اليها عدد الحريرات الكامنة في البطاطا والدقيق ، الذي لم يلحظ المساجين وجوده

مكتبة ماجد الحيدر
كتب كتب كتب facebook

في حسائهم ، والذي يؤكد الاستاذ وجوده • واستنتج من ذلك أن كل سجين في المعسكر ، يتلقى وسطياً ، خمسمائة حريرة كل يوم • انه ولاشك يتلقى أحياناً أقل من هذا العدد • فقد وقع للأستاذ نفسه أنه لم يجد يوماً حبة واحدة من الفاصولياء في حسائه ، وانه أمضى الايام الاخيرة منقطعاً عن الاحصاء ، لأنه لم يجد مايحصيه • غير أن هذا الشح يقابله ، في أيام أخرى ، اغداق في الكرم ، اذ يبلغ عدد الحبات أحياناً خمس عشرة حبة ، ويرتفع هذا الرقم أحياناً الى ثماني عشرة • واذن فان المعدل صحيح•

ان المساجين ، في المعسكر ، لاينامون كل النهار • ومع ذلك فقد وضع الاستاذ حساباته على أساس أن المساجين يستهلكون ، في حالة اليقظة ، عدداً من الحريرات مساوياً لما يستهلكونه في حالة قضائهم النهار كله في النوم • فوجد أن أقل كمية من الحريرات اللازمة لبقاء السجين في حالة حيوية تبلغ الف حريرة •

ان المساجين يتلقون خمسمائة حريرة في حبات الفاصولياء ، فعليهم اذن أن يستهلكوا خمسمائة حريرة أخرى ، من احتياطهم من الشحن • وبعبارة أصح ، من رأس المال المجمد في أجسادهم كل يوم ، فان السجين يفقد شهرياً ثلاثة كيلو غرامات من وزنه •

ان كل هذا ، ولاشك ، مأخوذ على حساب المعدل • لقد وزن الأستاذ نفسه المساجين في ميازين ، مستعملا وحدات اصطلاحية • مع ذلك ، فقد أثبتت التجربة أن تلك الادوات التي ابتكرها كانت دقيقة • فاذا جمعنا الكيلوغرامات الثلاثة من الدهن ، التي يخسرها كل سجين بتحويلها الى حريرات ، نستنتج أن في معسكر أوهردروف ، الموضوع تحت سلطتكم الادارية ، خسارة قدرها خمسة وأربعون الف كيلوغرام من المواد الدسمة شهرياً ، أي أنه في كل شهر يتبدد من هذا المعسكر وحده ، حمولة خمس

مكتبة ماجد الحيدر
facebook
كتب كتب كتب

عربات من عربات السكة الحديدية • ان الخمسة عشر ألفاً من المساجين يبددون ، في الهواء المحيط بهم ، هذه الكمية الهائلة من المواد الدسمة • ولكم أن تحصوا الخسارة التي تنجم عن ذلك • انني شخصياً لست اقتصادياً ، لذلك لن أستطيع ابداء أي حل ، أو اقتراحه • ومع ذلك ، فانني مقتنع بأنكم تستطيعون بفضل الوسائل الآلية التي تملكونها ، الافادة من هذه المواد الدهنية الحية • فلم اذن تدعونها تضيع ؟

هذا هو موضوع عرض الحال المقدم اليوم •

انني واثق من فهمكم الأمر ، لأنكم تنتمون الى أرقى سلالة في الحضارة الآلية ، ولعلكم ترفعون تقاريركم بهذا الصدد الى المجامع العلمية في بلادكم •

انها بربرية أن يترك المرء خمسة وأربعين الف كيلوغرام من الدهن تضيع هباء كل شهر • ان لديكم معسكرات أخرى ، وأعتقد أن عدد هذه المعسكرات يبلغ ، في ألمانيا وحدها ، أكثر من مائتين • فلديكم اذن ، كل يوم ، جبال من الدهن الطازج •

انني ، منذ أن أن استمعت الى محاضرة أستاذ برلين ، استنشق العبير الذي يتضوع في الأجواء ، وأجد أنه مشبعاً برائحة دهن الانسان •

ان معسكركم عبارة عن مكبس جبار لاستخلاص شحم المساجين • انني أشم رائحة هذا الشحم في الهواء • ألا يحدث لكم استنشاق هذه الرائحة مثلي ، كلما فتحتم نوافذ مكاتبكم ؟ ان ثيابكم كلها مجبولة فيها • فتفضلوا بالسؤال من زوجاتكم أو عشيقاتكم ، اللواتي تنامون بقربهن ليلا ، عما اذا كن لايجدن في الرائحة التي تفوح من شعركم وجلودكم رائحة شحم الانسان ؟ ان النساء يفقن الرجال بحاسة الشم • فاسألوهن يجبنكم • أما أنا ، فان مجرد التفكير في هذه الحقيقة تضطرب له نفسي ، وأشعر منه

مكتبة ماجد الحيدر على facebook

بالغثيان • تفضلوا بقبول تحياتي ، والتأكد بأنكم ستجدونني أبداً من أكبر المعجبين بالحضارة التي تمثلونها • انني واثق من أنكم ، بفضل مصادركم وأساليبكم الآلية التي تمتلكونها ، تستطيعون الافادة من كل هذه الكمية من الشحم • ( ولاتنسوا أنني ، شخصياً ، أقدم لكم كل شهر ثلاثة كيلوغرامات من جسدي الخاص • )

الشاهد

## - ١٢٥ -

عرض حال رقم ٢ ـ الموضوع : علم الجمال • ( غاية الجمال البشري في المجتمع التكني الغربي ) •

لقد تناقشت مساء أمس في موضوع الجماليات مع أستاذ ألماني ••• فتنازعنا • ان الألمان ، كبقيه الأوربيين ، لازالوا متقدين بالكلاسيكية في هذا الفن • لذلك فقد انهار مجتمعهم • انمجتمعاً سليماً متطوراً كمجتمعكم يملك فنه الحديث •

ان الأستاذ أشار الى السجناء الذين كانوا يتجولون في المعسكر ، ودلني على هؤلاء الذين لم يبق لهم ـ كما لاشك تعرفون ـ الا العظم والجلد • قال لي الأستاذ الالماني ان هؤلاء المساجين بشعون ، لانه لازال مقتصراً ، في تفكيره ، على مثال الجمال اليوناني • أما أنا ، فانني أجد أن الرجال الذين تحولوا الى هياكل عظمية تغطيها جلودهم ، غاية في الجمال ، يكونون أمثلة حقيقية من الفن الحي •

لقد حاولت اقناع الالماني بأن مجتمعكم ، يقدر الجمال لدرجة لم يبلغها أي مجتمع حتى يومنا هذا ، وانكم تمارسون مهمّة تبديد الشحم والدهن من الأجساد البشرية ، لأسباب جمالية بحتة تهدفون من ورائها الى تجميل العالم • لكنه لم يفهم • والالمان يفهمون بصعوبة • لذلك يقال

مكتبة ماجد الحيدر
facebook
كتب كتب كتب

انهم ذوو رؤوس مربعة • سأحاضر غداً في موضوع غاية الجمال البشري ، في الغرب المتمدين •

هناك نحات سويسري ، اسمه ألبرتو جياكوميتّي ، حقق في حقل النحت المبادىء اياها ، والغايـة اياها ، عن الجمال المذكر والمؤنث ، التي حققتموها في الحياة العملية ، بتبديد الدهن واللحم ، من الأجساد البشرية ! انه ، هو الآخر ، جهد وهو ينحت تماثيله على أن يسقط الدهن والشحم من الجسم البشري ، ومن الفراغ •

ان الجسم البشري ، قد حول بهذا الشكل ، الى مقياس واحـد • فأخذ أشكالا ممددة جافة ، لاتزيد على حجم سلك حديدي •

انكم تنحون النحو ذاتـه في المعسكر • انني أعرف منذ الازل أن حضارتكم كلها مبنية ، على مبادىء جمالية •

وغداً عنـدما يصبح سطح الكرة الارضية معمورا ببشر من ذوي الأجساد المتحولة ، بحسب قوانين الجمال الجديدة ، وأعراف فن جياكوميتي وفنكم ، فان العالم سيشع ثناء وجمالا !

الشاهد

## - ١٢٦ -

قال تريان كوروغا :

ـ ياعزيزي موريتز • لقد كتبت حتى الآن حوالي أربعين شكوى ، أردت أن أبين لهم فيها الحقيقة ، وأن أقنعهم بالعزوف عن تعذيب البشر • انني واثق من أنني على صواب • لقد نظمت كل شكوى ببراعة ، ولكن عبثاً • لقد استعملت الانشاء القضائي ، والانشاء الدبلوماسي ، ثم الاسلوب البرقي وأسلوب حسابات المطابخ ، ثم الاسلوب الاذاعي • فكنت على التتالي

مكتبة ملك الحيدر Facebook كتب كتب كتب

عاطفياً ، أو مبتذلا ، أو متوسلا • سألتهم عدالة بكل الوسائل التي وضعها اليأس في متناول يدي ، لكنني لم أتلق أي جواب •

لقد قلت لهم أكثر الحقائق ايلاماً ، لكنهم لم يغضبوا • لقد جثوت على ركبتي لأكتب لهم ، لكنني لم أوفق في اثارة اشفاقهم•وقد أهنتهم بغلظة، لكنهم لم يشعروا بالاهانة • لقد أردت اضحاكهم ، أو اثارة فضولهم ، ولكن عبثاً • انني لم أوفق في ايقاظ العواطف النبيلة فيهم ، كما لم أوفق في تسخير شهواتهم العادية • انني لم أتوصل الى ايجاد أي ردّ فعل في نفوسهم • لقد كان أفضل لي ، لو كتبت الى حجارة • انهم عديمو الشعور ، لايعرفون الكراهية ، ولا الانتقام • والشفقة غريبة عنهم • انهم يعملون آلياً ، ويجهلون كل ماهو غير مسجل في البرامج • قد اقتطع جزءاً من جسدي ، وأكتب عليه بدمي الساخن الشكاية المرة • لكنهم لن يقرأوا شكايتي • سوف يلقون بها الى سلة المهملات ، كما فعلوا بما قبلها • بل انهم لن يعرفوا أنها قطعة من اللحم ، اللحم البشري الساخن • ان الرجل لاقيمة له عندهم • انها لامبالاة المواطن حيال الانسان ، ذلك الاغفال الذي تخطى مثيله عند الآلات •

قال ايوهان موريتز باشفاق :

ـ ياسيدي تريان المسكين ! ماذا تنوي أن تفعل ؟ أنني أعتقد شخصيا ، بأن من الافضل الانقطاع عن الكتابة •

قال تريان :

ـ بل سأستمر • لن أتوقف الا اذا مت • لقد روض الانسان كل الحيوانات المتوحشة ، فلم لانروض المواطنين ؟

فقال ايوهان موريتز •

ـ لعله ينبغي أن تتصرف على نحو جديد • أعتقد أنك بالكتابة لن تصل الى أية نتيجة •

مكتبة ماجد الحيدر
facebook كتب كتب كتب

ـ ان انتصارات البشر كلها ، منذ أن وجد على سطح الارض ، كانت انتصارات العقل • وبفضل العقل ، سنستطيع أخيراً ، السيطرة عـلى المواطنين في مكاتبهم •

اذا لم نتوصل الى ترويضهم ، فانهم سيمزقوننا اربا ، مهما بلغ شأننا •

ينبغي لنا أن نعلمهم أن لايمزقوا الرجل عندما يلتقون به • واذا لم نعلمهم ذلك فاننا لن نستطيع السكنى على هذه الارض ، وفي ذات المدن، وفي ذات البيوت ، التي يسكنون فيها • ان المهمة أكثر صعوبة من ترويض الافاعي ، والسيطرة على النمور • لكنني لم أكن مرة أكثر تفاؤلا مما أنا عليه اليوم • انه ولاشك تفاؤل الرجل قبل الموت • ان تشنج النزع عندي، هو فصل عروض الاحوال ، من الساعة الخامسة والعشرين ، لكنني سأكتبه!

## -١٢٧-

عرض حال رقم « ٣ » ـ الموضوع : اقتصادي ( سجناء لم يعد لهم الا نصف أجسامهم أو ثلثها • )

لقد استطاع صديق لي بمساعدتي ، أن يفصل خلال أربعة أيـام السجناء الذين لم يعد لهم الا نصف أجسامهم أو ثلثها في هذا المعسكر •

ان صديقي لم ينه احصاءاته بعد • انـه طويل الباع في الحساب ، لكنني تعجلت في الكتابة اليكم ، لأن المسألة بدت لي مستعجلة من وجهة النظر الاقتصاديـة • انكم تستطيعون كل يـوم توفير بضعة ملايين من المباركات على الاقل •

اليكم الامر كما هو : ان بين الخمسة عشر الف معتقلا المسجونين معي ، ثلاثة آلاف على الاقل ، لايملكون أجسادهم كلياً•فمنهم مائتان فقدوا سيقانهم ، وهم يزحفون كالزواحف في المعسكر ، وألف ومائتان لايملكون

مكتبة عبد الحميد كتب كتب كتب .facebook

الا ساقاً واحدة ، وعدد آخر ، ذراعاً ، بينما هناك بعضهم أشلاء تماماً • هذا من حيث المظهر •

غير أن عدداً كبيراً منهم فقدوا عضواً داخلياً : رئة ، أو كلية ، أو عظاماً ••• الخ وأربعين سجيناً فقدوا الابصار •

ان كل هؤلاء الاشخاص ، قد أوقفوا آلياً ، مثلي تماماً • وقد أشفقت عليهم في البداية • ان صديقي ايوهان موريتز ، يغمض عينيه كلما وقع بصره على المقعدين ، وكبار المشوهين في المعسكر • لكن ايوهان موريتز ، رجل بدائي•انه لايفهم أنّ التوقيف « أوتوماتيكي » ، وأنه لايمكن للمرء أن يفلت منه لأنه فقد ساقاً أو عيناً أو أنفاً أو رئـة ، طالما أنه يمت الى فصيلة ينبغي أن توقف وتسجن • ان التوقيف الآلي ، لاينظر في استثناءات تتعلق بأولئك الذين يملكون أجساداً في حالة متعطلة • وانه لمن العدالة أن يكون كذلك • ينبغي أن تعم العدالة ، وتنفذ دون استثناء •

يوجد في هذا المعسكر أستاذ أبتر الساعدين ، أشل ، لأنه فقد ذراعيه أثناء الحرب ، فلما أصدرتم الامر بتوقيف الاسـاتذة ، ماكان من العدل والانصاف توفير صديقي الاستاذ ، لانه فاقد الذراعين • اذ ماهي العلاقـة بين واقع التوقيف والذراعين ؟ أية علاقة • انه أستاذ ، واذن ، ينبغي أن يوقف مع كل أفراد الفصيلة التي ينتمي اليها ، وهذا ماعملتموه ، وأنتم لاتخطئون أبداً ! انني من أجل هذا ، معجب بكم كل الاعجاب ، وأنا قادر على التضحية بحياتي في أية لحظة ، في سبيل حضارتكم الكبرى الممتازة • انكم العدالة والدقة المجسدتان •

لكن لنعد الى موضوعنا : ان أجزاء البشر هؤلاء ، الذين لم يعد لهم الا بقايا من الجلد والجسد ، يتلقون كل يوم الكمية الغذائية المخصصة للسجناء الكاملي التكوين • ان حكومتكم تقوم بتضحيات جسيمة ، لتؤمن

مكتبة ماجد الحيدر
facebook كتب كتب كتب

الحصص الغذائية للسجناء • لكن كلمة سجين تعني رجلا كاملا • فاذا جمعتم أولئك المشوهين ، وأحصيتم عـدد أيديهم وأرجلهم ، وعيونهـم ورئاتهم ، لوجدتم أنهم ألفان بدلا من ثلاثة آلاف رجل •

باستطاعتكم ، اذن توفير الف حصة غذائية في اليوم على الاقل •

فلمَ اذن تنفقون المال لتغذية أعضـاء لايملكها المساجين ؟ ان كرما من هذا القبيل ، هو في الحقيقة في غير محله •

انني أعتقد بأن السلطات العليا سترضى عنكم كثيراً اذا أعلمتموها بالموضوع • بل ولعلكم ستمنحون أوسمة ، لأنكم بذلك تحققون وفراً كبيراً للدولة • ان كل انسان يعرف أن المال هو كل ماله أهمية في الوجود• لذلك سمحت لنفسي بالخوض في هذا البحث ، استناداً الى هذه النظرية •

الشاهد

## - ١٢٨ -

عرض حال رقم « ٤ » ـ الموضوع : عسكري ( تبديل الجنس ) •

لقد ظهرت على المساجين في المعسكر ، بعض الاعراض بسبب الجوع يمكن أن تشكل بالنسبة اليكم ، أهمية عسكرية كبيرة • واليكم خلاصـة تلك الاعراض في بضع كلمات : ان المساجين الموقوفين منذ زمن طويل ، والذين قضوا كل هذا الزمن معتمدين على خمسمائة حريرة يومياً ، لـم يعودوا في حاجة الى حلق لحاهم • أصبح الرجال منهم الذين اعتادوا على ازالة لحاهم مرة أو مرتين في اليوم ، لايمارسون هـذا الواجب بعد أن أدخلوا الى المعسكر الا مرة كل يومين ، ثم مرة كل أسبوع ، ثم مرة في الشهر الواحد • وأخيراً ، كفوا نهائياً عن هذا العمل ، لأن شعرهم أصبح نادراً يشبه الزغب • وسوف يؤول هذا الزغب الى الفناء من تلقاء نفسه • لقد أصبحت وجوههم تشبه في نعومتها وجمالها وجوه النساء • لكن الأمر

مكتبة مالد الجبير
www.facebook.com/groups/kotobpdf

لم يقتصر على هذا النحو • اذ أن أصواتهم أيضاً قد تخنثت ، وأثداءهم قد انتفخت حتى بلغت عند بعض المساجين حجم أثداء فتيات الثالثة عشرة ، وغدت جلدوهم ناعمة حريرية كبشرة النساء • لكنني لاأعرف تماماً ماآلت اليه أعضاؤهم التناسلية • غير أنني واثق من أن تلك الاعضاء ستنتهي الى السقوط ، والتحول الى أعضاء نسوية بفضل قانونكم الغذائي ، وخصوصا اذا عمدتم الى انقاص الحصص الغذائية عما هي عليه • ان الأطباء يدعون أن هذا يرجع الى نقص الغذاء ، وأن الحرمان من التغذية يحول تحويلا خطيراً ، بل ويوقف الافرازات الهورمونية ، ذات المفعول المزدوج : الآندروجين ( أي الهورمون الذكر ) والاوستروجين ( أي الهورمون المؤنث ) •

« ثم أن الكبد الضعيفة ، لايمكن أن تمارس مهمتها كمنظم للهورمونات : بل انها قادرة اذا ازداد ضعفها ، على اتلاف هورمونات الآندروجين المتزايدة مع الاستمرار في الابقاء على الهورمونات الأنثى •

« وحينما يختل التوازن الهورموني ، فان التكوين العضوي يبشر بتحول أنثوي ! » •

ان هذه الملاحظة ، يمكن أن تكون ذات أهمية عسكرية قصوى في حضارتكم • يكفي أن تفكروا في الهدوء الذي سيعم الأرض ، فيما اذا وضعتم كل أعدائكم البرابرة في معسكرات اعتقال ـ كما فعلتم الآن ـ وأعطيتموهم بضع مئات من الحريرات يومياً ليصبحوا جميعهم نساء بعد حين • ستكون الامة العدوة لكم ، محرومة من الذكور • واذن ، فانكم لن تجدوا من يعلن عليكم الحرب • انني أعتقد بأن هيئة الأركان عندكم ، ستستعمل هذا الاكتشاف وتفيد منه ، وانني استناداً الى العقلية العملية والابداعية الرائعة في حضارتكم ، أعتقد بأنكم ستطبقون أيضاً عكس هذه

مكتبة ماجد الحيدر
facebook كتب كتب كتب

العملية : فتزيدون تغذيـة النساء في بلادكم ، ممن يتطوعون للتحول الى رجال ، وبذلك تحصلون على الأيدي العاملة اللازمة .

لذلك أعرض عليكم تخفيف الحصص الغذائية التي تمنحونها للسجناء في معسكركم ، الحاوية عـلى خمسمائة حريرة ، وانقاصـها ، وبذلك ستحولون المساجين الى نساء حقيقيات بسرعة زائدة .

الشاهد

## - ١٢٩ -

الاستعدادات للرحيل . كان يجب نقل الخمسة عشر الف سجيناً الى معسكر آخر . كانت الساعة الثانيـة صباحاً . والمصفحات وسيارات النقل منتشرة حول المعسكر ، وقد أضيئت كل المشاعل والانوار ، بما فيها مصابيح المصفحات ، فحولت الظلام الى نهار . وكانت الاسلحة من كـل العيارات ، مصوبة الى جماعة المساجين الذين كانوا يتدفقون من البوابـة كالنهر الهادر . مشى تريان كوروغا وايوهان موريتز جنباً الى جنب ، وكانت أسنان موريتز تصطك ارتعاداً .

كان أمام الباب فصيلتان من الجنود المسلحين بالعصي ، فكانوا يحصون المساجين ، ويقسمونهم الى جماعات .

قال تريان :

ـ انهم يريدون حشرنا كل سبعين منّا في سيارة تتسع في الأحوال العادية لعشرة رجال أو لاثني عشـر رجلا . فكيف سيوفقون في ذلك ؟ هل سمعت من قبل بقانون استحالة تداخل الأجساد البشرية ؟

لم يجب موريتز . كان يرتعد . راح تريان يرقب الجنود بانتباه وهم يملأون السيارة الاولى . ادخلوا فيها بادىء الأمر عشرين رجلا ، ثم راح الجنود يضربون الراكبين بعصيهم ، فأخذ هؤلاء يتقلصون ويلتصق

مكتبة عبد الحميد كتب facebook

بعضهم ببعض ، وعندئذ أمر الجنود عشرة آخرين بالصعود . ثم عادت العصي الى العمـل ، فراح الوافدون الجدد ينكمشون ، محاولين تفادي الضرب ، وبذلك أخلوا فراغاً جديداً ، فصعد عشرة آخرون . كان يمكن للناظر عندئذ أن يقسم ايماناً مغلظة على أنه يستحيل ايجاد مكان لطفل صغير . لكن الجنود لم يقنعهم ذلك . قلبوا أسلحتهم وراحوا يضربـون المساجين بأعقابها ، فازدادوا التصاقاً بعضهم ببعض ، وأفسحوا مكاناً لعشرة آخرين . وهكذا ، لم يبق من السبعين رجلا من ظل على الارض بسبب انعدام المكان في السيارة . وعندئذ ، كف الجنود عن الضرب ، وانتظرت السيارة أوامر الحركة .

صعد تريان كوروغا الى السيارة ، ممسكاً بايوهان موريتز من يده ، لأنه كان يأبى الافتراق عنه . قال تريان :

ـ ياصديقي موريتز العجوز ، لم تعد في الدنيا قوانين قطعية . ليس لعلم الفيزياء نفسه قوانين لاتتبدل ، لان هذا العلم يزعم أن جسمين لايمكن لهما أن يشغلا معاً مكاناً واحداً في الفراغ . بينما في حالتنا الحاضرة يشغل سبعة رجال مكان واحد . فهل يمكن بعد ذلك الاعتماد على علم الفيزياء ؟ هل سمعت شيئاً عن بيكاسو ؟

ـ كلا ، ياسيدي تريان .

كان صوت ايوهان موريتز مختنقاً مكتوماً .

كان تريان طويل القامة ، يستطيع بذلك الحصول على الهواء . أما ايوهان موريتز ، فكان قصيراً ينسحق رأسه بين صدور من حوله ، فكانت رئتاه مضغوطتين لدرجة جعلتهما لاتحويان نفحة من الهواء .

قال موريتز :

ـ انني أختنق !

مكتبة ماجد الحيدر
facebook
كتب كتب كتب

انتابه ذعر مريع وشعر برغبة في البكاء • كان لايستطيع الحراك ، وأنفه يبحث عبثاً عن الهواء ، عن كمية مهما ضؤلت • لكنه ماكان يجدها • قال :

ـ انني أختنق ، ياسيدي تريان • انني أشعر بأني أموت !

ـ أجبني هل سمعت شيئاً عن بيكاسو ؟

قال موريتز :

ـ لم أسمع شيئاً عنه • انني لاأعرف شيئاً • ولكنني أختنق ، وهذه هي النهاية ولاشك •

أراد تريان أن يرفع رأس موريتز قليلا ، لكنه ماكان يستطيع تحريك ذراعيه • بل أنه كان عاجزاً عن تحريك عضلة واحدة • لقد كان جسمه مسحوقاً محولا الى الحد الادنى من الحجم • لكن رأسه كان سابحاً فوق الرؤوس •

قال تريان :

ـ ان بيكاسو هذا ، أكبر رسام في المجتمع الغربي •

قال موريتز :

ـ انني لا أسمع شيئاً • انني أتوق الى اخراج أنفي من هنا ، ولو فتحة واحدة منه • أتوسل اليك ياسيدي تريان أن تساعدني • انني أموت !

حاول تريان أن يوفر له بعض الفراغ ، لأن رأس موريتز كان في تلك اللحظة مضغوطاً على صدره •

ـ لقد رسم بيكاسو صورتك كما أنت الآن ، في هذه السيارة ياصديقي العجوز •

سأل موريتز :

ـ صورتي ؟ انني لا أسمع شيئاً ، لأن أذني مسدودتان •

مكتبة ماجد الجبير
كتب . كتب . facebook

كرر تريان :

ـ صورتك • انها تشبه الصورة تماماً • وصورة سيارتنا حيث يشعل سبعة رجال مكاناً في الفراغ يكفي لرجل واحد • فلواحد خمس سيقان ، ولآخر ثلاثة رؤوس ، ولكنه محروم من الرئات • أنت مثلا ، ان لك صوتاً ولكن ليس لك فم • وأنا ليس لي الا الرأس محروم من الجسد ، رأس يرتفع في الفضاء ، فوق سيارة النقل ••• انني عندما شاهدت لوحته للمرة الاولى ـ وكان ذلك في باريز ـ أعجبني كثيراً • بيد أنني لم أفهم الغاية منها • لكنني الآن أكاد أجزم بأنني فهمت • انها صورة هذه السيارة ، وقد رسمت بدقة متناهية ، دون أن يفلت الرسام أية لحظة أو تفصيل • لقد رسم كذلك معسكرنا • انه يرسم كما لو كان يصور ، ولايهتم الا بالأشياء الواقعية • انه رسام عبقري •

بدأت السيارات تصعد الطريق ، فراح تريان ينظر الى الرجال حوله • لم يكونوا مخلوقات بشرية ، بل انه لم يكن في السيارة كلها مخلوق حي واحد عندما كانت تخترق طرق القرية الغارقة في الظلام • مع ذلك ، فان الرجال في تلك السيارة لم يكونوا أمواتاً • كانوا يتأرجحون بين الموت والحياة • كانوا خلال لحظة أحياء ، وفي اللحظة التي تليها أمواتاً • بل وكانوا أحياناً أحياء أموات في آن واحد • وفي النطاق الذي يشغلونه ، لم يكن هناك فراغ • لقد حذف الفراغ كله ، حتى قتل ومات •

لم يكن في النطاق الذي يشغلونه الا التشنجات ، فالعيون كانت تشنجات ، واللحم والدم والهواء ، والوقت والتفكير ، كانت كلها تشنج • لم تكن للرجال أشكال ولا عقول ، لم يكونوا الا تشنجات •••

سأل تريان :

ـ هل تستطيع التنفس بعد ؟

مكتبة ماجد الحيدر
facebook.كتب.كتب.كتب

ـ لست أدري • انني أشعر أن نعم • ولكن بواسطة فتحة واحدة من أنفي ، وفي فترات معينة فقط • نني أتنفس هنا ، فـوق صدرك ، خـلال ضلوعك •

قال تريان :

ـ ان فتحة واحدة ينبغي أن تكفي • أصغ الي ، انني سأحدثك بأمر ذي أهمية قصوى •••

فقال موريتز :

ـ لاأستطيع الاستماع الى شيء • اعذرني اذا أمرت •

ـ حاول ، أن الأمر عظيم الاهمية :

ان كل رعب يمكن أن يحدَّد[1] •

وكل حزن يبلغ نهاية ما :

ليس في الحياة وقت نكرسه للأحزان الطويلة ،

لكن هذه ، انها خارج نطاق الحياة ، خارج نطاق الزمن •

انها خلود مستمر للشر والطغيان •

لقد تلوثنا بقذارة لانعرف كيف نغسلها ،

قذارة متحدة بالهوام الخارق للطبيعة ،

لسنا نحن وحدنا ، وليس البيت ، وليست

المدينة التي تلوثنا •

بل ان العالم أجمع هو الذي تلوث •

قال موريتز :

ـ ارفع صوتك ! انني لا أسمع شيئاً أبداً •

فاسترسل تريان بما استطاع من قوة يقول :

---

(١) هذه الابيات للشاعر ت • س • اليوت واردة إلى النص •

مكتبة محب الخير
facebook

ـ نقِّ الهواء ، نظف السماء ، واغسل الهواء ، وارفع الحجر عن الحجر ، واسلخ الجلد عن الذراع ، وانزع العضلة عن العظم واغسلها . اغسل الحجر ، واغسل العظم ، واغسل المخ ، واغسل النفس ، اغسلها اغسلها !

قال ايوهان موريتز :

ـ انني لاأفهم شيئاً . كم أنت سعيد ياسيدي تريان ، اذ تستطيع التنفس . انك لاتختنق أنت !

كان قصيرو القامة في المعسكر أقل تأثراً بالجوع من زملائهم طوال القامة . أما في هذه السيارة التي حشر فيها سبعون شخصاً ، في هذه السيارة التي كانت تجتاز شوارع قرية أوهردروف كالشبح ، فان قصار القامة من المساجين كانوا على وشك الموت اختناقاً لقلة الهواء .

قال ايوهان موريتز :

ـ ياسيدي تريان لاتقل شيئاً ، لأنني لا أسمع ماتقول .

ـ اذا كنت لاتسمع فستدفع حياتك ثمناً ...

ـ اسمع ماذا ؟

ـ لقد ارتكب الأستاذ الألماني خطيئة كبرى ! لقد أخطأ ، وسيموت بسبب خطئه .

ـ أي ألماني ارتكب خطيئة خطيرة ؟

قال تريان :

ـ الأستاذ الذي وزن شحمنا ولحمنا الحي . لقد وزنها حافلة بالحياة ، ليقيس آلامنا . غير أن آلام البشر لايمكن أن تقاس بالكيلوغرامات والاطنان !.. ان الحياة لايمكن أن توزن . ان ذلك الذي يحاول وزنها يرتكب خطيئة قاتلة .

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.facebook

قال ايوهان موريتز :

ـ ننى لا أسمع شيئاً !

فأجاب تريان :

ـ لا أهمية لذلك • ان المرء لينهار حتى ولو لم يسمع • ان سائق سيارتنا ، والحراس ، والجنودالمسلحين بالعصي والمسلحين منهم بالرشاشات، الذين ينتظرون بفارغ الصبر اللحظة المناسبة لقتلنا ، لايسمعون هم أنفسهم شيئاً • مامن أحد منهم يسمع • مع ذلك ، انهم يتهدمون مثلنا وبالطريقة ذاتها التي نتهدم بها • هل تراهم وهم يتهدمون ؟

فقال موريتز :

ـ ان عيني محجوبتان فلا أرى شيئاً •

ـ أو لا تحس بشيء أيضاً ؟

فأجاب موريتز :

ـ لاشيء • انني أشعر فقط بأنني أختنق !

فقال تريان بحزن :

ـ ألا أنك مع ذلك تحس الشيء الجوهري ؟ فلمَ تزعم اذن أنك لاتحس بشيء ؟ ان كل العالم يحس مثل احساسك • لكنه لايريد أن يعترف •••

## - ١٣٠ -

نقل السجناء الى عربات السكة الحديدية المخصصة لنقل الحيوانات •

كانت كل عربة تتسع لخمسة وعشرين حصاناً • مع ذلك ، فقد استوعبت حمولة قدرها مائة وأربعون رجلا •

أغلقت أبواب كل العربات •

في العربات الاخيرة حبست ثلاثة آلاف امرأة •

كان القطار طويلا جداً ، فقال تريان في سره : انه كان يحلو له أن يرقب مرور مثل هذا القطار عن بعد • قال :

ـ ان قطارنا يشبه القافلة التي كانت تتسلق هضبة غولغوثا(١) • والفرق أن قافلتنا آلية • اننا نتسلق الغولغوثا بوسائل آلية • لقد صعد اليها يسوع سيراً على قدميه بين مجرمين حقيقيين • هل تعرف بأن يسوع قد صلب بين مجرمين ؟

ـ كلا ، لا أعرف ذلك •

ـ من عادة القضاة ، اذا أرادوا معاقبة بريء ، أن يحيطوه بمجرمين • ان الحيلة معروفة منذ القدم • لم يجرؤ اليهود على صلب المسيح وحده ، فأحاطوه باثنين من المجرمين من ذوي السمعة الشائنة المعروفة لسبب واحد : وهو جذب انتباه الجماهير الى ناحية أخرى ، خلال تنفيذ أحكام الاعدام •

« فأنا ، وأنت ، وزوجتي ، وعدد كبير آخر ، نجد الى يميننا ويسارنا مجرماً • انها الخدعة المعهودة التي سبق تنفيذها على غولغوثا ، ولم تتبدل من الواقع غير النسب • كان كل بريء في ذلك العهد يحاط بمذنبين • واليوم ، يحاط عشرة آلاف بريء بمذنبين • لكن ليس في هذا غير فارق بسيط • ان الاسلوب واحد لم يتبدل • ثم اننا نصعد على الصلب بشكل آلي وبوسائل آلية • غير أن الخدعة صبيانية • فبعد أن تنفذ الاحكام ، لن يتحدث الجمهور بعد ذلك عن المجرمين اللذين أعدما ويسوع في آن واحد لن يذكر الجمهور غير يسوع ، ويسوع وحده • هذا ماوقع في كل العصور وهذا مايقع اليوم ، حتى ولو رفعنا على الصليب بشكل آلي ، ولو صعدنا الى غولغوثا مقطورين !

اقترب تريان كوروغا من النافذة المشبكة • كان القطار قد توقف •

---

(١) غولغوثا ، جبل قرب بيت المقدس صلب عليه المسيح • ـ المترجم ـ

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.facebook

سأل ايوهان موريتز :

ـ هل ترى شيئاً ؟

كان لايبلغ مستوى النافذة لقصر قامته .

قال تريان :

ـ لقد توقف القطار في محطة . وهنالك قطار بمحاذاة قطارنا .

سأل ايوهان موريتز :

ـ أهو مشحون بالمساجين أيضاً ؟

كان الفضول يلوعه . فقال تريان :

ـ انه قطار من المساجين المحررين . انهم العبيد الاجانب الذين كانوا في ألمانيا أمس ، والذين أعيدت اليهم الحرية .

كانت جماهير من الرجال والنساء تتلاطم كالامواج ، حول القطار الآخر ، أردف تريان قائلا :

ـ انهم يدخنون اللفافات !

ابتلع ايوهان موريتز لعابه ، واستطرد تريان :

ـ هناك امرأة نزلت من العربة . انها تأكل خبزاً أبيض مع مصير محشو باللحم .

وازدرد لعابه بدوره !

قال ايوهان موريتز :

ـ وددت لو أستطيع رؤيتهم مثلك . علني أعرف واحداً منهم . ماهي جنسيتهم ؟

أجابه تريان وهو يتأمل الاعلام المرسومة على العربات ، وتلك التي أودعها أصحابها في عراهم :

ـ انهم من جنسيات مختلفة . ان المرأة التي تلتهم الخبز المدهون بالزبد ، والمصير المحشو ، والتي يشبه فخذاها في لونهما لون الخبز الابيض

مكتبة نجد الحديث
www.facebook.com/groups/كتب.كتب.كتب

الذي تقضمه ، دانماركية ، تأتي وراءها مباشرة فرنسية • انها جميلة ذات عينين سوداوين •

سأل موريتز :

ـ هل هناك فرنسيون بين الحشد ؟

أجاب تريان :

ـ هناك جمهور كبير واقف قرب عربتنا • هناك بلجيكيون وايطاليون •

قال ايوهان موريتز بنفاذ صبر :

ـ أريد رؤية الفرنسيين !

استيقظ حنينه القديم الى الفرنسيين •

رفعه تريان كوروغا ليتيح لـه بلوغ النافذة والنظر خلالها • فقال موريتز مشرق الوجه :

ـ انهم فرنسيون ! ان هذا الذي بالقرب من الايطالي يشبه جوزيف كما تشبه نقطة الماء النقطة الثانية • هل تراه ؟

ـ أي جوزيف ؟

أجاب ايوهان موريتز •

ـ صديقي جوزيف • ألم أحدثك عنه ؟ ذلك الذي ساعدته عـلى الفرار • لو لم أكن واثقاً من أن جوزيف في فرنسا الآن ، لظننت أنـه هو • انه يشبهه شبهاً عظيما ! هل تريد أن تقول له شيئاً ؟

ـ ماذا تريد أن أقول له ؟

قال موريتز :

ـ أي شيء • انه يشبه جوزيف تماماً • انني لاأعرف الفرنسية • لكنني أود لو أقول لهم شيئاً • قل لهم : مرحبا ، وعوداً طيباً الى فرنسا !

كان ايوهان موريتز ، لايستطيع أن يقابل فرنسياً ، دون أن يقول له شيئاً ، أو أن يبتسم له ابتسامة ودية •

مكتبة ماجد الحيدر
facebook.كتب.كتب.كتب

قال موريتز :

ـ هه ! انه قريب جداً منا • قل له شيئاً اذ أردت !

لبث تريان كوروغا صامتاً ، غير أن ايوهان موريتز لم يستطع تمالك نفسه فهتف بالالمانية :

ـ عوداً سعيداً الى فرنسا !

نطق جملته بوداعة وكان وجهه طافحاً بالبشر والسرور لأنه استطاع أن يخاطب فرنسياً ، ولأنه يحب الفرنسيين •

توقف أفراد الجماعة المحتشدة عن الكلام فجأة ، وتسمَّروا في أمكنتهم ، ورفعوا عيونهم الى النافذة التي وقف وراءها ايوهان موريتز •

سمع تريان كوروغا الرجل الذي يشبه جوزيف يتساءل بالفرنسية :

ـ ماذا يريد منا هذا الخنزير النازي ؟

راح الرجال والنساء الواقفون على الرصيف يحدجون ايوهان موريتز الذي كان يبتسم لهم من وراء قضبان النافذة الحديدية ابتسامة رقيقة ودية •

ـ لعل الخنزير النازي يريد « سيجارة » !

وضع الشاب الذي يشبه جوزيف يده في جيبه • غير أن حركته توقفت فجأة • ذلك أن واحداً بجانبه انحنى على الارض ، وأخذ حجراً وألقاه بعنف على النافذة التي كان ايوهان موريتز واقفاً وراءها ، وهو لايزال يبتسم • فمر الحجر بين القضبان وسقط وسط العربة بعد أن أصاب أحد السجناء •

وهتف الرجل الساخط :

ـ اليك لفافتك ! لقد أمضيت ثلاثة أعوام في ألمانيا بسببك !

اصطدم الحجر الثاني بجانب العربة ، ثم أعقبه الثالث • وتتابع مطر

من الحجارة ، يهطل على العربة . فتمدد السجناء داخل العربة على أرضها ، وهم يتباعدون على قدر المستطاع عن النافذة . كانت الحجارة تتساقط كالبرد ، والشتائم والصرخات تدوي وكأن هجوماً مركزاً كان موجهاً ضد تلك العربة .

كانت صيحات نساء ورجال وأطفال وثائرين . صرخات بالفرنسية ، والايطالية ، والروسية ، والفلامانكية ، والنرويجية ، والدانماركية . صرخات بكل لغات العالم . وكان ذلك السباب يتدفق معرباً عن حقد واحد متفجر . وكانت الكلمة التي تعقب كل حجر يلقى ، واحدة في كل اللغات : خنزير نازي ،مجرم نازي ،سفاح نازي ،نازي ، نازي ، نازي...

كان كل ركاب ذلك القطار من « الأشخاص المنقولين » ، وقد هبطوا من العربات وانضموا الى الآخرين ليلقوا بالحجارة على قطار السجناء .

وتدخل الحراس ورجال الشرطة العسكرية لاعادة النظام ، ولكن الهجوم ازداد ضراوة ، فاستحالت تهدئة الخواطر ، وأصبح يزداد خطورة بعد كل فترة ، مما اضطر رجال الشرطة الى اطلاق الرصاص ارهاباً . فدوت زمجرة ثائرة موحدة من كل صدور العبيد المحررين ضد رجال الشرطة الذين يحمون النازيين من التمزيق .

لبث ايوهان موريتز خلال هذا الهجوم واقفاً وراء النافذة ، حتى بعد أن مرقت الحجارة الاولى قرب رأسه . لم يتحرك من مكانه ، ولم يكف عن الابتسام حتى في أشد لحظات الهجوم خطورة . لم يكن يفهم سبباً لتلك الثورة ، ولو أنه فهم السبب ، لما صدق لحظة واحدة أن الفرنسي الذي يشبه جوزيف يمكن أن يرميه بحجر بقصد تحطيم وجهه .

وبينما كان ايوهان موريتز يتأمل ذلك المشهد ، وقد اتسعت حدقتاه ، ويرى الجمهور الغفير يقذفه بالحجارة ، أطبق سجناء العربة على ساقيه

مكتبة ماجد الحيدر
facebook.com/كتب.كتب.كتب

وانتزعوه من أمام النافذة انتزاعاً وألقوه أرضاً • كان كل واحد منهم يريد ضربه • وكل الايدي تسعى للنيل منه ، وتتعلق به لتمزق جسده وتقطه اربا اربا •

وطئت مئات الاقدام جسد موريتز ، وسحقته بحقد وضغينة ويأس ووحشية ، بينما لبثت الحجارة تتساقط كالبرد فوق رؤوسهم •

لم يكن السجناء ليغفروا له أنه تسبب في اثارة الحقد الدفين من عقاله ، وفي استهدافهم لهجوم العبيد المحررين الذين كانوا على الرصيف • كانوا يريدون تمزيق جسده !

لم يكن موريتز محاطاً بمخلوقات بشرية ، بل بكتلة من الرجال تشبه وحش التلمود ذا الألف ساق ، تسحق جسده ولحمه الساخن الحي•

وخارج العربة كانت تلك الكتلة بالذات ، وحش التلمود ذو الالف ذراع ، تلقي بالحجارة عليه !

راح دم ايوهان موريتز ينبجس من فمه وأنفه •

شعر ايوهان موريتز بدنو الموت منه • فلما استأنس بتلك الفكرة لم يعد يحس بالأحذية التي تسحقه ، والقبضات التي تضربه • لم يعد يشعر بأي ألم • كانت نهاية الآلام تقترب• فكر في الكاهن كوروغا ، وفي كنيسة فانتانا وفي « أيقونة » العذراء• كان السلام يخيم على جسده وروحه• كان يسمع الضربات تكاد تحطم أطراف العربة وجدرانها ، وكان يعرف أن تلك الضربات كانت موجهة اليه واليه وحده !

كانوا يريدون سحقه • كلهم يتوقون الى موت ايوهان موريتز • لقد فهم الآن كل شيء • كان يحس بأن العالم لن يكون عالماً ، وأنه لن يكون فيه أي « تقدم » طالما لبث « هو » على قيد الحياة •

مكتبة ماجد الحيدر كتب كتب facebook

لقد كان مسؤولا عن كل الاثم الذي يغطي سطح الارض ، كان هو ايوهان موريتز المسؤول الوحيد ، والمذنب الاوحد . ولهذا السبب يتهافت هؤلاء الناس على قتله ؛ ولهذا السبب يطأونه بالاقدام فيضربه السجناء ، ويرجمه السجناء السابقون ! نعم هذا هو السبب الذي من أجله أوقفه الجنود . ان الجمهور الغاضب لن يهدأ طالما بقي ـ هو ـ على قيد الحياة . ان الشرطة العسكرية لن تستطيع تهدئة هؤلاء السجناء المحررين قبل أن يموت ـ هو ـ ايوهان موريتز ، وكذلك سجناء العربة لن يهدأ لهم بال قبل موته . ان الجنود المسلحين بالرشاشات والمصفحات لن يستطيعوا الوصول اليه ، وبلوغ هذا الجانب من المحيط المتلاطم الا بعد أن يكون ايوهان موريتز قد مزق أشلاء !

كان يجب أن يموت ، لانه كان الانسان ! ولايمكن أن يغفر له . تساءل في شبه غيبوبة : « وماهو ذنبي ياربي ؟ ننى أحب الفرنسيين . ولقد أردت أن أقول لهم كلمة طيبة تعرب عن صداقتي . ولهذا السبب يقتلونني . لقد قتلوا « يسوع » كذلك لأنه كان يحب البشر ! »

« سنتسلق الغولغوثا في القاطرة ، سنتسلق «غولغوتة» آلية ومتحركة» .

شعر ايوهان موريتز وكأنه معلق على الصليب ، وأحس بالظلام ينسدل فلم ير الا الظلام ، الظلام ، الظلام الحالك ...

## - ١٣١ -

استيقظ ايوهان موريتز بعد اغماءة طويلة ، فأحس بالاضمدة تحيط برأسه وصدره . كان رأسه مستنداً الى كتف تريان كوروغا . كان موريتز يشعر بأن وجنته تلامس بشرة أخرى غير محجوبة بشيء . كانت هي كتف تريان العارية الذي فقد قميصه !

مكتبة ماجد الحيدر
facebook
كتب. كتب. كتب

ود لو سأل تريان عن سبب خلعه قميصه ، لكن قواه خانته • أنَّ ايوهان موريتز :

ـ عطشان !

تظاهر تريان كوروغا بأنه لم يسمع شيئاً • فكرر موريتز :

ـ عطشان !

كان موريتز مستلقياً منذ ساعات بين ذراعي تريان دون أن يشعر • وكان تريان قد ضمد جراحه خلال ذلك الوقت ، بعد أن مزق قميصه ووجد مكاناً مناسباً مدده فيه •

صمت ايوهان موريتز • فوضع تريان يده على صدره يتحسس ضربات قلبه الضعيفة • كان يسحب يده أحياناً ويستبدلها باذنه فيلصقها بالضمادة ويصغي • وأحياناً كان قلب ايوهان موريتز يخفت وجيبه حتى ليتعذر على يد تريان تحسس النبضات • بل أنه لم يسمع بأذنه بوادر الحياة في ذلك القلب الضعيف الا بصعوبة •

وها أن يوهان موريتز يتكلم الآن !

شعر تريان كوروغا بالسرور ، وكأنه عاد شخصياً من مكان سحيق !

غير أن ايوهان موريتز كان يريد أن يشرب • لقد كان يطلب الماء كما فعل يسوع على صليبه من قبل • ولم يكن في العربة ماء •

لقد انقضت عشرون ساعة على المساجين في تلك العربة ، لم يتذوقوا خلالها طعاماً ولاشرابا ولم يسمح لهم أثناءها أن يخرجوا منها لازالة ضروراتهم • كان جو العربة مشبعاً برائحة البول والغائط النتنة ، والهواء فيها ثقيل كريه •

كانت أرض العربة مبللة بفضلات مثانات السجناء • فكان موريتز مستلقياً على تلك السوائل دون أن يحس بها ، لأنه لم يكن يشعر بشيء •

لم يكن قد فتح عينيه حتى تلك اللحظة ، بل أنه باعد بين شفتيه فقط ليقول:

ـ عطشان!

قال تريان كوروغا :

ـ آسف ، ولكن ليس في العربة ماء ، وليس فيها مايشرب .

كان يتساءل عما يمكنه أن يقدم الى موريتز ليبلل شفتيه . لم يكن في العربة مايشرب . تذكر تريان أنه قرأ ذات مرة أن جنود جنكيزخان كانوا عندما يجتازون الهضاب والقفار دون أن يجدوا ماء يشربونه ، أو طعاماً يأكلونه ، ينزلون عن صهوات جيادهم ، فيفصدون بخناجرهم شريانا من شرايين الحصان ويمتصون الدم . ثم يضمدون الجرح ويسيرون الى الامام . وهكذا كان جنود جنكيزخان ، لايأكلون ولايشربون شيئاً طيلة أيام وأسابيع الا تلك القطرات من الدم الحار .

وسوس هذا الخاطر في نفس تريان فأراد أن يمنح موريتز قطرات من دمه ليروي عطشه . ولعل الدم يفيده !

قال ايوهان موريتز بصوت ضارع :

ـ عطشان !

فأجابه تريان :

ـ ياعزيزي موريتز ، ليس هنا مايشرب . ان السائل الوحيد الذي أستطيع ايجاده والذي أقدمه لك بسرور هو قطرات من دمي ، من دمي الشخصي . ولكن لاينبغي لك أن تشرب دماً . ان الرجل الذي يشرب الدم شيطان مريد ، له وجه انسان ، ولكنه ليس انسانا . انه آلة ، انه الشيطان ، انه الجمهور ، انه يشبه الانسان بكليته ، باستثناء الروح !

تمتم ايوهان موريتز :

ـ عطشان !

مكتبة ماجد الحيدر
كتب كتب facebook

فقال تريان :

ـ انني أصدقك ! مع ذلك لاينبغي لك أن تشرب دما • وليس لدي ما أقدمه لك غير ذلك • انك الرجل الوحيد ، بين كل المحيطين بي ، الذي لم تشرب بعد دماً بشرياً • هـل تسمعني ؟ لقد ولغ الآخرون جميعاً في الدم ، وهم الآن كالعفاريت • انهم ليسوا بشراً • لم يبق بين كل هؤلاء السجناء ، وكل الحراس ، وكل السجناء المحررين ، رجلا واحداً يمكن أن يكون انساناً • لم يبق سواك انساناً ، لأنك لازلت تحب البشر •

ـ عطشان !

ـ أصدقك ! انني أعرف ذلك ،وأعرف أنك قد تموت اذا لم تشرب• ولكن من الخير لك أن تموت على أن تصبح مثلهم • لاينبغي لك أن تشرب دماً بشريا • هل تفهم ماأقول لك ؟

عاد ايوهان موريتز يتمتم من جديد :

ـ عطشان !

## - ١٣٢ -

عرض حال من ايوهان موريتز :

أنا الموقع ذيلا ، ايوهان موريتز ، من قرية فانتانا في رومانيا ، أرسل هذه الشكوى الى حكام هذا البلد الذي أنا فيه سائلا اياهم السبب الذي من أجله يحتفظون بي سجيناً ، ويعذبونني كما لم يعذب من قبل الا المسيح على الصليب •

وانني اذا كنت لم ألق عليكم هذا السؤال من قبل ـ كما كان يجب أن أفعل ـ فذلك لأنني صبور بطبعي • انني حراث ، والزراع يعرفون كيف ينتظرون !

وعليه فقد انتظرت ربيعاً كاملا ، وانتظرت صيفاً كاملا ، وشتاءطويلا•

مكتبة نجد الجديد
www.facebook

والآن عاد الربيع من جديد ، ولم يعد لي الا الجلد والعظام . ان روحي قاتمة شديدة الحلكة من الألم والغم ، سوداء كالفحم والحبر .

انني لا أستطيع الانتظار أكثر من ذلك . ولهذا السبب أسألكم : لمَ تحتفظون بي سجيناً ؟

انني لم أسرق ، ولم أقتل ، ولم أخدع انساناً قط ، ولم أرتكب مايعاقبني عليه القانون وتحرمه الكنيسة .

فاذا كنت لم أجرم ولم أسرق ، ولم أسيء الى أحد ، فلمَ تبقونني سجيناً ؟

لقد سجنتموني وعذبتموني ، حتى غدوت مجرد ظل على الارض .

لقد سجنت في أربعة عشر معسكراً ، وأعتقد أنه قد آن الوقت لأسألكم عما لديكم ضدي .

ان أصعب الامور عندي هو العزم . ولكنني عزمت الآن .

انني أرسل هذا المعروض بالبريد الى حكام هذا البلد . وأرسله كذلك بواسطة الحارس الذي يسهر على باب السجن . ولسوف يصل معروضي الى الحاكمين ، حتى ولو طاف من أجل ذلك حول العالم . يجب على الحاكمين الاصغاء الى شكواي ولو كان في آذانهم وقر !

سوف ألصق معروضي على أبواب السجن ، وألقيه ملفوفاً في حجر الى الشارع . سوف أقنص العصافير التي تطير فوق المعسكر وسأربط معروضي الى أطرافها لتحمله عبر الكرة الارضية .

انني لن أتوقف بعد الآن عن الصراخ ، حتى تأخذ العدالة مجراها . لعلكم ستسجنونني في القبو ، لتمنعوني من اسماع صوتي الى الآخرين . ولكن أينما كنت ، وأينما حللت ، لن أتوقف عن الصراخ . واذا لم يكن لدي قلم أكتب به ، أو ورق أسطر عليه ، فسأكتب بأظافري على جدار سجني .

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.facebook

فاذا تلفت أظافري ودميت أصابعي تريثت حتى تبرأ أظافري لأكتب من جديد .

واذا أعدمتموني بالرصاص ، فلن أذهب الى الجحيم ، ولا الى الجنة ، ولا الى المطهر . بل ستبقى روحي هائمة على الارض ، تلاحقكم دون هوادة .

سوف ترود حولكم كالطيف ، سأقلق مضاجعكم ، وأقضها مائة مرة كل ليلة ، وأحرم عشيقاتكم من النوم ، لأصرخ قائلا : انني على صواب .

لن تستطيعوا اغماض أعينكم حتى نهاية أيامكم ، ولن تستطيعوا الاصغاء الى الموسيقى والاستماع لكلمات الحب . لن يمكنكم الاستماع الى شيء . ستدوي كلماتي وحدها في آذانكم ، كلماتي أنا ، ايوهان موريتز .

انني انسان ، فاذا كنت لم أسيء الى أحد ، فلا يحق لأحد أن يسجنني ويعذبني . ان حياتي وظلي ملكاً لي . ولا يحق لكم ـ مهما بلغت مصفحاتكم ورشاشاتكم وطائراتكم ومعسكراتكم ونقودكم التي تملكونها ـ أن تمسوا حياتي وظلي .

انني لم أشته طيلة عمري الا شيئاً قليلا : أن أستطيع العمل ، وأجد المكان الذي آوي اليه مع زوجتي وأولادي ، وأن يكون لدي ما أطعم !

فهل من أجل هذه الرغبة تسجنونني ؟

لقد أرسل الرومانيون الدركي ليصادرني ، كما تصادر الاشياء والحيوانات . فاستسلمت لمصادرتهم . كانت يداي فارغتين ، فما كنت أستطيع مقاومة الملك ولا الجندي المسلح بالبندقية والمسدسات . لقد زعموا أن اسمي اياكوب وليس ايون ، كما عمدتني أمي . وسجنوني في معسكر لليهود تحيط به الاسلاك الشائكة ، وأجبروني على الاعمال الشاقة كالحيوانات . لقد نمنا كالحيوانات مع كل القطيع ، واضطررنا على الاكل مع كل القطيع ، وشرب الشاب مع كل القطيع . وكنت أنتظر أن أرسل الى

مكتبة ماجد الجبير
facebook
كتب كتب كتب

المسلخ مع كل القطيع • ولقد أرسل الآخرون الى المسلخ ، لكني فررت •

فهل من أجل ذلك تسجنونني ؟ ألأنني هربت قبل أن أساق الى المسلخ ؟

وزعم الهنغاريون أن اسمي لم يكن اياكوب ، بل ايون • فأوقفوني لأنني روماني • وعذبوني وضربوني ، ثم باعوني الى الالمان • وزعم هؤلاء أنني لم أكن أدعى لا اياكوب ، ولا ايون ، بل ايانوس • وعذبوني من جديد لانني هنغاري • ثم جاء زعيم وقال ان اسمي ليس اياكوب ، ولا ايانكل ، بل ايوهان ، ثم بعثني جندياً • لقد قاس رأسي بادىء الأمر ، ثم عد أسناني ، ووضع دمي في أنابيب من زجاج • كل ذلك ليبرهن على أن لي اسماً غير ذلك الذي عمدتني به أمي • فهل من أجل هذا تسجنونني؟

لقد ساعدت ـ بصفتي جندياً ـ خمسة من السجناء الفرنسيين على الفرار •

فهل من أجل هذا تسجنونني ؟

عندما وضعت الحرب أوزارها ، ظننت أنني أنا الآخر سأحظى بقسط من حقي في السلام • فجاء الامريكيون وأعطوني « شوكولاته » وأغذية من عندهم ، كما يعطون الامراء !

ثم سجنوني دون أن يتفوهوا بكلمة • لقد أرسلوني الى أربعة عشر معسكرا ، كما يرسل أخطر مجرم حملته الارض •

والآن أريد ، أنا الآخر ، أن أعرف : لماذا ؟

هل لايعجبكم اسمي ايانوس ، أو ايون أو ايوهان ، أو جاكوب ، أو ايانكل ؟ هل تريدون أنتم أيضاً تبديل اسمي ؟ بدلوه • انني أعرف الآن أن بني الانسان لم يعد يحق لهم حمل الاسماء التي تطلق عليهم ساعة

مكتبة ماجد الحيدر
www.facebook.com/groups/kotob.kotob

العماد • لكنني أريد أن أبلغكم شيئاً : انني لن أستطيع بعد الآن صبراً • أريد أن أعرف السبب الذي من أجله أسجن وأعذب •

انني أنتظر جوابكم وأحييكم باحترام •

موريتز ايون ، ايوهـان ـ اياكوب ـ ايانكل ـ ايانوس ، حراث ورب عائلة •

سأل تريان كوروغا ، بعد أن انتهى من كتابة الشكوى :

ـ لم تبكي ، يامورينز ؟

ـ لست أبكي •

ـ ننى أرى دموعاً في عينيك • لمَ تبكي ؟

ـ لست أدري السبب •

سأل تريان كوروغا :

ـ هل تخاف نتائج ارسال هذا المعروض ؟ أليس ما جاء فيه صحيحاً ؟

فأجاب موريتز :

ـ لست أخشى شيئاً • ان كل ماجاء في هذا المعروض صحيح •

ـ لم تبكي اذن ؟

فقال موريتز :

ـ انني أبكي لانه صحيح • لأنه يتفجر بالحقيقة !

## - ١٣٣ -

بعد ثلاثة أيـام من ارسـال المعروض ، استدعي ايوهـان موريتز للاستجواب • فأعاره تريان كوروغا قميصه وسرواله •

قال تريان •

ـ لقد انتصرنا • لقد أحدث المعروض الاثر المرجو !

كانت عينا ايوهان موريتز تلتمعان • كان يرى نفسه حراً طليقاً منذ تلك اللحظة •

مكتبة منير الحيدر
facebook.كتب.كتب.كتب

ـ لقد انتصرنا • انني مدين لك بذلك • لقد كان كـل ماكتبته في المعروض يصرخ بالحقيقة !

فقال تريان :

ـ لاتخف ، ينبغي أن يشعروا هم بالخوف ، لأنهم هم المذنبون •

ومضى موريتز الى الاستجواب باسماً •

عاد موريتز عند الظهيرة ، وكان تريان ينتظره أمام الباب •

ـ كيف كان الاستجواب ؟ هل وعدوا باطلاق سراحك ؟

لبث موريتز مطرقاً • كان من عادته أن يتخذ هيئة غامضة كلما وجه اليه سؤال • قال :

ـ سأقص عليك النبأ فيما بعد • لاأستطيع التحدث الآن •

ـ هل جننت ؟ لقد مكثت هنا ساعات بانتظار أوبتك ، فتقول لي : انك ستحدثني عن النتيجة بعد حين ؟

كان ايوهان موريتز قد جمع أعقاب السجاير من المكتب ، فأخرجها من جيبه وراح يمزق الورق الرقيق المحيط بهـا ببطء وتؤدة • ثم قسم التبغ الى قسـمين متساويين أحدهما لـه والآخر لتريان • ثم راح يلف « سيجارة » مستعملا ورق الصحف •

قال موريتز :

ـ من الافضل ، ياسيدي تريان ، ألا أحدثك بشيء •

ـ هل قالوا لك أنهم لن يخلوا سبيلك ؟

ـ كلا ، لم يقولوا لي ذلك •

ـ هل وبخوك وشتموك ؟

قال موريتز ، وهو مستغرق في عملية لف « السيجارة » :

ـ لم يشتموني •

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.facebook

ـ هل ضربوك اذن ؟

ـ كلا !

سأل تريان بانفعال :

ـ لم اذن لاتريد أن تكلمني ؟ انني أرى أنهم لم يسيئوا اليك .

فأشعل موريتز لفافته ، وقال :

ـ كلا ، لاشيء !

سأل تريان :

ـ هل لم يحن دورك في الاستجواب ؟ ان ذلك ليس مصيبة ، سوف يستدعونك غداً .

ـ لقد حان دوري !

ـ هل استجوبوك ؟

ـ نعم .

كان يبدو على ايوهان موريتز أن لسانه قد أصيب بالشلل ، فكان يتبغي انتزاع الكلمات من فمه انتزاعاً ، كلمة فكلمة . نفد صبر تريان ، وهتف :

ـ قص علي كل ماوقع . ابدأ من البداية .

فأجاب موريتز :

ـ لقد كنت أول من دخل المكتب ، فلما دخلت أشار الي أن أجلس ، وكان هناك مقعد أمام الطاولة .

فقال تريان :

ـ لكنها بداية طيبة . انهم اذا دعوك الى الجلوس ، فذلك فأل حسن . لقد تصفحوا ولاشك اضبارتك ، ووجدوا أنك برىء . أنا لاأظن أنهم يدعون كل الداخلين الى الجلوس . استمر !

ـ ان الذي استجوبني كان برتبة رقيب .

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.facebook

ـ هل كان مهذبا ؟

ـ نعم .

ـ ماذا كان السؤال الاول ؟

ـ لقد نظر بادىء الامر الى الاوراق ، ثم سألني : « أهو أنت ايوهان موريتز ؟ » فأجبته : « نعم » . فنظر الي ثم عاد يتصفح الاوراق ، وأخيراً سألني : « كيف تكتب كلمة موريتز ؟ أتكتبها بحرف « التاء » أم بحرف « الزاي » ؟ فقلت له بأنني أكتبها على الطريقتين ، بالتاء اذا كتبت باللغة الرومانية ، وبالزاي اذا كتبتها بالالمانية .

توقف ايوهان موريتز ، ونظر بيأس الى تريان كوروغا .

قال تريان بصبر نافد :

ـ استمر ! لمَ توقفت ؟

ثم قال الرقيب :

ـ شكراً ، يمكنك الانسحاب .

ـ أهذا كل شيء ؟

فقال موريتز :

ـ انه كل شيء !

سأله تريان :

ـ ألم تحاول أن تقول له شيئاً ؟ لمَ لم ترو شيئاً مما لقنته لك ؟

فأجاب موريتز :

ـ لقد حاولت . لكن الرقيب ماكان يريد الاصغاء الي . لقد قال دون أن ينظر الي : « دور التالي » .

ـ وماذا قلت أنت ؟

ـ لاشيء .

هتف تريان ، وهو يضغط رأسه بين يديه :

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.facebook

ـ انه غريب ، سخيف ! تماماً ! ثم ذهبت بعد ذلك ؟

ـ نعم ، لقد خرجت .

ـ وهذا هو الاستجواب الذي انتظرناه طيلة عام كامل في السجن ؟ ألا شيء غير هذا ؟ ألم تنس شيئاً ؟

أجاب موريتز يائساً :

ـ كلا لم يحدث غير هذا . لقد خرجت أنا ، وبينما كنت أغلق الباب بيدي المرتجفة استدعي الذي يليني . وكان اسمه : توماس مان .

ـ ماذا سألوه ؟

ـ لقد سئل عما اذا كان يكتب مان بالنون المشددة ، أم بمجرد حرف نون !

ـ ولا شيء غير ذلك ؟

سالت الدموع على وجنتي ايوهان موريتز . دموع كبيرة كحبات اللؤلؤ . فقال تريان وهو يربت على كتفه :

ـ ينبغي أن تقنع ياعزيزي موريتز العجوز . بعد موت الأرانب البيضاء ، لايبقى من حل الا استسلام للمقدر ...

## - ١٣٤ -

عرض حال رقم ٥ ـ الموضوع : عدالة . ( آلية الاستجوابات ) .

انني على علم بأنكم تلقيتم تعليمات خاصة لاستجواب سجناء هذا المعسكر بصورة شخصية . وبالطبع ، ان هذا الأمر لايخلو من الغباء . اذ طالما أن الرجال كلهم قد أوقفوا جماعات ، وبشكل اجمالي آلي ، فان من الحماقة استجوابهم فرادى .

مع ذلك أعتقد أني أستطيع التكهن بسبب صدور هذا الامر اليكم . ان حضارتكم تعرف كيف تعمد أحيانا الى تصرفات فضولية ، فيها حب

مكتبة ماجد الحيدر
www.facebook.com/groups/كتب.كتب.كتب

المعرفة ، حيال تقاليد الوطنيين أبناء البلاد • ان هذا الأمر اذن ليس الا مجرد منّة ، لمجرد الشكليات ، انه مجرد ملاطفة •

ان واحداً من ضباطكم مرغم على استجواب خمسمائة سجين خلال فترة قبل الظهر ومثل هذا العدد بعد ظهر كل يوم • وقد لاحظت أنكم تطرحون سؤالا واحداً على كل السجناء ، كل بدوره • وأنكم لاتصغون الى الجواب أو الاجوبة • اذ أنه من الغباء ولاشك أن تسمعوا الى كل مايريد أن يقوله كل شخص من أولئك الموقوفين لأنه لايمكن أن يلمس المرء شيئاً مهما من فم سجين !

لكنني أفكر في النشاط والحيوية اللذان تصرفونهما في طرح هذه الاسئلة وأشعر أن الضباط المكلفين بهذا الامر يحسون مساء كل يوم بآلام هائلة في فكوكهم وشفاههم •

لذلك فانني أقترح عليكم أن تعبئوا أسطوانات مشحونة بهذه الاسئلة • سيكون نظام استعمال هذه الاسطوانات كما يلي : يلبث الضابط المكلف بالاستجواب الشخصي في مكتبه ـ وانه يجب أن يكون هناك ، لأن أسلوب الاستجواب الشخصي يستوجب وجوده ـ ويضع الاسطوانة على « البيك آب » • فلما يدخل السجين الى المكتب ، تنطق الاسطوانة قائلة : « اجلس ! » فيجلس السجين ، وتستمر الاسطوانة في الدوران ، فتطرح السؤال الأول ثم الثاني فالثالث ، وأخيراً تعلن الاسطوانة : « أشكرك ، يمكنك الانسحاب » فيقف السجين ويتجه نحو الباب ، فلما يبلغه تكون الاسطوانة قد بلغت في دورتها عبارة : « الى التالي » • وهكذا تنحل عقدة الاستجواب ويدخل السجين التالي ، وتعود الاسطوانة الى اعادة أسئلتها المملة ! وبهذا الاسلوب تستطيعون استجواب خمسمائة سجين باسطوانة واحدة!

مكتبة ماجد الحيدر
facebook
كتب كتب كتب

خلال هذا الوقت يكون الضابط المكلف بالاستجواب جالساً في مكتبه يقرأ رواية بوليسية • فاذا خرج ظهراً لتناول طعامه ، فانه يستطيع تناول وجبة الطعام بشكل طبيعي ، دون أن يشعر في فكيه بألم المجهود الذي يبذله في الوقت الحاضر •

ينبغي النظر بعين الاعتبار الى أن هذه الاستجوابات ، وقد وضعت في الواقع لطرح الاسئلة دون الاصغاء الى أجوبة المستجوبين • لذلك فان الآلة تستطيع القيام بهذا العمل • ان المنطق سديد ، اذ ينبغي احترام الشكليات • لكن اجهاد أولئك الذين يشرفون على تنفيذها يعتبر عديم النفع والجدوى • ان العدالة بهذا الاسلوب الجديد ، تربح طريقة جديدة• لأن العدالة في مجتمع متمدين ينبغي أن تحقق بشكل آلي • فليس من الضروري اذن التصرف وفق الأساليب المتبعة قبل اختراع الكهرباء • اذ ما فائدة كل هذه المخترعات التكنية اذا لم تستعمل العدالة منها ، حتى ولا « البيك آب » ؟ •

الشاهد

## - ١٣٥ -

دارمستادت : معسكر الاعتقال الخامس عشر • معسكر يشبه كل المعسكرات السابقة لكنه يمتاز عنها بأن فيه كنيسة أورثوذوكسية ، كنيسة صغيرة أقيمت بالوسائل المحلية •

رفع تريان كوروغا وايوهان موريتز قلنسوتهما ودخلا الى الكنيسة •

كانت تلك الكنيسة مقامة تحت خيمة وفي صدرها مذبح • أما « الايقونات » ، فقد كانت مرسومة على قطع من الورق المقوى ، بالفحم والحكك الملون •

لم يكن للكنيسة أرضية من خشب ،فقد أقيمت الخيمة على أرض عادية•

مكتبة محمد الجبير
facebook.كتب.كتب.كتب

كان المطر قد انهمر خلال الليل ، فتجمعت المياه تحت الخيمة ، وحولت الارض الى وحول .

وكان في وسط الكنيسة صليب كبير ، يضاهي ارتفاعه قامة الرجل . ركع تريان أمام قدمي الصليب . كان يسوع مصنوعاً من الورق المقوى . وكانت الاشواك التي في اكليله مصنوعة من علب الاطعمة المحفوظة التي قطعت قدداً صغيرة .

رفع تريان كوروغا عينيه الى جراح المسيح التي سببتها المسامير المغروسة في يديه ، والحراب في أضلعه . وجد أن الرسام لم يجد لوناً أحمر ليرسم بها الدماء ، فألصق في الأمكنة التي يجب أن تكون فيها الجراح أوراقاً حمراء ، أخذها من أغلفة سجاير « اللوكي سترايك » . فكانت الأحرف السوداء التي وسط الدائرة الحمراء لاتزال مقروءة لاخفاق الرسام في محوها .

قال تريان :

ـ انني لم أرك مصلوباً على هذا الشكل الاليم ، يايسوع ! كنت مزمعاً على الابتهال من أجل جروحي حينما جئت ، لكنني أشعر الآن بعجزي عن الابتهال من أجلها . اصفح عني يايسوع ، اذا كنت أصلي أولا ، من أجل جراحك من اللوكي سترايك التي تغطي فخذيك وقدميك وراحتيك . انها جراح أشد ايلاماً من جراح الدم واللحم . اسمع لي أولا أن أصلي من أجل أشواك علب الاطعمة المحفوظة ، المغروسة في الاكليل الذي يحيط برأسك .

راحت عينا تريان تتنقلان على جسد المسيح ، فاكتشفتا على صدر المخلص حرف M مطبوعاً بحبر الطباعة . كان ذلك الحرف ، مطبوعاً عادة على علب الاطعمة الموحدة التي استعمل ورقها المقوى لاقامة الجسد المصلوب .

مكتبة ماجد الحيدر
كتب كتب كتب facebook

وقف تريان وقبل قدمي المسيح :

ـ أشعر الآن أنني « تناولت » من جسدك يايسوع ، يامولاي • ان « طعامنا » الأبدي من الآمال يامولاي ، أنت يا « طعامي الموحد » • انني لم أفهم أبداً أفضل مما فهمت الآن ، ان جسدك هـو طعامنا • كيف اهتدى الرسام السجين الى فكرة صنع صورتك من ورق العلب التي تعبأ بالاطعمة الموحدة ؟ انك ترمز الآن الى كل تعطشي الى الروح والخبز والحرية •

كان تريان في حالة من الاستغراق والتمجيد فلم يعد يرى بشراً حوله•

كان ايوهان موريتز يفحص الملائكة المصنوعين من الورق المصقول المأخوذ من علب السجاير ، وأيقونات العذراء ، ذات القلائد المصنوعة من أغطية العلب المذهبة التي تغطي عادة علب الحلوى •

رسم موريتز اشارة الصليب على صدره أمام أيقونة القديس نيكولا ، الذي يشبه الكاهن كوروغا ، وركع بجانب تريان ، وراح ينظر الى جراح المسيح الحمراء •

قال تريان :

ـ مولاي انني لاأطلب اليك ابعاد هذا الكأس عن شفتي لأنني أعرف أن ابعادها مستحيل • لكنني أبتهل اليك أن تساعدني على شرب هـذه الكأس • انني أنظر اليها منذ عام ، وأحتفظ بها على مقربة من شفتي • انني ، منذ عام ، أقف على حدود الحياة والموت • منذ عام ، وأنا عـلى أطراف الحياة والحلم • لقد خرجت من نطاق الزمن ، ومع ذلك لازلت أعيش • لقد تبددت الحياة من جسدي عن طريق كل المسامات ومع ذلك فانني لازلت على قيد الحياة أتنفس وأجر نفسي وأدخل في جسدي خبزاً وماء ، لست أرغب فيهما • ان كل هذه الآلام منشؤها عدم معرفتي ، هل أنا سجين أم متمتع بحريتي !

« انني أرى نفسي سجيناً ، ومع ذلك لا أتوصل الى تصديق أنني في السجن •

« اني أرى أنني لست حراً طليقاً ، ومع ذلك فان عقلي يحدثني بأنه ليس هناك من موجب يستدعي ابتعادي عن الحرية • ان العذاب الذي يحدثه عدم الفهم هذا أكثر ايلاماً وشدة من العبودية • ان الرجال الذين سجنوني هنا لايمقتونني ، ولايريدون معاقبتي ، ولايطلبون موتي •

« انهم يريدون انقاذ العالم فقط !

« مع ذلك ، فانهم يعذبونني ويقتلونني تدريجياً ••• انهم يعذبون ويقتلون الانسانية كلها • انني لست الوحيد الذي أتألم ، وأنا أعرف ذلك•

« ان أولئك الذين يديرون العالم راحوا ينشؤون مستشفيات هائلة ، لابراء جراح البشر • لكن موالجهم لاتقيم المشافي بل السجون •

« ان كل شيء يحدث كما لو كانت اللعنة قد حلت عليهم •

« ان تفكيري لايستوعب شيئاً •

« ولهذا السبب ، أريد أن أموت ، فساعدني يامولاي على أن أموت •

« ان قواي لم تعد تحتمل هذا العذاب •

« ان الساعة التي أنصف نفسي خلالها لاتخص الحياة • انني عاجز عن المرور بثقلي من اللحم والدم بينها • انها الساعة الخامسة والعشرون ، الساعة التي يكون فيها الانقاذ قد فات أوانه وفات الوقت كذلك للموت فيها • كما أن العيش يصبح كذلك عديم الجدوى ، لأنه يكون بعد فوات الأوان • ان الأوان يكون قد فات ، فلن تصلح هذه الساعة لأي شيء •

« اجعلني قطعة من الحجر يامولاي ، ولكن لاتتركني للحياة !

« انك اذا تركتني وهجرتني فانني لن أستطيع الموت • انظر الى جسدي وعقلي • ان كلاهما ينبئان بالموت • لكنني أنا لازلت على قيد

مكتبة ماجد الحيدر
facebook
كتب كتب كتب

الحياة • ان العالم قد مات ، مع أنه لازال يعيش • انني لست شيحا ولا مخلوقاً حياً » •

ضغط تريان كوروغا رأسه بين يديه ، فلمس ايوهان موريتز كتفيه بلطف كمن يريد ملاطفته ، لكن تريان لم يكن يشعر بشيء •

دخل الكاهن الى الكنيسة • كان يرتدي ملابس الامريكيين العسكرية وقد طبعت عليها الاحرف « س • ح » ( سجين حرب ) ، كبقية ملابس المساجين •

استقبله ايوهان موريتز وقبل يده •

بينما لبث تريان كوروغا جاثياً على ركبتيه •

طلب الكاهن الى موريتز اعلامه عن جنسيته وجنسية زميله • فلما علم بأن زوجة تريان سجينة كذلك ، عقد ذراعيه على صدره ، وصلى من أجلها ، ثم منح تريان بركته ، وكان هذا لايزال جاثياً أمام الصليب ، لايشعر بدنو أحد •

قال الكاهن : انني المطران « يالاد » من فارسوفيا • ان جميع الكهنة التابعين لي مسجونون في هذا المعسكر • لقد أوقفنا جميعاً • ان الحفلات الدينية التي نقيمها جميلة جداً فتعاليا ، اننا نقيم الصلاة كل يوم في الساعة السادسة • ان لدينا كاهناً رومانياً يرتل الصلوات • انه الآن في المستشفى •

راح ايوهان موريتز يحدق في وجه المطران ، فقال هذا :

ـ سأرسل اليه كلمة الى المستشفى • انه عندما يعلم أن في المعسكر رومانيين ، سيحضر لاعطائكم بركته •••

## - ١٣٦ -

بدأ مجمع من الكهنة يقيمون الشعائر حوالي الساعة السادسة مساء • كانوا مرتدين « بطارشهم » فوق ثيابهم العسكرية الخاصة بالسجناء •

مكتبة ماجد الحيدر
www.facebook.com/groups/kotobkotob

كان تريان كوروغا وايوهان موريتز بجانب بعضهما • وكان المطران مرتدياً حلته ، يضع تاجه على رأسه • وبالطبع كان التاج محروماً من الاحجار الكريمة ، التي جرت العادة على وجودها •

كان صوت المطران جميلا عذباً كلحن الكمان الكبير •

اقترن تريان من المذبح • لكنه ما أن وصل قرب الصليب ، حتى انهار على الارض • ظن موريتز أن قدم تريان قد زلت فسقط ، لذلك هرع اليه لينهضه • غير أن جسد تريان كان لدناً ، كما لو كانت عظامه كلها قد اضمحلت • وكانت وجنتاه ممتقعتين ، وكأنهما من الشمع •

لم يكن في خيمة الكنيسة الا القساوسة • فرفع ايوهان موريتز عينيه يطلب العون • ولكنه في تلك اللحظة بالذات فهم السبب الذي من أجله انهار تريان كتلة واحدة على الارض • تمتم : « الاب كوروغا ! » ثم ارتمى على ركبتيه أمام القس ! كان يبدو كمن يحاول تقبيل ركبتي الكاهن • غير أن القس كوروغا لم يكن يملك ساقيه • اقترب منهما معتمداً على عكازيه •

لبث تريان كوروغا وايوهان موريتز جامدين •

كان شعر القس كوروغا قد ازداد بياضاً • وكان يبسم ، وعلى شفتيه علائم طيبة عميقة ، وفي امارات وجهه دلائل السعادة • كان الناظر الى بسمته وعينيه يخيل اليه أنه يرى السماء خلالهما !...

هتف الكاهن كوروغا :

ـ تريان ، ولدي الحبيب !

ولما حاول الانحناء سقط أحد عكازيه ، لكن الكاهن لم يسقط ، بل لبث واقفاً معتمداً على عكاز واحد •

ثم ترك العكاز الثاني يسقط من يديه ، ولبث واقفاً أمام تريان ،

مكتبة ماجد الحيدر
facebook.كتب.كتب.كتب

منتصباً كالسهم على ماتبقى له من سيقان • لقد أسقط عكازيه ليتسنى له عناق ولده بيديه الاثنتين •

التقط ايوهان موريتز العكازين وأبقاهما في يده ، ووقف قرب الكاهن كوروغا وولده تريان •

## - ١٣٧ -

أصبح الكاهن كوروغا الآن وايوهان موريتز وتريان كوروغا يأوون الى خيمة واحدة ، في معسكر دارستادت •

سمح أخيراً للسجناء بتلقي الرسائل والجواب عليها ، بعد عام كامل من الانتظار والصبر •

كانَ ايوهان موريتز أول من تلقى رسالة • كانت من أم هيلدا • وكان فيها ما يلي :

« عزيزي هانز

« لقد احترق منزلك في ٩ أيار ١٩٤٥ • انني أعرف أنك لست على علم بالأمر • لقد اشتعلت النار فيه بعد ظهر اليوم الذي دخلت فيه القطعات الروسية مدينتنا • كانت هيلدا وولدك فرانتز في المنزل • لكنني لم أعرف خلال الاسابيع الاولى أنهما احترقا معه ، وهما على قيد الحياة • بيد أنني بينما كنت أبحث بين الانقاض ذات يوم ، علني أعثر على شيء عفت عنه النيران ، عثرت على جثتيهما محترقتين • لقد ماتت هيلدا وهي تضم الطفل بين ذراعيها • لست أدري لمَ لم تفر لما اشتعلت النار في البيت • يخيل اليَّ أنها كانت نائمة ، لكنني لاأعتقد بأن هيلدا كانت نائمة في تلك الساعة ، خصوصا في اليوم الذي دخل فيه الروسيون المدينة • لقد هرب الناس كلهم ، وخصوصاً النساء في ذلك اليوم • ولم يكن من عادة هيلدا النوم بعد الظهر ، وأنت تعرف ذلك • كانت عند عودتها من المستشفى ظهراً تمارس عملها المنزلي مباشرة •

« لقد جمعت عظام هيلدا وولدك المحترقة ، ووضعتها في تابوت واحد ودفنتهما في مقبرتنا • انني لم أتمكن من صنع تابوتين ، لأن الثمن مرتفع جداً ، ولأن أحداً لايوافق على صنع التوابيت • فليس هناك مايلزم من الخشب ، والمسامير مرتفعة الثمن • وقد اضطررت الى انتزاع المسامير من الجدران ومن اللوحات ، واعطائها الى النجار ليصنع تابوتاً لهيلدا • بل انه رغم هذه التسهيلات رفض صنعه ، زاعماً أن المسامير كانت دقيقة وقصيرة لاتصلح للتوابيت • فاضطررت الى اعطائه احدى قبعاتك لاقنعه • فأرجو أن لايغضبك أن أكون تصرفت بقبعتك دون أن أسألك الرأي ، لأنه لولا تلك القبعة لما وافق النجار على صنع التابوت ، ولأنني كنت مضطرة الى دفن عظامهما ، رغم أن الناس في هـذه الايـام أصبحوا يدفنون موتاهم دون توابيت•لقد لبثت العظام حتى الاسبوع الاخير في البيت•وقد صنعت صليباً من الخشب ، لكنك عند عودتك ستأمر بصنع واحد من الحجر • ان كل صلبان قبور عائلتنا مصنوعة من الحجر وجميلة •

« لقد وجدوا بين الانقاض جثة ضابط محترقة تماماً • لعله ضابط ، طلب القرى أو أراد ابدال ثوبه العسكري بثوب مدني ،لان كل العسكريين نهجوا على هذا النحو ، وارتدوا ثياباً مدنية عندما وصل الروسيون • لكن حافظته الجلدية لم تحترق كلها • وقد عثرت فيها على أوراقه • ان اسمه ايورغو ايوردان ، وهو روماني مثلك • لقد كتبت لك هذه التفصيلات ظناً مني أن الرجل قد يكون من أقربائك ، وانه قد جاء ليراك • »

## - ١٣٨ -

قال الكاهن ألكسندرو كوروغا :

ـ لعل من الخير أن باتت النتيجة على هذا النحو !•

كان واضعاً يده على كتف ايوهان موريتز يحاول تعزيته • استطرد :

مكتبة ماجد الحيدر
facebook
كتب. كتب. كتب

ـ تصور أن هيلدا لازالت على قيد الحياة ، وأنهم أطلقوا سراحك يوماً ، فالى أي زوجة من زوجتيك كنت ستذهب ؟ ان أحداً ماكان يستطيع المفاضلة بينهما أو الانتقاء !

قال ايوهان موريتز :

ـ ان سوزانا اذن لم تطلقني !

لم يكن يعرف الحقيقة من قبل • كان قد ألم بها في تلك اللحظة بالذات ، وعرف أن سوزانا باقية على عهده • أردف :

ـ وهي تنتظرني في البيت ؟

فأجاب الكاهن :

ـ ان سوزانا تنتظرك ، وستنتظرك الى الأبد • انها زوجتك لم تتبدل • انها لم توقع على ورقة الطلاق الا لتبقى في البيت ، فلا يلقى بها خارجاً مع ولديك • لقد تصرفت على هذا النحو بسبب يأسها من بلوغ غايتها على نحو آخر • لكنها لم تعتبر نفسها أبداً مفترقة عنك •

قال ايوهان موريتز :

ـ وهذا الطلاق ؟ لقد كان كذبة فظيعة ! وأنا الذي صدقت أن سوزانا قد انفصلت عني بالطلاق لتقترن بسواي بما جبلت عليه من سخف ! لقد اعتقدت أن سوزانا هجرتني • كيف يتسنى لي أن لاأصدق ذلك بعد أن قرأته في ورقة الطلاق بعيني هاتين ؟ لكنني ارتكبت اثماً ! ولن يسمح لي الله ، ولن يصفح عني أبداً !

قال الكاهن كوروغا :

ـ سوف يغفر لك هذا الاثم ! ان ماوقع خطير جداً ياموريتز ! لكن لست أنت المخطىء ولاسوزانا • ان المسؤولية تقع على الدولة وقوانينها • ولن

مكتبة ماجد الحيدر
facebook

يغفر للدولة ! سوف تعاقب الدولة كما عوقبت سودوم[1] وعامورة[2] • ان الصاعقة لن تسقط على دولتنا فحسب ، بل ستحرق كل مجتمع اليوم ، ذلك المجتمع الذي يرتكب الخطايا والآثام التي لايمكن الله أن ينظر اليها ، دون أن يتألم بمرارة منها •

## - ١٣٩ -

مضى تريان كوروغا للاستجواب الأول الذي أخضع اليه ••

قال الضابط المستجوب :

ـ انك تزعم أنك لاتعرف سبب توقيفك وسجنك ، منذ أكثر من عام ؟ ليس بين الخمسة والعشرين ألف سجين الذين يعج بهم المعسكر واحد يعترف بأنه يعرف سبب توقيفه • انكم على اختلاف مناحلكم ومللكم ، تدعون بأننا غزونا أوربا وأوقفنا الناس ارضاء لنزعاتنا • لكنكم مخطئون • ان كل توقيف حصل بناء على مرسوم •

ابتسم تريان كوروغا ، بينما تابع الضابط وقد لاحظ ابتسامته :

ـ لعلك تزعم أن قوانيننا لاتتفق مع مبادىء الحقوق الخالدة ؟ انني أسمع هذا النقد كل يوم • انكم جميعاً تستندون الى نقص القيم الخالدة ، أو نقص الشمول في القوانين التي جرى توقيفكم بموجبها • انكم بذلك تثيرون السخرية ! سخريتنا ! أولا ان لكل بلد الحق في سن القوانين التي يريد تطبيقها ، فالقوانين السائدة اذن في بلدنا تهمنا وحدنا • ثانياً : ليست هناك مبادىء حقوقية خالدة • ان العدالة تحقق بواسطة بني الانسان •

---

(١) سودوم ، مدينة قديمة في فلسطين كانت تقع قرب البحر الميت ، وقد جاء في الانجيل انها دمرت بنار السماء بسبب الاثم • « المترجم »

(٢) عامورة : مدينة أخرى من مدن فلسطين ، دمرت مع سودوم ، بنار السماء ، حسبما جاء في الانجيل • « المترجم »

مكتبة ماجد الحيدر
facebook.com/كتب.كتب.كتب

ولايمكن لشيء بشري أن يتسم بطابع الخلود . فكل قانون اذن يساوي على العموم ، مثيله في بلد آخر . فكل القوانين فانية وأزلية معاً . وكل من يرى عكس ذلك ، انما يخدع نفسه بنفسه .

« انك موقوف الآن باعتبارك من موظفي دولة عدوة ، وذلك بحسب القوانين السائدة حالياً في منطقة الاحتلال الامريكية. ان القانون يريد ذلك.

« ان زوجتك أوقفت هي الاخرى ، استناداً الى القانون الذي ينص على أن زوجات كبار الموظفين الاجانب يوقفون آلياً . وقد أوقف أبوك كذلك بشكل آلي ، باعتباره موظفاً في دولة عدوة .

« انني أوافقك على أن ذلك قد يبدو قاسياً بالنسبة اليك . ولكن القانون هو القانون . لقد كانت القوانين قاسية دائماً خلال حقبات التاريخ. ولا أظن أنك تزعم أنه كان يجب علينا استشارتكم قبل وضع قوانيننا !

وقف تريان كوروغا يريد الخروج . كان واثقاً منذ أن بدأ في كتابة روايته ، من أن الوقت الذي تحرم فيه القوانين على بني الانسان العيش كما تحلو لهم الحياة ، قد قد أزف . لقد شعر ، منذ توقيفه ، بأن تلك القوانين قد بدأت تدخل في حيز التنفيذ . لكنه ظل يحتفظ بأمل غامض ، يدفعه الى الاعتقاد بأنه مخطىء في زعمه .

والآن أبلغ رسمياً أن تلك القوانين قد أصبحت مطبقة بحزم ، ومحترمة .

لم يكن هناك أي مجال للاعتقاد بالخطأ .

ان مخلوقات بشرية غير مذنبة كانت تتعرض ، وتعرضت كذلك بصورة مشروعة ، للتوقيف ، والتعذيب ، والاهانة ، والسلب والافناء !

استرسل الضابط يقول :

ـ انني مقتنع بأنك لست مذنباً . وهذه هي المرة الرابعة التي أطلب

فيها الى السلطات اطلاق سراحك وسراح زوجتك وأبيك ، رغم أنه ممنوع منعاً باتا أن نطلب اخلاء سبيل شخص ما من المساجين الموقوفين بصورة آلية • لكنني لم أتلق جوابا • ان أوامر اخلاء السبيل لايمكن أن تمنح بصورة فردية • ان اطلاق السراح ، لايمكن أن يقع الا لمجموعات من الاشخاص •

سأل تريان :

ـ ان كون الشخص مذنباً أو غير مذنب ، لا علاقة له بموضوع التوقيف اذن ؟ ان هذا جدير باثارة انتباهكم،ولو من قبيب حب الاستطلاع•

فأجاب الضابط :

ـ ان هذا لايهمنا في شيء ، حتى ولو كان ذلك يجرح احساسك كرجل نشأ حسب المفاهيم الفردية ، ويدمي كل أفكارك وعقائدك اللاهوتية والجمالية والانسانية • انني لاأستطيع أن أبدل شيئاً • مع ذلك فلاحاجة لان يبدل أي شيء • قد يبدو أسلوبنا جافياً ، آلياً وحسابياً ، لكنه صحيح • ان العالم كله يتحرك في لون من « الطريق الحسابي » ولن يخطر ببال أحد أن يبدل سيره واتجاهه •

قال تريان :

ـ ان الاستجواب الذي استهدفت له الآن لايهمك اذن ؟ انه كان يمكن أن لايكون مطلقاً ، أليس كذلك ؟ يبدو أن مامن شيء يتعلق بالفرد يمكن أن يثير اهتمامكم !

أجاب الضابط :

ـ لاشيء • ان كل ماتريد معرفته عن الشخص هو معلومات خاصة ، أي اسمه الكامل الصحيح ، تاريخ الولادة ومكانها ، مهنته ، الخ ••• ، لنسجل تلك المعلومات على بطاقات خاصة وندونها في احصاءاتنا •

« على كل حال ان هذه الاستجوابات تهدف في حقيقتها الى التحقق

مكتبة ماجد الحيدر
facebook
كتب كتب كتب

من بعض المعلومات ، وتقسيم المساجين الى فئـات • ان التعليمات المتعلقة بالتوقيف أو اطلاق السراح لاينظر في شأنها الا على أساس جماعي • ان عملنا يقوم على أساس توزيع كل شخص على الفئة التي ينتمي اليها • انه عمل حسابي دقيق •

ـ أولا تجدون أن الغاء الانسـان ومعاملته كجزء من فئـة عمـل غير انساني •

فقال الضابط :

ـ كلا انني لا أرى في ذلك شيئاً غير انساني • ان هذا الاسلوب عملي وسريع بل انه علاوة على ذلك عادل • ان العدالة لايمكن الا أن تربح من هذا الاسلوب • ان العدالة لتسير وفق مناهج العلوم الرياضية والفيزيائية ، أي بحسب الاساليب الاكثر دقة • ان الشعراء وحدهم وعلماء اللاهوت يستنكرون هذه الوسائل والاساليب •

« لكن المجتمع المتمدين ، قد نقح المبادىء اللاهوتية والشعر • اننا الآن نجتاز حقبة علميـة رياضية سليمة ولا يمكـن لنـا العودة الى الوراء لاسباب عاطفية • ان العواطف ليست ، على كل حال ، الا من ابتكار الشعراء وعلماء المعقولات •

أشار الضابط اشارة يفهم منها أن الاستجواب قد انتهى •

فتح تريان كوروغا الباب ، وسمع من ورائه صوت الضابط الـذي استجوبه يقول ببرودة :

ـ الى التالي •••

ـ ١٤٠ ـ

كان ايوهـان موريتز يفكـر في الفرار مـن المعسكر • كان لا يستقر

على حال بعد أن عرف أن زوجته سوزانا لم تطلب الطلاق منه ، وأنها تنتظره بكل اخلاص مع أولادها .

قال تريان :

ـ لا يستوجب الأمر مجرد التفكير فيه . انك لاتكاد تقترب من الاسلاك الشائكة حتى يطلق البولونيون النار عليك .

نظر موريتز الى الحراس البولونيين المرتدين ألبسة أمريكية زرقاء . كان البولونيون واقفين ينظرون اليه بانتباه ، كما لو كانوا قد خمنوا مايجول في رأسه ، ممسكين أسلحتهم بأيديهم على استعداد لاطلاق النار .

استطرد تريان :

ـ فاذا أخطأك البولونيون فانك ستقتل من قبل العسس الامريكي ، أو الالماني ، قبل أن تصل الى رومانيا . انك لتلاقي في طريقك جنوداً نمساويين ،وتشيكين ،وفرنسين ، وهنغاريين ، فلا تصل أبداً الى رومانيا... سوف ينالونك في الطريق . فاذا تفاديت بنادق أمة ونجوت من جنودها ، قتلتك الأمة التي تليها . ان بينك وبين بيتك وبين أسرتك ياعزيزي موريتز ، تقوم أمم العالم ، أمم مسلحة تريد قتلك ... ان هذا الجيش الدولي العالمي يقف حائلا بين كل رجل وحياته الشخصية الخاصة . ان الرجل الآن لم يعد يسمح له أن يعيش حياته الخاصة . انه يقتل رمياً بالرصاص اذا حاول ذلك . ان المصفحات والرشاشات والانوار الكشافة والأسلاك الشائكة ، قد صنعت من أجل هذا الهدف ...

فقال ايوهان موريتز :

ـ سوف أهرب رغم ذلك .

ونظر اليه الحارس البولوني باهتمام متزايد .

وفي تلك اللحظة ، دخل ضابطان أميركيان الى فناء المعسكر ، واتجها

مكتبة ماجد الحيدر
كتب كتب كتب .facebook

نحو مستشفى المعسكر ، فتابعهما ايوهان موريتز بأبصاره .

وفجأة ترك تريان دون أن يتفوه بكلمة ، وراح يجري في اتجاههما وانتصب أمامهما فتوقف الضابطان كذلك . نظر ايوهان موريتز اليهما ونظرا اليه . ودام ذلك فترة بلغت دقيقة كاملة . وفجأة أحاط أحد الضابطين ـ وهو أقوى من زميله بنية وأكبر سناً ـ موريتز بذراعيه وعانقه بأخوية . فأحاط الساجين بهما ، وقد استبد بهم الفضول والاستغراب . لم يسبق لواحد منهم أن رأى ضابطاً أمريكياً يعانق سجيناً .

توجه ايوهان موريتز نحو مستشفى المعسكر مع الضابط الأميركي الذي لبث يطوقه بذراعيه ، ودخلا معاً .

اقترب تريان كوروغا من المستشفى ووقف قرب الباب . لبث منتظراً يتطلع الى عودة صديقه تواقاً الى معرفة أخباره . كان ينتظر أوبة موريتز ليقص عليه وقائع الأمر ، لكن ايوهان موريتز تأخر في العودة .

انقضت فترة سمع تريان كوروغا بعدها صوت ايوهان موريتز . رآه يطل عليه من نافذة مكتب لمستشفى ، وعيناه السوداوان تلتمعان كالشعلة الملتهبة .

قال موريتز :

ـ ان الضابط الاميركي هو صديقي الدكتور ابراموفيسي . لقد عرفته على الفور . لقد فررت معه من رومانيا . انني الآن واثق من أنني سأعود الى الحرية !

أغلق ايوهان موريتز النافذة لأن صديقه استدعاه ليكلمه .

## - ١٤١ -

لم يكن ايوهان موريتز قد تحدث مع الطبيب ابراموفيسي في معسكر رومانيا ، وفي هنغاريا ، الا بلغة اليديش ، فاستمر يحدثه بها . وكان

مكتبة نجد الحديث
www.facebook.com/groups/

الطبيب الملازم ابراموفيسي يشعر بابتهاج حقيقي لمقابلته ايوهان فكان يصغي بانتباه الى كل كلمة من كلماته .

قص عليه موريتز كل ماوقع له منذ أن إفترقا في هنغاريا حتى تلك اللحظة ، فكان ابراموفيسي يهز رأسه للاعراب عن عطفه واشفاقه خصوصاً لما قص عليه موريتز حكاية العذاب الاليم الذي تعرض له في الخمسة عشر معسكراً التي دخلها في ألمانيا في السنوات الاخيرة .

قال الطبيب ابراموفيسي وهو ينظر الى ساعة يده :

ـ ينبغي أن أذهب . أنت في حاجة الى المعونة ياعزيزي يانكل . انني أعرف حاجتك الى العون ، لانها حاجة طبيعة . حدثني عما تحتاج اليه ، وسوف أساعدك . أنني لا أنسى أننا اجتزنا لحظات عصيبة معاً .

وربت الطبيب على كتف موريتز وأردف :

ـ انني الآن مقتدر قوي ، وأنت تجتاز لحظات رديئة من حياتك . ماذا تحتاج اليه ؟ أتريد لفافات ، أو غذاء أو ألبسة ؟ اذكر لي ماتريد .

فقال ايوهان موريتز :

ـ أريد الخروج من هنا . أريد العودة الى بلدي والعودة الى زوجتي وأولادي .

قال الطبيب بانزعاج :

ـ لاتطلب المستحيل ياعزيزي يانكـل . اطلب شيئاً تمكنني سلطتي من منحه اليك . ان اطلاق سراح الاشخاص يحدث آلياً فلا يجب أن تفكر فيه . بل ينبغي أن تتعود الصبر .

قال ايوهان موريتز :

ـ لكنني بريء ، فلماذا يوقفونني ؟

مكتبة ماجد الحيدر
facebook.كتب.كتب.كتب

فأجاب الطبيب :

ـ ان الادانة والبراءة والحرية لاعلاقة لها في الموضوع .

ثم أردف وقد بان الانفعال على صوته :

ـ هل زعم أحدهم أنك مذنب ياعزيزي يانكل ؟ ان اطلاق سراحك مسألة صبر .

ـ لقد انتظرت بما فيه الكفاية !

قال الطبيب :

ـ هذا رأيك الشخصي . لقد ظللت قرويا شديد السذاجة والجمود. انك تعتقد بأن أي ضابط يستطيع اطلاق سراح سجين ما ، لانه يعتقد بأنه غير مذنب أليس كذلك ؟ لو كان الامر كذلك لاخلي هذا المعسكر بين عشية وضحاها . ان كل نازي يستطيع ايجاد أدلة على براءته .. ان اطلاق السراح لايتحقق الا بناء على أمر الاركان العامة في فرانكفورت ، ومنه ترسل الاوراق الى واشنطن فيحول القرار منها الى ويسبادن ، فتشكل لجنة خاصة في اسلنجن ، وترسله الى برلين . وبذلك يرسل أمر اطلاق السراح الى برلين . كما يرسل بذات الوقت الى هيدلبرج . وعندما يصل الامر الى هيدلبرج، ترفع البطاقة من المحفوظات في مئات من المكاتب وعندئذ فقط تكون مطلق السراح . لكن كل هذه المعاملات شديدة التعقيد ، انها آلة تعمل « أوتوماتيكياً » . ان لكل سجين بطاقته . ولدى الامريكيين دار للمحفوظات ، ضخمة كبيرة ، تضاهي الثكنة التي تراها في الجانب الآخر . فعندما يرسل أمر اطلاق السراح الى هيدلبرج ، ترفع بطاقتك آلياً من محفوظات واشنطن وشتوتجارت ، ولوديمبسنورج ، وميونيخ ، وكورنويستذيم ، وباريس ، وفرانكفورت ، وبرلين .

« ان اسمك مسجل في العالم بأسره ، في كل مكان ، في المكتب

مكتبة مير كتب facebook

الاتحادي للمعلومات في أمريكا ، وفي القيادة الحليفة العليا في باريس ، وفي لجنة الرقابة في برلين ، وفي المعسكرات والسجون ، وفي مكاتب البوليس ، بوليس الجرائم ، بوليس السياسة ، الشرطة العسكرية ، شرطة المشبوهين ، شرطة الطوارىء الخ ..

« ان كل حركاتك حتى أكثرها تفاهة ولو لم يكن الا نقلك من معسكر الى آخر ، تحدث حركة وتبديلا في بطاقتك،بين مختلف دوائر المحفوظات. فهل كنت تعرف ذلك ؟

راح ايوهان موريتز يتخيل اسمه مكتوباً في كل مدن العالم ، تكرره الآلات الكهربائية ، فيضيء وينطفىء على التوالي أشبه بتلك الانوار الكشافة المسلطة على الاسلاك الشائكة في المعسكر . عرف في تلك اللحظة أن كل حركة من حركاته كانت تصور وتسجل وتضاء ! قال :

ـ ماكنت أعرف ذلك !

ـ لو أنك عرفتـه لما سألتني اطلاق سراحك . لذلك ، فانني لست بناقم عليك لأنك سألتني ذلك . انك كنت تظن أنني لوحدي أستطيع أن أنتزعك من بين ذراعي هذه الآلة الجبارة . أليس كذلك ؟

راح الطبيب آبراموفيسي يقهقه ضاحكاً ثم أردف :

ـ ان رئيس جمهورية الولايات المتحدة لن يستطيع ذلك ، ينبغي لك أن تنتظر حلول دورك بهدوء .

سأل ايوهان موريتز :

ـ ولكن ، لم أبقى في السجن طالما أنني بريء ؟ لم تنقم الآلة علي اذا كنت لم أسيء اليها ؟ ان الآلة التي تتحدث عنهـا مصنوعة ولا شك لمطاردة اللصوص والمجرمين والآثمين .

قال الطبيب :

مكتبة ماجد الحيدر
facebook
كتب كتب كتب

ـ تعلم ياعزيزي يانكل عدم اصدار الحكم بعد الآن على غرار فلاح متأخر ساذج • انك تعود بالاشـــياء كلها الى نطاق الحالات الخاصـة الشخصية • ان البلدان المتمدينة لاتعنى بالحالات الشخصية • ان كونك مجرماً أو بريئاً مسألة شخصية يمكن أن تهتم بها زوجتك أو أن يعلق عليها جيرانك والفلاحون الآخرون في قريتك اهتمامهم • ان هؤلاء وحدهم يهتمون بمسائلك الشخصية • أما الدول الراقية فانها تنظر الى الامور نظرة اجمالية • انها لاتهتم بشؤون الاشخاص فردياً •

ـ ولكن ، لم أوقفوني ؟

ـ لقد قمنا بتوقيفات وقائية وبحسب الاصناف والطبقات • فاذا احتجنا الى المذنب ، أو الى مجرم حرب مثلا ، فانه يكون تحت يدنا ، بدلا من أن نعمد الى البحث عنه في كل مكان ، وملاحقته في كـل القـرى والغابات • لو فعلنا ذلك لاضعنا وقتاً كبيراً • أما بهذه الوسيلة فاننا لن نتكلف الا عناء الضغط على زر يتعلق بالحروف الاولى من الاسم ، وقبل أن نعد الى ثلاثة ، تكون بطاقة الشخص المطلوب بين أيدينا مع صورته وكل المعلومات المتعلقة به : طوله ، وزنه ، لون شعره تاريخ ومكان ولادته ، عدد أسنانه ، وكـل مايهمنا معرفته • وعندئذ يكفي أن نرفع البوق لنبلغ بواسـطة الراديو ، المعسكر او السجن الذي يكون رجلنا فيه ، فلا تنقضي ساعات محدودة ، الا ويكون الشخص بلحمه ودمه ماثلا أمام محكمة نورمبرغ الدولية • ان هذا العمل مدهش • انه نتيجة التقدم الفني • ان كل شيء يتحقق آلياً ، وكل شيء يسير بالكهرباء • فكيف تريدهم أن يطلقوا سراحك ؟ ان ذلك يعادل الجنون ! أنك تشبه خيطاً انتظم في نول للحياكة ، ومنذ أن أدخل في مكانه يتعذر استخراجه وعندئذ ينبغي الانتظار حتى يخرج من تلقاء نفسه منسوجاً مع الخيوط الاخرى ، ولن يكون ذلك الا في وقت معين •

مكتبة ماريو الحلبي
www.facebook.com/groups/kotob

ان من المستحيل التصرف على لون آخر • ان الآلات دقيقة جداً ، فينبغي للمرء أن يتعلم الصبر عندما يتعامل معها •

« وأنت ، انك في صميم آلة جبارة • فمهما بذلت من مجهود وتحركت وناضلت فانك لن تخرج منها • ان الآلة صماء ، انها لاتسمع ولاترى ، بل تعمل فقط • انها تعمل عملا مدهشاً تبلغ فيه الكمال الذي لايستطيع الانسان بلوغه أبداً • فعلى المرء أن ينتظر وهو مطمئن تماماً الى أنّ دوره سيجيء • ان الآلة لاتنسى كمـــا ينسى المخلوق البشري ، انها دقيقـة • فهل فهل فهمت ؟

رفع موريتز كتفيه يأساً وقال :

ــ انك لاتستطيع عمل شيء اذن ينجم عنه اطلاق سراحي ؟

ــ ألم أفسر لك أنك في آلة جبارة ، وأن خير ماتعمله هو الانتظار ؟

فقال موريتز ملحاً :

ــ ولكنك اذا تدخلت في الموضوع لصالحي ، فان ذلك يجعل الامور في صفي • اذ أن القواد والحكام ليسوا الا رجالا مثلك ومثلي ، انهم يفهمون • لعلهم اذا فسرت لهم موقفي وشرحت لهم أن لي زوجـــة وأولاداً ، وانني أتألم في المعسكرات منذ سنوات وسنوات دون أن أجني ذنبا لعلهم يطلقون سراحي فور ذلك •

قال الطبيب ابراموفيسي بانفعال وغضب :

ــ كأني أحدث بغلا !••• انك تعيد الامور أبداً الى نواحيها الشخصية الخاصة • انك لاتستطيع اغفال نفسك لحظة واحدة • ان هذه صفة الرجل البدائي • قل لي بدلا من هذا ، اذا كنت تحتاج شيئاً • ان عليّ أن أذهب • فهل ترغب في الحصول على لفافات ، أو أطعمة ، أو ألبسة ؟

فقال ايوهان موريتز :

مكتبة ماجد الحيدر
facebook.كتب.كتب.كتب

ـ انني أريد أن أنصف . لكنني أرى أن عدالة الانسان قد ماتت على طول الارض وعرضها ، لذلك فانني لاأريد شيئاً آخر .

قال الطبيب أبراموفيسي وهـو يمد يده الى موريتز حاملـة علبة « لوكي سترايك » :

ـ يمكنك مع ذلك أن تأخذ لفافة .

وابتسم بوداعة وأردف :

ـ لقد كنا أصدقاء في الضراء ياعزيزي يانكل !

مد موريتز يده ليأخذ لفافة لكن العلبة كانت فارغة . راح الطبيب يبحث في جيوبه عن علبة أخرى ، لكنه وجد أنه لايحمل غيرها فقال :

ـ سأقدم لك سيجارة في المرة القادمة ،لما أعود الى هنا ياعزيزي يانكل .

ثم خرج ..

## - ١٤٢ -

لبث الكاهن كوروغا جالساً أمـام الضابط الذي يستجوبه وعكازتاه على ركبتيه .

قال الضابط متسائلا :

ـ ماذا كنت تعمل في ألمانيا اذا لم تكن نازيا ، أم عميلا للنازيين ؟ ان القصة التي ترويها والتي تزعم فيهـا أنك استيقظت فوجدت نفسك في مستشفى عسكري ألماني ، دون أن تعرف كيف وصلت الى ذلك المكان ، تصلح للاطفال وحدهم . ان مثل هذه الامور لايمكن أن تحدث الا في حكاياتكم الخرافية التي تروج بينكم في البلقان . ان الكذب واضح فيها ، انها بعيدة عن المنطق ، بعيدة عن العقل ، واذن لاتصدق ، كقصص الجان . لماذا يحتفظ بك الالمان في مستشفاهم اذا لم تكن نازيا أو مؤيداً للنازية ؟ لم يعالجونك سـتة أشهر متتالية ، ويبترون ساقيك ؟ ألأنك كنت عدواً

لهم ؟ أ لمجرد شعورهم الانساني ؟ ومتى كان الالمان انسانيين ؟ لقد سجن الالمان كل أعدائهم وقتلوهم خنقاً في غرف الغاز • لقد كنت تؤازرهم ولهذا السبب عنوا بك ، ينبغي أن تكون الآن شديد الحزن لان هتلر لم يربح الحرب !

لزم الكاهن كوروغا الصمت وهـو ممتقع الوجه تنثال من حاجبيه قطرات العرق كاللآلىء • كان يجلس بصعوبة على المقعد لانه منذ أن بترت ساقاه كان لايستطيع الجلوس الا مستلقيا ، وكانت الحمى تنهش جسده ، فكان يتلهف الى الخلاص من هذا الاستجواب بأسرع مايمكن ليستطيع مغادرة مقعده •

استطرد الضابط :

ـ لو أن هتلر ربح الحرب لكنت شديد الاغتباط ، أليس كذلك ؟ كان هتلر سينصبك مطراناً على رومانيا • لو ربح الحرب لكان أسعدك الأمر أليس كذلك ؟

قال القس :

ـ كلا ، انني ماكنت لاشعر بالسرور أو السعادة •

ـ هل سررت اذن لان الحلفاء ربحوا الحرب ؟

فأجاب الكاهن :

ـ ليس سروراً زائداً •

قطب الضابط حاجبيه ، فابتسم الكسندرو كوروغا وقال :

ـ ان أي نصر يحصل عليـه بواسطة السـلاح لايمكن أن يدخل السرور الى نفسي •

كان الكاهن ينظر خلال تلفظه بتلك الجملة الى الصور المأخوذة في معسكرات الاعتقال الالمانية • كان يفكر في جثث المستنطق جورج داميان

مكتبة ماجد الحيدر
www.facebook.com/groups/kotob

وفازيل آبوستول والفلاحين الاخرين في فاتانا الذين قتلهم ماركو غولدنبرغ، وألقاهم في حفرة الاقذار وراء زريبة دار البلدية • كان يفكر في جثث أطفال دريسد ، وفرانكفورت ، وبرلين ، وفي جثث دونكرك ، وستالينغراد، فما كان يستطيع الشعور بالسعادة ، وهو يفكر في تلك الجثث التي كان لها الفضل في النصر •

لقد غطيت الارض بجثث الابرياء بغية الوصول الى النصر •
« لايوجد جمال حتى في النصر ،
وذلك الذي يسميه جميلا ،
هو من أولئك الذين يجدون السرور في المذابح •
والذي يجد السرور في المذابح ،
لن ينجح في طموحه الهادف الى السيطرة على العالم •
ان تأوهات حزينة رافقت ولابد الجماعات المذبوحة ،

لذلك ينبغي أن يحتفل بالنصر ، حسب الطقوس الجنائزية •[1]

فقال الضابط :

ـ ان هذه القصيدة رائعة • أأنت الذي نظمتها ؟

ـ بل انها لشاعر صيني ، كتبها قبل الفي عام •

فقال الضابط :

ـ اكتبها لي ، سأرسلها الى أسرتي في أمريكا •

ابتسم الضابط • كان ولا شك يفكر في أسرته • لكنه اكتأب بعد ذلك ونظر الى القس نظرة مستريبة وقال :

ـ هل أنت واثق من أن القصيدة التي تلوتها الآن قد نظمت من قبل صيني ؟

فأجاب الكاهن :

---

(١) هذه القصيدة للشاعر الصيني لاو ـ تزي •

مكتبة ما لا يدرك بحر من الكتب facebook

ـ كل الثقة ! ولكن ، اذا عجبتك الابيات فماذا يهمك أن يكون الشاعر صينياً أو من أي قطر آخر • ان هذه الابيات جميلة ، وهذا هو المهم ، أما ماعدا ذلك ، فليس مهما أو جديراً بالاهتمام ؟

فقال الضابط معترضاً :

ـ بل انه جدير بالاهتمام ، انني سعيد لان الشاعر صيني • ان الصين أمة حليفة للولايات المتحدة ، وستكون أسرتي سعيدة عندما تتلقى هذه الابيات • لو أن الشاعر كان من أمة عدوة ، لما أرسلتها الى أسرتي • أنسخها لي حتى صباح الغد • سأعطيك قلماً وورقاً • هل تعلمت شيئاً آخر غير اللاهوت ؟ هل قمت بدراسات أخرى ؟

ـ لقد تعلمت كل ماسمحت لي الحياة بتعلمه ، كل ما راق لي أن أتعلمه !

ـ هل تعرف اللغة الصينية ؟

ـ كلا •

ـ ياللأسف ، لو أنك كنت تعرفها لطلبت اليك أن تكتب الابيات بالاحرف الصينية • ولكان ذلك مفاجأة كبيرة لاسرتي التي لاتنتظر حتما استلام رسالة من قبلي مكتوبة بالصينية • مع ذلك لابأس عليك اذا كنت لاتعرف الصينية ، اكتبها بالانجليزية • ان الصيني الشاعر ذو قريحة هزلية انه حليف للولايات المتحدة •

لما عاد الكاهن الى المعسكر كان محطما من التعب •

مدده ايوهان موريتز على السرير ووضع على جبينه كمادات باردة • سأله :

ـ هل تحدثت عن اطلاق سراحك يا أبي ؟

فأجاب العجوز :

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.كتب.facebook

ـ كلا .

ـ ولكن ، ماذا سألوك اذن ؟

ـ لقد طلب الي أن أنسخ قصيدة للاو ـ تزي كان يود أن يحصل عليها باللغة الصينية ، ولقد أسف أسفاً كبيراً لانني لاأعرف القراءة والكتابه باللغة الصينية !

ـ كان هذا كل حدود الاستجواب ؟

فهز الكاهن برأسه دلالة أن « نعم » .

## -١٤٣-

تلقى تريان كوروغا رسالة من نورا .

قال تريان وهو يضغط بين يديـــه على الغـلاف المطبوع عـلى جانبه عبارة : **سجين حرب** .

كنت أعرف أن نورا قد أوقفت . لكنني كنت آمل أن يكون قد أطلق سراحها خلال هذا الوقت . والآن لم يعد في الامكان الجري وراء الوهم . انها سجينة مثلنا ، في معسكر كمعسكرنا ، تتألم مثـل ألمنا . انها خاضعة للمعاملة التي نعامل بمثلها ، وهي تنقل من معسكر الى آخر مثلنا ، ويحرسها جنود بولونيون مسلحون بالرشاشات ، من وراء الاسلاك الشائكة ، كما هو حالنا . ان كل وجودي وكياني يرفضان الاحتمال أكثر من ذلك .

كانت نورا لاتعرف عنوان تريان عندما أرسلت تلك الرسالة ، لذلك فقد وضعت على الغلاف ، بجانب اسم تريان ، أرقام كل المعسكرات القائمة في المنطقة الامريكية وبذلك لم تبلغ الرسالة يدي تريان الا بعد أن نقلت من معسكر الى آخر .

استطرد بريان :

مكتبة ماجد الجبير
www.facebook.com/groups/kotob

ـ انهم لم يذكروا لها أين أنا وقد رفضو اعلامي رقم المعسكر الذي هي فيـه •

راح الكاهن يحاول تعزيته والتخفيف عنه • كان ممدداً على السرير والكمادات الباردة على جبهته وايوهان موريتز واقفاً بالقرب منه • لكن تريان لبث أصم الأذن لايصغي الى كلمات العزاء •

استطرد تريان يقول :

ـ ان لكل ألم حدوداً ، وأنا أقدر أنني بلغت الحدود • ان أي كائن بشري لايستطيع تخطي تلك الحدود والبقاء بعد ذلك على قيد الحياة •

ونهض تريان كوروغا واقفاً وخرج من الخيمة •

قال موريتز بذعر :

ـ سوف ينتحر السيد تريان ياأبتاه •

لبث الكاهن مغمض العينين • لـم يسمع كلمات موريتز لأنـه كان يصلي • لم يكن يصلي من أجل تريان ونورا فقط ، بل كان يصلي من أجل موريتز أيضاً ومن أجل البشر الذين دفعهم المجتمع الآلي الغربي الى حد لايمكن للكائن الحي أن يتخطاه ويبقى على قيد الحياة •

قال موريتز :

ـ اذا تركت السيد تريان وحيداً فانه سيقتل نفسه •

فتح لكاهن عينيه ولمس يد يوهان موريتز سامحاً له بالخروج •



قال الكاهن كوروغا :

ـ اعطني يدك أرجوك •

كان مستلقياً عـلى السرير وعيناه نصف مغمضتين • وكـان شاحب الوجنتين ، ممتقع الجبين وقد غادرت الدماء وجهه • قبض العجوز على يد

مكتبة ماجد الحيدر
facebook
كتب كتب كتب

تريان وأودعها يديه دون أن يتلفظ بكلمة ، فاختلطت حرارة الأيدي ، وبدا كأن الدم قد انتقل من واحدة الى أخرى • شعر كلاهما بتدان لايشعر بمثله الا الأب والابن ، وتجاوبت ضربات قلبيهما غير أن وجيب قلب القس كان يزداد خفوتاً •

أراد ايوهـان موريتز أن يبـدل الكمـادة ، غير أن المريض ابتسم له وأشار اليه بعقم المحاولة •

جلس موريتز على حافة السرير وأصغى للكاهن وهو يقول :

ـ في هذه اللحظة لا أشعر بأنني أدفيء يدي بحرارة انسان ، بل بنار الحياة نفسها • انك دافيء محرق ياتريان كما لايستطيع أحد أن يكونه ، الا الحياة نفسها •

ضغط تريان عـلى يدي أبيه • كانت اليدان باردتين غير أن الكاهن ابتسم واستطرد :

ـ لقد حلمت حلمين كبيرين في حياتي على الأرض : أن أكون كاهناً في أمريكا ، وأن أدفن بعـد موتي في مقبـــرة فاتتانا • أتعرف تلك المقبرة ياتريان ؟ انها مقبرة لاجدران لها ولا أسلاك شائكة ، وهي مغطاة بالأزاهير والاعشاب البرية •

« ان تلك المقبرة تشبه الحقل الكبير ، وقـد كنت أفضل أن أكون هناك ، لأتأمل رحلتي الأبديـة • ولقد تحقق الحلمان بطريقة مضحكة غريبة • انني لم أذهب الى أمريكا ، لكن أمريكا جاءت الي • وسأموت في هذا السجن الذي تخفق عليه الراية الأمريكية ذات النجوم •

« ولن أدفن في مقبرة فاتتانا • لكن مقبرة فاتتانا قـــد اتسعت حتى عمت أوربا كلها •

« ان فاتتانا ورومانيا وأوربا كلهـا ، ليست الآن الا لطخة سوداء على

مكتبة ماجد الحيدر كتب كتب facebook

خريطة العالم ، كلطخة الحبر • ان القارة كلها صامتة حزينة • لقد غادرها السرور والانشراح كما غادرا مقبرة فاتانا • وعما قريب ستغطى هـذه الأرض بالأزاهير والأعشاب البرية كما هو حال مقبرتنا • وماذا يهم بعد ذلك المكان الذي سأدفن فيه على هذه القارة • سأشعرُ أينما كنت مثـل شعوري في مقبرتنا الخالية من الاسلاك والحواجز •

قال تريان :

ـ لم تحدثني بكل ذلك ؟ يجدر بك أن تستريح •

فأجاب القس كوروغا :

ـ انك على حق • لكنني أريد أن أحدثك بأمر آخر • اعلم ياتريان أن « الحياة لم يكن لها أبـــداً مقصد موضوعي الا اذا أردنا بذلك التنويه بالموت • ان كل هدف حقيقي وواقعي ليس الا مختص بالنفس ، ذاتي • »

« ان المجتمع التكنى الغربي يريد أن يعطي للحياة هدفاً موضوعياً ، وذلك خير وسيلة لافنائه • لقد حولوا الحياة الى احصاء ، ولكن : « كل احصاء يسمح باغفال أمر وحيد من نوعه • وكلما تطورت الانسانية كلما أصبحت وحدة الشخص ، ووحدة كل مسألة شخصية ، هي المهمة التي يؤخذ بها • »

« غير أن المجتمع الآلي يتقدم في الاتجاه المعاكس تماماً : انه يعمم كل شيء : « وبسبب الاستمرار على التعميم والبحث ، أو ايداع كل القيم في ماهو عام ، فان الانسانية الغربية فقدت كل شعور بالقيم الفرديـة ، وبالتالي بالكيان الفردي • ومن هنا نشـأ خطر الجماعيـة ، سواء كان على الطريقة الروسية أو على الطريقة لامريكية • »[1]

« وبسبب ذلك نستطيع أن نتأكد من أن هذا المجتمع سينهار • لقد

---

(١) من كلمات للكونت هـ • دوكيسيرلنغ •

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.facebook

تحدثت مرة عن ذلك بنفسك ، ذات مساء في فانتانا • ان مجتمع الحضارة الفنّية قد أصبح متناقضاً مع حياة الفرد لانه يخنق الانسان • والبشر يموت ميتة الأرانب البيضاء التي تتحدث عنها في روايتك • اننا نموت جميعاً مختنقين في الجو الخانق الذي يخلقه هذا المجتمع ، حيث لايمكن لغير الرقيق الآلي والآلات والمواطنين أن تتحرك فيه ، كما أردت البحث في ذلك ، في كتابك • ان البشر بهذا الشكل يخطىء خطيئات خطيرة ، ويعتبر مذنباً حيال الله •

« اننا نعمل بكل قوانا ضد خيرنا الخاص وضد الله على الأخص • وذلك هو آخر منحدر بلغت اليه الكتلة البشرية • وفي يوم من الايام سوف ينقرض هذا المجتمع كما انقرضت مجتمعات كثيرة خلال حقبات التاريخ ، وقبل أن يبدأ التاريخ •

« ان الرجال يحاولون انقاذ هذا المجتمع بنظام منطقي في حين أن ذلك النظام بالذات هو الذي يقضي عليه •

« هذه هي جريمة المجتمع الآلي الغربي • انه يقتل الانسان الحي في سبيل النظرية ، أو في الانصراف عن الواقع ، أو في سبيل الخطة • وفي ذلك لون من التضحية الانسانية الحديثة • ان كومة الحطب والقتل حرقاً بالنار كما كان سائداً من قبل ، قد استعيض عنهما اليوم بالمكتب والاحصاء • ان هاتين الخرافتين الوثنيتين الجديدتين في المجتمع الحاضر ليستا الا النار التي تحرق الضحية الانسانية •

« ان الديمقراطية مثلا لون تنظيمي اجتماعي متفوق تفوقاً واضحاً على النظام الكلي « توتاليتاريزم » ، السائد في المجتمعات الأخرى • لكنها لاتمثل الا مقياس الحياة البشرية من الوجهة الاجتماعية • فاذا بلغ المرء مبلغ الخلط بين الديمقراطية واتجاه الحياة نفسها ، فانه بذلك يقتل الانسان

مكتبة مازن الحيدر كتب facebook

ويحيله الى مقياس واحـد • وتلك هي الخطيئة الكبرى ، الخطيئة التي ارتكبها النازيون والشيوعيون •

« ان الحياة الانسانية ليس لهـا أي معنى اذا لم تؤخذ ولم تُحي في مجموعها • ولكي يتعمق الانسان في الاتجاه الاقصى من الحياة ، يجب أن يستعمل الأدوات نفسها التي نستعملها لفهم الفن والدين : أدوات الابداع الفني ، أدوات كل ابداع • ان العقـل يشغل دوراً ثانوياً في اكتشاف هذا الاتجاه الاقصى من الحيـاة • فالرياضيات والاحصاءات والمنطق ليس لها في تفهم وتنظيم الحياة البشرية الا ذلك المفعول الذي يحدثه الاصغاء الى لحن من ألحان بتهوفن أو موزار •

« لكن المجتمع الغربي الآلي يلح بعناد في الوصول الى فهم بتهوفن ورافائيل عن طريق الحسابات الرياضية ، ويلح بعناد على فهم الحيـاة الانسانية وتحسينها بواسطة الاحصاءات • •

• « ان هذه المحاولة منافية وأليمة معاً •

« ان الانسان يستطيع أن يبلغ على أبعد حد ـ استناداً الى هـذا الاسلوب ـ الى ذروة الكمال الاجتماعي ، لكن ذلك لن يفيده في شيء • لأن حياة الانسان نفسها لن يكون لها وجود في اللحظة التي تنقلب فيها الى الجماعية والآلية ، والى قوانين تتعلق بالآلة • ان هـذه القوانين لايمكن مطلقاً أن تعطي لوناً للحياة البشرية • واذا نزعنا من الحياة لونها ـ وهو اللون الوحيد الذي تحتفظ به والذي يفوق حـد المنطق ـ فان الحياة اذن ستبلغ الفناء • ان لون الحياة شخصي ودي محض •

« ان المجتمع المعاصر نبذ منذ زمن طويل هـذه الحقائق ، ومضى بسرعة مريعة يدفعه اليأس ، نحو سبل أخرى • ولهذا السبب ، تتدفق أمواه الرين والدانوب والفولغا فائضـة بدموع العبيد • ان تلك الدمـوع

مكتبة ماجد الحيدر
facebook

تستطيع ملء مجاري كل أنهار أوروبا ، وكل أنهار العالم • حتى البحار والمحيطات ، فانها تفيض عن استيعاب مرارة الرجال الأرقاء للآلة والدولة وللبيروقراطية ورأس المال •

« ولسوف يشفق الله على البشر أخيراً ، كما أشفق مرات من قبل • ثم يصبح العدد الضئيل من بني الانسان الذين احتفظوا بانسانيتهم ، طافيا فوق أشلاء وحطام هذا التدمير الاجتماعي الجماعي ، كما حدث لنوح في سفينته من قبل • ولسوف تنقذ الانسانية بفضل هؤلاء ، كما انقذت مرات ومرات ، في مجرى التاريخ •

« لكن الخلاص والسلام لن يهبطا الا على الانسان الذي ظل انساناً • وأقصد على الاشخاص بمفردهم • ان النجاة في هذه المرة لن تكون من نصيب الكتل والجماعات ، بل من نصيب الافراد •

« لن تستطيع كنيسة ولا أمة ولا دولة ولا قارة ، أن تنقذ أفرادهـا جماعات أو فصائل • ان من يُنقذ عندئذ سيكون الانسان الفرد ، بصرف النظر عن عقيدته ومنشئه ، وعن الفئات الاجتماعية أو السياسية التي ينتمي اليها • ومن أجل ذلك لايجب أن يحاكم الانسان استناداً الى الفصيلة التي ينتسب اليها •

« ان الفصيلة ، هي الخدعة الاكثر وحشية والاشد فظاعة من كـل مااقتحم يوماً عقل الانسان من آراء • اذ لاينبغي أن ننسى أن عدونا كذلك رجل وليس فصيلة •

انتهز تريان كوروغا فترة صمت الكاهن ليسأله بصوت مروع وجل :

ـ أبتاه ، لمَ تشرح لي كل هذا الآن ؟ لعل من الافضـل لك أن تستريح •

ـ هذا ما سأعمله • انني سأستريح • ولكن يجب أن أقول لك كل

مكتبة محمد الجيار
facebook
كتب كتب كتب

هذه الأمور قبل أن أرتاح • انك تعرفها وتشعر بها مثلي • ان كل انسان يحسها ويعرفها ، وايوهان موريتز يعرفها هو الآخر • لكن تكرارها بعث في نفسي الراحة والهناء • انني ماكنت أستطيع التمتع بالراحة لو لم أتحدث عنها •

ـ ان يدك باردة ،ياأبتاه •

ـ انني أعرف ذلك ، ياتريان • لعل ذلك مرده حالة غريبة من حالات القلق ، لاأستطيع التغلب عليها ! انه قلق أقوى من جسدي •

قال تريان :

ـ لست أفهم ، ياأبتاه • ماذا تريد أن تقول ؟ هل تشعر بألم ؟

فأجاب الكاهن :

ـ كلا •

تقلصت شفتا الكاهن كوروغا في زاوية أليمة وكأن تياراً كهربائياً أو سهماً من البرق قد اخترق جسده ، فانحنى تريان عليه • وفجأة أضاءت وجه الكاهن ابتسامةحارةطافحة بالحب ،والتمع نور في مكان ما وراء جبهته•

فهم تريان أنهـا كانت النهاية ، فركـع الى جانب السرير ، وراح ينشج وينتحب •

نهض ايوهان موريتز وسأل :

ـ هل أستدعي طبيباً ؟

لم يجب تريان ، واستمر يضغط على يدي أبيه بين يديه ، ويبكي بيأس لم يشعر طيلة عمره بأقوى منه •

فهم ايوهان موريتز عندئذ الخبر ، فنزع قبعته وركع بجانب تريان ، ورسم على صدره اشارة الصليب •

نهض ايوهان موريتز بعد لحظات ، فاذا بالسجناء قد تجمهروا حول

مكتبة ماجد الحيدر
كتب كتب facebook

الخيمة ، وقد جاءوا من الخيام المجاورة وكل الخيام الاخرى .

شق ايوهان موريتز لنفسه طريقاً بين السجناء الذين كانوا جميعاً عراة الرؤوس صامتين ، وعاد بعد قليل بشمعة وضعهـــا قرب رأس الميت ، في علبـة من علب المحفوظات الفارغة ، بدلا من الشمعدان . كانت الشمعة مصنوعة من بقايا الشحوم التي يطلى بها عادة جوانب صناديق الورق المقوى التي تشحن فيها أنواع « الشوكولاته » . أضاءها ونصبها فوق سرير الكاهن كوروغا .

- ١٤٥ -

جاء طبيب المعسكر ، وهو من سجناء الحرب كذلك ، يتبعه ممرضان يحملان نقالة ، فدخلوا الخيمة حيث كان جثمان الكاهن كوروغا مسجى .

سأل تريان :

ـ ماذا تريدون ؟

أجاب الطبيب :

ـ لقد جئنا نحمل الجثة ، لاننا لانستطيع ترك جثث تحت الخيام .

ـ والى أين تمضون بها ؟

فأجاب الطبيب :

ـ الى خارج المعسكر ، لكننـا لاندري أين . يجب علينـا أن نعلم السلطات العليا كي يحضر الامريكيون فينقلوها في سيارة .

ـ لكن من حقي رغم ذلك ، معرفة المكان الذي ستضعون فيه جثة أبي .

أجاب الطبيب بخشونة :

ـ هناك أشياء كثيرة نود لو نعرفها ، لكن معرفتها مستحيلة .

اقترب الممرضان من السرير وأرادا نقل جثة الكاهن على النقالة ، فأوقفهما الطبيب باشارة من يده وقال :

مكتبة ماجد الحيدر
www.facebook.com/groups/kotob

ـ يجب أن أعاين الوفاة لأتأكد منها • اذ لعله على قيد الحياة •

أمسك بيد الكاهن واحتفظ بها برهـة بين يديه ، ثم انحنى ووضع أذنه على صدر العجوز •

انتصب واقفاً وأمر الممرضين قائلا :

ـ يمكنكما نقل الجثة •

صاح تريان :

ـ كـلا !

قال الطبيب :

ـ ما فائدة الاعتراض ؟ اننا لسنا الا مجرد مساجين مثلكم ، لانستطيع الا اطاعة الاوامر •

ـ أريد قبل كل شيء أن أعرف المكان الذي ستنقلون اليه جثمان أبي• ان هذا أقل ما أستطع طلبه ، طالما أنني لن أستطيع حضور دفنه • أريد أن أتأكد من أنه سيدفن حسب الطقوس المسيحية • ان من حقي معرفة ذلك ولو كنت سجيناً • انه في اللحظة التي فارق فيها الحياة لم يعد سجيناً بل أصبح من حقه أن يحترم ، كما يحترم الاموات ، كل الاموات ، عـــلى اختلاف مذاهبهم !

سأل الطبيب :

ـ ومن قال لك أن الاموات لايحترمون ؟

أجاب تريان :

ـ أنا لم أقل هذا • ان أبي كاهن أرثوذوكسي ، وأريد أن يدفن حسب طقوس الكنيسة التي ينتمي اليها •

ـ اطلب ذلك غداً خطياً من القائد الامريكي •

مكتبة ماجد الحيدر
facebook.كتب.كتب.كتب

ـ وهل تستطيع أن تؤكد لي أن غداً لن يكون الوقت قد فات لمثل هذا الطلب ؟

قال الطبيب :

ـ انني لا أؤكد شيئاً . انني سجين أنا الآخر كما أنت سجين .

ـ اذاً سيمكث الجثمان هنا . أريد ، قبل أن أفترق عنه ، أن أحصل على تأكيد بأنه سيدفن حسب تعاليم الكنيسة الاورثوذكسية .

قال الطبيب :

ـ انك تعترض عبثاً .

ـ يجوز ، ولكنني أمانع رغم ذلك .

ـ اننا ملزمون بأخذ الجثة . اذ تلقينا أوامر تقضي بعدم ترك جثث في المعسكر .

قال تريان :

ـ يمكنكم أخذه ، بالقوة ، ولكنكم ستأسفون .

قبض المرضان على ذراعي تريان وأبعداه بقسوة عن السرير ، ونقل جثمان الكاهن على النقالة ، بينما كان تريان يتخبط بين أيدي أولئك الذي كانوا يحولون دونه والقيام بأية مقاومة . ولما مر المرضان بالنقالة من أمامه، لم يستطع الا مشاهدة جبين أبيه ، ذلك الجبين المرتفع الوضاء المنير كالقمر .

كان ايوهان موريتز يمشي في أعقاب المرضين عاري الرأس ، حاملا بين يديه علبة التنك التي وضع فيها الشمعة المحترقة .

ـ انه اثم ستدفع ثمنه غالياً . لاتنس أن هناك فعالا لايصفح عنها . لاتنس أبداً أيها الطبيب أنك منعتني من مرافقة جثة أبي حتى باب المعسكر .

ـ لست أنا الذي منعتك ، انه النظام .

مكتبة عبد الحيدر
كتب كتب كتب
facebook

وجاء في تلك اللحظة رئيس سجناء المعسكر ، فوقف بجانب تريان وقال لـه :

ـ هدىء من روعك • اذا سمعوك تصرخ نقلوك الى زنزانة تحت الارض •

قال تريان :

ـ لن يستطيع شيء بعد الآن أن يسكتني • لم يعد في العالم سجن أو زنزانة تخنق صرخاتي • سأصوم اعتباراً من اليوم حتى أموت • سأصوم وسط عشرين الف سجين في هذا المعسكر ، وسأذوي ببطء ساعة فساعة ، احتجاجاً على ما وقع • سيكون موتي صرخة ثائرة تخترق الآذان والعيون والجلود ، فيشعر بها كل من حولي ، وكل الذين سجنوا معي ، والذين أبقوني سجيناً • ان هذه الصرخة ستدوي في الجهات الأربعة ، ولن يستطيع انسان أن يفلت منها أبداً ، حتى ولابعد الموت •

## -١٤٦-

سأل يوهان موريتز :

ـ أتريد أن تموت حقيقة ؟ أتريد ان تموت جوعاً وعطشاً ؟

كان قد انقضى أربعة أيام منذ أن قرر تريان الاضراب عن الطعام • وكانت الحرارة شديدة ، وتريان مستلقياً على ظهره في ظل الخيمة • كان المشي يتعبه والكلام يتعبه كما كان الوقوف والاصغاء الى من يتحدث أو النظر الى السماء يتعبه كذلك • بل أن وجود شخصه بالذات كان يتعبه •

قرعت صفارة طعام الظهر ، فحاول موريتز اقناع تريان من جديد • قال يسأله :

ـ ألا تريد احضر طعامك ؟

كان يمسك بيده قصعة تريان ويشير اليها • أردفَ :

مكتبة ماجد الحيدر
كتب كتب كتب .facebook

ـ انهم سيسرّون لموتك • ولكن حب الموت اثم •

قال تريان :

ـ يمكنك اذا شئت أن تأخذ حصتي المعاشية ، لأنني لست في حاجة اليها •

مضى موريتز وعاد بعد قليل وقد ملأ القصعة بالحساء • وضعها بين ركبتيه • كان الحساء حاراً تفوح الرائحة منه ، وكان موريتز يتنسم تلك الرائحة بتلذذ •

سأل تريان :

ـ لمَ لم تأخذ نصيبي أيضاً ؟ ان ما تأكله لايكفيك • بل انه لايكفي أحداً •

أجاب موريتز :

ـ انني لا أستطيع أكل حصتك لأن الله سيعاقبني اذا أكلتها ، اذ كيف أقدم على التهام نصيبك ، بينما أنت تتألم وتتعذب ؟ انه اثم لن أرتكبه •

بعد أن وضع موريتز القصعة بين ركبتيه ، رفع عينيه الى السماء المغطاة بالغيوم الثقيلة ، ولبث لحظات ينظر الى الغيوم وشفتاه منفرجتان • ثم أسدل نظرته ورسم اشارة الصليب •

كان تريان يتابع حركاته ، فرأى موريتز يغمس ملعقته في الحساء ببطء الرجل الذي يحتفل بعادة أو طقس ديني • كان يملأ الملعقة حتى نصفها دائماً ، ويحملها بعد ذلك الى شفتيه بحركة جليلة كهنوتية ، حركة المناولة الدينية • فاذا ابتلع مافيها توقف برهة محتفظاً بالملعقة بين أصابعه ، كما لو أنها لاتزال ممتلئة • كانت عيناه الكبيرتان السوداوان تحدقان بقوة في اللانهاية ، في شيء لم يكن أحد غيره يراه ، شيء قائم هناك وراء حدود الارض والسماء •

مكتبة عبد الحميد كتب facebook

ملأ موريتز معلقته من جديد حتى نصفها كعادته ، لأنه ماكان أبداً يلتهم أكثر من نصف ملعقة من الحساء ولا أقل من ذلك ثم حملها الى شفتيه بذلك البطء وذلك الجد اللذين رافقا حركته الاولى .

كان ايوهان موريتز يأكل بخشوع وتلذذ واتزان ، كما لو كان يقيم شعائر دينية . كان الأكل في نظره عملا مقدساً ، يعود به الى جلاله الأصلي، لأن المسيح قام بذلك العمل .

وكأكل حركة رئيسية ، كان موريتز يتنكب السرعة ، ويقوم بمهمته بانتباه وخطورة ، فلا يترك قطرة من الحساء عالقة بشفتيه ، أو يدعها تسقط من ملعقته ، أو يهملها في القصعة .

كانت تلك الحركات الشبيهة بالافعال القدسية التي كان ايوهان موريتز يزاولها في تناول طعامه ، توحي بالصمت وتنفي الريبة والشك .

لم يكن فيها شيء مسرحي ولاشيء رخيص ولاعبث . كان موريتز ، في ساعة الطعام ، يدخل في نسق الطبيعة الكبير ، فيتغذى كما تتغذى الاشجار التي تمتص رواءها من غور الارض . كان كيانه كله ينسجم مع الحركة التي يقوم بها ، فكان في تلك اللحظة ينفصل عن كل ماحوله فلا يرى ولا يسمع ، بل يعود الى نفسه يتقمّصها ، ويلتقي فيها مع الطبيعة ويتحد بشدة معها . ولما أنهى طعامه بعد أن نضج بملعقته آخر قطرات الحساء في القصعة ، لبث برهة جامداً في مكانه ، يتأمل المشهد الذي يعرض لناظريه ، ذلك المشهد الذي لم يكن أحد غيره يراه . ثم جمع أصابعه الثلاثة ورسم على صدره اشارة الصليب من جديد .

التفت الى تريان وقال له وكأنه هبط الى الارض بعد حلم طويل :

ـ انه اثم كبير أن يأكل الانسان طعام غيره .

ثم نهض واقفاً ومضى يغسل القصعة .

مكتبة ماجد الحيدر
كتب كتب كتب facebook

لبث تريان في مكانه يحدق في الافق البعيد ، دون أن يرى الافق . كان يرى أمام عينيه صـورة ايوهان موريتز وهو يحيي طقس التغذية ، ذلك الطقس المحترم الجليل الذي امتنع هو عن احيائه .

-١٤٧-

قال تريان كوروغا :

ـ انني أرفض كل مساعدة طبية .

كان ذلك مساء اليوم الرابع لصوم تريان ، وكان قائد المعسكر الملازم جاكوبسون قد أُعلم بوصول لفيف من الصحفيين الامريكيين الذين كانوا يزورون المعسكرات والسجناء الألمان المنقولين الى شتوتجارت ، فأمر رئيس سجناء المعسكر شميدت والطبيب الأول أن يتصرفا بشكل ما لنقل كوروغا خلال زمن ما الى أي مكان خارج المعسكر لأن الصحافة ماكان يجب أن تحاط علماً بأمره الذي كان يلفت النظر والانتباه . والحقيقة أن تريان كوروغا لم يكن نازيا ، وأبوه الذي مات منذ حين كان راهباً أبتر الساقين ، وكانت زوجته يهودية ، فكان ذلك يقدم كثيرا من عناصر الفضيحة لأي ناقد صحفي واذا هاجمت الصحف هـــذا الموضوع ، فان رئيس المعسكر سيستدعى على الفور الى أمريكا وهو الامر الذي كان يتحاشاه ، لأنه كان على وشك الانتهاء من جمع مجموعة هامة من الخزف الالماني . كان قد اشترى كل هذه الأشياء لقاء بضع علب من السجاير وحفظها في صناديق خشبية أودعها قبواً في منطقة الاحتلال الامريكية ، فلم يكن ينقصه الا ايجاد الوسيلة لارسال تلك المجموعة النادرة الى الولايات المتحدة . كان يعرف أنه اذا استطاع شراء المجموعة الكاملة الموزعة في عديد من المدن والقرى والأقبية الألمانية ، فانه سيستطيع بعد ذلك أن يعيش بهدوء دون أن يعمل شيئاً خلال مايتبقى له من حياة على الارض .

مكتبة عبد الحميد كتب facebook

ومن أجل ذلك ، كان يريد بكل ما أوتي من عزم وقوة أن يبقى في مركزه حتى يستطيع شراء البقية الباقية من تلك الأواني الخزفية .

ولو أن الصحفيين ماكانوا في شتوتجارت لما خشي الملازم من الفضيحة ، ولانقضى أمر كوروغا بسكون وسلام ، بل انه ماكان ليشير اليه في تقاريره ، لأن السجناء كانوا يموتون في المعسكرات كل يوم من الجوع . وكان واقع موت معظم السجناء بسبب قلة الغذاء ، وموت آخر لأنه يرفض تناول الطعام ، غير ذي أهمية أبداً . ولكن الفضيحة في مثل هذه الظروف كانت تفسد كل مشاريعه ولم يكن يريد افساد تلك المشاريع ، لأن الامر كان يتعلق بالملايين من الدولارات ، والفضيحة ستحرمه تلك الملايين .

كان رئيس سجناء المعسكر شميدت ـ وكان سابقاً برتبة زعيم ورئيس شرطة ويمار الالمانية ـ قد وعد الملازم جاكوبسون بتسوية قضية كوروغا بأقصر مدة ممكنة وفي سرية تامة .

قال يحدث تريان :

ـ ان كل طبيب مرغم على العناية بالمريض ، ولو كان هذا الاخير يرفض العناية . وأنت مصاب بالحمى فسننقلك اذن الى مستشفى المعسكر .

كانت الساعة العاشرة مساء ، وايوهان موريتز جالس بالقرب من سرير تريان . كان موريتز يجفل كلما سمع صوت رئيس المعسكر شميدت ، لأنه كان يحس بأن ذلك الصوت يكاد يشبه صوت ايورغو ايوردان .

قال تريان :

ـ انني أرفض مغادرة مكاني . انكم لاتريدون معالجتي لانني مريض بل لأنكم تخشون الفضيحة التي سيثيرها وجودي هنا ، لذلك تحاولون اخراجي من الخيمة . لكنكم لن تستطيعوا دفع الفضيحة ، لاريب أنكم

مكتبة ماجد الحيدر
facebook
كتب كتب كتب

تشعرون بأنني أموت بسرعة أكبر مما تنتظرون ؟ ان العشرين ألف جثة التي يذخر بها المعسكر لاتقلقكم ، لأن المساجين الآخرين يموتون بالتدريج وبهدوء أكثر • واذا مات المرء بهدوء ، فانه لن يثير فضيحة • انهم لن يثيروا فضيحة بموتهم البطيء المحقق • والا ، لماذا لاتنقلونهم هم الى المستشفى ؟

قال الطبيب دوروف رئيس أطباء المساجين :

ـ ان واجبي يحتم علي أن أنقلك الى المستشفى لأن حالتك مقلقة جداً ياسيدي كوروغا • اننا لن نستطيع ابقاءك هنا ليلة أخرى تحت هذه الخيمة •

رفع ممرضان جسد تريان كوروغا ووضعاه على النقالة كأنه شيء وليس انسان ، فضم موريتز قبضتيه وصرف على أسنانه وأراد الدفاع عن تريان ، لكنه تأكد من أنه خاسر سلفاً •

قال تريان :

ـ انها جريمة كبرى أن يعمل المرء عملا عادلا تنفيذاً لغاية غير عادلة •

غير أن الطبيب تظاهر بعدم السماع ، وقال آمراً :

ـ هيا بنا •

حمل الممرضان النقالة الى خارج الخيمة •

أخذ السجناء يبتعدون عن طريقهما ويفسحون لهما ممراً • كانوا جميعهم مستيقظين وكانوا جميعهم صامتين •

كان ذلك الصمت يشبه السكوت الذي يعقبه الموت • كان السجناء جميعاً يعرفون ويفهمون أن أمراً خطيراً يحدث في تلك اللحظة ، ولكن ما من أحد منهم كان يعرف على الدقة نوع ذلك الامر •

كانت الليلة قمراء مضيئة وايوهان موريتز يمشي وراء النقالة منخفض

مكتبة ماجد الجبير www.facebook.com/groups/kotob.kotob

الرأس ، وكأنه يواكب جنازة • كان يحمل بين يديه ثياب تريان وحذاءه ونظارتيه وغليونه والدموع تملأ عينيـــه • وفجأة عـــاد الى نفســـه فأكد لها أن الانسان الممدد على تلك النقالة كان صديقه،وأن ذلك الصديق لازال على قيد الحياة •

ولما بلغ الموكب مدخل المستشفى ، منع ايوهان موريتز من الدخول اذ قال له رئيس المعسكر :

ـ لايمكنك أن ترافقنا الى الداخل لأنك لاتحمل تصريحاً بذلك • ان الامر صارم واضح : لايجوز لأحد أن يتحدث الى تريان كوروغا ، لايجوز له أن يرى أحداً • سأحمل اليه بنفسي ألبسته وأحذيته •

لبث ايوهان موريتز طيلة تلك الليلة يتجول وحيداً قرب الاسلاك الشائكة المحيطة بالمستشفى لأنه لم يستطع اقناع نفسه بالابتعاد عن تريان •

## -١٤٨-

سجن تريان كوروغا في احـدى غرف المستشفى • كانت غرفـة حاوية على ستة أسرة أخرج المرضى منها ليبقى تريان وحيداً فيها •

وقد تلقى ممرضاه شابان أمراً بحراسته •

استلقى تريان على السرير وأدار وجهه الى الجدار • كانت شفتاه جافتين أشبه بالرماد ،وكانت الاحلام والخيالات تخترق ذهنه كالشريط الملون •

لبث مغمض العينين لكنه مـع ذلك ، ظـل يشعر بنور عنيف يبهر أبصاره يشبه أنوار « النيون » • كان ذلك الضوء ينبعث من داخل نفسه • كان ضوءاً ساخناً يحرق جفنيه • وكانت أفكاره كلها ملونة مضيئة حتى أن جسمه بدا كأنه صنع من نور خفيف محرق كأحلامه تماماً •

كان يشعر كأنه يحلق من عل •

مكتبة ماجد الحيدر
facebook كتب كتب كتب

ناجى نفسه : « أكاد أفهم الآن سبب صيام الزهاد والنساك •

« انهم عندما يجوعون يصبحون أكثر قابلية للانفصال عن الارض • ان الله يكون قريباً جـدا منهم • انهم يشعرون كأنهم يمسون السـماء بجباههم • »

لبث تريان كوروغا فترة طويلة في حالة وجد واندهال ، وفجأة أدرك أنهم جاءوا له بالطعام •

كان أحد الممرضين قد وضع طبقاً على الكرسي ، بالقرب من سرير تريان الذي كان يدير له ظهره • لـم ير تريان الطبق لكنه كان يعرف بكل دقة مايحويه •

تحسس أنفه بادىء الأمر رائحة البطاطا المقلوّة بالزبد ، ثم رائحة القهوة • كان يشعر بالصحاف على الطبق ، كما لو كان رآها وتذوقها لأن حاسة الشم عنده أصبحت مرهفة جداً فلم يحدث مرة من قبل ان استطاع تمييز رائحة عن أخرى ، كما يميزها في ذلك اليوم •

كان على الطبق كذلك قدح كبير مملوء بالحليب الساخن • كانت رائحة الحليب تشيع في جو الغرفة بشدة كرائحة القهوة • وكذلك كانت رائحة اللحم عنيفة ملحة • كان تريان يحس بحدتها كما يرى المرء لونا صارخاً يمتاز عن بقية ألوان لوحة زيتية • كانت رائحة الزبدة واللحم المشوي تزيد في صرخة الاغراء التي كانت ألوان الطعام الاخرى تطلقها • كانت تضمخ الغطاء وملابسه وشعره وجدران الغرفة •

كان تريـان يشعر بأن رائحة اللحم ـ المحروق قليـلا ـ والزبدة والحليب والقهوة تلتصق به وكأنها مرهم لزج •

كان يحس بها تخترق رئتيه مع كل شهيق وتغوص حتى معدته •

كان يتملكه شعور يشبه شعور الجائع وهو يأكل ، ويغلب عليه الاعتقاد بأنه عاد عن صيامه بعد أن استمسك به بتجلد وقوة • بذل جهداً كبيراً ليمحو رائحة الاطعمة من سماء الغرفة ومن الهواء الذي يستنشقه • لكن ذلك لم يكن ممكناً ، بل كان ذلك العطر ـ عطر الطعام ـ يزداد عمقاً دقيقة بعد دقيقة •

راح تريان كوروغا يحلل تلك الرائحة بعقل مشرق كما يحلل الضوء بتمريره خلال موشور •

قال يخاطب نفسه : « انها وسيلة كفيرها للتثبت من امكانيات حاسة الشم • » واسترسل في عملية التحليل التي كانت تعطيه امكانية السيطرة على مشاعره واعتبار الطعام موضوعاً للبحث ليس الا • وقد كانت أولى اكتشافاته أن اللحم المقدم اليه لم يكن لحم خنزير أو بقر ، بل كان من نوع آخر استطاع تريان رغم مايدخل في صناعة الاطعمة المحفوظة من أجزاء وعقاقير أن يحدس أنه لحم دواجن ، وبصورة أدق لحم دجاج رومي • شعر برغبة تدفعه آلى التثبت من صحة تخمينه ، لكنه قاوم تلك الرغبة ولبث مستديراً الى الجدار • كانت رائحة الحليب تنبيء كذلك بأنه ترك على النار حتى احترق • فاستنتج أنه صنع من مسحوق الحليب الذي يغلي بسرعة لأنه مركز جداً • كذلك أدرك تريان أن على الطبق الى جانب تلك الاطعمة لون من « المربى » ، وكانت رائحة هذا النوع أضعف من غيرها • فكانت حاسة تريان تدركها بصعوبةوكأنها لون فاتح حائل في لوحة زاهية الالوان ، غير أن اكتشاف « المربى » استناداً الى حاسة الشم جعـــل تريان يحس برضى فكري وكأنه ضرب رقماً قياسياً أو قام باكتشاف مخبري عظيم • وكا نالامر الذي لم يتوصل الى تحسسه بأنفه هو وجود الخبز على الطبق أم عدم وجوده • فاذا كان الخبز موجوداً فعلا فانه يجب أن يكون خبزاً

مكتبة ماجد الحيدر
facebook
كتب. كتب. كتب

أبيض نخل حتى لم يبق من دقيقه الا النشاء ، وصنع على الطريقة الامريكية، وقد انقضى على صنعه يوم فأكثر .

اقترب الممرض من سريره ، وقال له :

ـ من الخير لك أن تأكل فوراً ، لان الطعام اذا برد يفقد طعمه ولذته.

غير أن تريان لم يجب . كان يسود الاستمرار في تحليل محتويات الطبق دون أن ينظر اليها ، لكن الاستمزار استحال عليه . لقد فقد الهدوء اللازم لهذه العملية وكذلك فقد التركيز الذهني . كانت الروائح في تلك اللحظة قد اختلطت حتى غدت رائحة واحدة كما تمتزج أطياف الالوان السبع في النور الابيض . لقد خلطت كلمات الممرض الروائح كما يقطع الحجر الملقى في بحيرة صغيرة تماوج الماء الرتيب .

اكتأب تريان كوروغا لانه لم يستطع تحليل روائح الاطعمة وتذوقها على صحتها ، لكنه لم يلبث أغمض عينيه ولما استفاق صباحاً كانت أطعمة الامس لاتزال في مكانها ، وقد أمحت الرائحة وبدت الاطعمة وكأنها قد ماتت . لم ينظر تريان اليها ، غير أنه تأكد من أنها باردة وبالتالي ميتة .

كان تريان كوروغا شديد التعب ، فما استطاع أن يتقلب في سريره. ولم يفتح عينيه . بلل شفتيه بلعابه مراراً ، فأزعجه أن يكون لهما طعم مرّ المذاق حامضه .

جاء الممرض بطبق آخر وضعه قرب سريره بعد أن حمل طعام الامس . كان الطبق الجديد يحوي هذه المرة على بيض بلغت رائحته من الشدة والنفاذ ماللاعلانات من ألوان صارخة . وكان الى جانب البيض عصير برتقال وقدح من الحليب والقهوة وقطعة من الزبد ، غير أن تلك الروائح كلها كانت تجرح تريان كوروغا كأنها نبال تخترق لحمه .

أغمض تريان كوروغا عينيه وضم جفنيه بقوة لشدة ماكان الالم حادا عنيفاً .

تمتم : « رباه ساعدني على الانتهاء بسرعة ، ان الصمود للاغراء المستمر الملح شديد الصعوبة لمن كان سجين جسد حي » .

عزى نفسه حينما فكر أن جسمه سيموت خلال يومين أو ثلاثة .

قال : « سأكون ميتاً خلال يومين أو ثلاثة »،وعاد الىالنوم من جديد.

## - ١٤٩ -

جلس تريان كوروغا في سريره واشرأب بعنقه يطل من النافذة . كان الوقت ظهراً ، فرأى في فناء المعسكر المساجين واقفين في ثلاثة صفوف منتظمة وهم عراة تماماً . كان فناء المعسكر كله غاصاً بالرجال العراة .

وتحت نافذة المستشفى ، كانت هناك سيارة جيب يحيط بها نفر من الجنود المسلحين بالعصي ، وهم يمضغون اللبان . فكان السجناء يتوافدون أمام الجنود واحداً اثر الآخر في مشية مترددة . كانوا عراة تماما يتقدمون بذعر ، وكان تريان يعرف هذا اللون من الاحاسيس ، لانه أحس بمثله في ظروف مماثلة .

قال في سره وهو يتساءل : « انه تفتيش جديد ومصادرة جديدة ؟ ماذا ينتظرون في هذه المرة ؟ »

كان التفتيش والمصادرة يجريان مرات كل شهر .

في تلك اللحظة وصل عجوز أمام الجنود .

قال تريان : « المطران بالاد ، مطران فارصوفيا » .

كان المطران طويل القامة نحيلا محدودب الظهر قليلا ، عبارة عن هيكل عظمي يغطيه الجلد ، يمكن احصاء عظامه على البعد . وكانت لحية المطران بيضاء ، ولم يكن في الفناء كله لونا أبيض غيرها ، فاذا نظر المرء

مكتبة ماجد الحيدر
facebook كتب كتب كتب

اليها شعر كأنها تعكس نوراً • كانت بيضاء ناصعة ، تضفي على صاحبها نبلا • فلما وصل أمام الجنود تضاحكوا ساخرين •

لكن المطران ماكان يبدو عليه أنه يراهم • كان ينظر الى السماء من فوق خوذاتهم ، وكانت السماء في ذلك اليوم زرقاء كقبة كنيسة بيزنطية •

عاين الجنود أصابع المطران ، ثم أمره المترجم :

ـ باعد بين أصابعك •

ففتح الكهل أصابعه وأكب عليها الجنود يفحصونها بعناية • غير أن السجين لم يكن يحلي أصابعه بالخواتم •

أمر المترجم المطران :

ـ ارفع ذراعيك •

رفع الهرم ذراعيه الى صدره أولا ، وكأنه يبارك المصلين ، ثم الى فوق رأسه • ماكان ينظر الى المترجم ولا الى الجنود ، لكن المترجم والجنود كانوا يفحصون جسده بدقة خشية أن يكون قد أخفى حلياً تحت ابطيه •

ثم عاينوا شعره ومؤخرة رأسه ، لأن شعر المطران الابيض كان طويلا يمكن أن تخفى بينـه بعض الحلي • أبعـد الجنود أولا خصلات شعره بعصيهم ثم بأيديهم ، فلم يتركوا مكانا الا وتحسسوه بأصابعهم باحثين • ولم تنج لحيته الطويلة من تفتيشهم مخافة أن يكون قد دسّ بين شعرها بعض الخواتم •

قال المترجم :

ـ استدر •

فاستدار الشيخ مولياً ظهره الى الجندي •

قال المترجم :

مكتبة ماجد الحيدر
www.facebook.com/groups/books

ـ انحن •

فمال محنيا ظهره وكأنه يتضرع ويبتهل أمام الايقونات ، لكن الانحناء وحده لم يكن كافيا •

قال المترجم :

ـ باعد بين ساقيك •

فامتثل المطران وباعد بين ساقيه البيضاوين الناحلتين ، فراح المترجم والجندي يفتشون عن الخواتم والاشياء الذهبية الاخرى التي قد يكون المطران قد خبأها بين ساقيه أو في مؤخرته •

كان الشيخ منحنياً مديراً ظهره الى الجنود ، مباعداً بين ساقيه • فقال أحد الجنود كلمة الى زميله ، وبعدها تكلم المترجم ، فقال :

ـ يمكنك أن تذهب •

وراح الجنود يفتشون الشخص التالي •

ابتعد المطران بتلك الخطوات المترددة والريح تداعب لحيته وشعره وكأنهما علم حريري أبيض • خيل لتريان أن المطران لم يكن عاريا كالآخرين •

تابعه تريان كوروغا بنظراته حتى بلغ صف الرجال العراة وانتظم بينهم ، فتحول في تلك اللحظة الى واحد منهم ، دون أن يختلط مع ذلك بالحشد المجتمع • كان هناك شيء يخفق حول رأسه ، شيء يستوقف البصر ، لعله كان بياض شعره الناصع ، أو بياض لحيته ، بل لعله كان شكل رأسه • على كل حال كان هناك شيء يرغم الناظر على التأمل فيه والنظر اليه كما يتأمل المرء الصور الدينية والايقونات •

قال تريان كوروغا وهو ينتفض :

ـ انني أعرف الآن نوع هذا الشيء الذي أراه •

مكتبة ماجد الحيدر
facebook
كتب كتب كتب

فالتفت الممرضون اليـه غـير أن تريان ظل ينظر خـلال النافذة متجاهلا وجودهم .

« ان رأس المطران محاط بالنور ، انه محاط بهالة . ان وراء ذلك الجبين نور ساطع ، أكثر ضياء من « النيون » والكهرباء ، وهو الذي يشع حول رأسه تلك الاشعاعات ، انه نور ذهبي » .

رفع العجوز عينيه نحو نوافـذ المستشفى بعد أن انتظم في صفوف وحدته فازداد لمعان الهالة التي تحيط برأسه شدة .

حدث تريان نفسه ، «ان الهالة ليست اذن اختراع مصوري الايقونات» وراح يفحص السجناء الآخرين ، فشاهد رؤوساً أخرى تحيط بهـا تلك الهالة ، رؤوساً لم يكن يعرف أصحابهـا . كـان رأس مدير مجمع فيينا العلمي محاطاً بهالة أيضاً ، وكذلك رأس صحفي شاب من برلين ، ووزير يوناني ، وسفير رومانيا في برلين ، وعدد آخر من الناس كانت رؤوسهم جميعاً محاطة بهالة براقة من نور . وكانت جباههم تعكس اشعاعات أشبه بالنار المشبوبة أو العاكس الكهربائي . غير أن تلك الاشعاعات كانت أجمل مما يمكن أن تحدثه النار أو الطاقة الكهربائية كان ذلك الضوء الذي ينبعث من جباههم قادراً على انارة العالم كله ، وماكان يمكن للظلام أن ينتشر على الارض أبداً بفضل ذلك النور .

- ١٥٠ -

سأل الملازم جاكوبسون :

ـ لماذا لاتريد أن تأكل ؟

كان الملازم قد دخل غرفة تريان ، بعد أن خرج منها الطبيب ورئيس المعسكر ليمكث وحيداً معه . سأل :

ـ ماذا ترغب ؟ ان هذا المعسكر ليس معرضا على أي حال !

مكتبة ماجد الحيدر
كتب كتب facebook

فأجاب تريان :

ـ انني انقطعت عن الأكـل لأنني لاأشعر بالجوع • لقـد اختفت شهيتي الى الطعام فجأة ، وأشعر بغثيان رهيب • ان أمعائي مقلوبة • وأنت أيها الملازم ألا تشعر بالغثيان ؟

صمت جاكوبسون وأسف لبقائه وحيداً مع تريان كوروغا • خيل اليه أن السجين قد جنّ • كانت عيناه تلتمعان ، ففكر الضابط في نفسه : « قد يهاجمني ويخنقني ! » وألقى نظرة الى الباب ثم ابتسم وقال :

ـ هدىء روعك ياسيد كوروغا ، انك شديد الانفعال مثار • وسبب ذلك مفهوم واضح • فأنت لم تطعم منذ ستة أيام ولم تشرب •

قال تريان :

ـ لاتذهب ، أيها الملازم • انني لست مجنوناً فلا تخف مني • ان سؤالي حول الغثيان كان غريباً شـاذاً • لاشـك في انه لا يمكنك أن تشعر بالغثيان لأن المرء اذا بدأ مغمض العينين محكما سدّ أنفه ، فانه لايتعرض لشيء ان الانسان يتعود كل شيء حتى الغثيان • انها مسألة ارادة فحسب ، وأنا لاأملك ارادة • لذلك تنتابني موجة الغثيان والقيء•هناك عمال يتناولون افطارهم وغداءهم وعشاءهم قرب فتحات المجاري العامة أو حفر المراحيض• ولكن ذلك لايؤثر فيهم لأنهم ألفوه • لقد رأيتهم بأم عيني يتناولون مصيراً محشواً وشرائح من الخبز المطلية بالزبد ، على بعد خطوتين من حفرة أقذار عضويـة ، ويتلمظون ويلعقون شفاههم مسرورين هانئـين ، ويتبادلون الاقاصيص والاحاديث • ان المرء يألف ذلك حتى ولو كانت حاسة الشم عنده مرهفة حادة • ان الألمان كانوا يحرقون جثث المساجين في معسكرات الاعتقال•لكنهم ما أن يغلقوا باب الأتون المعد لاحراق الجثث حتى يمضي كل منهم لتناول طعامه ببشاشة وغبطة،دون أن يشعر بأي غثيان•يوجد هنا رجال

مكتبة ماجد الحيدر
facebook

صنعوا فرشاً من شعور النساء اللاتي قتلن في معسكرات الاعتقال ، واستعملوا تلك الفروش للنوم عليها مع عشيقاتهم ، ومطارحتهن الهوى. وقد أنجبت لهم نساؤهم أبناء بعد نومهم معهن على تلك الفروش التي تحوي على شعور نساء قتلن وأحرقن . لقد مارسوا تلك الغرائز ، دون أن يشعروا بأي تقزّز أو اشمئزاز ، نعم دون أن تتقزز نفوسهم . بل انهم على العكس كانوا يشعرون بلذة وسرور . لقد كنت في السجن مع امرأة كانت تستعمل في غرفة نومها وفي مخدعها الخاص سجفاً مصنوعة من الجلد الآدمي ، كانت تحيل الضوء المنبعث الى أصفر داعر مثير للشهوات . وعلى الضوء الذي كان يتسرب خلال تلك السجف الآدمية ، مارست تلك المرأة الحب ، وأكلت ، ورقصت ، وشربت ، واستسلمت لذراعي رجل انحنى فوقها وقبلها . لقد كانت سعيدة رغم كل مايحيط بها من فظاعة وقسوة . والكائنات البشرية تألف الغثيان لانه مجرد ارادة وعادة . لقد استحيى الروسيون نساء في الثمانين من أعمارهن. لقد استحيوا عدداً لايحصى منهن تناوبوا مضاجعتهن بمعدل عشرة رجال لكل امرأة . لكنهم بعد مقارنة امرأة في الثمانين ، لم يشعروا بالغثيان ، بل شربوا الفودكا وطربوا . أما أنتم ، فانكم لاترتكبون شيئاً من هذا . اني أعرف هذه الحقيقة ، وأعرف انكم لاتستحيون النساء بالقوة ، بل تقدمون لهن قطع « الشكولاته » وتستعملون ما يقيكم العدوى اذا ما ضاجعتموهن ولا تتصرفون كذلك تصرف الألمان ، لأن لكل شعب عاداته وتقاليده . لكنكم أنتم أيضاً لاتخافون الغثيان ولا تشعرون به مهما عملتم . انني واثق من انكم لاتتعرضون لأي خطر ، لأن الغثيان ــ وأرجوا أن تصدقني ــ وبال جسيم . أنظر الى آلامي وشدتها . ان امعائي مقلوبة كما يقلب القفاز . انني أشعر بها وكأنها في فمي . ان عصارة الصفراء تنكص في طريقها ، وكل معدتي مضطربة لا تعرف قراراً لأنني أشفق على الكائنات البشرية اشفاقاً فظيعاً. فكيف تريد مني ان أستطيع الأكل

مكتبة محمد الجيار
www.facebook.com/groups/kotobcafe

في مثل هذه الشروط • كيف تطلب الي أن أحتفظ بشهيتي الى الطعام؟ هل أدركت انني لن أعرف بعد اليوم كيف أتناول طعاماً ؟

كان الملازم جاكوبسون قد اقترب من الباب وهو يأسف لمجيئه • لم يبلغه رئيس المعسكر والطبيب ان تريا نكوروغا قد جن ، بل أبلغاه ان المريض كان محتفظاً بكامل اشراقه الفكري • لكن ماسمعه للتو ، كان ينفي ذلك القول • لقد كذب كلاهما لأن السجين كان مجنوناً •

قال قائد المعسكر :

ـ انك على حق ياسيد كوروغا • ان في مثل هذه الأحوال يستحيل عليك ان تشعر بشهية للطعام •

قال تريان :

ـ لا تذهب • انني أنهض بصعوبة كبيرة • أنظر من النافذة واخبرني اذا كان التفتيش قد انتهى •

فأجاب الملازم جاكوبسون •

ـ كلا ، انه لم ينته بعد •

ازداد تعجب تريان كوروغا وذهولـــه • وتساءل في سره : « كيف يستطيع رجل ان يمضي مباشرة الى مائدة الطعام كما سيفعل جاكوبسون بعد ان ينظر الى طريقة التفتيش الذي يجري في الفناء ؟ »

كان الوقت ظهراً •

قال تريان :

ـ انالتفتيش لم ينته بعد ، ولن ينتهي بسرعة لأنه لمّا يبدأ بعد • لقد فتشتم بادىء الأمر عن الذهب في الحقائب والدور والجيوب وبين الملابس وفي الأحذية والثنيّات وفي السراويل الداخلية • والآن تبحثون عنه في أفواه الرجال وتحت آباطهم وفي مؤخراتهم • انكم تبحثون في كل مكان • وعلى

مكتبة ماجد الحيدر
facebook
كتب. كتب. كتب

الرجال ان يخلعوا ملابسهم ويقفوا عراة أمامكم • مع ذلك فانها ليست الا البداية • سوف تنتزعون الجلود غداً بحثاً عن الذهب تحتها ، ثم تنتزعون العضلات عن العظام بحثاً عن الذهب، وبعدئذ تحطمون العظام لتنظروا ما اذا لم يكن فيها شيء من الذهب ، وأخيراً تضغطون أدمغة الرجال وتفتشون في أمعائهم وأمصرتهم وتمزقونهم اربباً ، بحثاً عن الذهب وقطع الذهب وخواتم الذهب • ستحطمون القلوب وتجزئونها بحثاً عن الذهب • الذهب ! الذهب! الذهب ! اننا اليوم في البداية : انكم لازلتم تبحثون فوق الجلد • لكن الجلد سينزع والتفتيش سيستمر •••

لم يكن الملازم جاكوبسون في الغرفة حينما بلغ كوروغا هذا الحد من كلامه ، بل كان قد خرج • لذلك فقد عاد تريان يتجه نحو الجدار •

## - ١٥١ -

عرض حال رقم «٦» ـ الموضوع : اقتصادي ( القيم والثروات التي يعثر عليها مع السجناء ) •

لقد صودرت من المساجين ، في بحـــر التحريات التـي أجريت من قبلكم ، خواتم الزينة والزواج والاساور والساعات وأقلام الحبر والنقود الفضية وكل الاشياء القيمة •

وعلى الرغم من ان تلك التحريات تجري بدقة حتى أدمة البشرة ، فانها مع ذلك ليست تحريات كاملة •

لقد لاحظت اليوم حول رأس عـدد من المساجين تيجاناً تشبه هالات القديسين التي ترسم على الأيقونات • ان للقديسين كما أعرف تيجاناً من الذهب • غير ان هالات المساجين ليست من ذهب أو من أي معدن ثمين ، ولو كانت كذلك لكانت تلك التيجان ـ أو الهالات اذا كنتم تفضلون هذا

مكتبة مهند الحيدر كتب كتب facebook

التعبير ـ قد صودرت من قبل • لكنها رغم افتقارها للمعدن الثمين ، فان قيمتها أرفع من ان يُغضّ عنها الطرف •

انني شخصياً لست من العلمـــاء • لكنني أعتقـــد أن تلك الهالات يجب ان تكون ذات قيم مرتفعة ، لأنها لايمكن ان تظهر الا نتيجة لاشعاعات تنبثق من أدمغة بعض السجناء وأرواحهم •

ان من الضروري الفات النظر الى ان أموراً كهذه لاتظهر في المجتمع الآلي الغربي • لأن تلك الظاهرات على ما يبدو ، من خصائص المجتمعات غير الراقية • لكن ذلك عديم الاهمية • اذ اطالما كانت لتلك التيجان قيمة ما ، فلا يجب والحالة هذه أن تبقى في متناول يد المساجين ، لأنه احتفاظ المساجين بأشياء ثمينة قيمة ممنوع بشدة •

انني اعتقد ان هذا النوع من التيجان أو الهالات كان ، في بعض مراحل التاريخ ، موضوع مصادرات متعددة • فقد كان الغزاة البرابرة من نوع جنكيز خان ، يقدرون هذه الزينة التي تكتشف عند بعض المساجين حـق قدرها ، وينتزعونها منهم • ولم تكن وسائل النقل في تلك الحقبة من التاريخ مماثلة لوسائلنا اليوم • لذلك فقد كان جنكيزخان ـ وهو الذي كان يريد الحصول على تلك الهالات وامتلاكها ـ يعطي الامر بأن ينقل الرأس مع الهالة الى قصره كي لايفسد الاشعاع الضوئي الذي ينبعث منها • فكانت الرؤوس ذات الهالات ، رؤوس المساجين من بلاد الصين والعرب ، تربط بخيط ، وتعقد الى سروج الخيل ، وتحمل الى منغوليا • ولكن حدث في الطريق ـ بسبب الشروط الجوية وتبدل الحرارة الفجائي ولا شـك ـ أن اختفت الهـالات عن كل الرؤوس المقطوعة ، وظلت محرومة من الزينـة ، فألقيت بعـــد أن تطرق اليها الفساد •

ولكي تتحاشوا خسارة كهذه ، يحسن بكـــم ان لاتعمدوا الى قطع

مكتبة ماجد الحيدر
facebook

رؤوس المساجين كما فعل من قبـــل جنكيزخان ، بل تستطيعون الاحتفاظ بأولئك الذين يملكون هالات حول رؤوسهم ، في نواقيس زجاجية ذات جو مقنن وحرارة دائمة ، وارسالهم الى وطنكم .

ان مجتمعنا جمّ السعادة غير محدودها بامتلاكه الوسائل الآلية الفنية اللازمة التي توفر علينا الخسائر التي مني بها البرابرة من قبل . لقد نقلت الاخبار والاساطير أن نصف مليون هالـة قد ضاعت عـلى هـــذا الشكل في الزمن الغابر .

وتفضلوا كالعادة بقبول عبارات اعجابي العميق . ـ ابق مبتسماً !

الشاهد

## - ١٥٢ -

قال رئيس مساجين المعسكر :

ـ ستنقل الى المستشفى خلال خمس دقائق .

كان يذرع غرفة تريان في مستشفى المعسكر جيئه وذهابا . اردف يقول :

ـ سوف يطعمونك هناك رغماً عنك ، وانني آسف لذلك . لقد حاولنا كما حاول الملازم جاكوبسن أن نثنيك عن عزمك ، وبذلنا مابوسعنا . لكنك لم توافق على تبديل سلوكك . لقد أردنا العمـل في مصلحتك فأدرت لنا ظهرك .

كان تريان مستلقياً على سريره وظهره الى رئيس المساجين . فقال هـذا بغضب :

ـ ان سلوكك يدل على نقص عام في شعور الزمالة في نفسك . انك تضيع وقت الاطباء والملازم جاكوبسن عبثاً بمسائلك الشخصية . ان لدينا

مكتبة عبد الحميد كتب كتب facebook

عشرين الف سجين في المعسكر علينا أن نهتم بشأنهم ، وليس بك وحدك من دونهم • انك واحد ، بينما هم عشرون ألفاً • ان المشاكل الخاصة لاينبغي أن تحتل حيزاً في تفكيرنا • ان لكل من هؤلاء المساجين أسرة : زوجة وأطفالا ، ولهم مشاغلهم الشخصية أيضاً • فماذا يحدث لو حذا كل منهم حذوك ؟ لكنك أنت ، لاتفكر أبداً في الجماعية • انك أناني • لقد تبعت أنا نصائح الملازم جاكوبسن ، وهو رقيق الشعور يؤمن بالديمقراطية ككل الامريكيين ، فأضعت هذه الايام الاخيرة ، بسبب اصغائي لنصائحه ، ما لايقل عن خمس ساعات كل يوم في العناية بشخص واحد مفرد ، على حساب العشرين ألفاً الآخرين • ان هذا جنون مطبق •

فقال تريان :

ـ انك لاتعنى بأي سجين في هذا المعسكر • انك تهتم بآلة ادارية ، وأقصد : انك تعنى بشيء غير شخصي • ان المخلوقات في هذا المعسكر لايجب أن يخلط بينها وبين تلك الآلة التي تقتصر على سجلات وآلات كاتبة وأرقام • انك تهتم بهذه الاشياء فقط • أما العشرون الف سجين ، فانك ياسيدي رئيس سجناء المعسكر ، لاتهتم بأحد منهم • ان العشرين ألف رجل مخلوقات من لحم وعظم ودم وروح • انهم مخلوقون من ألم وايمان ورغبات وجوع ويأس وخبال •

« وأنت لاتعنى لا بأجسادهم ، ولابدمائهم ، أي بعناصرهم الشخصية ، ولا بآمالهم أو يأسهم ، وهي العناصر الاكثر خصوصية وتعلقاً بهم • انك تهتم بالاوراق والارقام • انك لاتعرف سجيناً واحداً منهم ، فكيف تزعم أنك تهتم بشأن العشرين ألف سجين بينما أنت لاتهتم بواحد منهم ؟ ان قولك مضحك ! ان المعلومات والاشياء الاخرى المجردة هي وحدها التي تستأثر باهتمامك واهتمام جاكوبسن ، وليس الرجال أنفسهم • حتى أنا ،

مكتبة ماجد الحيدر
facebook
كتب كتب كتب

انني لاأظفر باهتمامك بصفتي انسانا • انني ، بالنسبة اليك ، لست الا كسرة من وحدة مقسمة الى عشرين الف قسم • ولهذا السبب ، يغضبك التفكير في أنك تضيع وقتك معي • انك لم تنظر الي كمـــا ينظر الى شخص • حتى امرأتك ، لايمكن أن تنظر اليهـا كمخلوق فردي خاص • لقد اعتبرتها ولاشك امرأة تقوم بمهمة أم لأولادك وادارة بيتك • لكنك كما يبدو ، لم تنظر اليها قط في مجموعها • مع ذلك فانها ليستموجودة الا فيمجموعها كزوجة • بل انك لاتعرف نفسك أكثر من معرفتك لها •

« انك لم تعرف أي مخلوق على سطح الارض • لانك لو عرفت مخلوقاً واحداً ، لما شعرت قط أنك تضيع وقتك وتصرفه عبثاً ، اذا صرفته في العناية بانسان • انك لم تعرف الا مخلوقات بشرية معدلة ومحولة الى مقياس واحد • لكن هؤلاء ليسوا مخلوقات بشرية بمعنى الكلمة ، كما أن المكعبات التي يؤخذ ضلع واحد منها لايمكن أن تكون مكعبات حقيقية •

جاء الممرض معلناً أن سيارة الاسعاف قد وصلت الى فناء مستشفى السجن • فقال تريان :

ـ وددت لو أستطيع وداع صديقي ايوهان موريتز •

ـ محظور عليك أن تخاطب أياً من السجناء •

أدار تريان كوروغا ظهره الى رئيس السجناء ، فلفه الممرضون في غطاء من الصوف وحملوه الى عربة الاسعاف كما تحمل الاشياء العادية •

كانت نافذة عربة الاسعاف مغلقة بستارة • لكن تريان كوروغا كان على ثقة من أن ايوهان موريتز واقف أمام باب مستشفى السجن ، بانتظار رحيل عربة الاسعاف •

ابتسم تريان كوروغا وهـو يفكر في ايوهان موريتز ، وقال بـود ورفق : « الوداع » ! •

مكتبة ماجد الحيدر
كتب كتب كتب facebook



لقد جاءنا أمريكيان بسجين مجنون .

نهض رئيس أطباء مستشفى السجناء في « كارلثروه » من سريره ، وأضاء النور الكهربائي ، ثم نظر الى ساعته فألفاها الواحدة صباحاً . راح الممرض الذي أنبأه بقدوم السجين المجنون يساعده على ارتداء ملابسه وخرج الطبيب من الغرفة وهو سيء المزاج .

ماكان السجناء يحملون الى المستشفى الا جماعات كانوا ينتظرون في المعسكر أن يبلغ عددهم مائة مريض لينقلوهم الى المستشفى . والمرضى الخطيرون كانوا مرغمين على الانتظار في المعسكر ، ثلاثة أسابيع أو أربعة حتى يتم العدد ، فيصبح نقلهم جائزاً . ولقد وقع خلال العام كله حادثان استثنائيان ، وكان هذا الحادث الاخير الثالث من نوعه .

سأل الطبيب وهو يدخل الى المكتب :

ـ أي نوع من المجانين يمكن أن يكون ، حتى يأتونا به وحده في هذه الساعة من الليل ؟

فقال الممرض :

ـ انها حالة خطيرة جداً ولاشك . لكنني لم أر المريض بعد . لقد كان نائماً في عربة الاسعاف . واذا كان أمريكيان قد احتملا عناء نقله في مثل هذه الساعة فان الامر لابد خطير .

كان الطقس بارداً في الخارج ، والطبيب منزعج لأنه انتزع من فراشه الدافىء ، فكان يرتجف من شدة البرد وهو يوقع على ورقة ادخال السجين المريض .

صعد الامريكيان الى عربة الاسعاف ، وعادا من حيث أتيا ؛ بينما عاد

مكتبة ماجد الحيدر
facebook
كتب كتب كتب

الطبيب الى فراشه ، بعد أن رفض معاينة المريض على الفور . لقد كان يرتعد من البرد ، لذلك اكتفى بأن أوعز بنقل المريض الى الجناح الخاص بالامراض العقلية .

لم يكن تريان كوروغا يعرف المكان الذي وجد نفسه فيه . كان يعرف فقط أن العربة أصيبت بعطب أخرها حتى منتصف الليل . ولم يكن يهتم بالوقت ، خصوصاً وانه لم يفتح عينيه الا عندما اجتاز به الممرضان فناء المستشفى ، محمولا على النقالة ، وعندئذ فقط فتح عينيه ، فرأى النجوم تلتمع في السماء .

قال « طريق المجرة » وراح يبتسم للطريق البيضاء السامقة هناك في السماء وتذكر أقوال رئيس السجناء في المعسكر : « سنرسلك الى مستشفى حيث يطعمونك بالقوة » . كان تريان مصمماً على رفض كل معونة طبية : « سوف أرفض تناول الطعام أو الشراب طالما كنت متمالكا قواي الحسية . »

ضحك الممرضان اللذان سمعاه يطلق عبارة « طريق المجرة » ووضعا المحفة على الارض . اقترب أحدهما من تريان وقال له مستهزئاً :

ـ لقد وصلنا الى طريق المجرة .

لم يفهم كوروغا غاية المرض ، ولم ترق لـه الدعابة ، وشعر بأيد تحمله وتمدده على سرير .

## - ١٥٤ -

راح تريان كوروغا يتأمل الغرفة التي وجـد نفسه فيها . كان في سقفها مصباح كهربائي محاط بغلالة معدنية ،والنافذة مشبكة بقضبان حديدية متينة . كان في الغرفة أربعة أسـرة . وكان فيهـا مريضان لبثا متقاربين يتحدثان . وكانا يرتديان الثيات العسكرية الالمانية .

مكتبة عبد الحميد كتب facebook

لما أدخل تريان الى الغرفة بالامس لـم يعن ذانك المريضان بمجرد الالتفات اليه ، بل ظلا يتحادثان • كان يبدو على كليهما أنهما لم يتجاوزا سن الشباب • أما المريض الثالث فكان ممدداً على سريره ، مخفياً رأسه تحت الغطاء • غير أن عيني تريان وقعتا على حذائين ضخمين يبرزان من تحت الغطاء ، فتساءل في سره : كيف يستطيع المريض ذو الحذائين الضخمين البقاء نائما في تلك الساعة •

وكان بالقرب من الباب، ممرض يرتدي سترة بيضاء ، يجلس على مقعد • كان رأسه يشبه رأس رئيس سجناء المعسكر شميدث : رأس مربع كبير ، رأس من خشب • وكانت عضلات وجهه كلها جامدة ميتة ، وكذلك نظراته فقد كانت زجاجية خامدة • لم يكن للممرض رأس رجل ميت ، ولكن رأس رجل لم يكن حياً أبداً •

اقترب الممرض من تريان وسأله :

ـ ألا تريد أن تقص علينا حكايتك ؟

غمز في ذقنه كما يفعل المرء مع طفل يؤنبه فتخلص تريان كوروغا منه ولم يجب •

استطرد الممرض :

ـ انك لاتريد اذن أن تقص علينـا شيئاً ! انك من أولئك الـذين يصمتون •

وربت على خده وأردف :

ـ اذا كان ذلك يروق لك ، فـلا بأس من أن تتسلى وحدك مـع العنكبوت الذي في السقف •

وعاد يجلس على مقعده قرب الباب •

مكتبة ماجد الحيدر
facebook.com/كتب.كتب.كتب



ـ لقد سجنوني في مستشفى للمجانين لأنني أضربت عن تناول الطعام.

راح تريان كوروغا يعض شفتيه قهراً . تبدد كل تعبه ، واستعرت في نفسه رغبة هوجاء في النضال .

خاطب نفسه : « انني في مستشفى المجانين ! ان خطتهم ليست رديئة. انني لم أصادف مثلها من قبل ، حتى ولا في الروايات التي تصف التعذيب في السجون الروسيه . لقد وقع كل الاطباء المساجين وأساتذة الجامعات في المعسكر على شهادة تثبت أنني مجنون . انهم يريدون أن يثبتوا أن امتناعي عن الطعام هو ضرب من الجنون ، ولكن هناك بعض الأمور في الحياة لاتنتهي بهذه السرعة ، وخصوصاً بهذه البساطة . سأثابر على النضال . »

ضغط تريان كوروغا على قبضتيه ...

قال في سره : « ينبغي أن أثبت لهم الآن أنني متمالك كل قواي العقلية » .

واقترب من الممرض مترنحاً ، وهو يستند الى الجدار .

سأله الممرض :

ـ هل جئت تقص علي حكايتك الصغيرة ؟ كنت أعرف أنك ستقصها علي .

كان يضحك :

ـ ان كل من يأتي الى هنا يحمل معه قصته الصغيرة ليرويها . لكن لاوقت عندي الآن للاصغاء اليك ياصغيري . سترويها لي غداً أو بعد غد . خلال شهر أو سنة اذا شئت ، سيكون لك ماشئت من الوقت لترويها لي .

كان الممرض يحمل صحيفة بين يديه ، فأراد الاستمرار في القراءة ، لذلك قال :

مكتبة ماجد الحيدر
facebook.كتب.كتب.كتب

ـ ان سريرك هناك في الطرف الاقصى فاذهب اليه والبث ساكناً ، ولاتشغل سرير غيرك • هل فهمت ؟

قال تريان :

ـ كنت أريد ان أسألك شيئاً •

فأجاب الممرض منزعجاً :

ـ انني أعرف أنك تريد أن تسألني شيئاً ، ولكن لاوقت عندي الآن • اذهب الى فراشك • ينبغي ان تكون غلاماً عاقـــلا والا لقنتك درساً صغيراً بالسوط الذي سأريكه •

وأخرج من درج الطاولة سوطاً من سياط الفرسان عرضه على تريان، ثم اعاده الى مكانه •

أدرك تريان كوروغا ان كل ما سيقوله لا فائدة منه ، وأن كل محاولة من قبله ستعتبر تخريف مجنون ، لذلك عاد الى سريره واستلقى عليه •

## -١٥٦-

« لم يكـــن يكفي وجـــودي في السجن • هـــا انني الآن في ملجأ للمجانين » ••• وأغمض تريان عينيه !•••

كان يريد تنظيم خطة نشاطه لليوم التالي ، لكنه شعر بعجزه عن كل شيء فنام مطبق القبضتين •

ـ انهض !

انتفض تريان اذ لم يكن بعد قد أغفى ، فرأى الممرض الذي نقله أمس منتصباً أمامه ذلك الممرض الذي قال له انهم وصلوا الى طريق المجرة • لقد عرفه تريان من صوته •

ـ اعطني كل ما في جيوبك •

مكتبة ماجد الحيدر
facebook
كتب كتب كتب

نهض تريان وراح يبحث في جيوبه عما فيها بيـــد مرتعدة • أخرج منديله وقدمه للحارس ، ثم أخرج من جيب آخر الغليون الذي رافقه في كل هذه المحن ، فقدمه اليه كذلك • أما الجيب العلوية فقـــد أخرج منها ايقونة صغيرة • ايقونة القديس انطوان • فتأملها برهـــة ثم سلمها كذلك للحارس •••

ـ أليس معك أشياء أخرى ؟

فأجاب تريان :

ـ كلا ، ان هذا كل ما معي •

فقال الممرض آمراً :

ـ ارفع ذراعيك !

رفع تريان ذراعيه الى مستوى صدره وعجز عن رفعهما الى الأعلى• وشعر بغشاء رقيق يحجب عينيه •

أمر الحارس :

ـ ارفعهما الى فوق رأسك !

أجاب تريان بصوت خافت :

ـ لا أستطيع • انني أشعر بألم شديد وبخدر في اعضائي •

أمسك الممرض بذراعيه ورفعهما ثم شبكهما فوق رأسه • أحس تريان بيديه تبهظانه ثقلا ، كحجر صلد أقيم فوق رأسه • لم يتوقع مرة ان يشعر بثقل يديه على هذا النحو ، وأن يعجز عن ابدال مكانهما أو تحريكهما •

فتش الممرض جيوبه ، فشعر تريان بأن الأيدي الغريبة لم تدخل الى جيوبه فحسب ، بل انها كانت تخترق جلده ولحمه باحثة عن شيء ما •

ـ يمكنك ان تخفض ذراعيك •

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.facebook

وأخذ الممرض بيديه وأسدلهما على جانبي جسده •

ـ انزع سيور حذائك •

فقال الممرض الذي كان يقوم بالحراسة في الغرفة :

ـ دعه بسلام أنظر الى وجهه ، ألا ترى أنه أصفر كالشمع ؟

مدد الممرضان تريان على السرير ، وحلا سيور حذائه وحملوها معهما، ثم نزعا من سراويله العسكرية الداخلية البند الذي يثبتها ، وأخيراً نزعا نظارتيه •

هتف تريان بصوت كله ضراعة وتوسل :

ـ لاتأخذوا نظارتي !

لقد كان بصره شديد الضعف •

ـ انك تفكر في قطع أحد شرايينك بزجاجها ، أليس كذلك ؟

ـ انني لا أرى شيئاً اذا لم أثبت نظارتي •

ـ ليس لديك ماتراه هنا !

حزم الممرض نظارة تريان ومنديله وغليونه والايقونة في رزمة ربطها باحكام • كانت تلك الأشياء كل ما يملك تريان كوروغا على الارض • فأخذها الممرض ومضى •

## -١٥٧-

ـ انهض وكُل !

كان ذلك في صباح اليوم الأول الذي أمضاه تريان في مأوى المجانين • نظر تريان الى القصعة المملوءة بالحساء التي كان يمدها الحارس اليه وقال :

ـ عبثاً • لن آكل !

قال الحارس :

مكتبة ماجد الحيدر
facebook
كتب. كتب. كتب

ـ اذا كنت تظن أنك تستطيع التصرف على هواك فانك تضيع وقتك .

ووضع قصعة الحساء على الارض قرب السرير واتجه الى السرير المقابل .

قال تريان :

ـ انني مضرب عن تناول الطعام منذ ستة أيام .

ـ ان كل الزبائن هنا يعلنون الاضراب ، يادميتي . انك لست وحيداً في ذلك !

اقترب الممرض من المريض الذي رآه تريان يغطي رأسه والذي كانت أحذيته الضخمة تبرز من الجانب الآخر من السرير .

كان هرماً ذا لحية بيضاء ، ينظر بوجل الى الحارس . فلما اقترب هذا منه ، أخفى المسكين وجهه في الوسادة وهو يغمغم :

ـ ماذا تريد مني ؟

وعاد يحشر رأسه تحت الوسادة وكأنه بذلك يفر من سلطة الحارس .

هتف هذا آمراً :

ـ انهض ، أيها الأب الصغير ! ينبغي أن نقدم اليك طعامك .

اقترب الشابان المجنونان من العجوز أيضاً . كانا يقفان متجاورين وكأنهما يخافان الافتراق لحظة عن بعضهما ، وكان الممرض يدعوهما « البولدوغان [1] » .

صاح الحارس .

ـ أنتما أيهما البولدوغان ، هيا اقفزا عليه !

كان يلقي اليهما أمره وكأنهما كلبان حقيقيان . فقبض أحدهما على

---

«١» Bouledogue - ـ نوع من الكلاب الانجليزية الشرسة ـ التي تمتاز بضخامة الفكين .
ـ المترجم ـ

مكتبة ماجد الحيدر
facebook
كتب كتب كتب

العجوز من ظهره تحت الابطين ، بينما تناول الآخر رأسه وأرغمه على الجلوس في سريره .

قال الحارس ضاحكاً :

ـ رويدكما . رويدكما لاتحطما عظامه !

كان العجوز يبكي وقد اعتمد ذقنه بصدره ، وراح ينظر الى الارض بعناد .

قال الممرض :

ـ افتح فمك ، ايها الأب الصغير ! لقد جاءتك المربية بالمصاصة !

غير ان العجوز كان قد ألصق ذقنه بصدره ، وأطبق فكيه بكل قواه .

قال الممرض للمجنونين الشابين :

ـ افتحا « بوزه » ، ولكن تصرفا بلطف !

استوى « البولدوغان » على ركبتيهما فوق السرير ، وأدخلا اصابعهما في فم العجوز وفتحا فكيه عنوة .

أطبق أحد الممرضين بيده على أنف العجوز ومنعه من التنفس عن طريق الانف ، بينما صب الآخر الحساء في فمه .

بصق العجوز مافي فمه على المجنونين الشابين اللذين راحا يضحكان بانشراح ، بينما أفرغ الممرض ملعقة حساء أخرى في حلق الشيخ ، فلم يستطع اخراجها هذه المرة ، واضطر الى ابتلاعها ، اذ توقف الطعام في بلعومه ، فكان عليه ان يبتلعه اذا أراد تفادي الاختناق . لقد كان أنفه متعطلا عن وظيفته بفضل الضغط الذي كان الممرض يمارسه عليه بأصابعه، فكان الفم الطريق الوحيد للتنفس وابتلاع الطعام كذلك .

هتف المسكين :

ـ انني أختنق !

مكتبة ماجد الحيدر
facebook.كتب.كتب.كتب

لكن عملية الاطعام بالقوة استمرت بترتيب ، بينما كان العجوز يصيح بين الحين والحين زاعمـــاً أنه سيختنق ، ويتخبط بين ذراعي المرض ، ويحاول التخلص من المجنونين الشابين اللذين كانا مطبقين عليه بكل قواهما.

قال المرض :

ـ الا ترى ، ايها الأب الصغير ، ان العملية ممكنة !

كان الشيخ ممتقعاً أصفر الوجه كالشمع .

غطى تريان كوروغا عينيـــه بيديـــه ليحجب عـــن ناظريه ذلك المشهد الغريب .

سأله المرض :

ـ هل تشعر بالخوف ؟ سيحين دورك بعد دقائق قليلة .

سأل « البولدوغان » بصوت واحد :

ـ هل سنطعمه هو الآخر ؟

ـ سنطعمه كذلك اذا لم يكن عاقلا !

لم يعد المجنونان الشابان ينظران الى العجوز ، بل راحا يعاينان فكي تريان وعنقه بعيون خبيرة !

انحنى تريان كوروغا وأخذ القصعة ، وراح يأكل دون أن يمضغ طعامه . فلما انتهى قال :

ـ انك على حق . ان من يرفض الطعام ، بعد ان يسجن في مأوى للمجانين ، لاشك مجنون حقيقي . ان المجانين لايستطيعون اعلان الاضراب عن الطعام ، لانهم غير مسؤولين عن تصرفاتهم . أما أنا ، فلست مجنونا . لذلك أكلت حسائي . ومعنى ذلك انني عدلت عن الصراع الذي بدأته .

-١٥٨-

كان تريان يحدث نفسه قائلا : « ينبغي ان أثبت لهم بكل مافي طوقي

من قدرة أنني لست مجنونا • ، كان يشعر بألم في رأسه لأن الطعام الذي ابتلعه منذ حين كان يثقل على معدته وكأنه كمية من الرصاص • لكنه كان يبذل مجهوداً جباراً للوقوف على رجليه والابتسام • اقترب من الممرض المكلف بالحراسة ، وقال له :

ـ أريد أن أتحدث الى الطبيب المشرف على هذا القسم •

فأجاب الممرض :

ـ انتظر المعاينة أولا ، وعندئذ ستتحدث اليه •

ـ ألا أستطيع مخاطبته قبل ان يحين دوري في المعاينة ؟

ـ ان مرضى هذا القسم لايحق لهم أن يستدعوا الطبيب الا في مواعيد زيارته المقررة •

قال تريان :

ـ انني أفهم السبب • لن يزعج الطبيب نفسه من أجل مجنون • لكنني أقسم على أنني لست مجنونا •

ـ لمَ اذن ، ارسلوك الى هنا اذا كنت سليم العقل ؟

فأجاب تريان :

ـ ليرغموني على قطع الاضراب عن الطعام الذي بدأته قبل أسبوع • لقد اخبرتك بذلك من قبل • والآن لقد اكلت • فلم يعـــد اذن أي سبب لمعاملتي على اعتبـاري مجنوناً • لو أنني رفضت تناول الطعـام ، لاعتبرتم تصرفي لوناً من الجنون وليس احتجاجاً صامتاً • لكن الأمر قد وضح الآن•

لاحظ تريان ان الممرض يقرأ صحيفته دون ان يصغي اليه او أن يعير كلماته جزءاً من اهتمامه •

قال تريان بصوت متهدج :

ـ الا زلت تعتبرني مجنوناً حتى بعد ان رأيتني اتناول الطعام ؟

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.facebook

فقال الممرض آمراً :

ـ امضِ الى سريرك واتركني اقرأ صحيفتي •

ـ لكنني أبلغتك انني لست مجنوناً •

فقال الممرض :

ـ طبعاً ، طبعاً • والآن ، استلق على فراشك والبث هادئاً • ينبغي ان تكون عاقلا هنا • فالغلمان الذين لايهدأون يؤدبون بضربات السوط •

## - ١٥٩ -

لم يقم الطبيب بزيارته طيلة ذلك الصباح • وحوالي الظهر اقتيد واحد من « البولدوغين » من قبل ممرض ثم اعيد بعد نصف ساعة محمولا على نقالة وضعت في منتصف الغرفة • كان منخراه المسدودان بالقطن يرتعدان وكان شديد الشحوب بينما كان زبد أخضر يسيل من فمه كالكلب المسعور وشفتاه ترتعدان •

ـ ماذا فعلوا به ؟

كان المجنون الآخر « البولدوغ » يضحك وهو يتأمل جسد صديقه متصلباً تهزه تشنجات النزع ! كان صدر المسكين يرتعد كمنفاخ الحداد ، وعضلات يديه وفخذيه تهتز وتضطرب وحدها ، وكأنها نزعت عن بقية الجسد أو عزلت عنه ، وقد اتخذ جلده لوناً جديداً • لم يكن لونه يشبه لون رجل حي • كان عموده الفقري متصلباً تصلب الأشياء الميتة • كانت حركاته وتشنجاته تشبه مايصدر عن الدمية الآلية التي تتحرك من تلقاء نفسها • والشيء الوحيد الحيّ الذي كان فيه هو ذلك الزبد الأخضر الذي كان يسيل من شدقيه ويبلل صدره وينتقل منه الى قماش النقالة •

سأل تريان من جديد :

ـ ماذا فعلوا « بالبولدوغ » ؟

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.كتب.facebook

فأجاب الممرض :

ـ لاشيء ، انها زرقات تحت الجلد !

ـ أي نوع من الزرقات هذه ؟ لمَ يتخبط هكذا ؟

قال الممرض :

ـ لاتكن فضولياً يافتاي ! ستتلقى مثلها أنت الآخر• ليس أبعد من غد!

ـ غـــداً ؟

عاد تريان كوروغا ينظر الى الجسد المتخبط على النقالة •

قال الممرض :

ـ أيدهشك ذلك ؟ ألا تصـــدق ؟ ان كل زبائننا يجب ان يعالجوا بالزرقات •

قام الممرض الى حيث كان « البولدوغ » مسجى ، فأبدل القطن الذي في منخريه وضغط على خده • ولكن لم يبدر عن الجسد أي رد فعل • قال:

ـ لو أنك قطعته ارباً لما شعر بشيء • ان هذه النوبة تجعله عديم الاحساس طيلة الوقت الذي تبقى مستولية عليه • انكم جميعاً في حاجة الى مثل هذه الزرقات • انها تجعل الاعصاب وحدها تنشط وتتحرك • انظر الى هذه الرياضة الجميلة التي تقوم بها الاعصاب الآن •

جلس تريان على سريره وغطى وجهه بيديه • وفتح الباب فانتفض تريان مذعوراً • لم يكـــن القادم هو الطبيب بل الممرض وقد جاء يقتاد « البولدوغ » الآخر • قبض على ذراعه وخرج به من الغرفة •

لم يمض وقت طويل حتى اعيد « البولدوغ » الثاني على نقالة الى الغرفة وضعت بجوار زميله • كان المجنون الشاب صورة طبق الاصل عن زميله الممدد بجانبه : قطع القطن في منخريه ، والزبد الأخضر المتدفق من فمه ، ذلك الزبد الذي يُرى عادة على شدقي الكلب الكلب ، والاهتزازات

مكتبة ماجد الحيدر
facebook.كتب.كتب.كتب

والتشنجات على طول الجسد المسجى الخالي من الاحساس •

واقتيد العجوز كذلك ثم اعيـــد على محفة ثالثـــة وضعت بجانب « البولدوغين » •

راح تريان يتأمل الاجساد الثلاثة وهي تتخبط على ايقاع مماثل ولو كان غير متناسق ولا متزن •

سأل تريان :

ـ أي نوع من الزرقات هذه ؟

فقال الممرض :

ـ انه الكارديازول ، وهو مثير للاعصاب • انه يهز دماغك ويبدد الضباب الذي يكتنفه •

وراح الممرض يضحك •

عاد تريان ينظر من جديد الى الاجساد الثلاثة الممدة عنـد قدميه • كانت اهتزازاتها تبدو آلية كالحركات التي تقوم بها الآلة الصاقلة • بينما كانت فتحات الانوف تتمدد وتتقلص على ايقاع متفق معالاهتزازات وقوتها• اما الصدور فكانت ترتفع وتنخفض كمكابس الآلات •

كانت كل الحياة التي مازالت في تلك الاجساد قد تحولت كلية الى حركات آلية تقوم بها العضلات • أما الغرائز والعقل والارادة فكانت ميتة • لم يكن باقياً في تلك الاجساد الا الانعكاسات الآلية وحدها ، وقد اتسعت وعمت الجسد على شكل تشنج ، كذلك الذي يسبق النزع ويرافقه •

خيل لتربان كوروغا انه بهذا المشهد يرى الحياة البشرية كلها في المجتمع التكني المعاصر • تصور ان جدران الغرفة التي كان فيها قد تباعدت حتى حوت بينها اوربا كلها ، ثم الغرب كله ، ثم العالم •

كان في تلك الغرفة ثلاثة أجساد مسجاة على الارض تتحرك وفق

تقلصات آلية كالآلة الصاقلة ، وقد تحولت فيها الحياة الى حركة رتيبة ، لاتفكير فيها ولا ارادة ، لكن تريان كان يرى في تلك الاجساد ، أجساد كل المخلوقات على الارض .

كان تفكيره مبالغاً فيه ولا شك ، مطبوعاً بطابع الشذوذ . لكنه كان يقلقه ويزعجه . كان يخيل اليه ان شميدت رئيس سجناء المعسكر، يرقص على ايقاع تقلصات تلك الاجساد ، رقصة شيطانية يرافقه فيها الملازم جاكوبسون قائد معسكر كورنويسندم، والحاكم براون والطبيب ابراموفيسي وكل الآخرين . كانوا كلهم يرقصون على ايقاع « الجاز » والآلة والاهتزازات التي تحدثها زرقات الكارديازول في اعصاب المرضى . كان يرى مجتمعاً كاملا يتخبط متشنجاً كتلك الاجساد . فأغمض عينيه وغطاهما بيديه وصرخ : « لا أريد ! لا أريد ! »

## - ١٦٠ -

ـ لست أرى على بطاقتك الشخصية أي تنويه باضرابك عن الطعام . كان الطبيب ينظر الى تريان نظرة مستريبة بحكم مهنته . استطرد يقول :

ـ لو انك اضربت عن الطعام ، لذكروا ذلك على بطاقتك . غير انني أقرأ عليها بدلا من ذلك : « اضطرابات عقلية ، تسلط فكرة الانتحار ، نوبات عنف ومشاكسة ، اعتقاد بأنه مضطهد » هذا كل شيء، لاشيء أبداً بخصوص اضرابك عن الطعام . ان الاضراب عن الطعام عمل ينجم عن الفكر المشرق والارادة العاملة . لكنه غير وارد في بطاقتك . لقد شخص مرضك ووقع عليه أستاذان من أساتذة الجامعات ، علمان من اعلام الطب الالماني ، فمن تريد مني ان أصدق ؟ انت ام الاستاذين ؟

كان الطبيب مقتنعاً من ان تريان قد ابتكر قصته ابتكاراً من ألفها الى يائها .

مكتبة ماجد الحيدر
facebook
كتب. كتب. كتب

قال يسأله :

ـ هل أنت واثق من أن زوجتك سجينة هي الأخرى ؟ انني شخصياً أميل الى الظن بأنك لست متزوجاً والا فأين خاتم الزواج ؟

ـ لقد صودر مني خلال التحريات الكثيرة في المعسكر •

قال الطبيب :

ـ ان هذا معقول ، لكنني لاأملك أي دليل عليه • ينبغي أن أتقيد بما جاء على بطاقتك الطبية • فلا يجب أن تغضب اذا وجدتني مضطراً على أن أنطلق ـ حتى ظهور أدلة معاكسة ـ من الوقائع التالية : ان زوجتك ليست موقوفة • بـل أنك غير متزوج أصلا • كذلك أبوك ، انـــه لم يمت في المعسكر • وأنت لم تسجن دون سبب • انني مضطر للتجاوز عن كل ماقد ترويه لي •

راح تريان كوروغا يفكر في موقفه العصيب : « كيف يمكن البرهان على أنه صحيح العقل نيره؟ان كل حركة من الحركات وكل كلمة من الكلمات التي كانت حتى تلك اللحظة تعتبر طبيعية ، تصبح عند وجود المرء أمام الطبيب الفاحص ، حركات وكلمات موسومة بالجنون • ان الكلمات نفسها والافكار نفسها والآراء نفسها التي تعتبر في الحياة العامة طبيعية ، أو تدل على الذكاء المفرط ، تصبح في مأوى المجانين دليلا على الجنون المطبق • ان الحدود بين الحالة الطبيعية والجنـــون لايمكن أن ترسم بنقاط دقيقة واضحة ، مع ذلك ينبغي أن أبرهن على أنني لست مجنونا ! » •

قال تريان :

ـ أتوسل اليك أيها الطبيب أن تساعدني !

ـ ماذا أستطيع صنعه ؟

ـ تستطيع أن تصدقني !

مكتبة ماجد الحيدر
كتب كتب كتب .facebook

قال الطبيب :

ـ ان هذا لايبدل حالك أبداً •

ـ انني لاأسألك رأيك بل أطلب اليك أن تصدقني حقيقة ، واطلب اليك كذلك أن تخضعني لفحص طبي دقيق •

قال الطبيب :

ـ ان طلبك الاخير غير ذي موضوع لان الفحص الطبي ضروري واجباري أما عن طلبك الاول فجوابي : كلا ، انني رجل علم ولاأصدق الا ماأتبينه ، انني لاأستطيع تصديق شيء دون أدلة •

ـ صدقني على اعتباري انسان !

فكرر الطبيب قوله وهو يضغط على كل كلمة :

ـ انني رجل علم • وضميري المهني يمنعني من تصديق كائن من كان دون الاستناد الى الادلة •

## - ١٦١ -

أخضع تريان لفحص طبي فأخـذ من دم أوردة ذراعيه ومن دم أصابعه ، ثم حلل دم ذراعه للمرة الثالثة وكان تحليلا شديد الاهمية • لقد كان يعطي من دمه بخضوع واستسلام ، لان الانسان مجبر على اعطاء دمه في كل مكان وزمان ، لكن ذلك لم يكن كافياً •

أدخلوا ابرة جوفاء في مؤخرة رأسه ليسحبوا بواسطتها قطرات من السائل الحيوي الذي يغذي النخاع الشوكي • فاحتمل ذلك رغم الالم الشديد ، وتكررت العملية فكان تريان مستسلماً خاضعاً لانه كان يعرف أن الانسان ينبغي أن يدفع ثمن الحياة من عقله أيضـا وليس من دمه فحسب • فان لم يدفع ، حرم من حقه في الحياة •

أثاروا الغدد وأخذوا عينات من الافرازات على اختلاف أنواعها ،

مكتبة ماجد الحيدر
facebook
كتب. كتب. كتب

ووضعوها على رقاق من الزجاج ، وراحوا يحللونها على أضواء المصابيح • حللوا البول واللعاب وافرازات مختلف الغدد والاعضاء الداخلية والهضمية، وأخضعوها للمجاهر والمخابر ، وزنوها وصفوها في مختبر السجن •

صور الاطبـاء رئتيه بالاشعة ، ثم رأســه ثم هيكله العظمي عظمة فعظمة ، مفصلا بعد مفصل وعرضوها للاشعة البنفسجية •

راح الاطباء يبحثون عن الجرح الذي سبَّب صرخة الانسان اليائسة في طلب العدالة لكـــن الجرح كان غـير ظاهـــر ، فازداد الاطباء عناداً وراحوا يبحثون عنه في جسد تريان ، وفي رئتيه وعظامه ودماغه ونخاعه ودمه • وكان يترك لهم حريتهم في العمل والاختبار • عادوا يفحصون بدقة عضلاته،عضلة فعضلة،وأعصابه عصباً عصباً ليختبروا رد الفعل فيها،وانتقلوا الى ركبتيه ويديه ومعدته • فلم يتركوا جزءاً صغيراً من مجموع الجسد ، الا وأخضعوه للفحص • وأصغت اذن الطبيب الحساسة الى حركات دمه السرية واستمع الى ضربات قلبه ، وحاول بما أوتي من علم وخبرة ، أن يلمس حركة واحدة غير طبيعية في رئتيه •

صعد تريان الى الميزان ثم أخذت مقاييسه : طوله ، محيط صدره ، عظامه ، ذراعاه • فتحوا فمه وعاينوا أسنانه ؛ فعدوها وتحسسوها بأيديهم ، ثم فحصوا لسانه فكان أشبه بالطعـــام المتفسخ • لقد فحصوا جسد تريان وكأنه سلعة يشتبه في جودتها ومصدرها ليتأكدوا مما اذا كانت صالحة أو غير صالحة •

وبعد ذلك أخضع للاستجواب الذي تعاين خلاله الملكات العقليه عند المصابين بالجنون ؛ فتناقش الطبيب معه صبحاً وظهراً ومساء وأحيانا خلال الليل ، فكانت أجوبته على كل الاسئلة وأشدها تفاهة مدونة بدقة • وراح الاطباء يبحثون بين كلماته عن دليل من أدلة الجنون كما يبحث

مكتبة نجد الخير
www.facebook.com/groups/كتب كتب

رجال المباحث الجنائية عن أدلة جرمية في منزل الضحية • حرصوا تريان على الحديث عن طفولته وأمه وأخواته وأبيه وزوجته وكل من عرفهم ، وعن النساء اللواتي مررن في حياته • ولمان كان تريان يعرف الاتجاهات الغائصة في ظلام عدم الوعي والادراك ، تلك الاتجاهات القاتمة المختفيه التي يبحث الاطباء عنها ، فانه راح يساعدهم في مهمتهم على قدر مايستطيع •

كانت روح تريان تُشرح وتعرّى وكأنها خزانة مملوءة بالالبسة القديمة والثياب القذرة ، فتحت على مصراعيها ليبحث فيها الباحثون • حشر الأطباء أنوفهم فيها دون أن يشمئزوا من شيء ، وراحوا يشمون كل ثوب وثنية ، ويتحسسون كل زاوية ومنعطف في حياته الخاصة الشخصية •

وأخيراً انتهى الفحص فقال الطبيب :

ـ انك صحيح تماماً ! باستثناء مضاعفات لايمكن تحاشيها وسوء تغذية ، وهبوط الوزن عن الحد المقبول الطبيعي • وحاجتك الى تجديد قواك • وماعدا ذلك ، فان كل شيء طبيعي • لقد شاهدنا بوادر فقر الدم ، لأن مفاصلك منتفخة متورمة بسبب نقص التغذية ، وأسنانك مريضة لهذا السبب أيضاً • ان نبضك ضعيف بسبب ضعف جهازك العام ، وهناك بعض اللطخات البريئة على رئتيك وبوادر « الروماتيزم » • لكن هذه الآلام شائعة معروفة عديمة الأهمية •

قال تريان :

ـ هل صدقتني الآن وتأكدت من أنني لست مجنوناً ؟

كان تعباً منهوك القوى تعب يسوع على جبل الزيتون •

ـ أرجوك أن تعمل على خروجي من هنا على الفور •

فقال الطبيب :

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.كتب.facebook

ـ سوف تدخلك الى الشعبة الطبية لأنك شديد الضعف •

فقال تريان :

ـ أريد أن أعود الى المعسكر •

ـ ان ماتقوله ليس قولا حكيما •

فكرر تريان :

ـ أريد العودة الى المعسكر بأسرع مايمكن !

وبعد أسبوع من ذلك اليوم ، أعيد تريان الى المعسكر من جديد • عاد اليه مزوداً بكل الأوراق الثبوتية التي تنص على سلامة عقله وخلوه من الجنون • كانت عيناه تلتمعان ببريق الفوز لكن جسده كان يترنح من الضعف والألم والانهاك وكأنه طيف •

## - ١٦٢ -

ـ ان التوقيف الآلـي أسلوب ، ولكنـه لايمكـن أن يشكل سبباً للتوقيف • فلكي يزج برجل في السجن ويعامل كما يعامل المجرمون ، ولكي يقتل بوسائل سريعة أو بطيئة ، ينبغي أن يكون هناك سبب موجب، ينبغي أن يكون ذلك الشخص مذنباً • فما هو ذنبي أنا ؟ وما هو ذنب امرأتي ؟ ماذا جنى أبي مـن ذنب ؟ مـاذا ارتكب ايوهان موريتز • انني عندما طرحت عليك هذا السـؤال بيأس طبيعي محقق بعد أن أمضيت خمسة عشر شهراً في السجن ، اعتبرت صرختي بادرة من بوادر الجنون• ان الكائن البشري يخسر وجوده منذ أن يصبح تعطشه للحرية والعدالة رمزاً لجنونه • يستطيع الانسان أن يبلغ أرقى درجات الحضارة في مراقي التاريخ ، لكن حضارته لايمكن أن تكون عوناً له في شيء •

كان تريان كوروغا يتحدث الى الملازم جاكوبسن الذي استدعاه حال عودته الى المعسكر •

مكتبة ماجد الحيدر
facebook.كتب.كتب.كتب

أشعل الملازم جاكوبسن لفافة ، وبدا كأنه آسف لما بدر منه نحو تريان • قال :

ـ انكم معشر الأوربيين تنظرون الى الأمور من الزاوية القاتمة ، حتى ليتبادر الى الذهن أنكم لاتعرفون الا التطير والتشاؤم •

أجاب تريان :

ـ يجوز أن تكون على صواب • ان هذا ولاشك خطأ • ولكن أن يشهد الانسان المأساة البشرية وتشنج الانسان والبسمة على شفتيه أمر شديد الخطورة لدرجة لايمكن مضاهاتها •• انه أكثر من مجرد خطيئة أو مجرد شذوذ •

قال الملازم جاكوبسون :

ـ لقد حاولت أن أقدم لك معونة ، لكنني أخفقت • لقد طلبت اعادتك الى الحرية •••

فقاطعه تريان قائلا :

ـ انني واثق من أنك عملت مافي استطاعتك دون أن يؤدي ذلك الى نتيجة مرضية • ان أي رجل بعد الآن لن يستطيع تحرير رجل آخر أو تحرير نفسه • لقد أصبح البشر الآن أقلية موثوقة الايدي مغلولة العنق، وأصبح الانسان عاجز عن مد يد العون الى أترابه•انه مربوط الى سلاسل آلية تعرفها أنت كذلك • انها سلاسل البوروقراطية الآلية ، التي تزين معاصمنا وأقدامنا • انها كل ماتستطيع الحضارة الغربية الحاضرة تقديمه الى الانسان : الأصفاد !

قال جاكوبسون :

ـ عد الى المعسكر واسترح والبث ساكناً ! وحاذر أن ترتكب أية حماقة •

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.facebook

ـ لم يبق لي ماأعمله الا مايسمح به المجتمع الآلي لأي رجل •

قال الملازم جاكوبسون :

ـ أرى أنك عدت الى أفكارك القاتمة • انني لاأحب أن أراك على هذا الشكل • هل تريد أن تدخن لفافة ؟

ـ بكل سرور •

أخذ تريان اللفافة من الملازم ثم سأله قائلا :

ـ ألا ترى أيها الملازم جاكوبسون أننا متفرجون نتعمد البقاء في « الصالة » حتى بعد انتهاء العرض ؟ ان هذا العناد لايجدي لأننا سنطرد جميعاً ونلقى على الباب مهما كانت مراكزنا وامكانياتنا • لن يبقى منا أحد لأن « الصالة » يجب أن يجدد هواؤها ، وأن ترفع المقاعد• كذلك القارّات، فانها بحاجة الى هواء جديد ، لأن مشهدا جديداً سوف يمثل على مسارحها بعد حين • سوف يستمر التاريخ على عرض مشاهده دورياً • لقد كانت بالامس « عروض الحال » هي التي تعلق وتعرض • وهي ليست الا صرخات توسل يطلقها الانسان طالباً الى المواطنين في المكاتب أن يدعوه يعيش • غير أن ذلك المعروض الذي كان الرجل المحكوم بالاعدام يتوسل فيه طالباً منحه الحرية والعفو ، قد رُفض لأنه لم يُقرأ ، وبذلك لم يحز المشهد على نجاح ، لأنه لم ينته نهاية سعيدة •

وغداً ستعزف قطعة جديدة عامة عنوانها « المجموعة الميكانيكية » ـ باليه ـ وسيكون مشهداً لا رجال فيه • سيعتلي المسرح رجال آليون وآلات ومواطنون بغير وجوه • لكنني لن أكون حاضراً هذا المشهد ، لأنه سيبدأ متأخراً ، فلن أستطيع حضوره • أما أنت فان لك هناك شرفة خاصة ، ولكن لترى فقط بدء التمثيليات • هيا انها مسلية ! ولكن لاتنسى ان الشرفة محجوزة لك لبداية العرض فقط •

مكتبة ماجد الجبير
كتب كتب facebook



صادف تريان كوروغا ايوهـان موريتز عند مدخل المعسكر قرب الباب • كان موريتز شديد الحزن فلما وقعت عينه على تريان راح يبكي :

ـ أهذا أنت ؟ ماظننت أني سأراك بعد •

ـ وهل كنت ستأسف لذلك ؟

قال ايوهان موريتز وهو يضغط على يديه مصافحاً :

ـ كنت سآسف عليك حتى الموت • انني لم أستطع تبادل كلمـة الوداع معك قبل رحيلك • انهم لم يسمحوا لي بدخول مستشفى المعسكر • لقد حاولت مراراً أن أصل اليك • أين كانوا يحتجزونك ؟

قال تريان :

ـ بين المجانين •

رفع ايوهان موريتز يده الى فمه وقال وهو ينظر الى تريان :

ـ بين المجانين ؟ مستحيل !

قال تريان :

ـ بل انه صحيح ، لقد جئت معي بما ندخنه •

حل تريان عقدة في منديله وأخرج منه قليلا من التبغ :

ـ لقد سجنوك هناك ؟ ياسيدي تريان المسكين !

جلسا على الأرض المحرقة قرب باب المعسكر وراحا يلفان التبغ • كان موريتز غارقاً في ذهوله ودهشته فقال تريان :

ـ لقد أحببت غليوني دائماً أليس كذلك ؟

فأجاب موريتز :

ـ عندما يكون للمرء غليون ، فانه يجد دائماً مايدخنه فيه • ان المرء يستطيع أن يحشو فيه أتفه كمية من التبغ وكل الأعقاب التي لايمكن أن

مكتبة ماجد الحيدر
www.facebook.com/groups/kotob.kotob

تدخل في تكوين اللفافة ، ولهذا السبب أسفت لأنني لا أملك غليوناً . ان من لايملك غليوناً في المعسكر ، يشعر بالقسوة والعذاب .

مد تريان كوروغا يده الى موريتز وفيها الغليون الذي كان يحتفظ به منذ أكثر من عام ، والذي كان يضعه في فمه باستمرار ولو لم يكن فيه شيء من التبغ . قال :

ـ انني أعطيك غليوني .

فأجابه موريتز :

ـ ان هذا مستحيل . ان الغليون في المعسكر يساوي كنزاً . فبأي شيء ستدخن بعد الآن ؟

ـ لن أدخن بعد الآن . انها آخر لفافة .

ـ هل منعك الطبيب عن التدخين ؟

ـ كلا . انه لم يمنعني . انني سأنقطع عن التدخين من تلقاء نفسي .

أخذ ايوهان موريتز الغليون وراح يحشوه بالتبغ ، وقال :

ـ انني أشكرك ! لكنك اذا عدت الى التدخين من جديد فانني سأعيد اليك غليونك . تستطيع أن تعتبره دائماً معك . أنا لا أقبله منك الا اذ امتنعت فعلا عن التدخين .

ـ اطمئن . لن أدخن حتما بعد اليوم .

علت شفتي موريتز ابتسامة وقال :

ـ انني أنا الآخر وعدت نفسي مراراً بالكف عن التدخين لكنني مااستطعت الصمود . ان العدول عن التدخين ليس بالامر اليسير .

فقال تريان :

ـ انني أعرف ذلك . لكنني هذه المرة جاد في عزمي .

أشعل تريان كوروغا اللفافة وموريتز الغليون وراحا يدخنان بسكون. نزع تريان نظارتيه وراح يتأملهما بعناية وشغف . كانتا نظارتين في اطار من الصفت ، راح ينظر اليهما وكأنه سيفترق عنهما بعد قليل .

لم يبق لديه من الاشياء الشخصية التي درج على الاحتفاظ بها معه الا النظارتان ، أما كيس التبغ وخاتم الزواج وحافظة النقود وقلم الحبر وقلم الرصاص ، فقد صودرت جميعها منه حيناً بعد حين .

لم يبق لديه الا نظّارتاه .

أما الصليب الصغير الذي كان يطوق عنقه بسلسلته حتى الايام القريبة الماضية فقد وضعه على صدر أبيه عنـــد موته ليدفن معـــه . ان الطقوس الأورثوذوكسية تقضي بأن يدفن القساوسة مرتدين ثوبهم الكهنوتي وعلى صدورهم أيقونة . ولم يتح لأبيه أن يدثر بثوبه الكهنوتي عند دفنه . لقد كان مرتديا عنـد موته قميصاً أمريكياً عليـه الحرفان س . ح . مطبوعان على ظهره وأكمامه .

بل انه لم يكن مرتدياً قميصه الداخلية لانها لم تكن قد جفت بعد غسلها . كان ايوهان موريتز قد غسل القميص في صباح ذلك اليوم ، فلما مات القس انتزع من تحت الخيمة بسرعة فوتت على تريان احضار القميص والباسه اياها . لكنه استطاع أن يدس الصليب الصغير الـذي كان يحمله حول عنقه تحت القميص الخارجيـة . ولا شك أن أباه دفن مع ذلك الصليب الصغير ، بل قد أحرق معه في المحرق .

والآن لم يبق لتريان الا نظارتاه . كانتا الشيء الوحيد الذي يمتلكه بالاضافة الى شخصه . فكان جسمه ونظارتاه هما كل الاشياء المادية التي استطاع انقاذها والاحتفاظ بها من حياته السالفة . والآن كان ينظر الى النظارتين ويتفحصهما في شيء من الأسف والتشاؤم .

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.facebook

قدمهما الى ايوهان موريتز وقال :

ـ هل تريد أن تحتفظ بنظارتي ؟

فقال موريتز الذي ظل يعتبر أن حاجة المرء الى زوج من النظارات يضعه طيلة عمره فوق أنفه من العقاب الاليم وحمل ثقيل لايطاق :

ـ هل تستطيع الآن أن ترى دون الاستعانة بالنظارات ؟

كان موريتز مسروراً سروراً مخلصاً لان تريان أصبح في غنى عن نظارتيه • لكن تريان قال :

ـ كلا ، نني لاأستطيع النظر الى شيء دون نظارات • لكنني اذا تخليت عنهما أشعر براحة أكثر • لذلك لن أضعهما بعد اليوم •

ـ لقد أدهشني دائماً أن أراك تضعهما طية النهار ولاتنزعهما الا عند النوم • انني لم أرك أبداً بغير النظارات •

قال تريان :

ـ اذا أطلق سراحك قبلي فانني أسألك أن تحمل نظاراتي الى زوجتي • لعلك لن تجدها بسرعة ، ولكن احتفظ بهما معك خلال الوقت اللازم ، لأنك لاتعرف أين ومتى ستراها وتقابلها • لعلكما تتقابلان فيما بعد في رومانيا • فحاذر أن تحطمهما •

أخذ ايوهان موريتز النظارتين وراح يتأملهما • كان يشعر بأن تريان كوروغا يخفي عنه شيئاً ، لان تصرفه باعطائه الغليون ثم النظارات كان عديم المعنى •

قال تريان :

ـ لاتخف ماموريتز • ان كل ماأريده منك هو أن تحتفظ بنظارتي ، لأنني لن أستعملها بعد اليوم ، ولأنني لاأريد كذلك أن تقعا في أيد غريبة •

مكتبة نجد الحديث
www.facebook.com/groups/

لقد تطلعت بفضلهما الى عديد من الاشياء في حياتي ، فهل تفهم لم أعتز بهما وأحبهما ؟

« لقد نظرت خلالهما الى زوجتي أول مرة ، وشهدت خلالهما ألف ألف فتاة جميلة ، وتأملت بواسطتهما اللوحات والتماثيل ومعروضات المتاحف والمدن ... لقد نظرت خلالهما الى السماء والبحر والجبال وقرأت بواسطتهما ليال طويلة مئات ومئات من الكتب . لقد رأيت أبي يموت خلال هذه النظارات ، ورأيتك أنت وكل أصدقائي بواسطتهما ، وشهدت أوربا تنهار والرجال يموتون جوعاً ويسجنون ، ويعذبون ، وتنطفىء شعلة الحياة في نفوسهم في معسكرات الاعتقال .

« انني بهذه النظارات شاهدت قديسين ورجالا ومجانين .

« وبهما شاهدت قارة بكاملها ، بما عليها من رجال وقوانين ومعتقدات وآمال ، تموت ـ دون أن تعرف أنها تموت ـ سجينة في المعسكرات ، حبيسة القوانين الآلية في ظل مجتمع نكص حتى بلغ الوحشية البربرية .

« ان هاتين النظارتين ياعزيزي موريتز تضاهيان عيني . وقد يبلغ بي الامر أحياناً أن أخلط بينهما ، لانهما لاتنفصلان عن بعضهما . بهما رأيت كل ماشهدته حتى هذه الساعة .

« والآن لست أريد متابعة النظر ، لانني تعبت ، ولان المشهد طال أكثر من المعتاد .

« انني اذا احتفظت بهما أكثر مما احتفظت ، فلن أرى الا الانقاض . سأرى مدناً متهدمة ، ورجالا متهدمين ، وبلدانا وكنائس وآمالا كلها متهدم ومحطم .

« لقد نظرت خلالهما الى انقاض حياتي الشخصية ، والى دمار الدمار .

مكتبة ماجد الحيدر
facebook
كتب كتب كتب

انني لست قاسياً متوحشاً ، لذلك لاأستطيع النظر الى هذه النتائج ولاأستطيع احتمال رؤية الانقاض والدمار في كل مكان .

« لقد قام ممهدون يسوون الطرق فوق تلك الانقاض استعداداً لقطاعات جديدة . انهم المواطنون الذين انبعثوا في التاريخ الجديد ، من ذلك العالم الجديد . ولكي يقيموا حضارتهم بدأوا بالسجون . مع ذلك فان الامر يخصهم . لكنني شخصياً ، أشعر بعجزي عن متابعة السير معهم . لان علي أن أمضي العمر كله على شكل متفرج . والعيش على شكل متفرج ، يعني أنه كالشاهد ، وهذا ليس عيشاً . ان المجتمع الآلي الغربي لايعطي بني الانسان الا مكان المتفرجين .

« انها لسخرية مرة ان يكون الشيء الوحيد الذي لم يصادر مني خلال التحريات هو نظاراتي . وهذا يدلل بوضوح على الشيء الوحيدالذي يسمح لي به . لقد فكرت أحيانا بأن الجنود كانوا كرماء اذ تركوا لي نظارتي . لكنني الآن متأكد من أنه لم يكن كرماً منهم بل وحشية وقسوة ، لانهم لم يحشروني فقط في دور المتفرج ، بل دلوني كذلك على مايجب ان ارى : المعسكرات . انه لايجوز لي ان أرى شيئاً آخر غير المعسكرات ودور المجانين والسجون والجنود ومئات المئات من كيلو مترات الاسلاك الشائكة . ولهذا السبب ، ارغب عن نظارتي .

« انني اعدل عن الشيء الوحيد الذي ظل مسموحاً لي به هنا على هذه الارض . ان النظارات ـ كالعينين ـ هي من أكثر الاشياء ابداعا وبعداً عن المقارنة والمضاهاة . ولكن يشترط لكي تكون كذلك ، ان يكون صاحبها حياً . فاذا نزعت منه الحياة او اذا لم يبق له منها الا قطرات تافهة او حدوداً ضيقة او منفذاً صعباً شائكاً ، فان بقاء النظارات عندئذ يعتبر دعابة رهيبة . فهل رأيت مرة ميتاً يضع نظارات على أنفه ؟

مكتبة ماجد الحيدر على facebook

ـ ولكن أنت ، ياسيد تريان ، انت لست ميتاً !

ـ ان الامل الوحيد الذي نحتفظ به حتى الآن هو ان لانكون أمواتاً غير ان الامل لايمكن ان يضاهي الحياة نفسها • ان الامل عشبة تنبت حتى بين القبور •

قال موريتز :

ـ ولكن نحن ، ياسيد تريان ، نحن احياء !

ـ اننا نعتقد ونأمل ان نكون على قيد الحياة •

نظر ايوهان موريتز الى تريان كوروغا نظرة طويلة • تذكر أن تريان قد خرج مؤخراً من مستشفى المجانين • لقد قال له بنفسه ذلك •

استطرد تريان :

ـ لاتخف ياعزيزي موريتز ، انني لست مجنونا • انك اذا ظننتني كذلك اشعرتني بأسف مرير • انك تزعم أنني لازلت على قيد الحياة ،لانني اذا توقفت عن الحياة فذلك معناه في نظرك ، لزوم دفني • وعندئذ ستكون عيناي مغمضتان وقلبي متوقف عن الخفقان واجفاني مسبلة وجسدي بارد • اي انك سترى عندئذ جثتي الهامدة • ولكن ياعزيزي موريتز ، هناك بعض الميتات التي لاتخلف وراءها جثثاً • فالحضارات مثلا تموت ولا يبقى منها جثث ، وكذلك الاديان اذا ماتت والاوطان • ان الرجال أحيانا يموتون دون ان يخلفوا جثثاً فهل تفهمني ؟

راح ايوهان موريتز يبكي بحرقة •

ـ لمَ تبكي ياعزيزي موريتز ؟

ـ انك مريض ، ياسيدي تريان •••

ـ اتقصد انني اهذي وأنني مجنون ؟

مكتبة ماجد الحيدر
www.facebook.com/groups/kotob

ـ كلا • انني لا أزعم ذلك ياسيد تريان ! كيف أستطيع التلفظ بمثل هذا القول ؟

قال تريان :

ـ انك تعتقد بأنني مجنون ولذلك تبكي • لكنك تبكي عبثاً لانني لست مجنوناً ، ياعزيزي موريتز • انني اكثر اشراقاً وصحواً من أي وقت مضى•

ـ هل صحيح ياسيدي تريان ؟

ـ بالتأكيد ، ياموريتز • انني متمالك كل قواي •

قال ايوهان موريتز :

ـ انني لم ازعم انك مجنون • لكنني ظننت انك قد تكون مريضاً لانك لبثت زمناً دون طعام ولا شراب ••• وهناك حيث كنت ، لاشك انهم عذبوك: انك شديد الشحوب • لكنني لم أفكر أبداً في انك •••

وتحاشى ايوهان موريتز ان يلفظ كلمة « مجنون » •

لف تريان كوروغا سيجارة اخرى وهو يحدث نفسه بأن الرجال الذين يتألمون لانهيار الحضارة الاجنبية ينهارون ويختفون معها تماماً ، وان أولئك الذين لايشاهدون غير ذلك الانهيار فحسب يلبثون غرباءعن المأساة • فهم اما ان يكونوا منحدرين من مدنية آلية كالملازم جاكوبسون مثلا الذي كان يعتبره مجنونا أو من أسر بدائية كايوهان موريتز ، وهؤلاء لايزالون في مرحلة الاحساس والأوهام والخرافات،لذلك فانهم يعتبرونه مجنونا كذلك• لاصلة بين الرجال و بين اوربا • وايوهان موريتز كالملازم جاكوبسون ، يعتبر كل رجل بلغ ذروة الألم الفكري وحدوده القصوى مجنونا •

ان الشخص الوحيد الذي يمكنه ان يدرك ان الأمر ليس جنوناً بل ألماً عنيفاً بلغ اقصى نهاياته هو لاشك نورا ، زوجته • انها وحدها واثقة من انها ستعيش بعد هـــذه المحنة لأنها تحمل في دمائهـــا تمرينا وراثياً لآلاف

مكتبة ماجد الحيدر
facebook
كتب كتب كتب

السنين التي قضتها سلالتها في العبودية والامتهان. لقد ألفت سلالتها العبودية والالم في مصر لما سخر أفرادها في بناء الاهرامات واحتملت الاضطهاد الديني في اسبانيا والاستفزازات الموجهة ضد اليهود في روسيا ومعسكرات الاعتقال في المانيا . ان سلالة اليونورا وست ستقام وتصمد للحضارة الآلية . لذلك فقد ابتهج تريان كوروغا من اجل نورا . ابتسم وقال:

ـ اشعل غليوك ياموريتز ، واذهب الى الخيمة وضع النظارتين في مكان أمين . انك تعرف انني أريدك على ان تسلمهما لزوجتي سليمتين .

ـ فوراً ، ياسيدي تريان .

ومضى ايوهان موريتز بخطوات بطيئة مقوس الكتفين قليلا وهو يجذب أنفاساً من غليونه .

شعر تريان كوروغا بأن ايوهان موريتز لم يكن يجتاز فناء المعسكر بل قرون التاريخ بتلك الخطوات الهادئة الغريبة عن كل ماحولها ، وأن جذوره مغروسة في اعماق الارض وعينيه تحدقان في المعجزة المتجددة أبداً في زرقة السماء دون ان يتساءل أبداً عن سر هذه الزرقة الشديدة .

« ان ايوهان موريتز ونورا وست سيعيشان في أوربا حتى ولو كانا في صميم المجتمع الآلي الغربي . لكنهما لن يعيشا طويلا . لعلهما كذلك لن يحضرا الا الفصول الأولى من المشاهد الجديدة ، وبعد اختفاء آخر بني الانسان من البشر ستحفل الارض بمخلوقات أقوى من الانسان ، مخلوقات آلية تأتي من الشرق والغرب والشمال والجنوب فتعج بها الكرة الارضية .»

## - ١٦٤ -

اختفى ايوهان موريتز عن ناظري تريان تحت الخيمة فنهض هذا وألقى بلفافته الى الارض واتجه نحو باب المعسكر المركزي .

مكتبة ماجد الحيدر
facebook
كتب كتب كتب

لم يكن من حق المساجين ان يدخلوا الى الباحة التي تشرف على المدخل الرئيسي .

كان تريان كوروغا يعرف ذلك . لكنه استمر يمشي متوغلا بخطى ثابتة لاسريعة ولا بطيئة . انها كالخطوات التي يعود بها الانسان الى منزله بعد يوم حافل بالعمل ، وهو عالم بأنه يستطيع السير على هواه لكنه يرغب مع ذلك في عدم التلكؤ والتأخر عن العودة الى الدار .

شاهد السجناء الذين كانوا في الفناء وعددهم لايقل عن ثلاثة أو أربعة آلاف سجيناً ، تريان يدخل في الممشى المحرم ، فاقتربوا من الأسلاك الشائكة ليروا عن قرب حقيقة الأمر . لقد ظنوا أنه أحد الموظفين لدى مكاتب القيادة أو أحد الأطباء المساجين . وهؤلاء وحدهم يملكون الحق في تخطي ذلك الحد .

كان السجناء يتوقون الى معرفة الأمر بأي ثمن . ففي المعسكر ، ماكانت تفوتهم شاردة ولا واردة لأن ألوفاً من العيون كانت تبحث بلهفة وشوق وجشع عن كل الدقائق . فالعيون كانت ترى كل يوم المناظر اياها التي رأتها في اليوم السابق ، لذلك فانها كانت تتحرق الى الجديد من الأمور ، الى كل ما هو غير عادي مهما بلغ من تفاهة . انها رغبة ازلية عريقة في تلافيف العقل البشري وهي تبحث أبداً عن الجديد والخاص وعن العوامل الدقيقة الشخصية في الحياة وتتحاشى كل ماهو رتيب ووتير .

ومرور سجين في المنطقة المحرمة حدث جدير بالنظر اليه بعناية وانتباه . انه حدث خطير . فهل كان لذلك السجين الحق في اجتياز تلك المنطقة بصفته طبياً أم موظفاً ؟ ان ذلك كان يستحق المشاهدة ويستحق عناء تجمهر المساجين وشخوص أبصارهم وكأنهم سحروا ببراعة ممثل على مسرح او أذهلتهم جرأة هذه الفعلة الممنوعة .

مكتبة محمد السيد كتب facebook

كان تريان يعرف انه متبوع بألوف العيون والأبصار ، ويعرف كذلك ان الحراس الذين في أبراج الرقابة يسيطرون على المعسكر والأسلاك الشائكة التي حوله مندهشون بالمثل يراقبونه وهم يتساءلون الى أين يقصد. كان تريان كوروغا لاينظر الى المساجين الذين يتبعونه بأبصارهم ولا الى الحراس البولونيين الذين كانوا أمامه على ارتفاع الأبراج .

كان يمشي باستقامة ولكن لم تكن خطواته تشبه خطوات الرجل الثائر الذي صمم على تخطي كل العوائق التي في سبيله . سار بخطى ثابتة متزنة بل مرنة كتلك التي يخطوها المرء لمجرد الرغبة في السير والتريض .

غير ان تريان كوروغا ماكان يشعر برغبة في السير . لكنه كان يعرف أن فعلته تلك تهدف الى نتيجة وحيدة ، وانها كانت ترضي ذهنه وعقله . ومن أجل ذلك كانت خطواته مزيجاً من القسوة والاتزان وليس أشبه بحركات الآلات او الرجال الذين يتهافتون في سباق أعمى تدفعهم أهواؤهم. لم تكن خطوات تريان كوروغا تدل على التعصب والاندفاع الأعمى .

كان يمشي وعيناه متسعتان : لقد كانت قواه الابصارية محدودة بغير النظارات . لكن عيني قلبه وذهنه كانتا مفتوحتين وكان يرى طريقه والهدف من طريقه والسرور والأسى اللذين يلتقيان عند نهاية ذلك الطريق .

كان المدقق في خطوات تريان كوروغا يستطيع ان يقرأ فيها ، في تلك الخطوات على الرمال ، تلك الخطوات المتجهة الى الأسلاك الشائكة والحراس ، حزناً عميقاً . لكنه حزن مكبوت ومكتوم . انه حزن بني الانسان الذين يغادرون بيوتهم ويمضون بعيداً عنها . انه ألم البحارة عندما تشق السفينة عباب البحر الخضم مبتعدة عن شاطىء الوطن .

ان من يرى تلك الخطوات ويستطيع قراءة ماتعنيه لايمكن ان يجد غير هذه المعاني فيها . كانت تلك المعاني مكتوبة على الآثار التي كانت تخلفها

مكتبة ماجد الحيدر
facebook
كتب كتب كتب

أقدامه على الرمال • لكن العيون التي تستطيع مثل هذه القراءة لم تكن بين ألوف عيون النظارة •

كانت عيون الحراس البولونيين وعيون المساجين ترى فقط ان تريان كوروغا يزداد اقتراباً من الأسلاك الشائكة وان هذا عمل ممنوع محرم وان أي سجين لايحق له ان يصـل الى أقرب من متـر ونصف من الاسلاك الشائكة •

مع ذلك فقد كان كوروغا يرتكب هذا المحذور •

وضع السجناء أيديهم على عيونهم يحجبون عنها حركات تريان وما قد ينجم عنها • وكان بعضهم يضع قبضته على فمه قلقاً من رؤية النتيجة كما لو كانوا يشاهدون صراعاً مثيراً او شريطاً عنيفاً أو يقرأون رواية بوليسية ممتعة •

كان البولوني في برج الرقابة لايصدق عينيه • ولعله هو الآخر قد رفع يده الى فمه لكن يده كانت تحمل بندقية ، فلما رفع يده ارتفع السلاح معها • تذكر ان واجبه يقضي عليه باطلاق النار على السجين الذي يقترب من الأسلاك الشائكة • فضغط اصبعه عـلى الزناد وانطلقت الرصاصة • وعندئذ تذكر البولوني أنه ارتكب خطأ لأنه لم يصوب بندقيته الى الهدف • ولما يطلق المرء البندقية ، ينبغي أولا ان يسدد الى الهدف • ذلك هو النظام المتبع وهو يعرفه • وكان عقله الباطن يعرفه كذلك ، لذلك فانه صحح خطيئته بحركة لاشعورية قبل ان يطلق رصاصته الثانية اذ سدد الى الهدف وكان الهدف هو الرجل • سمع تريان الطلقة الأولى ثم الثانية • وشاهد بريقاً خاطفاً يتكسر أمام عينيه ثم شعر بتعب يكتسح جسمه ويدفئه من رأسه الى أخمص قدميه • تعب يشبه ذلك الذي يشعر به الانسان في الشتاء عندما يكون في غرفة دافئة وبعد ان يشرب سائلاساخناً • وشعربشيء ساخن يسيل على يديه ثم ترنح جسده وسقط على الارض المحرقة قرب الأسلاك

الشائكة • لقد سقط دون ضجـــة أشبه بالمعطف الذي يسقط تلقائياً عن المشجب الى الارض •

شعر تريان باشفاق عميق على ذلك الجسد الذي انهـــار رخواً على الارض ، ذلك الجسد الذي كان له أخلص صديق • في تلك اللحظة فقط تحقق من مقدار حبه لذلك الجسد • ثم فكر في نورا وفي أبيـه وقد كان كلاهما في مثابة الجسد له • وتتابعت أمام عينيه صورة نورا وأمه وصورة ايوهان موريتز وقاضي التحقيق داميان وعدد آخر من الصور جاءت كلها تسكن فترة في دماغ تريان ثم تتساقط بالتتابع كاللوحات التي تسقط من الجدران حالما تنزع المسامير التي تثبتها •

سقطت اللوحات التي تمثـل الصور الحبيبة الى نفسـه • سقطت الى الارض مع جسد تريان كوروغا وتراكمت بعضها فوق بعض •

لم يعد الفكر يستطيع ابقاءها أمام العينين لأنه فقد القوة على ذلك • لكن الشيء الوحيد الذي لبث برهة أخرى منتصباً لا يسقط مع تلك الصور كان رأسه الذي رفض التمرغ على الارض •

غير ان ذاكرته كانت كالعَلَم ، تسربل في طياتها تلك الصور الحبيبة وذلك الجسد الذي أصبح واهياً وقد فارقته الدماء •

كان تريان كوروغا يعرف مايريد ان يقول لكنه لم يقل مايريد • كان يريد ان يبتهل بصلاة يحبها ، لكن تلك الصلاة كان مقدراً لها كالعديد من الأشياء في الحياة ، ان تبقى في طي الخفاء • مع ذلك فانها لم تكن صلاة طويلة ولو أنه عاش لحظات أخرى ، لحظات بسيطة جداً ، لاستطاع ان يردد هذه الصلاة :

أيتها الأرض الحبيبة
انني أمنحك نفسي الى لاعودة

مكتبة ماجد الحيدر
facebook.كتب.كتب.كتب

انا المجهول الذي جئت من بعيد جداً الى هنا [1]

التصقت وجنته وشفتاه بالارض الحـــارة بحركة مفعمـــة بالحنان والصداقة والاستسلام التام والحب العميق .

كان كل شيء خطيراً كاملا لأنه تم ببساطة وبطء جليل كالنار التي تنطفيء بعد طول اشتعال .

وفي فناء المعسكر ، كان ايوهان موريتز يريد اطلاق صرخة مدوية ، رفع يده الى فمه لكنه تمالك في آخر لحظة . لم يكن الصراخ هو ما يجب عمله في تلك اللحظة . أطرق برأسه الى الأرض ورسم اشارة الصليب .

## - ١٦٥ -

بعد مضي أربعة أيام على موت تريان كوروغا ، تلقى ايوهان موريتز رسالة من سوزانّا .

رسالة من سوزانا الى ايوهان موريتز :

« عزيزي اياني .

« لعلك تظن أنني مت . اذ مضى علينا زمن طويل لم يتلق أحدنا أنباءً عن الآخر . لقد ظننت مراراً خلال الأعوام التسع الماضية أنك مت وأردت أن أستقرىء صلوات عن روحك في الكنيسة كمـا يجب ان يكون الحال نحو الموتى .

« ولكني كنت دائماً في اللحظة الأخيرة أعدل عن رأيي .

« كان قلبي يحدثني بأنك لم تمت.انني الآن سعيدةلأنني لم أستقرىء صلوات عن روحك ولم أقم شعائر الدين لان مثل هذه الامور مجلبة سوء لغير الأموات .

---

(١) القصيدة للشاعر : و . م . رلك .

مكتبة ما الحبيب كتب كتب facebook

لقد أعطاني السيد بيروسيه ـ وهو من الصليب الأحمر السويسري ـ عنوانك وأبلغني أنك سجين منذ سنوات .

« وبعد أن حمدت الله الجليل الذي حفظك على قيد الحياة ، توجهت اليه بصلوات ليتفضل بفتح عيون أولئك الذين أودعوك السجن دون ذنب جنيته ـ لأنني أعرف أنك لست لصا ولا قاتلا وأعرف انهم سجنوك دون سبب ـ علهم يطلقون سراحك .

« ان عندي أشياء كثيرة أقصها عليك اذ أن كثيراً من الأمور قد وقع خلال السنوات التسع التي انقضت . ولكن لايوجد في رسالتي متسع لأقص عليك كل شيء .

« لعلك ستنزعج اذا علمت أني الآن في ألمانيا وأنني هجرت البيت والأرض وكل ماكنا نملكه هنـــاك وجئت أنشيء أبناءنا في أرض غريبة . لذلك فانني سأقص عليك الأسباب .

« انك غادرتنا في اليوم الثاني من عيد العنصرة .

« لقد أخبرني أهـل القريـة بأنهم رأوك يسوقك الدركي متنكباً بندقيته . لكنني لم أصدقهم لأنني كنت أعرف أنك لست مذنباً ، لذلك لايجوز سجنك دون سبب وسوقك كالمجرمين في حراسة الحراب .

« وانقضت أربعة أسابيع عـــلى ذهابك . فأنضجت خبزاً ساخناً وانتظرتك لتأكله معا . كنت أعرف أنك ستعود جائعاً عطشاً . فلما برد الخبز وفات عليه اليوم أعطيته للأطفال وخبزت خبزاً جديداً وانتظرتك من جديد وكل أملي أنك ستجد عند حضورك خبزاً ساخناً تأكله . كان هاتف خفي ينبئني بأنك ستعود ، لذلك انتظرك كل يوم . كنت أعتقد أنك ستصل مساء فأترك الباب مفتوحاً لأجنبك مشقة الانتظار اذا طرقت الباب

مكتبة ماجد الحيدر
facebook

وهرعت اليه أفتح لك . كنت أعرف أنك ستعود تعباً وفي قدميك آلام من المشي الطويل ، لذلك ماكنت أريد أن أجعلك تنتظر أمام الباب . لكنك ياعزيزي اياني لم تعد . فعدلت عن خبز الخبز من أجلك لأنني لم أجد طحيناً مدخراً ولم أستطع ايجاد الطحين . مع ذلك لبثت انتظرك كل يوم .

« وذات يوم جميل ، وكان ذلك قبل حلول عيد العنصرة الثاني ، جاءني الدركي معلناً أنك يهودي وأنهم سيأخذون البيت مني . وأبلغني أنني اذا شئت الاحتفاظ بالبيت والبقاء فيه مع الاطفال فليس علي الا أن أوقع ورقة ، ورقة طلاق ، فوقعت ولكنني لم أطلقك بل لبثت انتظرك كسابق العهد .

« ولما دخل الروسيون ، قتلوا القس كوروغا مع خيرة اهل القرية فذهبت انا وأمك أريستيتزا وأخذنا القس ليلا ـ لانه لم يكن قد مات بعد ـ وأخرجناه من حفرة القاذورات وأردنا أن نخفيه في الغابة . لكننا التقينا بقافلة من الالمان ، فأعطيناهم القس ليعنوا به ويحملوه الى المستشفى . ولست أدري اذا كنا أحسنا صنعاً ، لكننا ماكنا نستطيع تركه يموت . وفي اليوم التالي أعدمت أريستيتزا بيد ماركو غولدنبرغ عقابا لها على فعلة الامس . وأرادوا اعدامي بالمثل . لكنني حملت الاطفال وفررت من القرية . لقد اشتغلت وتألمت في أمكنة كثيرة . كنت أخاف أن يقبض الروسيون علي ويعدمونني بالرصاص كما فعلوا بأمك . لذلك فقد فررت على قدر مااستطعت . غير أن الروسيين أوقفوني أخيراً في ألمانيا بعد انتهاء الحرب . لم يقتلوني رمياً بالرصاص بل كانوا شفوقين علي اذ أعطوني خبزاً لأولادك وحلوى وألبسة لأنهم لم يكونوا أبناء شخص ألماني . وقد أعطوني كذلك طعاماً وألبسة لي ، وانني الآن آسف شديد الاسف لأنني فررت من فاتانا خوفاً من الروسيين .

« وقد استمر ذلك أربعة أيام كنت أنتظر أن أشفى من المرض الذي نزل بي لأعود الى منزلنا • وذات مساء قرع أحدهم النافذة • ولما استطلعت الخبر وجدت أنهم جنود روسيون • اقتحموا الباب ودخلوا البيت وراحوا يفتشون فيه عن نساء ، فأخذوا ابنة صاحبة المسكن التي كانت في الرابعة عشر من عمرها وأعطونا خمراً لنشرب وأشهروا مسدساتهم وأفهمونا أنهم سيقتلوننا بالرصاص اذا امتنعنا عن الشراب • ثم أمرونا أن نخلع ألبستنا ونقف عاريات • كان الاطفال ، أطفالنا ، في الغرفة معنا • قلت أنهم يستطيعون قتلي اذا شاءوا لكنني لن أخلع ثيابي أمامهم • فانتزع الجنود ثوبي وقميصي ومزقوهما شر ممزق ثم استحيونا ولبثوا في مضاجعنا حتى الفجر • لقد ضاجعونا جميعهم• لقد صبوا في فمي عرقا لأنني رفضت تناول الشراب ، وكذلك ملأوا به أذني وعادوا الى فراشي من جديد • اغفر لي ياعزيزي اياتي اذا كنت أقص عليك كل هذا لأنني لاأريد أن أخفي عنك شيئاً • ولما استيقظت ، كان الروسيون قد ذهبوا ولم يبق حولي الا الاطفال يبكون كما يندب الباكون الاموات •

« وفي المساء التالي عاد الروسيون من جديد • كانوا هم أنفسهم جنود الأمس • جاءوا بابنة صاحب المسكن وعادوا يضاجعوننا مرة أخرى•

« واختفيت أنا مع الاطفال في القبو خشية أن أقع فريسة بين أيدي الجنود الروسيين من جديد • غير أن الليلة الثالثة لـــم تكن خيراً من سابقتيها ، لأن الروسيين عثروا علي في القبو وانقضت تلك الليلة كالليلتين السالفتين • لكني لاأعرف حقيقة ماحدث لأنه أغمي علي منذ أن وضعوا أيديهم على ذراعي •

« ودام الحال هكذا أسبوعين كاملين ليلة اثر ليلة • كنت أختبيء كل مرة في البستان أو في مخزن المؤن أو عند الجيران • لكن الجنود

مكتبة ماجد الحيدر
facebook كتب كتب كتب

الروسيين كانوا يعثرون علي أبداً فلم أستطع الافلات منهم ليلة واحدة • قررت الانتحار • لكنني عندما كنت أرى الاولاد ، كنت أشعر بضعفي واستحالة تركهم دون أم • لقد كان غياب أبيهم وحدة كافياً • اذ ماذا كانوا يستطيعون عمله اذا مالبثوا وحيدين في بلد غريب • انني اذا كنت لم انتحر فما ذلك الا من أجلهم • أما أنا ، فانني منذ الآن أعتبر نفسي ميتة • ولقد اتجهت الى الغرب فراراً من الروسيين ، فوصلت الى منطقة الانكليز ومنها الى المنطقة الامريكية حيث لازلت الى الآن • وقد أوقفني الروسيون مرات في الطريق وكانوا كل مرة يستحيونني أمام الاطفال كما هو شأنهم مع كل النساء • وقبل أن أجتاز المنطقة الروسية الى المنطقة الانكليزية استبقاني الجنود الروسيون على الحدود ثلاثة أيام لم يفوتوا منها ساعة من الليل أو النهار الا وضاجعوني • وفي آخر مقارنة لهم معي ، خرجت حبلى • لقد مضت خمسة أشهر على هذه الحادثة ، وأشعر الآن بالجنين في أحشائي •

« انني أسألك رأيك فيما يجب أن أعمل • اكتب لي اذا كنت لازلت تعتبرني زوجة لك بعد كل ماحدث ، واذا كنت تقبل بعد كل هذا أن تعود الي •

« انني أنتظر جوابك بفارغ صبر ، وأنا أبكي لأعرف ماذا يجب علي أن أعمل • »

« سوزانا »

## - ١٦٦ -

لبث ايوهان موريتز بعد قراءة الرسالة فترة طويلة وأوراقها بين أصابعه المتقلصة • سمع صوت نفير الطعام لكن صوته بلغ أذنيه بعيداً خافتاً وكأنه في حلم • سمع نداء الطعام لكنه لم يتحرك بل لبث مستلقياً على ظهره •

كانت نظرته وحياته والطريقة التي كان مستلقياً بها متبدلة كلها عن جري عادته • لم يعد ايوهان موريتز المعهود ، ذلك الايوهان موريتز الذي كانه حتى الآن ، بل تبدل الى انسان آخـر • كان جسـد ايوهان موريتز وروحه كالشريط الذي يمر فيه تيار عنيف جداً لم يستطيع الصمود أمامه• لم يبق منه الا رماد ساخن هي كـل بقايا موريتز أمس • أمـا موريتز الجسد ، فلم يعد له وجود • حتى أنه لو وخزه بعضهم بابرة لما شعر بالألـم • أصبـح ايوهاناً جديداً لايشعر بالجوع ولا بالعطش ، ايوهاناً لايدري أهو سعيد أم حزين •

كان يستطيع أن يبكي وأن يضحك معاً لانه لم يعد يساهم في شيء من الحياة ولايشعر أنه على قيد الحياة •

نهض ايوهان موريتز من سريره وخرج من الخيمة وراح يمشي دون أن يعرف لنفسه هدفاً •

توقف أمام الاسلاك الشائكة على جري عادته دون أن يعرف السبب• ولو أنه تجاوز الحد المسموح به وأطلق عليه الجنود النار فقتلوه لما شعر بأي أسف • لكنه ماأراد تجاوز الحد ولم يكن يريد تجاوزه • انه لم يكن يرغب في شيء أو يريد شيئاً أبداً •

وبعد لحظات اقترب منـه جنديان أمريكيان وفي أيديهمـا آلات التصوير وأرادا التقاط صورة له •

لم يتحرك موريتز من مكانه ولم ينظر اليهما • لكنه انتفض عندما لمح الجندي الثالث • فناداه بهدوء :

ـ سترول ، كيف جئت الى هنا ؟•••

توقف الجندي الامريكي في مكانه ، وظل برهة ينظر الى موريتز وآلة التصوير في يده •

مكتبة ماجد الحيدر
facebook
كتب كتب كتب

كان هـو سترول ، موظف الاعاشـة السابق في معسـكر اليهود في رومانيا ، سترول الذي فر معه برفقة الطبيب أبراموفيسي الى بودابست • نظر كل منهما الى الآخر وتعارفا •

ولما ناداه موريتز باسمه للمرة الثانية ، وضع سترول جهاز التصوير أمام وجهه وهو يخفي عينيه ويتظاهر بأنه يصور موريتز •

ثم ابتعد مسرعاً دون أن يجيب •

لبث ايوهان موريتز واقفاً وراء الاسلاك الشائكة ينظر الى سترول والجنديين الآخرين وهم يركبون سيارة جيب ويبتعدون •

ولما اقلعت السيارة ، عاد سترول فألقى نظرة على ايوهان موريتز لكنه سرعان ماأشاح بعينيه مرتبكاً •

لم يغضب موريتز قط • ولو أن سترول ، صديقه في المحنة ، تنكر له وتظاهر بأنه لايعرفه في غير ذلك اليوم لغضب غضباً جنونياً •

لكنه اليوم لم يشعر بأذى لأن كل شيء كان لديه تافهاً •

لبث ايوهان موريتز واقفاً أمام الاسلاك الشائكة •

شعر بيد تلمس كتفه فاستدار مذعوراً :

ـ هيء نفسك للذهاب ، ياموريتز !

التفت ايوهان موريتز • ظن أن أمراً باطلاق سراحه قد وصل الى قيادة المعسكر وانهم يبلغونه ذلك الامر•فشع في عينيه بريق السرور وقال:

ـ هل يطلقون سراحي ؟

قال رئيس الخيمة الذي أنهى اليه الخبر الاول :

ـ كلا وللأسف ، ياعزيزي موريتز !

ـ انهم سينقلونني الى معسكر آخر ، أليس كذلك ؟

ـ نعم • الى نورمبرغ !

مكتبة تحميل الخير كتب facebook

هز ايوهان موريتز رأسه بلا مبالاة • كان يعرف منذ زمن بعيد أنه اعتبر بصورة آلية مجرم حرب وكل جنود فرق الحرس • وذهابه الى نورمبرغ حيث اجتمع مجرمو الحرب الآخرون أمثال غورنغ وروندلف هس وروزمبرغ وفون بابن ••• يمكن أن ينجم عنه الحكم عليه بالاعدام وأن يشنق • لكن كل شيء في تلك اللحظة بات سيان عنده •

لذلك استمر ينظر خلال الاسلاك الشائكة الى الافق البعيد •

عاد رئيس الخيمة يربت على كتفيه ويقول :

ـ ستذهب خلال نصف ساعة •

لم يتحرك ايوهان موريتز • قال رئيس الخيمة :

ـ اذهب وهيء أمتعتك ! ان الوقت لايكاد يسمح لك بذلك • سيكون الاجتماع في الساعة الثالثة عشرة •

قال موريتز :

ـ ليس لدي أمتعة •

ـ ألن تأخذ معك شيئاً •

ـ لاشيء أبداً •

ـ ولا غطاؤك ؟

ـ ولا غطائي •

فكر رئيس الخيمة لحظة ان ايوهان اذا ترك غطاه الصوفي فان ذلك سيسمح له هو امكانية استعمال غطائين • لكنه سرعان ماطرد تلك الفكرة من رأسه وقال :

ـ ينبغي أن تحمل معك غطاءك لان سجن نورمبرغ الدولي بارد رطب • لسوف تحتاج فيه الى غطائك •

ـ انني لن أحتاج الى شيء •

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.facebook

قال رئيس الخيمة وهو يبتعد :

ـ لاتتأخر على أية حال • سيكون الاجتماع في تمام الثالثة عشرة •

لبث موريتز في مكانه وطرف حذائه على حافة الخط الابيض الذي يفصل بين المنطقة المحرمة على المساجين والمنطقة المباحة • تحركت قدم موريتز اليمنى ووطئت الخط الابيض ، ورفع عينيه الى البولوني في برج الرقابة • كان الحارس يسدد بندقيته في تلك اللحظة ويقف على استعداد لاطلاقها ، غير أن ايوهان موريتز لم يتخط الحد الابيض بل مكث حيث كان وقدمه على حافة الخط • وبعد نصف ساعة كان يذهب الى نورمبرغ مع مجرمي الحرب الآخرين الذين جمعوهم من المعسكر •

لبثت رسالة سوزانا هي الأخرى في الخيمة مع بقية أمتعة ايوهان • فحاول زملاؤه قراءتها ، لكنهم عزفوا عن ذلك عندما وجدوها مكتوبة بالرومانية وتأكدوا من أنهم لن يفهموا منها شيئاً •

كان ورق الرسالة رقيقاً جداً فمزقها السجناء قطعاً صغيرة وراحوا يلفون فيها التبغ بدلا من ورق السجاير •

وراحوا يدخنون لفافاتهم •

## - ١٦٧ -

عرض حارل رقم « ٧ » ـ الموضوع : عدالة • عقاب مجرم الحرب ايوهان موريتز ( هذا المعروض وصل الى المكتب بعد موت الشاهد ) •

قررت محكمة نورمبرغ الدولية باسم اثنتين وخمسين أمة أن صديقي ايوهان موريتز مجرم حرب •

ان هذا أمر جميل لانني منذ أن يعلن قرار الادانة لن أتنزه معه في ساحة المعسكر لانه لايجوز ولايستحسن أن يتنزه المرء في فناء المعسكر

بصحبة المجرمين ،خصوصاً وأن ذلك لن يكون خالياً من النقد والاستهجان .

لكن ايوهان موريتز يبدو غير مبال بقرار محكمة نورمبرغ الدولية وبخطورة جريمته .

وهذا هو موضوع هذا العرض .

انه يزعم أنه لم يقتل أحداً في حياته حتى ولاذبابة ، وأنه اذن ليس مجرماً . الامر الذي لاشك في خطئه طالما أن اثنتين وخمسين أمة قررت في محكمة دولية أن ايوهان موريتز مجرم . ان ايوهان موريتز يزعم كذلك أنه لايعرف الامم الاثنتين والخمسين وانه اذن لايمكن أن يكون قد ارتكب جريمة ضدها . ان مناقشته للموضوع ساذجة ولاشك ، لذلك قرأت له أسماء الامم الاثنتين والخمسين التي تتهمه . فوجد بينها بعضاً لم يسمع بأسمائها قبل تلك اللحظة بل ولم يكن كذلك يعرف وجودها على سطح الارض . لكن ذلك لايمكن أن يكون عذراً .

لقد غضب ايوهان موريتز لما رأى أن اسم فرنسا واليونان في عداد الامم الاثنتين والخمسين التي تتهمه ، وامتقع وجهه من الغضب ورفض بشدة أن يصدق ماورد في لائحة الاتهام . انه يزعم أنه تعرف من قبل على ستة من الفرنسيين السجناء أنقذهم من السجن . وانه تعرف مرة على يوناني واحد كان سجيناً معه في معسكر واحد فاقتسم معه رغيف الخبز الذي كان يملكه . وفيما عدا ذلك فانه يزعم أنه لم يربط أية علاقة أخرى بينه وبين اليونان . لكن مايرويه ليس الا مجرد مسائل خاصة وشخصية لا علاقة لها بالاحوال العامة .

لذلك فان ايوهان موريتز يعتبر مجرماً في نظر هاتين الامتين أيضاً .

ان القرار واضح وحازم .

ولكي نقنع ايوهان موريتز باجرامه حيال الامم المتحدة فانني أقترح

مكتبة ماجد الحيدر
كتب كتب facebook

أن يقضي ايوهان موريتز مدة سجنه بمعدل عام في كل من هذه البلدان ، وعندئذ يستطيع أن يقنع بحقيقة كونه مجرم حرب • وبذلك فقط تتبخر لامبالاته •

مع ذلك ، ولما كان بقاء ايوهان موريتز حياً اثنين وخمسين عاماً أخرى ضعيف الاحتمال وذلك بسبب ضعفه العام ، وهي حالة تشمل في الوقت الحاضر كل المجرمين أمثاله ، ولما كان موته قبل أن تستطيع كل واحدة من هذه الامم الاثنتين والخمسين التي هي من ضحاياه ، أن تسجنه لديها سيجعلها تشعر بالمغدورية اذا لم يعاقب في أراضيها ، فانني أقترح بسبب ذلك أن تخفض مدة السجن الى ستة أشهر في كل بلد فيكون مجموع السنين ستة وعشرون عاماً كاملة •

فاذا لم يمت خلال هذه الاعوام الستة والعشرين ـ وانه لمؤسف حقاً أن يموت قبل أن ينهي فترة العقوبة في كل دولة من الدول الاثنتين والخمسين ـ فانني أقترح أن يكبل بالاصفاد وأن يطوف على الامم الاثنتين والخمسين بمعدل شهر في كل بلد حتى اذا انتهى من طوافه أعاد الكرة من جديد •

وهكذا فان كل واحدة من الامم الاثنتين والخمسين ستأخذ نصيبها في عقابه دون أن تخسر أحدها أو أن يغمط حقها •

ينبغي أن تطبق العدالة ، والعدالة هي القاعدة التي يقوم عليها المجتمع الآلي الغربي •

ولما كانت هناك بعض الامم ـ كروسيا وبولونيا ويوغوسلافيا مثلا ـ لاترعى سجناءها ولاتبقيهم في حالة كاملة من الحركة والنشاط ، وكان يحدث أحيانا أن تنسى سجناءها في سجونهم زمناً طويلا ، فانني أقترح أن يصار الى وزن ايوهان موريتز بميزان دقيق قبل كل طواف وأن يرفق

بقائمة دقيقة عن كل الاعضاء العاملة التي يمتلكها في جسده •

يجب على كـل أمة أن تتعهد ايوهان موريتز فتسلمه من محكمة نورمبرغ الدولية وتعيده اليها على مثل الحالة التي استلمته عليها من قبل شريطة أن يكون وزنه متساويا وأن تكون الاعضاء العاملة المسجلة بدقة في جدول الاحصاء لازالت عاملة صحيحة •

وهكذا يمكن ابقاء ايوهان موريتز في كامل نشاطه واستخدامه في الاشغال الشاقة في كل من بلاد الامم الاثنتين والخمسين •

ان المجتمع الآلي الغربي يقوم على مبدأ عدم ترك شيء يفسد ويتعطل •

وانه لمن واجبنا أن نطلب الى الامم الاقل مدنية من أممنا أن لاتتصرف حيال الاشياء التي تسلم اليها ببربرية ووحشية •

ان مهمتنا هي نشر الرقي والمدنية في العالم أجمع ! هذا هو واجبنا واننا لفخورون بهذا الدور •

الشاهد

* * *

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.كتب.facebook

# الفصل الاخير

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.كتب.facebook

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.facebook

انتهى المطاف بايوهان موريتز الى خارج المعسكر والسجن فأعيدت اليه حريته •

لقد لبث غائبا عن بيته ثلاثة عشر عاما •

لقد مر خلال هذه المدة بمئات من المعسكرات وانتهى به المطافأخيراً الى زوجته وأطفاله •

كانت الساعة العاشرة مساء ، وكان ذلك هو المساء الاول لموريتز وأسرته • كان موريتز قد تناول طعامه فلبث متكئاً بمرفقيه الى المائدة يتأمل أطفاله •

كان بيتر ، وهو البكر ، في الخامسة عشرة من عمره • فكان موريتز ينظر اليه ويفرك عينيه خشية أن يكون في حلم • لم يكن يستطيع تصديق ماتراه عيناه والاعتقاد بأن هذا هو ابنه هو ، ايوهان موريتز •

كان بيتر يرتدي سترة أمريكية زرقاء اللون ويدخن لفافة ، وكانت عيناه تشبهان عيني أبيه •

ولم يكن بيتر كذلك يصدق أن هـذا الرجل الناحل ذا الفودين الاشهبين ، هذا الرجل الذي كان أمامه والذي لم يره قط من قبل هو أبوه•

لكنه في تلك اللحظة بعد أن رأى أنه سيقطن معه غرفة واحدة فانه راح يحاول أن يألف وجوده •

مكتبة ماجد الحيدر
facebook

قال بيتر :

ـ سأتحدث الى الرئيس ، ولعله يجد لك عملا في المصنع الذي أشتغل فيه .

ابتسم ايوهان ، بينما أردف بيتر يقول :

ـ واذا كنت أنا الذي أرشحك فان الرئيس سيقبلك حتما . انه لايقبل أبداً عمالا غير اختصاصيين . وأنت لست اختصاصياً ،لكنه سيستثنيك من هذا الشرط عندما أقول له بأنك أبي .

نظر ايوهان موريتز الى ابنه الثاني نيكولاي الذي كان يشبه سوزانا. لقد كان هو الآخر أشقر ، ونظراته هادئة وديعة كالقطيفة .

وانتقلت عينا ايوهان موريتز الى الولد الثالث وعمره أربعة أعوام . لم يكن هذا ولده . لقد جاءت به سوزانا بنتيجة بقائها في منطقة الروسيين. لكن ايوهان موريتز صفح عنها لأنها لم تكن مخطئة فيما صنعت ولم تكن مخيرة فيه .

أشعل ايوهان موريتز لفافة جديدة ، لقد قدم له ابنه بيتر ـ ليعرب له عن ترحابه بمقدمه ـ علبة كاملة من اللفافات .

كان ايوهان موريتز تعباً منهوكاً ، لكنه لم يكن يشعر برغبة في النوم .

لم يكن في الغرفة الا سريران . كانت سوزانا ستشغل أحدهما مع الطفل ، بينما ينام هو على الآخر وحيداً . أما الغلامان ، فانهما كانا سينامان على دثار يفرشانه على الارض .

قال بيتر :

ـ ان هذه الحال محتملة في الوقت الحاضر حتى نعثر على غرفة أو على سرير جديد .

مكتبة ماجد الحيدر
facebook كتب كتب كتب

فرش الغلامان الدثار على الارض ، وبدآ يخلعان ملابسهما .

لبث ايوهان جالساً وراء المائدة ، ورأسه بين يديه ، ينظر الى ولديه بيتر ونيكولاي وهما يخلعان ثيابهما ويستلقيان . تمنيا له ليلة طيبة ، وكانا يتحدثان بالألمانية . وكم ود ايوهان موريتز لو أنهما خاطباه بالرومانية ، لكن الغلامين كانا يتعثران عند التحدث بتلك اللغة .

وضعت سوزانا الطفل في السرير « طفل الروسيين » كما غمغم موريتز في سره . كان الطفل جميلا جداً ذا خصلات من الشعر الاشقر .

كان موريتز لايحب النظر اليه . لكنه كان ـ عندما أجاب على رسالة سوزانا من المعسكر ـ قد أعرب لها عن نيته في اعتبار الطفل كولده.

بيد أن سوزانا ماكانت كذلك تحب أن ينظر موريتز الى الطفل الاشقر الجميل . نزعت ملابسه وأودعته السرير وكأنها تخفيه عن عيني موريتز .

لبثت سوزانا واقفة فترة طويلة في وسط الغرفة لاتعرف ماتعمل .

ثم جلست الى المائدة قبالة زوجها . كانت تعرف أن موريتز منهوكاً تعباً ، لكنها ماكانت تجرأ على دعوته الى الايواء الى السرير . كانت تشعر بأنها مذنبة ، وبأنها سبب كل ماحدث ، علة سجنه كل تلك السنوات التي قضاها في المعسكرات . صحيح أن تفكيرها كان أخرق . لكنه كان أقوى من ارادتها ، فما كانت تستطيع العزوف عن التفكير ...

كذلك شعرت أن استباحة الروسيين لجسدها كانت بخطئها ، لذلك ماكانت تقدر على احتمال نظرة ايوهان موريتز ، وما كانت تجرأ على تنبيهه الى لزوم النوم والاستراحة .

كانت تعرف أنه سيأتي بعد غياب . فجهزت له الطعام ، وسوت له السرير . لقد كان جائعاً جوع الذئاب ، فالتهم كل ماكان على المائدة .

مكتبة مجد الحيدر
www.facebook.com/groups/كتب.كتب.كتب

وكان في تلك اللحظة قد أتى على نصف علبة اللفافات التي قدمها اليه بيتر .

والآن ، وقد نام الأولاد ، رفعت سوزانا عينها الى وجه زوجها . وتقابلت نظراتهما ولبثت مرتبطة ببعضها لحظة لاتستطيع عن بعضها فكاكاً.

ـ أهذا هو الثوب الذي كنت ترتدينه ذلك المساء ؟

كان موريتز ينظر الى الثوب الأزرق ذي الياقة الواسعة الذي كانت سوزانا ترتديه ليلة ان قتل ايورغو ايوروان أمها . كانت سوزانا ترتدي ذلك الثوب عندما حملها الى منزل أبويه ، عنـــد أريستتزا التي رفضت ايواءها ، وعند الكاهن كوروغا الذي أعطاه الغرفة الصغيرة قرب المطبخ . كانت سوزانا بادىء الأمر لاتملك الا ذلك الثوب ، حتى ولا قميصاً تحته . وظلت خلال أسابيع متعاقبة لاتلبس سواه فلا تخلعه الا مساء عندما كانت تنام عارية تماماً . واستطاعت بعد ذلك ان تحيك لنفسها أثواباً أخرى . لكنها ظلت تعتبر ذلك الثوب أجملها وأفضلها . وكان هو الثوب الذي يحبه زوجها أكثر من سواه . لأن أجمل أسابيع غرامهما كانت تلك التي انقضت بينما كانت سوزانا تلبس ذلك الثوب وحده .

قالت سوزانا :

ـ انني لم ألبس هذا الثوب منذ رحيلك عن فاتاتا . لقد أقسمت يوم ان اوقفوك ان لاأضعه على جسدي الا عندما أراك داخلا من الباب . لقد حملته معي في الأمكنة التي تنقلت فيها طيلة الأعوام الثلاثة عشر . ولقد انتظرت طيلة ثلاثة عشر عاماً ، غير انني لم ألبسه غير اليوم .

أطرقت سوزانا والخجل يغمرها ، ثم عادت فرفعت رأســها وتقابلت نظراتها مع نظرات ايوهان .

مكتبة ماجد الحيدر
كتب كتب كتب facebook

ود ايوهان موريتز لو يجلسها على ركبتيه ويقول لها ببساطة : « لقد أضناني الحنين اليك . »

لكنه لم يقل لها شيئاً .

أشعل لفافة جديدة وعاد ينظر الى الأولاد النيام ، ثم يتوقف بأبصاره على وجه سوزانا.انها لم تختلف اختلافاً بيناً.لقد تجعد وجهها قليلا وفقدت بشرتها نعومتها ، وتلون شعرها بلون الكتان ، وضمر ثدياها وتهدلا . لكنها ظلت هي هي لم تتبدل عن أمس البعيد . لم يكن ايوهان موريتز يعتقد أنه سيجد سوزانته اياها ، سوزانتّه فانتانا . لقد كانت الأعوام الثلاثة عشر دهراً طويـلا .

قال ايوهان موريتز :

ـ انني أريد ان أتنزه قليلا .

لكنه لم يتحرك . لقد كان ينتظر ان تبدأ سوزانا بالحركة .

سألته :

ـ هل أستطيع أن أرافقك ؟

لم يجبها . لكنه انتظر ان ترتدي ثيابها .

ثم خرجا من الغرفة على أطراف أقدامهما خشية ان يستيقظ الأولاد.

كانا يشعران بشيء من الخجل .

ولما هبطا السلالم ، تلامس كتفاهما مرتين . وظلا وقتاً لايتحدثان .

كانت السماء داكنة ، وكان موريتز يود رؤية الشـارع الرئيسي ، فقادته اليه .

أمسكت بيده أمام واجهة زجاجية مضاءة لتريه زوجاً من الأحذية كانت تريد ابتياعه له ، ثم مضيا بعد ذلك . غير ان يديهمـا ظلتا متعانقتين وراحا يتفرجان ويتنقلان من واجهة الى أخرى . لم يتحدثا عن المعسكر

ولا عن بيتهما في فانتانا • تناسيا الماضي لأنهما يريدان قضاء أمسية هادئة خالية من الذكريات الأليمة •

قال ايوهان موريتز :

ـ سأستريح يومين ثم أبحث عن عمل • لعل بيتر يستطيع ادخالي في عداد عمال مصنعه •

فأجابت سوزانا :

ـ ستستريح أولا بضعة أسابيع ، ولن تبحث عن عمل الا بعد ذلك• انك الآن شديد الهزال وانني وبيتر نكسب مايكفي لعيشنا • انني أغسل الثياب ولي زبائن كثر •

وضغطت على يديه بشـــدة • كان يحب الاسلوب الذي لجأت اليه لتفهمه ان عليه ان يستريح •

بلغا أبواب المدينة • كانت الى يمين الطريق ويساره سهول جرداء • والظلام يخيم على الكون ، فقال ايوهان موريتز :

ـ أكاد أعتقد أننا في فانتانا •

فأجابت :

ـ هذا صحيح •

وعادا الى نزهتهما يفكران في ليالي فانتانا وفي صراخ البوم • كان كلاهما يفكر في أمر واحد •

قال موريتز :

ـ ان قدمي تؤلماني ، فهل تريدين ان نجلس برهة ؟

ودخلا بستاناً ، وجلسا على العشب فيه •

قال موريتز ، وهو يستلقي على ظهره ويضع يديه تحت رأسه :

ـ ان هذا يذكرني بفانتانا •

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.facebook

ثم استدار في استلقاءته وجعل وجهه الى الحشائش ، وأردف :

ـ استنشقي شذى العشب ياسوزانا • انها رائحة الأعشاب في البستان الذي كان قريباً من بيتك • هل تذكرين ؟ انه البستان الذي كنا نلتقي فيه •••

فانحنت الى العشب تشم عبيره • كان قلبها شديد الخفقان وقد أرتج عليها فلم تجبه لأن صوتها ، لو نطقت بكلمة ، كان سيبدو ضعيفاً متهدجاً •

وضع ايوهان موريتز يده على كتف سوزانا فلبثت منحنية كي تستبقي يده •

مكثا برهة هكذا لا يتحركان • كانا متباعدين تصل بينهما تلك اليد التي كان ايوهان موريتز يضعها على كتف سوزانا ، وما كانا يجرآن على الاقتراب من بعضهما أكثر من ذلك •

قال ايوهان موريتز :

ـ أتعرفين ياسوزانا ، لقد ذويت حنيناً اليك في المعسكر •••

كانت بعض النجوم تلتمع في السماء • فنظرت سوزانا الى السماء ثم ازدادت انحناءً نحو موريتز دون ان تشعر • كانت خجلى •

استطرد ايوهان موريتز معتذراً :

ـ أرجو أن تغفري لي ياسوزانا لأنني في المعسكر كنت أحلم غالباً بأنك عارية أمامي • عندما يسجن المرء يشعر غالباً بذلك • انني أريد بذلك أن أطلعك على كل الحقيقة • لقد كنت أحلم بك • لقد كنت عارية تماما كما كنت بين الأعشاب وراء منزل أبيك ••• سيبقى ذلك الصيف أجمل أيام حياتنا •

ازدادت سوزانا اقتراباً منه ووضعت رأسها على كتفه • فراح يربت على كتفها ، ثم انتقلت يده الى ظهرها ثم الى ثدييها ، وقال :

مكتبة ماجد الحيدر كتب كتب facebook

ـ سوف تتلفين هذا الثوب الجميل الذي احتفظت به ثلاثة عشر عاماً.

همت ان تقول له ان الثوب لن يتلف • لكنه استطرد :

ـ يحسن بك ان تنزعيه وأن تضعيه جانباً كما كنت تفعلين في فانتانا •

نزعت ثوبها ، وكانت في حركاتهـــا أشبه بتلك التي تحاول اخفاء جسدها حتى لايراه • كانت عاريـــة تماماً ، وكانت الأعشاب خضراء ، فارتسم جسدها البض عليها كالرخام الأبيض • طوقها بيده وقال ، وهو يدهش لقوله :

ـ انك لم تتبدلي عن ذي قبل • انك سوزانة الأمس • انك كما كنت بالامس البعيد لما كنا نلتقي في البستان • كيف استطعت البقاء دول تبدل ؟

قالت :

ـ هذا غير صحيح • لقد هرمت • أما أنت ، فانك لم تتبدل •

جذبها موريتز اليه فابتعدت ، فقال :

ـ انك تبتعدين كما كنت تفعلين من قبل ، وكأن الأعوام الثلاثة عشر لم ترسم دورتها في الزمن •

كانت تفكر في مثل ذلك الأمر •

لقد طوقها بذراعه كما كان يفعل من قبل ، وجذبها وغطى فمهـــا بقبلاته حتى كاد يخنقها • وشعرت بصدره يسحقها كالدرع الثقيل • كل شيء كان كالماضي •

قالت سوزانا :

ـ ان جسدك يفوح برائحة العشب كمـــا كان في فانتانا • لقد كان جسدك أبداً محتفظاً برائحة العشب والعلف • انني أنا الأخرى كنت أفكر فيك طوال الوقت ، وأقسم لك • لقد أمضيت كل هذه السنوات أفكر فيك

مكتبة ماجد الحيدر
facebook
كتب كتب كتب

بكل قواي وعقلي ، وأقسم لك • لقد كنت شمسي وزوجي وسمائي ، أنت وحدك •

كان ايوهان موريتز يعلم انها صادقة • انها لم تكن لسواه ، كانت له وحده • كان يحسّ بذلك خلال جسدها المحرق ، خـــلال ضربات قلبها وكلماتها التي كانت تحرق أذنيه •

كان ايوهان موريتز يعلم انه شمسها وسماؤها وانها لم تن تفكر فيه وتنتظره • كان ايوهان موريتز يحسّ بأن كل ماوقع خلال هذه الاعوام الثلاثة عشرة قد تبدد فجأة • كانا معاً من جديد ، تماماً كما كان الحال عليه في الماضي ، معاً وأمامهما الحياة •

لم يعد ايوهان موريتز يخاف من الحياة •

نهضا قبل ان يتبلج الصبح بقليل • كان كلاهما خجل •

قالت سوزانا :

ـ ماعدنا الآن على مثل الشباب الذي كنا عليه قبل ثلاثة عشر عاما • كان علينا ان نعود مبكرين الى البيت •

راح يضحك •

قررا ان يعودا الى المكان ذاته في الليلة المقبلة وقال :

ـ وكل الليالي الآتية سوف تتقابل هنا • هنا فقط • فهنا شبيه بفانتازيا، وأحس بأننا هناك وبأن ما من شيء مما حدث خلال هذا الوقت الطويل قد حدث فعلا •

كانا يضحكان وهما عائدان الى البيت • ماعاد احدهما الآن غريب عن الآخر • ولم يعد احدهما خجلا من الآخر • لقد طوق قامتها مرات عديدة دون ان تمانعه •

مكتبة ماجد الجبير facebook كتب كتب كتب

قال :

ـ هل تعلمين انني ماعدت متعباً قط ؟ سأذهب غداً مع بيتر لابحث عن عمل • لماذا انتظرت اكثر من ذلك ؟ سوف نستطيع اكتراء غرفتين • سوف أكسب من عملي وسنكون سعداء •

كانت تريد ان يستجم أولا • لكن موريتز كان قد عقد العزم • قال :

ـ سأذهب غداً صباحاً مع بيتر • انني معتاد على العمل • لقد اشتغلت طيلة ثلاثة عشر عاما من الصباح الى المساء دون ان استريح • لقد زاولت اعمالا قاسية •

توقفا أمام أحد المخازن ، وكانت الواجهة مضاءة •

قال موريتز :

ـ سأشتري لك ، من أجري الأول ، هذا العقد من اللآلىء الزجاجية • هذا الأحمر • هل يروق لك ؟

فنظرت الى بطاقة السعر ومنها الى وجه ايوهان • ماكانت تدري بم تجيب • كانت كل أحلامها في ان يعود اياني وان يشتري لها عقـــداً من اللآلىء الزجاجية قد تحققت •

قالت :

ـ سوف لن نفترق بعد اليوم ابداً •

ـ اذا بدأت العمل غداً فسأشتري لك العقد يوم السبت المقبل •

ولما بلغا الشارع الذي يقطنان فيه كان الصبح قد انبلج او كاد •

أخذ موريتز سوزانا بين ذراعيه ثم قبلها وقال :

ـ لن أستطيع تقبيلك في المنزل لأن الأولاد قد يهزأون بنا • انهم يظنون أننا هرمنا • لكننا لسنا كذلك • ألسنا بعد بعيدين عن سن الشيخوخة؟

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.facebook

شاهد أمام الباب سيارة كبيرة مضاءة الانوار .

خفق قلب ايوهان موريتز بشدة ، وتلمس الجيب التي أودع أوراقه فيها . لقد كانت أوراقاً قانونية ، مع ذلك فقد كان قلقـاً . كانت السيارة تشبه سيارة المعسكر ، وأنوارها تعطي ذلك الضوء الفج مثل انوار تلك .

كان موريتز يعرف ان أوراقه لاغبار عليها ، وأنه كان يحتفظ بها معه وأن أنوار كل السيارات تعطي ضياءً متشابهاً .

قالت سوزانا :

ـ لمَ ترتعد ؟

لم يجب . لكنه تعجل الدخول الى البيت .

وبينما كان يصعد السلم ، التقى بدركيين كانا عائدين من مسكنه . كانا قد أيقظا أولاد ايوهان موريتز وقالا لبيتر ان عليهم ان يكونوا جاهزين في الساعة السابعة صباحاً أمام الباب ومعهم خمسين كيلو غراماً من الأمتعة لكل منهم .

لكنهما لما قابلا ايوهان موريتز على السلم ، انتهزا الفرصة ليطلعاه على الامر أيضاً .

ـ ينبغي ان تكونوا عـــلى استعداد في السابعـــة صباحاً وان تقفوا أمام الباب .

سألت سوزانا عن السبب ، فأجابها احدهما :

ـ ان كل الغرباء في شرقي أوربا سيحفظون في المعسكرات . انه تدبير سياسي لأن بلادكم في حالة حرب مع الحلفاء الغربيين . ولكن لا تقلقوا فالحياة في المعسكرات جيدة . ستأكلون هناك كما يأكل الامريكيون . ان هذه العملية ليست الا اجراءً بسيطاً على سبيل الاطمئنان فلا تخافوا . انكم لاتعتبرون سجناء .

مكتبة ماجد الجبور
كتب كتب كتب facebook

تلك الليلة أراد ايوهان موريتز ان يفر •

لقد استدعي مرة ليقص على حاكم المدينة كيف انقذ الفرنسيين ، فصدق الخدعة آنذاك ، وكلفه ذلك التصديق اعواماً طويلة في السجن • غير انه الآن لم يعد يصدق شيئاً•أخذ الكيس الذي جاء به قبل ثماني عشرة ساعة من معسكر « داشو » وأيقظ الأولاد ليودعهم •

راح بيتر يضحك وهو يرى أباه على وشك الفرار • كان بيتر يتكلم الانكليزية بطلاقة وكان صديقاً للأمريكيين • سأل :

ـ الى أين تريـــد الذهاب ياأبي ؟ لاتكـــن ساذجاً • انني أعـرف الأمريكيين ولي عدد من الأصدقاء بينهم • اننا نخرج كل مساء معاً • اذا قال لك الامريكيون ان الأمر لايتعلق بتوقيفك ، فيمكنك ان تصدق • واذا كان الأمر تدبيراً سياسياً ، فان معنى ذلك اننا سنحصل على الطعام الأمريكي والقهوة الجيدة واللفافات « والشكولاته » • بل اننا لن نكون مرغمين على العمل • فمن السخف اذن ان تفر • انك لاتعرف الأمريكيين •

فكر ايوهـان موريتز في كل معلوماته وفي كـل الآلام التي احتملها وكل ما رأى ، ثم نظر الى بيتر • ماأراد ان يفسد على بيتر أحلامه وخيالاته فيقص عليه كل مايعرفه •

ترك ايوهان موريتز كيس أمتعته جانباً ، وراح يحدث نفسه بأنه لا يعرف أين يفر • لأنه اذا هرب من الأمريكيين وقع بين ايدي الروسيين، والحالة عند الروسيين اشد نكراً • ولم يكـن معنى ذلك أنه يصدق كل مايقوله بيتر ، بل كان يعرف جلية الأمر • غير انه كان تعبا لايملك القوة على الفرار • فلم يكن لديه مايعمله الا ان يبقى ، ليسجن من جديد •

قال ايوهان موريتز لبيتر :

ـ انك على حق • ان فراري سيكون سخيفاً •

مكتبة ماجد الحيدر
facebook.كتب.كتب.كتب

فربت بيتر على كتف ابيه بصداقة وقال :

ـ سوف ننخرط في الجيش الاميركي كفدائيين • وعندما ننتهي من دحر روسيا ، سنعود الى رومانيا • انها الحرب بين البرابرة والمدنية • ينبغي ان تتطوع انت الآخر •

لم يصغ ايوهان موريتز اليه • كان يفكر في الاسلاك الشائكة التي تحيط « داشـــو » « وهلبرن » « وكورنويســتذم » « وأوهـــر دروف » « وزيبجلهم » ، في أسلاك ثمانيـــة وثلاثين معسكراً قضى سنواته الأخيرة سجيناً فيها • كان يفكر في تلك المعسكرات حيث مات الكاهن ألكسندرو كوروغا وتريان كوروغاءفي تلك المعسكرات التي كاد ان يموت فيها جوعاً•

كان يشعر ان تلك الأسلاك الشائكة تدخل في جسده وتدمي قلبه • فكر في نفسه :

« سأعود الآن الى معسكر جديد وبذلك أكون قد مكثت حراً ثماني عشرة ساعة • لكنني الآن لا أسجن لأنني يهودي او روماني او ألماني او هنغاري او من فرق الحرس ، بل لأنني من رعايا دول الكتلة الشرقية • »

اغرورقت عيناه بالدموع •

سأل بيتر :

ـ مابالك ياأبي لاتحزم امتعتك ؟

كان الفتى متحمساً لفكرة الرحيل • فقال ايوهان موريتز :

ـ انني على استعداد أبداً • منذ ثلاثة عشر عاماً لاهم لي الا التنقل بين معسكر وآخر • لقد أمضيت هذا الدهر الطويل وأنا عـــلى استعداد دائم للرحيل • ولسوف تألف ذلك أنت أيضاً • انني أشفق عليـك ، غير انه ينبغي على بني الانسان ان يألفوا ذلك •

انهم لن يروا بعـــد اليـوم الا معسكرات وأسلاكاً شـائكة وقوافل

ترحل • لقد مررت في مائة وخمسة معسكرات • وسيكون هذا السادس بعد المائة • انه من المؤسف ان لا أنال حريتي الا ثماني عشرة ساعة ، اذ من يدري لعلني لن أحصل على ساعة أخرى قبل الموت •

ونظر ايوهان موريتز الى سوزانا وقال لها :

ـ لكن ذلك جميل الآن • انني أستطيع ان أموت الآن • انني ماكنت أجرأ على التفكير في انني سأحيا ساعات جميلة كالتي حييناها • لقد كان ذلك كما سبق لنا في فانتانا ، أليس كذلك ياسوزانا ؟

* * *

مكتبة ماجد الحيدر
facebook.كتب.كتب.كتب

# الخـــاتمة

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.كتب.facebook

مكتبة ماجد الحيدر
facebook.كتب.كتب.كتب

ـ ياسيدة وست ، أريد أن أتحدث معك في أمر شخصي .

وضعت اليونورا وست الأضبارة التي كانت بين يديها على الطاولة ، ونظرت الى الملازم ليويس .

كان جالساً الى مكتبه واضعاً ساقاً فوق ساق مستنداً الى مقعده يدخن .

كان ليويس رئيس مكتب تجنيد المتطوعين الأجانب ، وكانت نورا وست موظفة ومترجمة في ذلك المكتب . كانت تشتغل منذ ستة أشهر مع الملازم ليويس . كانت تتساءل : « لمَ لايضع رباطاً لجواربه ؟ » . وكانت تنظر الى جوارب ليويس التي كانت أبداً متهدلة أشبه « ببريمة » حول ربلة ساقه وتتساءل : « لمَ يجلس على كرسيه وكأنه ممتطياً صهوة جواد ؟ انه يشبه البحارة عندما ينزلون الى مرفأ ! مع ذلك فان ليويس شاب من أسرة طيبة تخرج من الجامعة . ان الحرية في مجتمع مهما بلغت درجتها لايجب أن تبلغ حداً تجعل اظهار ساق الرجل للمرأة في المكتب مباحاً . »

كانت نورا تشعر أنها تتلقى صفعة كلما مد لها ليويس يده بشيء ، ولفافته بين شفتيه ، أو كلما القى على طاولتها باضبارة كما تلقى العظمة للكلب .

كان الملازم ليويس لايعتقد أن نورا تنظر اليه تلك النظرة بل على العكس . لقد كان يظن أنها معجبة به غير أن نظراتها كانت دائماً وجلة ،

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.facebook

قالت :

ـ انني مصغية اليك .

ـ ياسيدة وست ، هل تقبلين أن تكوني زوجتي ؟

ازداد الملازم لويس تشبثاً بمقعده ، وراح يتأرجح عليه . فكان المقعد مرتكزاً على قائمتين فقط .

ـ انني لاأقبل ياسيد لويس أن أصبح زوجتك .

ـ هل لديك مشروعات أخرى للمستقبل ؟

فأجابت :

ـ كلا ليس لدي أي مشروع للمستقبل . لكن جوابي سيبقى دائماً : كـــلا !

فتحت نورا وست الاضبارة . لكنها لم تكن تستطيع العمل . كانت عيناها تنظران الى المصنف ، لكن عقلها كان في مكان آخر .

لقد لبثت عامين في المعسكر ، ثم أخلي سبيلها آلياً ، كما أوقفت من قبل آلياً .

ولما استعادت حريتها ، لم يكن لديها مال ولا أثواب ولا خلي حتى ولا خاتم زواجها ، لأن كل شيء كان قد صودر . وكانت البيوتات المالية الأجنبية التي تدخر فيها أموالها قد صودرت بالمثل ، فأصبحت فقيرة كأفقر اليهود . وأبلغت أن تريان قد مات منتحراً . هذا كل ماعرفته . لكنها لم تستطع معرفة تفصيلات عن الحادث . وماكانت تستطيع العودة الى الروسيين ولا تستطيع الابتعاد الى الغرب أكثر مما فعلت . فلبثت في ألمانيا واشتغلت مترجمة في احدى الصحف . ثم صدر الأمر بتوقيف كل رعايا الكتلة الشرقية ، لأن الحرب قد أعلنت بين الكتلتين . فعادت الى المعسكر

مكتبة ماجد الحيدر
facebook.كتب.كتب.كتب

من جديد ، بشكل آلي كذلك • لكن سجنها هذه المرة لم يكـــن كالمرة السابقة • لقد قبلت كأمينة سر في مكتب تجنيد المتطوعين الأجانب ، فكانت تقطن في المعسكر وتطعم ويُصرف لها أجر • كانت في ساعات فراغهـا تكتب • كانت تتمم رواية « الساعة الخامسة والعشرون » التي لم يستطع تريان اتمامها • لقد استطاعت أن تنقذ في احدى حقائبها الأجزاء الأربعة التي كانت تعتبرها أساسية رئيسية في القصة •

لم تكن تفكر في المستقبل • كـان هدفها كله محصـوراً في انهاء الكتاب • ولم يكن ذلك بمثابة أمل مقبل أو مشروع للمستقبل ، بل كانت وسيلة لتحاشي اقامة مشاريع مقبلة • كانت تكب على عملها بكليتها ، لأنها كانت تحب هذا العمل فتجهد في محاكاة أسلوب تريان ، وانهاء روايته كما لو كان هو الذي أنهاها •

وبهذه الطريقة ، كانت تشعر كلما انتهت من كتابة صفحة أنها أقرب الى تريان • لقد كانت بجانبه تشعر كأنها تكتب معه • لقد قص عليهـا من قبل كل فكرة روايته ، فكانت تسعى من جانبها للسير في طريق انهائها بأقصى مايمكن من أمانة ودقة •

قال الملازم لويس بعد سكوت قصير :

ـ أوكي O. K. ! هل يمكن معرفة أسباب هذا الرفض ؟

ـ اذا كنت تلح على معرفتها • انها الفارق في السن •

ـ ان هذا لامعنى له !

كان الملازم لويس يضحك بانشراح • استطرد :

ـ انني أكبر منك بعام • لقد اطلعت على أوراقك ، فأين اذن وجدت هذا الفارق المزعوم في السن ؟ ان الأمر على العكس •

قالت نورا :

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.كتب.facebook

ـ انك مخطىء .

فأجاب ليويس :

ـ انك تمزحين . ماهي سنك ؟

أجابت نورا :

ـ لنتحدث عن شيء آخر ، هل تريد ؟

ـ ليس قبل أن تذكري لي سنك .

ـ ليس من اللائق أن تسأل سيدة عن سنها وخصوصاً بمثل هـذا الالحاح . لكنني أستطيع أن أذكر لك سني . ان لي تسعمائة وتسع وستين عاماً . ولاتنس أن النساء يعترفن عادة بأقل مما لهن من العمر كلما سئلن حول هذا الموضوع . انني في الواقع أكبر سناً من هـذا وأبلغ شيخوخة .

ـ حسناً ، ياسيدة ماتوسالم[1] !

كان ليويس مبتهجاً منشرح الصدر ، طروباً لدعابة نورا . أما نورا ، فانها لم تكن تبتسم .

ظن ليويس أن نورا ستقبل عرضه . لكن نورا كررت لـه أنها ترفض باصرار .

ـ لاتغضب ، ياسيد ليويس . لكنني لا أستطيع العيش أربعاً وعشرين ساعة في منزل واحد معك .

ـ لماذا ؟

أجابت نورا وست :

ـ لقد قلت لك السبب : الفارق في السن . انك شاب فتي لطيف ،

---

(١) ماتوسالم ، بالبابلي يهودي ، جد نوح عليه السلام عاش ٩٦٩ عاماً . وهو اسم يطلق على كل انسان معمر .
ـ المترجم ـ

مكتبة ماجد الحيدر
كتب.كتب.facebook

أناني ككل الشباب • لكنني أنا امرأة من عالم آخر •

ـ لست أفهم •

فأجابت نورا :

ـ لهذا السبب أرفض اعطاءك التفسيرات التي تطلبها • ان من الطبيعي أن لاتفهمني • لقد اجتزت أنا ألف عام من الاختبار والحرمان والعذاب ، الف عام جعلتني على حالي الحاضر ، أما أنت ، فأمامك الحاضر والمستقبل • انني أقول انه قد يكون لك المستقبل ، ليس لأنني أشك في مستقبلك ، بل لأنني ماوثقت قط في المستقبل •

قال ليويس بانفعال :

ـ ان قولك شديد الغموض •

قالت نورا •

ـ أصغ الي ياسيد ليويس ! انني بعد أن أصغيت الى نجوى بيتراك ، جيته ، لورد بايرون وبوشكين ، وبعد أن أصغيت الى تريان كوروغا يطارحني الهوى ، واستمعت الى أغنيات شعراء القرون الوسطى وهم يركعون أمامي كما يركع المرء أمام الملكة ، وبعد أن شهدت ملوكاً وفرساناً يقتتلون من أجلي ، وبعد أن تحادثت بلغة الغرام مع فاليري ، وريلكه ، ودانونزيو ، وايليوت ، كيف أستطيع أن أنظر الى طلبك الذي تلقيه في وجهي مع دخان لفافتك نظرة جدية •

ـ هل ينبغي أن يكون المرء جيته أو لورد بايرون أو بيتراك ليطلب الزواج من امرأة ؟

فقالت نورا وست :

ـ كلا ، ياسيد ليويس • بل انه لايجب أن يكون كذلك لاريلكه ولا بوشكين ليطلب المرء الزواج من امرأة ،بل ينبغي أن يحب تلك الامرأة:

مكتبة ماجد الحيدر
facebook

أجاب السيد ليويس :

ـ اننا على اتفاق في هذا القول • اذ من الذي قال انني لاأحبك؟

ابتسمت اليورنورا وست وقالت :

ـ ان الحب ياسيد ليويس عاطفة ولا شك أنك سمعت ذلك أو على الاقل قرأته في كتاب ما •

أجاب :

ـ اننا متفقان من جديد : ان الحب عاطفة •

قالت نورا :

ـ لكنك عاجز تماماً عن اظهار أية عاطفة ، ولست وحدك العاجز • بل ان أي رجل من حضارتك لايستطيع انماء عاطفة في نفسه • ان الحب، تلك العاطفة البليغة ، لايمكن أن يكـون الا في مجتمـع يؤمن بأن الكائن البشري فريد لايمكن استبداله • والمجتمع الذي تنتمي اليه ، يؤمن بشدة بأن كل رجل يمكن استبداله بسهولة • انكم لاترون في الانسان وبالتالي في المرأة التي تزعمون أنكم تحبونها ، مثالا وحيداً خلقه الله أو أبدعته الطبيعة دفعة واحدة ومرة واحدة • ان الانسان ، في نظركم ، خلق على دفعات • والمرأة ، في نظركم ، تشبه أي امرأة أخرى •

وبمثل هذا الاعتقاد لايمكنكم أن تحبوا أبداً • ان العشاق في مجتمعي يعرفون أنهم اذا لم يوفقوا في كسب عطف المرأة المحبوبـة ، فانهم لن يستطيعوا استبدالها بسواها بين كل نساء العالم • ولهذا السبب ، فانهم كثيراً مايقتتلون في سبيل تلك المرأة ويقتلون • ان غرامهم اذا رُفض ، فانهم يعرفون استحالة استبداله بغرام آخر • ان الرجل الذي يحبني حقاً ، يشعرني بأنني المـــرأة الوحيـــدة التي تستطيع اسعاده ، المخلوقة الوحيدة • كان يبرهن لي على أنني المثال الاوحد الذي لاشبيه له عـلى

مكتبة ماجد الحيدر
facebook كتب كتب كتب

سطح الارض • وفي هذه الحالة كنت سأقتنع بصدق قوله وبصحة زعمه • ان الرجل الذي لايشعرني بأنني وحيدة لايمكن الاستعاضة عني ، رجل لايحبني • والمرأة التي لاتتلقى ذلك التوكيد من الرجل الذي تحب امرأة غير محبوبة • واذا كنت غير محبوبة من رجل ما ، فانني لاأتزوجه • فهل أنت قادر ياسيد ليويس على تقديم مثل هذا التأكيد ؟ هل تظنني حقاً المرأة الوحيدة التي لايمكن أن تعوض بسواها ؟ أتظن أنك اذا أمعنت النظر وبحثت بدقة ، فانك لن تجد من تحل محلي في نفسك ؟ كلا • انك واثق من أنني اذا رفضت ، فانك واجد امرأة أخرى تقبل الزواج بك • واذا رفضت هي الأخرى ، فانك واجد ثالثة ورابعة ، أليس كذلك؟

أجاب :

ـ لعمري انه صحيح • لكنني سآسف اذا رفضت الزواج بي • أقسم لك بشرفي انني سآسف •

ـ يجدر بنا ياسيد ليويس أن نتابع عمل مكتبنا المقدس •

وفتحت الاضبارة وقالت :

ـ ان كل من في المعسكر يريدون التطوع حتى الاطفال والنساء والشيوخ • انهم كلهم يطلبون قبولهم متطوعين • انهم جميعاً يريدون الوقوف في جانبكم •

ابتسمت نورا وست وهي تفكر في الالوف من المواطنين الأجانب الموجودين في الغرب • لقد فروا جميعاً من الرعب الروسي ، والتجأوا جميعاً الى المناطق الأميركية أو الانكليزية أو الفرنسية • انهم لم يفكروا قط في المكان الذي سيأوون اليه ، بل كانوا يفرون من الروسيين وبربريتهم • كانوا يهربون من الرعب والموت والعذاب • لقد توجهوا الى حيث لم يكن هناك روسيون • لقد هرعوا الى ذلك المكان وعيونهم

مغمضة • كان كل مايريدونه هو عدم العودة الى الوراء ، لأن وراءهم يقوم ليل طويل ويسيل الدم • وراءهم كان الذعر والجريمة • لقد قبلوا تلك الارض الخالية من الروسيين ، قبلوها وهم جائعون وأطلقوا عليها اسم أرض الآمال والوعود • لقد قبلوها دون أن ينظروا اليهـا ، ودون أن يتساءلوا عن لونها وماتكون •

كانت أرض خالية من الروسيين وكان ذلك يكفي ، فكانوا لايبالون أكان يقطنها شعب أو تحتلها أمة •

كانوا ينفرون من رؤية الروسيين فحسب •

وأوقف الأمريكيون الفارين • لكنهم لم يغضبوا ، لأنهم كانوا في الأرض الموعودة • كـان أقصى مافي نفوسـهم أن يوفقوا في الفرار من الروسيين والافلات من أيديهم • ولقد أفلتوا منهم ، فكان كل مايحدث لهم بعد ذلك سهلا مقبولا • لذلك لم يزعجهم أن يوقفهم الأمريكيون ، بل انهم لو قتلوهم لما احتجوا على فعلتهم•والآن ، أعلنت الحرب ، الحرب الثالثة ، واللاجئون منهكون جائعون سجناء •

كانوا يريدون الطعام والراحة والعمل والحرية • لكنهم لم يثوروا حين لم يجدوا ماكانوا يشتهون • كفاهم أنهم نجوا من أيدي الروسيين ، والنجاة وحدها الهدف الاول في وجودهم •

وعد الامريكيون باطلاق سراح أولئك الذين يتطوعون في فصائل القوات الغربية ، بمنحهم الحرية • فطلب كل السجناء أن يقبلوا متطوعين ، ليس حبـاً بالحرب ، بل طلباً للحريـة وسعياً وراء انقاذ أنفسـهم من الموت جوعاً •

قال السيد ليويس :

ـ انـه حماس اجماعي رائـع ! ان القضية التي من أجلها يحارب

مكتبة ماجد الحيدر
facebook
كتب. كتب. كتب

الغرب ضد بربرية الشرق ، قد تبناها كل الناس هنا • ان كل الرجال متأكدون من أن ساعة الموت أو النصر قد أزفت ، ستكون هذه الحرب فريدة من نوعها في مجرى التاريخ • الغرب المتمدين ضد الشرق البربري المتوحش • انها حرب عالمية حقاً • الحرب العالمية الاولى في التاريخ •

راح ليويس يفرك راحتيه مبتهجاً :

ـ انها سعادة أن يساهم المرء في هذه الحرب • ان النصر في جانبنا منذ الآن • سوف تنتشر المدنية على الارض كلها • ولن تكون بعد هذه حرب جديدة • سيحفل العالم بالتقدم والازدهار والسؤدد • هذا كل ماسيعقب هذه الحرب •

ابتسمت اليونورا وست ، فقال ليويس ملاحظاً :

ـ انك لاتبدين متحمسة • انني أرى أنك لست متحمسة لقضية الغرب • هل تكونين من أنصار الشيوعية ؟ انك الوحيدة التي لم تعربي عن شعورك صراحة ، الوحيدة التي لم تتحمسي لقضية الغربيين •

قالت اليونورا وست :

ـ ان أحداً من الناس ليس متحمساً • انهم يبدون لعينيك متحمسين!

ـ أليس كل هؤلاء المتطوعين ضد الشيوعية ؟

فأجابت اليونورا وست :

ـ بلى • ضد الشيوعية • ولكن هذا كل شيء ! ان معنى هذا أنهم يريدون العيش في حرية وسلام ، والخلاص من جو الذعر والارهاب • انهم يريدون النجاة من التقتيل والتعذيب والتشريد والتجويع • ان حماسهم ليس سياسياً • انه موقف الرجال حيال الجريمة والذعر والعبودية •

مكتبة ماجد الجبار
facebook

سأل السيد ليويس :

ـ وماذا تريدين أكثر من ذلك ؟ ان معنى ذلك أنهم تطوعوا بكليتهم في سبيل القضية الغربية • ونحن نقاتل لنمنحهم الحرية والطمأنينةوالحماية والديمقراطية !

قالت اليونورا وست معترضة :

ـ لاتخدع نفسك بهذه الكلمات • ان هذه الحرب التي تسميها الحرب العالمية الثالثة ، ليست حرب الغرب ضد الشرق • وبعبارة أوضح، انها ليست حربا على الاطلاق ، حتى ولو امتد خط القتال من قطب الى آخر وغمر الارض كلها • ان هذه الحرب ليست الا ثورة داخلية في نطاق المجتمع الآلي الغربي•انها ثورة داخلية غربية تماماً ولا علاقة للشرق بها•

قال ليويس :

ـ لكننا نحارب الشرق ، أوربا الشرقية كلها !

فأجابت اليونورا وست :

ـ هذا خطأ ! انكم ، أنتم الغربيين ،تقاتلون ضد فرعمن حضارتكم•

ـ اننا نحارب ضد الروسيين •

ـ لقد غدت روسيا ، بعد الثورة الشيوعية ، فرعاً من أكثر فروع الحضارة الآلية الغربية تقدماً • لقد نقلت روسيا كل نظرياتها من الغرب• وكل ماعملته هو أن طبقت تلك النظريات • لقد حولت روسيا الانسان الى صفر ، كما تعلمت من الغرب أن تحوله • وحولت المجتمع الى آلة هائلة كبيرة ، كما تعلمت ذلك من الغرب أيضاً • لقد قلدت روسيا الغرب كما لايستطيع أن يقلده الا البرابرة والمتوحشون • ان ماهو روسي حقيقة ، وما أضيف الى المجتمع الشيوعي ، ليس الا الوحشية والبربرية • ان هذا كل ما للروسيين من أشياء تخصهم • وماتبقى ، فانه جاء من الغرب • اننا

مكتبة ماجد الجبير
facebook
كتب كتب كتب

اذا ستثنينا التعطش الى الدم والبربرية في روسيا ، وجدنا أن كل شيء آخر قد نقل بأمانة عن الغرب • أما أنتم ، فانكم تحاربون هذه الظاهرة من المدنية الغربية : الفرع الشيوعي من المجتمع الآلي الغربي • ولهذا السبب ، فان هذه الحرب العالمية الثالثة ، ليست في الواقع الا ثورة داخلية، انفجرت في صميم المجتمع الآلي • ان الفروع « الاطلانطيكية والاوربية » من المجتمع الغربي ، تحارب الفروع الشيوعية الغربية • انها حرب داخلية ناشبة بين فئتين ، بين طبقتين في مجتمع واحد • انها ـ اذا شئت الايضاح ـ ثورة طبقية ، مشابهة لثورة عام ١٨٤٨ البورجوازية • ان الشرق لايساهم في هذه الثورة الداخلية الغربية • ان أياً كان خارج المجتمع الآلي الغربي لايساهم في هذه الثورة • ولما كانت هذه الثورة غربية بكل عناصرها ، فانها ياسيد ليويس ، ليست لمصلحة الانسان • ان المجتمع الغربي لايحفل بالانسان •

ـ لست أفهم •

ـ ان الامر بسيط تماماً • ان مصالح المجتمع الغربي لاتتفق مع مصالح الانسان ، بل على العكس • ان بني الانسان يعيشون في المجتمع الآلي الغربي ، كما كان يعيش القدامى من النصارى : في كهوف وسجون وأحياء محدودة قذرة ، على هامش الحياة • انهم أبداً مختبئون • انهم محرومون من حق الظهور والاجهار ، محرومون من مزاولة الاعمال العامة ، وخصوصاً في مكاتبكم ، لأن حضارتكم استبدلت المذابح بالمكاتب •

« ان الرجال الذين لازالوا على انسانيتهم ، مرغمون على الاختفاء • والا فانهم يُجبرون على التصرف وفق القوانين الآلية ، وفق قوانين التكنية!

« لقد حُول الرجل الى مقياس واحد ، من مجموع المقاييس التي كان يتمتع بها ، وهو المقياس الاجتماعي • لقد تحول الى مواطن ، وهذه

مكتبة ماجد الحيدر
www.facebook.com/groups/books

الكلمة لم تعد مرادفة لمعنى : انسان !

« ان المجتمع الفني الآلي يتجاهل الانسان • انه لايعرفه الا تحت مظهره السلبي كمواطن •

« ولما كان هذا المجتمع لايعرف الانسان ، فكيف يثور من أجله ؟

« ان الثورة الحالية ـ نظراً لطابعها الغربي البحت ـ ستبقى غريبة عن مصالح الكائنات البشرية بوصفهم أشخاصاً •

« لقد غدا الرجل ، منذ زمن بعيد ، أقلية بروليتارية في مجتمعكم • وأياً كان الرابح للمعراك الحالي ، فان الرجل سيبقى أبداً ، أقلية بروليتارية ، في نطاق المجتمع •

« ان الصراع الحالي ، ليس الا اصطداماً بين فئتين من المخلوقات الآلية التي تجر وراءها عدداً من العبيد الاحياء ، عبيد من لحم ودم •

« ان الرجال لايمكن أن يُعتبروا مساهمين في الصراع الحالي مثلهم كمثل العبيد في زوارق الرومان المحاربة • ان أولئك العبيد ماكان يمكن اعتبارهم محاربين في سبيل الامبراطورية الرومانية • ان كل ماكانوا يعملونه ، هو احتمال الاغلال ، وأوزار الحرب • ولايمكن لمخلوق أن يساهم في حرب وهو مكبل بالاغلال •

سأل السيد ليويس :

ـ ألا يتطوع سجناء هذا المعسكر من تلقاء أنفسهم ؟ ان تأكيدك هذا خطير وفيه مغالاة • انني لاأهددك ، لكنني أمنعك بحزم • ان كل متطوع يأتي الينا بمحض اختياره • هل تقصدين مثلا أننا أرغمنا واحداً منهم على الانخراط في صفوفنا ؟ انك شاهدة على مواقف الأسى والاسف العميقين التي يقفها أولئك الذين نرفض قبولهم لعدم كفاءتهم • انهم يهددوننا بالانتحار اذا نحن امتنعنا عن تسجيلهم • أليس عملهم هذا

مكتبة ماجد الحيدر
كتب. كتب. كتب
facebook

طواعياً ؟ أليس عملهم حماسة ؟ انهم أشد تعصباً للقضية منـا • اننا عندما نرفض طلبهم يعتبرون رفضنا عقاباً شديداً أنزل بهم • أليس كذلك ؟

أجابت اليونورا وست :

ـ لم يعد للانسان طريق آخر للخلاص • ان الرجال يجدون أنفسهم في زنزانة في سجن ، تحيط بها النيران ، فلا يستطيعون افلاتاً الا من طريق واحدة • وهذه الطريق ، هي الانخراط في الجندية كمتطوعين • ان الشكايات الخطية والالتماسات التي تصلنا كل يوم ، خير دليل على وجود هذا المخرج الوحيد • ان كل شكاية ، صرخة يأس مدوية ، ترسل نحو المخرج الوحيد الذي تبقّى • انهم جميعاً يرسلون عروضاً وتوسـلات وشكايات ، ليس الاوربيون الهاربون من الشرق فحسب ، بل كل سكان أوربا •

قال الملازم ليويس :

ـ هذا خطأ • ان التطوع ليس الطريق الوحيدة للافلات من النيران • انهم يستطيعون اللجـوء الى الروسـيين • فلمَ اذن لايذهبون اليهـم ، ويتهافتون علينا ؟

فأجابت نورا :

ـ ان توجيه الرجال الى الطريق المؤدية الى حيث الروسيين يعادل ، في هذا المثال ، صعودهم الى أعلى الجدار الملتهب ، ليقفزوا من جديد الى الغرفة التي يشب فيها الحريق • انهم ، من أعلى ذلك الجدار ، لا يستطيعون الا ان يقفزوا الى النار والموت ! وانك لن تجد رجلا واحداً يوافق على القفز الى النار ، أو على الأقل ، انه لايقفز الى النار وهو يعرف وجود سبيل آخر • والسبيل الآخر هو : نحن • انهم يحاولون الافلات ، ولكنهم يحاولون التأكد مما وراء ذلك الباب • ان ماوراءها لايشغل بالهم • اذ يجب عليهم الخروج من النار قبل كل شيء ، والا فانهم سيختنقون ويموتون • ووجود

مكتبة مع الجسر على facebook

باب يمكن الافلات منه ، أفضل من البقاء قرب الجدار الملتهب . ولو عرف الرجال ان وراء ذلك الباب ناراً ، لفضلوا الخروج من الباب ! لأنهم على الاقل يشعرون بلحظة أمل ، قبل ان يعاودوا النضال . ان الأمل يزاود نفوسهم ، والخيال يهدهد افكارهم . وذلك افضل من لاشيء . ان من الخير دائماً ان يحتفظ المرء بخيال أو أمل ، مهما بلغ من سخفه !

قال الملازم ليويس :

ـ انك تنظرين الى الامور من زاوية مؤسية . ان المتطوعين لايفكرون مثل تفكيرك . اننا ، عندما نقبل طلباتهم ، نزكي في نفوسهم الحماس . فيقاتلون حتى الموت في سبيل قضيتنا ، التي هي كذلك قضيتهم . انهم خيرة جنودنا . افتحي الباب وانظري اليهم كيف ينتظرون أمام المكتب .

« هناك مئات . وألوف . انهم يريدون جميعاً التطوع في صفوفنا . انهم جميعاً يريدون القتال انتصاراً لقضية المدنية . انهم جميعاً يرغبون في بذل أرواحهم في سبيل الفوز القريب . ان ذلك النصر المرتقب سيحمل للرجال السعادة والحضارة والسلام ، والخبز والحرية والديمقراطية . ألا تصدقينني ؟

قالت اليونورا وست :

ـ كلا . ان الرجال لايؤمنون بهذه الحرب . انهم قد لايفكرون مثل تفكيري تماما ، لأنهم قد تألموا كثيراً ، ولا يمكن ان يفكروا على هذا النحو بعد ، لكنهم لايفكرون في شيء مطلقاً . غير انهـــم جميعاً يشعرون مثل شعوري ، ويتألمون كما أتألم . انهم يائسون كما أنا يائسة . مثلي تماماً . ان أوربا كلها تشعر شعوري .

ـ دعي الحوادث تتكلم ، ياسيدة وست ! سأثبت لك مبلغ الحماس

مكتبة ماجد الحيدر Facebook كتب كتب كتب

الذي يعتلج في نفوس هؤلاء الناس الراغبين في التطوع في صفوفنا . سنأخذ مثالا عفوياً ، أترك للصدفة تعيينه .

ونهض الملازم لويس وفتح باب المكتب على مصراعيه، قال :

ـ انظري . ان أكثر من خمسمائة شخص ينتظرون اليوم .

وأشار بيده الى الخط الطويل من المخلوقات البشرية المرتسم أمام الباب واستطرد :

ـ لنأخذ الأول في الصف .

أدخل السيد لويس الرجل الأول الى المكتب . لاشك انه جاء قبل الآخرين وكان ينتظر دوره . ولم يكن الرجل وحيداً ، بل كان معه كل افراد أسرته : زوجة وثلاثة أولاد .

كان رجلا ذا شعر أسود وفودين أشهبين . كان خـــداه مسترخيين وعيناه سوداوين كبيرتين ، حزينتين وجميلتين .

نظرت نورا في عينيه وقالت في نفسها : « ان فيهما حزناً يرجع الى توقد العقل . »

كان الرجل الذي أمامها من فئة العمال . لكن الذكاء كان يشـــع في نظراته . والذكاء يساوي سمو النفس . لم يكن حزنه حزن جسد ، بل كان حزنا نفسياً ، مصدره العقل .

أما المرأة التي كانت الى جانبه فكانت ترتدي ثوباً أزرق فضفاضاً . كان شعرها أشقر تبعثرت بينه خصلات بيضاء . لكنها كانت رائعة الجمال . لم يكن جسمها وحده الجميل ، بل كانت أنوثتها كذلك تتفجر من كل مسامات جسدها وتشرق حولها .

مكتبة ماجد الحيدر
facebook.كتب.كتب.كتب

تاقت نورا وست الى ان تبتسم لها كما تبسم لأخت • لكن المرأة لبثت مخفضة العينين ، حزينة مذعورة •

وكان أحد الأولاد الثلاثة ذا عينين سوداوين كعيني أبيه، لكن الحزن لم يكن قد تعمق فيهما • كانت عيناه اللامعتان الجريئتان تتفحصان نورا بتطلع وفضول •

والغلام الثاني ، كان كذلك مطرق العينين • كان اشقر • بدأ كأنه غير موجود في الغرفة • لقد كان يفكر في شيء آخر •

أما الثالث والأصغر ، فقد كان يناهز الرابعة من عمره • وكان ذا عينين زرقاوين وشعر أجعد • حارت نورا في نوعه : أهو غلام أم فتاة • لكنه كان جميلا كالملك الرحيم •

قال الملازم ليويس :

ـ هذه أسرة كاملة تريد التطوع في صفوفنا • اسأليهم هل يفكرون مثل تفكيرك • سوف ترين أنهم لم يحضروا الينا بدافع اليأس • انهم يؤازروننا لأنهم متعطشون للحرية والعدالة • انهم يطلبون التطوع في جيشنا ، لأنهم يريدون القتال من أجل السلام والمدنية • انهم عارفون تماماً ما هم مقبلون على صنعه • اسأليهم ماتشائين • وسترين !

قالت نورا :

ـ لا حاجة لي الى ذلك • انني لا أريد معرفة مافي قلوب هؤلاء • ان ألمي يكفيني ، فلا ترغمني على ايقاظ يأس الآخرين • ابدأ في أسئلتك كما هي عادتك • انني لا أريد القيام باستجوابهم •

ـ أرجوك ان تسألي كل ماترغبين في معرفته • انني واثق من أنك ستغيرين رأيك أخيراً •

مكتبة ماجد الحيدر
كتب كتب facebook

ـ ليكن !

كانت الجملتان الأخيرتان بمثابة أمر من الملازم ليويس الى نورا ، فرفعت عينيها الى عيني الرجل الذي كان واقفاً أمام الباب وقبعته في يده ، وتقابلت نظراتهما . قالت :

ـ ماهو اسمك ؟

فأجاب الرجل :

ـ ايوهان موريتز . أريد ان أتطوع مع كل أفراد أسرتي . اننا نرجوكم قبولنا معاً . انني أرجو ان تتساهلوا قليلا فيما يتعلق بسني لأنني تخطيت السن المطلوبة كما قرأت على الاعلانات . لكنني أشعر بأنني لازلت شاباً . أما الغلمان فانهم أصغر سناً من الحد المطلوب ، لكنهم مجدون ونزيهون . اننا ضد البلاشفة كما جاء في الاعلانات . ونؤمن في انتصار المدنية كما جاء في الاعلانات الملصقة على باب المعسكر . غير اننا نختلف قليلا عن شروط السن المبينة في الاعلان ، لذلك فاننا نرجوكم ان تتساهلوا معنا . انكم اذا لم تقبلونا ، حكمتم علينا بالموت . اننا لا نستطيع الاحتمال أكثر مما احتملنا .

دفع الغلام ذو العينين السوداوين مرفقه في جنب أبيه كأنه ينبهه الى أنه تكلم أكثر مما ينبغي .

توقف ايوهان موريتز عن الكلام وقد اصطبغ وجهه بحمرة قانية . أدرك أنه ماكان يجب عليه التلفظ بالكلمات الأخيرة . لقد أخطأ ولا شك في قولها ، ولعلهم سيرفضون قبوله بسبب ذلك .

أردف :

ـ أتوسل اليكم ان تقبلونا.اننا جميعاً من خيرة العمال وقلوبنا نزيهة. كان بيتر قد أوصاه بذكر اشياء أخرى . غير انه ماكان يريد قولها .

مكتبة عبد الحميد كتب facebook

لم يكن يستطيع القول انه يؤمن بالحضارة وبالغرب والى آخر ما هنالك من أقوال ... انه ماكان يستطيع التلفظ بمثل هذه الاقوال . كان فمه يرفض استيعاب تلك الكلمات ، ولسانه يرفض النطق بها . كان متأكداً من ان ابنه سيغضب ، وسيغلظ له القول عند خروجه من المكتب .

ألقى نظرة ضارعة على وجه المرأة ذات الشعر الأحمر التي كانت في المكتب . كانت هي الأخرى تنظر اليه !

وعم سكون شامل !

كانت المرأة التي في المكتب تمتاز بنظرات جميلة دافئة ملتمعة .

ورفعت زوجة ايوهان موريتز ـ هي الاخرى ـ عينيها ، ونظرت الى تلك السيدة . وحذا الاولاد حذوهـــا . راحو جميعـاً يتأملونهـا بحزن صامتين .

ابتسم الملازم ليويس بينما لبثت اليونورا وست صامتة تتأمل وجه الرجل الماثل أمامها .

ـ هل تعرف تريان كوروغا ؟

انتفض ايوهان موريتز لدى سماعه هذا الاسم . قال :

ـ لقد كنا معاً .

ما كان يريد ان يتحدث عن المعسكر ، لأن بيتر أوصاه بتحاشي ذلك في البيت .

قال :

ـ لقد كنا معاً حتى اللحظات الأخيرة . لقد كنت معه ومـــع القس كوروغا . لقد لبثت الى جانب السيد كوروغا حتى وقعت المصيبة ...

توقف موريتز برهة ثم استطرد :

مكتبة ماجد الحيدر
facebook
كتب. كتب. كتب

ـ لقد كان أفضل رجل عرفته في حياتي . انه لم يكن رجلا بل كان قديساً . هل عرفت السيد تريان انت كذلك ؟

ـ انني زوجته !

استند ايوهان موريتز الى الباب . وأصبح ممتقع الوجه مكفهره . أراد ان يخرج منديله من جيبه ، لكنه لم يكن يملك منديلا . لمس بأصابعه شيئاً زجاجياً في جيبه . كان ذلك الشيء نظارتي تريان كوروغا .

لقد أخذهما ذلك الصباح بالذات ليصنع لهما غلافاً من الجلد . كان يخشى ان تتحطما اذا وضعهما في حقيبته هكذا ...

اخرجهما من جيبه ، ونظر اليها فترة ، وفكر في انه لم يعد هناك داع لصنع الغلاف الجلدي لهما ، لأنه لن يضعهما في حقيبته بعد اليوم .

وضع ايوهان موريتز النظارتين أمام نورا وست على المكتب .

قال :

ـ انهما نظارتا السيد تريان .

ثم سعل لينقي صوته الصدىء ، وأردف :

ـ لقد أعطاهما لي قبل مونه لأحملها اليك . لقد سلمهما لي قبل ان ...

كان صوت ايوهان موريتز متهدجاً فلم يستطع الاستمرار في الكلام . راح يبحث عن منديله من جديد ، المنديل الذي لا يملكه ، فلم يجد الا قطعة الجلد التي كان يريد صنع الغلاف منها . أخرجها من جيبه ، اذ لم يعد لها لزوم ، فوضعها كذلك على المكتب قرب النظارتين ، لمجرد حاجته الى عمل شيء . قال :

ـ أردت ان أصنع لهما غلافاً من الجلد لأدفع عنهما غائلة الكسر . ان لدي الوقت الكافي في المعسكر لصنع الغلاف ولسوف أصنعه ، وستحتفظين بهما داخل الغلاف . ان ذلك أفضل ، لأنهما ستبقيان سليمتين .

مكتبة ماجد الحيدر
كتب كتب كتب .facebook

قال الملازم ليويس وهو يدخل الى المكتب :

ـ هل تأكدت الآن من انهم متطوعون حقيقيون ؟

سعلت نورا • لقد كانت حنجرتها مضغوطة بين أصابع خفية جبارة • وأخيراً قالت بصوت حازم :

ـ نعم • لقد اقتنعت الآن تماماً • انك على حق مبين • ان هؤلاء جميعاً يتضرعون اليّ ان أمنحهم تسهيلا في شروط السن • انهم يريدون التطوع معاً ، كل الاسرة !

ابتسم ليويس وقال :

ـ حسناً ، امنحيهم التسهيل اللازم • سوف التقط صورة لهم لتنشر في الصحف !

اقترب الملازم ليويس من أصغر الاطفال فداعبه وقال لسوزانا :

ـ انه هو الآخر ضد الروسيين ، أليس كذلك ؟

فأطرقت سوزانا بعينيها ، ثم فكرت في أنها يجب ان تقول شيئاً •

قالت :

ـ نعم ، انه هو الآخر ضد الروسيين !

كانت تخشى ان يسمع ايوهان موريتز قولها •

وسمعها ايوهان موريتز فعضت على شفتيها •

راحت اليونورا وست تتأمل الاوراق التي ستسجل الأسماء فيها •

قالت :

ـ تعالوا هذا المساء الى مسكني ، انني أقطن في المعسكر أيضاً • سوف نحتسي قدحا من الشاي وسنتحدث بسكون • ستقص علي ماتعرفه عن تريان •

وشاعت سحابة على عيني نورا • أردفت :

مكتبة ماجد الحيدر
facebook
كتب كتب كتب

ـ والآن ، أجب على الاسئلة لأملء الاوراق الرسمية : أين كنت منذ عام ١٩٣٨ حتى الآن ؟ قل لي كل شيء . لاتخف . سوف يقبل طلبك .

ابتسم الغلام البكر ، لقد ربح الجولة . وكان سعيداً بذلك .

كان أصغر الأطفال سعيداً كذلك . كان يأكل الحلوى التي قدمها اليه الملازم ليويس ويضحك كاشفاً عن أسنانه البيضاء .

أما سوزانا ، فقد ظلت مطرقة الرأس .

أعدّ الملازم ليويس آلة التصوير . كان يريد التقاط صورة لافراد الأسرة كلهم ، عندما ينتهي ايوهان موريتز من املاء الاوراق اللازمة . كان يجب ان يبدو كل شيء مشروعاً صحيحا .

ـ لقد كنت عام ١٩٣٨ في معسكر لليهود في رومانيا ، ثم في معسكر للرومانيين في هنغاريا عـــام ١٩٤٠ . وانتقلت عـــام ١٩٤١ الى معسكر للهنغاريين في المانيا ثم الى معسكر امريكي عام ١٩٤٥ . وقد أطلق سراحي أول أمس من معسكر داشو . لقد أمضيت ثلاثة عشر عاما في المعسكرات . لم تمنح الي حريتي الا ثماني عشرة ساعة فحسب ، وبعدها جاءوا بي الى هنا ...

قال الملازم ليويس :

ـ ابتسم ! Keep Smiling !

كانت عدسة آلة التصوير مصوبة الى ايوهان موريتز واسرته .

كان موريتز ينظر الى نورا وهـو يفكر في مئـات الكيلو مترات من الاسلاك الشائكة التي رآها .

لم يرفع أبصاره لما تحدث اليـــه الملازم ليويس ، لم يكـــن يفهم الانكليزية .

كان يشعر بأن تلك الكيلو متـــرات من الاســلاك الشائكة تلتف حول جسده .

مكتبة ماجد الجبير
facebook
كتب. كتب

اردف يقول :

ـ هذا ماحدث منذ عام ١٩٣٨ حتى اليوم • معسكرات ومعسكرات ومعسكرات • لاشيء الا المعسكرات خلال ثلاثة عشر عاما •

قال الملازم ليويس :

ـ ابتسم !

أدرك ايوهان موريتز ان تلك الكلمات كانت موجهة اليه فقال لنورا:

ـ ماذا يقول الأميركي ؟

ـ انه يأمرك بالابتسام •

نظر ايوهان موريتز الى نظارتي تريان على المكتب • خيل اليه انه يرى في تلك اللحظة جسد تريان يسقط قرب الاسلاك الشائكة ، وقد اخترقه الرصاص • كان يفكر في كيلو مترات الاسلاك الشائكة التي كانت تحيط بالمعسكرات • تذكر ساقي الكاهن كوروغا المبتورتين ، تذكر كل ماوقع له خلال الاعوام الثلاثة عشرة •

نظر الى سوزانا ، والى الطفل الصغير ، طفل الروسيين ، فتجهم وجهه واكتأب ، واغرورقت عيناه بالدموع • الآن وقد كانوا يأمرونه بالابتسام ، شعر انه لا يستطيع الابتسام • كان يشعر في تلك اللحظة بأنه سينفجر باكيا منتحبا كالمرأة الثكلى ، بيأس • لقد كانت النهاية • ما كان يستطيع ان يتقدم خطوة أخرى • ان أي انسان ما كان يستطيع ان يتقدم خطوة أخرى الى الأمام •

غير ان الضابط لبث يأمر ايوهان موريتز وهو يحدق في وجهه :

ـ ابتسم ! ابتسم ! ابتسم ! ابتسم ! •••

تمت